

الكامل في التاريخ

للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف "بابن الأثير" الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنة "٦٣٠" هـ

من سنة ٦٥ لغاية سنة ١٢٦ للهجرة

راجعه وصححه
الدكتور محمد يوسف الدقاقة

المجلد الرابع

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر مسير التوّابين وقتلهم

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث إلى رؤوس أصحابه فأتوه فلما أهلّ ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة ، فلما أتى النخيلة دار في الناس فلم يعجبه عددهم ، فأرسل حكيم بن منقذ الكندي ، والوليد بن عصير الكناني فناديا في الكوفة : يا لثارات الحسين ، فكانا أوّل خلق الله دعا يا لثارات الحسين ، فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما في عسكره ، ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه فقال : سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف فقيل له : إن المختار يثبط الناس عنك إنه قد تبعه ألفان فقال : قد بقي عشرة آلاف ، أما هؤلاء بمؤمنين ، أما يذكرون الله والعهود والمواثيق ، فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى من تخلف عنه فخرج إليه نحو من ألف رجل ، فقام إليه المسيب بن نجبة فقال : رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية فلا تنتظر أحداً وجدّ في أمرك قال: نعم ما رأيت؛ ثم قام سليمان في أصحابه فقال : أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حياً وميتاً ومن كان إنما يريد الدنيا فوالله ما يأتي فيء نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ما هو إلا سيوفنا على عواتقنا ، وزاد قدر البلغة فمن كان ينوي هذا فلا يصحبنا فتنادى أصحابه من كل جانب إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا ﷺ ، فلما عزم سليمان على المسير قال له عبدالله بن سعد بن نفيل : إني قد رأيت رأياً إن يكن صواباً فالله الموفق وإن يكن ليس صواباً فمن قبلي ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والقبائل فأين نذهب من هنا وندع الأوتار؟

فقال أصحابه كلهم : هذا هو الرأي فقــال سليمان : لكن أنا لا أرى ذلك إن الذي قتله وعبى الجنود إليه وقال : لا أمان له عندي دون أن يستسلم فـأمضي فيه حكمي هـذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد، فسيروا إليه على بركة الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه ، ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم في عافية فينظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون ، وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للأبرار ، إني لا أحب أن تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتـم أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ورجلاً يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا ، وبلغ عبدالله بن يزيد ، وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد ، فأتياه في أشـراف أهل الكـوفة ، ولم يصحبهم من شـرك في دم الحسين خوفاً منه ، وكان عمر بن سعد تلك الأيام يبيت في قصر الإمارة خوفاً منهم ، فلما أتياه قال عبدالله بن يزيد : إن المسلم أخو المسلم لا يخونـه ولا يغشه ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا ، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نتهيأ فإذا سار عدوّنا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقـاتلناه ، وجعـل لسليمان وأصحـابه خـراج جُوخى[1] إن أقـاموا ، وقـال ابراهيم بن محمد مثله ، فقال سليمان لهما : قد محضتمـا النصيحة واجتهـدتما في المشورة ، فنحن بالله وله نسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا إلا سائرين . فقال عبدالله : فأقيموا حتى نعبى معكم جريداً كثيفاً فتلقوا عدوكم بجمع كثيف ، وكان قد بلغهم إقبال عبيدالله بن زياد من الشام في جنود كثيرة فلم يقم سليمان ، فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الأهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال : ما أحب أن تتخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً إن الله كره انبعاثهم فثبطهم واختصكم بفضل ذلك .

ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه ، وكان من قولهـم عنـد ضريحه : اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد ، المهدي ابن المهدي الصديق ابن

---

(١) في معجم البلدان ٢ / ١٧٩ : جوخا : بالضم والقصر وقد يفتح اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد.

الصديق ، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم ، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا ﷺ فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا ، فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وإنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، وزادهم النظر إليه حنقاً ، ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له ، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود ، ثم ساروا على الأنبار ، وكتب إليهم عبدالله بن يزيد كتاباً منه : يا قومنا لا تطيعوا عدوّكم أنتم في أهل بلادكم خيار كلكم ، ومتى يصبكم عدوّكم يعلموا أنكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم ، يا قومنا إنهم إنْ يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا إذاً أبداً ، يا قوم إن أيدينا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ، يا قومنا لا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يقرأ كتابي عليكم والسلام .

فقال سليمان وأصحابه : فقد أتانا هذا ونحن في مصرنا ، فحين وطأنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ما هذا برأي ، فكتب إليه سليمان يشكره ويثني عليه ويقول : إن القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم وإنهم قد تابوا من عظيم ذنبهم ، وتوجهوا إلى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم ، فلما جاء الكتاب إلى عبدالله قال : استمات القوم أول خير يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراماً مسلمين ، ثم ساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابي قد تحصن بها منهم ولم يخرج إليهم ، فأرسل إليه المسيب بن نجبة يطلب إليه أن يخرج إليه سوقاً فأتى المسيب إلى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الإذن على زفر ، فأتى هذيل بن زفر أباه فقال : هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك . فقال أبوه : أما تدري يا بني من هذا؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها ، إذ عدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم هو ، وهو متعبد رجل ناسك له دين ائذن له ، فأذن له .

فلما دخل عليه أجلسه إلى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وما عزموا عليه ، فقال زفر : إنا لم نغلق أبواب المدينة إلا لنعلم إيانا تريدون أم غيرنا ، وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم ، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ، ثم أمر ابنه فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وقال : لعلي احتاج إليه

إذا عرج فرسي ، وبعث زفر إليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق إلا أن كان الرجل يشتري سوطاً أو ثوباً ، ثم ارتحلوا من الغد وخرج إليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان: إنه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدهم بن محرز ، وجبلة بن عبدالله الخثعمي ، وعبيدالله بن زياد ، في عدد كثير مثل الشوك والشجر ، فإن شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فإذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعاً ، فقال سليمان : قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم ، قال زفر : فبادروهم إلى عين الوردة ـ وهي رأس عين ـ فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بيننا وبينكم ، فأنتم آمنون منه ، فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط أكرم منكم فإني أرجو أن تسبقوهم وإن قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم ، فإنهم أكثر منكم ولا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فيصرعوكم ، ولا تصفوا لهم فإني لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان ، بعضهم يحمي بعضاً ولكن القوهم في الكتائب والمقانب ، ثم بثوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى إلى جانبها فإن حمل على احدى الكتيبتين رحلت الأخرى فنفست عنها ، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ، ولو كنتم صفاً واحداً فزحفت إليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودّعهم ودعا لهم ودعوا له وأثنوا عليه ، ثم ساروا مجدين فانتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمساً فاستراحوا وأراحوا . وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال : أما بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يولينهم امرؤ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه فإن هذه كانت سيرة علي في أهل هذه الدعوة ، ثم قال : إن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة ، فإن قتل فالأمير عبدالله بن سعد بن نفيل فإن قتل فالأمير عبدالله بن وأل ، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شداد ، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه .

ثم بعث المسيب في أربعمائة فارس ثم قال : سِرْ حتى تلقى أول عساكرهم فشن عليهم الغارة فإن رأيت ما تحبه وإلا رجعت وإياك أن تترك واحداً من أصحابك أو

تستقبل آخر حتى لا تجد منه بداً . فسار يومه وليلته ثم نزل السحر ؛ فلما أصبحوا أرسل أصحابه في الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه بأعرابي فسأله عن أدنى العساكر منه فقال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع ، وهو منك على رأس ميل ، وقد اختلف هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة ، وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد . فسار المسيب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا في جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب ، وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا فغنم منه أصحاب المسيب ما أرادوا ، ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين ، وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً ، فخرج أصحاب سليمان إليه لأربع بقين من جمادىٰ الأولى وعلى ميمنتهم عبدالله بن سعد ، وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة ، وسليمان في القلب ، وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبدالله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي . فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيدالله بن زياد إليهم ، وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الأمر إلى أهل بيت النبي ﷺ فأبى كل منهم . فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة أيضاً على الميمنة وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فانهزم أهل الشام إلى معسكرهم ، وما زال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين جيش مع ابن ذي الكلاع ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيدالله بن زياد ، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم إلا الصلاة ، فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم ، فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى . ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ، ورأى سليمان ما لقي أصحابه فنزل ونادى : عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإليَّ ، ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح ، فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيل

والرجال ، فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع ، فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ، ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل فعل ذلك مراراً ثم قُتل رضي الله عنه بعد أن قتل رجالاً ، فلما قتل أخذ الراية عبدالله بن سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ ﴿ فمنهم من قضى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾[١] وحف به من كان معه من الأزد ، فبينما هم في القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره في سبعين ومائة من أهل المدائن ، ويخبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدي في ثلاثمائة فسرّ الناس ، فقال عبدالله بن سعد : ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء ، فلما نظر الرسل إلى مصارع إخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم، وقتل عبدالله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخي ربيعة بن مخارق ، وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً ، وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبدالله بن وأل فإذا هو قد اصطلى الحرب في عصابة معه ، فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه ، فأتى فأخذ الراية وقاتل ملياً ثم قال لأصحابه : من أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحة التي ليس بعدها نصب ، والسرور الذي ليس بعده حزن فليتقرب إلى الله بقتال هؤلاء المحلين الرواح إلى الجنة ـ وذلك عند العصر ـ فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم ، ثم إن أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردّوهم إلى المكان الذي كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى إلا من وجه واحد ، فلما كان المساء تولى قتالهم أدهم بن محرز الباهلي فحمل عليهم في خيله ورجله فوصل ابن محرز إلى ابن وأل وهو يتلو ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾[٢] الآية فغاظ ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فأبانها ثم تنحى عنه وقال : إني أظنك وددت أنك عند أهلك ، قال ابن وأل : بئسما ظننت والله ما أحب أن يدك مكانها إلا أن يكون لي من الأجر مافي يدي ليعظم وزرك ويعظم أجري . فغاظه ذلك أيضاً فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول؛ وكان ابن وأل من الفقهاء العباد ، فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلي وقالوا : لتأخذ الراية فقال : ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرّ لهم ، فقال له عبدالله بن عوف بن الأحمر : هلكنا

---

(١) الأحزاب ٢٣ .
(٢) آل عمران ١٦٩ .

والله لئن انصرفنا لَيَرْكَبُن أكتافنا ، فلا نبلغ فرسخاً حتى نهلك عن آخرنا ، وإن نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به إليهم فقتل صبراً ، هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ، ونعرف الوجه الذي نأخذه ، فقال رفاعة : نعم ما رأيت . وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً ، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا إلى ذلك لشدة قتالهم ، وتقدم عبدالله بن عزيز الكناني[١] فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بني كنانة من أهل الشام وسلم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة فعرضوا عليه الأمان فأبى ثم قاتلهم حتى قتل ، وتقدم كرب بن يزيد الحميري عند المساء في مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكلاع الحميري الأمان . قال : قد كنا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا ، وتقدم صخر[٢] بن هلال المزني في ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا . فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم ، ونظر رفاعة إلى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدفعه إلى قومه . ثم سار بالناس ليلته ، وأصبح الحصين ليلتقيهم فلم يرهم فلم يبعث في آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زُفر الإقامة فأقاموا ثلاثاً فأضافهم ثم زودهم وساروا إلى الكوفة ، ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن فبلغ هيت فأتاه الخبر فرجع فلقي المثنى بن مخربة العبدي في أهل البصرة بصدود[٣] فأخبره ، فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة إلى بلدهم ، ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوساً فأرسل إليه ـ أما بعد فمرحباً بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي فعلهم حين قتلوا[٤] أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة[٥] إلا كان ثواب الله له أعظم من الدنيا ، إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به

---

(١) في الطبري «الكندي».

(٢) في الطبري «صخير» بالتصغير.

(٣) في الطبري «بصندوداء» وكذا في معجم البلدان.

(٤) في الطبري «حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قفلوا».

(٥) في الطبري «ولا رتا رتوة».

تنصرون ، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون ، وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين ، المقيد من الأوتار ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام .

وكان قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر ، ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وإن السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين ، عبدالله بن سعد الأزدي ، وعبدالله بن وأل البكري ، ولم يبق بعدهم من عنده امتناع ، وفي هذا نظر فإن أباه كان حياً ، قال أعشى همدان في ذلك وهي مما يكتم ذلك الزمان :

ألـمَّ خيـالٌ مِـنْـكِ يـا أمَّ غـالـب … فحييتِ عنّـا مِنْ حَبيب مُجَـانِـبِ
ومـا زلتُ في شجو[1] ومـا زلتُ مقصداً … لهم غَيـر أني مـن فـراقِـكِ نـاصب
فمـا أنسَ لا أنْسَ انفتالَـكِ في الضحى … إلينـا مَعَ البيضِ الحسـانِ الخـراعبِ
تـراءت لنـا هيفـاءَ مهضـومـةَ الحشا … لـطيفـةَ طيِّ الكَشْـح ريَّـا الحقـائب
مسيكـة غـزار ودسى بـهـائـهـا[2] … كشمس الضحى تنكـل بين السحـائب
فلمـا تغشّـاهـا السحـابُ وحـولـه … بـدا حـاجبٌ منهـا وضنَّت بجـانـبِ
فتلك الهـوى وَهي الجـوى لي والمنى … فـأحبب بهـا من خلةٍ[3] لم تصـاقبِ
ولا يـبـعـد الـلَّهُ الـشـبـابَ وذكـرَهُ … وحب[4] تصافي المعصرات السـواكبِ
ويـزدادُ مـا أحـبـبـتـه مـن عـتـابـنـا … لـعـابـاً وسقيـا للخـدينِ المقـاربِ

---

(١) في الطبري «وما زلت لي شجواً» .

(٢) في الطبري شطر البيت هكذا «مبتلة غراء رود شبابها» والمبتلة الجميلة كأنها تبتل حسنها على أعضائها أي فرق على أعضائها فنال كل عضو نصيبه ، والغراء البيضاء الجبهة ، والرود اللينة المثنى تشبيهاً لها بالريح اللينة الهبوب ، والقصد هنا ناعمة الشباب ، ومعنى تنكل أي تختفي بين السحائب فيكون السحاب لها وهي ما نسميه الآن الناموسية .

(٣) الخلة بالضم الخليلة .

(٤) حب أفعل تفضيل ومعناه ما أحبه أو أحبب به .

فـإنـي وإن لـم أنـسـهـنَّ لـذاكـرٌ ... رويـة مخبات[١] كـريـم المنـاصبِ

تـوسـل بـالتقـوى إلى الله صـادقـاً ... وتقـوى الإلـهِ خيـرُ تكسـابِ كـاسبِ

وخلّى عن الـدنيـا فلم يـلتبسْ بـهـا ... وتـابَ إلى اللّهِ الـرفيـعِ المـراتـبِ

تخلّى عن الدنيا وقـال طَـرَحْتُهـا[٢] ... فـلستُ إليـهـا مـا حييتُ بـآيـبِ

ومـا أنـا فيمـا يكره[٣] النـاسُ فَقْدَهُ ... ويسعـى لـه السـاعـون فيهـا بـراغبِ

تـوجـهـه نَـحْـوَ الـثـويَّـةِ سـائـراً ... إلى ابن زيـادٍ في الجمـوع الكتـائبِ[٤]

بـقـومٍ همـو أهـلُ التقيَّـةِ والنُّهى ... مـصـاليـتُ أنجـادُ سـراة منـاجِـبِ

مضـوا تـاركي رأي ابن طلحـةَ حسبةً ... ولم يستجيبـوا لـلأميـرِ المخـاطبِ

فسـارُوا وهم مابينَ ملتمسِ التقى ... وآخـرَ مـمّـا جَـرَّ بـالأمسِ تـائـبِ

فـلاقَوْا بعينِ الـوردةِ الجيشَ نـاضـلاً[٥] ... إليهم فَحَسُّـوهُمْ[٦] ببيضٍ قـواضـبِ

يـمـانـيـة تـذري الأكـفَّ وتـارة ... بخيـلٍ عتـاقٍ مقـربـاتٍ سـلاهـبِ

فجـاءهُمْ جـمـعٌ مِنَ الـشّـامِ بعـده ... جموعٌ كمـوج البحـر من كـلِّ جـانبِ

فمـا بَـرِحُـوا حتى أبِيـدَتْ سَـرَاتُهُمْ ... فلم يَنْـجُ منهـم ثَمَّ غـيـرُ عصـائـبِ

وغـودِرَ أهلُ الصبـرِ صَـرْعَى فـأصبحوا ... تعـاورهم[٧] ريح الصبـا والجنـائبِ

فـأضحى[٨] الخزاعيُّ الـرئيسُ مجدّلاً ... كـأنْ لـم يـقـاتـل مَـرَّة ويـحـاربِ

ورأس بـنـي شـمـخ وفـارس قـومـه ... شـنـوءة والتيمـيَّ هـادي الكتـائـبِ

وعمـرو بن بِشْـرٍ والـولـيـد وخـالـد ... وزيـد بن بكـر والحليس[٩] بن غـالـبِ

وضـارب مـن همـدان كـل مُشَيّـع ... إذا شـد لم ينكـل كـريم المكـاسبِ

---

(١) في الطبري «رزيئة مخبات».

(٢) في الطبري «وقال اطرحنها».

(٣) في الطبري «يكبر».

(٤) في الطبري «الكواكب».

(٥) في الطبري «فاصلاً».

(٦) فحسوهم : بتشديد السين المهملة قتلوهم.

(٧) تعاورهم : أصلها تتعاورهم حذفت إحدى التاءين ، أي تتناوبهم .

(٨) في الطبري « وأضحى » بالواو.

(٩) الحليس: تصغير حلس .

ومن كـل قـوم قـد أصبتُ[١] زعيمهم ... وذا حَسَبٍ[٢] في ذروةِ المجدِ ثـاقبِ
أبَـوا غيـرَ ضَـرْبٍ يَفْلِقُ الهـامَ وَقْعُـهُ ... وطـعـنٍ بـأطـرافِ الأسِنَّـةِ صـائـبِ
وإنّ سعيـداً يـوم يـدمـر[٣] عـامـراً ... لأشجـع من ليثٍ بـدربـى[٤] مـواثـبِ
فيـا خيـرَ جيش بـالعـراقِ وأهله ... سقيتم روايـا كـل أسْحَمَ[٥] سـاكـبِ
فـلا يبعـدنْ فـرسـاننـا وحمـاتـنـا ... إذا البيض أبـدت عن خدامِ الكـواعـبِ
ومـا قـتـلوا حتـى أثـاروا عـصـابـة ... تَجَلَّيْنَ[٦] نـوراً كالشُّمُـوسِ الصوارِبِ

وقيل : قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر (الخزاعي) الذي هو في هذا الشعر هو سليمـان بن صرد الخـزاعي ، و (رأس بني شمخ) هـو المسيب بن نجبة الفزاري و (فارس شنوءة) هو عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي أزد شنوءة (والتيمي) هو عبدالله بن وأل التيمي من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل و (الوليد) هو ابن عصير الكناني و (خالد) هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبدالله و (نجبة) بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات .

ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد

في هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك ، وعبد العزيز ، وكان السبب في ذلك أن عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إلى فلسطين رجع إلى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان أن عمراً يقول : إن الأمر لي بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع لابنيه عبد الملـك وعـبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال : أنا أكفيك عمراً ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشياً ، قام حسان فقال :

---

(١) في الطبري «قد أصيب».
(٢) في الطبري «وذو حسب» .
(٣) يدمر كينصر هجم هجوم الشر.
(٤) دربى كبشرى وهو بضم الدال المهملة وسكون الراء.
(٥) أسحم السين والحاء المهملتين هو السحاب الأدكن لأنه يكون غزير الماء.
(٦) في الطبري «محلين ثوراً كالليوث الضوارب». في قوله : في القاموس ثورى ـ كـرضوي ـ نهـر بدمشق أي أنهم لم يقتلوا حتى أثاروا عصابة عظيمة تحل عند ذلك النهر .

انه قد بلغنا أن رجالا يتمنون أماني قوموا فبايعوا لعبد الملك ، وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم .

ذكر بعث ابن زياد وحبيش

في هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين ، أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه ، فإذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير ، فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق ، والبعث الآخر إلى المدينة مع حُبيش بن دَلَجة القيني فسار بهم حتى انتهى إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ، ثم إن الحرث بن أبي ربيعة وهو أخو عمرو بن ربيعة وجه جيشاً من البصرة وكان والياً عليها لابن الزبير وجعل عليهم الحنيف بن السِجْف التيمي لحرب حبيش ، فلما سمع بهم حبيش سار إليهم من المدينة ، وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدي[1] إلى المدينة أميراً وأمره أن يسير في طلب حبيش حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف ، فأقبل عباس في آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله ، وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم ، وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة ، فقال العباس بن سهل : انزلوا على حكمي فنزلوا فقتلهم ، ورجع فلُّ حبيش إلى الشام ، ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب .

ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك

في شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم . وكان سبب موته أن معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلف أحداً ، وكان حسان بن بَحْدَل يريد أن يجعل الأمر من بعده في أخيه خالد بن يزيد وكان صغيراً وحسان خال أبيه يزيد فبايع

---

(١) في الطبري «عياش» بالياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة، وفي تقريب التهذيب «عباس بن سهل بن سعد السعدي» .

حسان مروان بن الحكم وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد ، فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان : تزوج أم خالد وهي بنت أبي هاشم بن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة وهو يمشي بين صفين فقال مروان : والله إنك لأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام ، فرجع خالد إلى أمه فأخبرها فقالت له : لا يعلمن ذلك منك الا أنا ، أنا أكفيكه ، فدخل عليها مروان فقال لها : هل قال لك خالد في شيئاً ؟ قالت : لا إنه أشد لك تعظيماً من أن يقول فيك شيئاً فصدقها ومكث أياماً ، ثم إن مروان نام عندها يوماً فغطته بوسادة حتى قتلته[1] فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل : إحدى وستين ، وأراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له : يظهر عند الخلق ان امرأة قتلت أباك فتركها .

ولما توفي مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك ، وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان الناس يذمونه لذلك ، قيل : إنه اجتمع عنده قوم من الأشراف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري : بلغني أنك لا تشبه أباك فقال : بلى والله اني لأشبه به من الماء بالماء والغراب بالغراب ولكن إن شئت أخبرتك بمن لم تنضجه الأرحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الأخوال والأعمام قال : من ذاك ؟ قال : سويد بن منجوف ، فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد : ما سرني بمقالتك له حمر النعم فقال عبيد الله : وما سرني والله باحتمالك إياي وسكوتك سودها .

ذكر صفته ونسبه وأخباره

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية من كنانة ، وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة . وكان أبوه قد أسلم عام الفتح ، ونفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف لأنه يتجسس عليه ، ورآه النبي ﷺ يوماً يمشي ويتخلج[2] في مشيه كأنه يحكيه فقال له: كن كذلك فما زال كذلك حتى

---

(١) في البداية والنهاية «فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحاملت عليها هي وجواريها حتى مات غماً» وقيل سمته .

(٢) يتخلج ـ بخاء معجمة وجيم بينهما لام ـ يتفكك ويتمايل كالمفلوج .

مات ، ولما توفي رسول الله ﷺ كلم عثمان أبا بكر في رده لأنه عمه فلم يفعل . فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه أيضاً في رده فلم يفعل . فلما ولي عثمان رده وقال : إن رسول الله ﷺ وعدني أن يرده إلى المدينة فكان ذلك مما أنكر الناس عليه . وتوفي في خلافة عثمان فصلى عليه . وقد رويت أخبار كثيرة في لعنه ولعن من في صلبه رواها الحفاظ وفي أسانيدها كلام .

وكان مروان قصيراً أحمر أوقص يكنى أبا الحكم وأبا عبد الملك . واعتق في يوم واحد مائة رقبة . وولى المدينة لمعاوية مرات فكان إذا ولي يبالغ في سبِّ علي وإذا عزل وولي سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد بن علي الباقر وعن سعيد فقال : كان مروان خيراً لنا في السر وسعيد خيراً لنا في العلانية .

وقد أخرج حديث مروان في الصحيح . وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة . وهو أول من قدم الخطبة في صلاة العيد قبل الصلاة . ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه . وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم . وهي الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها . ولعل هذا كان منها قبل أن يتزوجها أبو العاص بن أمية والد الحكم فإنه كان من أشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهي عنده والله أعلم (حُبيش بن دَلَجة) بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة (ودلجة) بفتح الدال واللام .

ذكر مقتل نافع بن الأزرق

في هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الأزرق وهو الذي ينتسب اليه الازارقة من الخوارج . وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله وكثرة جموعه . وأقبل نحو الجسر فبعث إليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بْن ربيعة فخرج إليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دولاب من أرض الأهواز فاقتتلوا هناك . وجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميري ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغداني ، وجعل ابن الأزرق على ميمنته عبيدة بن هلال ، وعلى

ميسرته الزبير[١] بن الماحوز التميمي ، واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير أهل البصرة ؛ وقتل نافع بن الأزرق أمير الخوارج في جمادى الآخرة ، فأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري ، وأمرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمي واقتتلوا فقتل عبد الله . والحجاج ، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعة بن الأجرم[٢] التميمي ، وأمّرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمي ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضاً وملوا القتال . فبيناهم كذلك متواقفون متحاجزون إذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت على الناس من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير أهل البصرة ربيعة بعد أن قتل أيضاً دغفل بن حنظلة الشيباني النسابة . وأخذ الراية حارثة بن زيد[٣] فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم أقبل حتى نزل بالأهواز وبلغ ذلك أهل البصرة فافزعهم ، وبعث عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فأقبلت الخوارج نحو البصرة .

ذكر محاربة المهلب الخوارج

لما قربت الخوارج من البصرة أتى أهلها الأحنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم فأشار بالمهلب بن أبي صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة ، والرأي ، والمعرفة بالحرب ، وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان ، فقال الأحنف : ما لهذا الأمر غير المهلب ، فخرج إليه أشراف أهل البصرة فكلموه فأبى فكلمه الحرث بن أبي ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان ، فوضع الحرث ، وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب فلما قرأه قال : والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه وتقطعوني من بيت المال ما أقوى به من معي فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً وأرسلوا إلى ابن الزبير فأمضاه ، فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثني عشر ألفاً منهم محمد بن واسع ، وعبد الله بن رياح الأنصاري ، ومعاوية بن قرة المزني ، وأبو عمران الجوني ، وخرج المهلب الى

---

(١) في الأصل «الزمن» وهو غلط .

(٢) في الطبري «ربيعة الاجذم» .

(٣) في الطبري «حارثة بن بدر» .

الخوارج وهم عند الجسر الأصغر فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقي إلا أن يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الأكبر فسار إليهم في الخيل والرجال ، فلما رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ، ولما بلغ حارثة بن زيد[١] . تأمير المهلب على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس :

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وأقبل بمن معه نحو البصرة فرد الحرث بن أبي ربيعة الى المهلب ، وركب حارثة في سفينة في نهر دجيل يريد البصرة فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمي بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة إلى شاطىء النهر وهو جرف فوثب التميمي إليها فغاصت بجميع من فيها فغرقوا ، وأما المهلب فإنه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرىٰ[٢] فتنحوا عنه إلى الأهواز فسيّر المهلب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخبارهم ، فلما أتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيرى ، فلما وصل الأهواز قاتلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة فجال أصحابه ثم عادوا ، فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مناذر[٣] فسار يريدهم ، فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم واقد مولى أبي صفرة الى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه ، وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة ، وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف . وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل إلا في خندق وهو على تعبية ويتولى الحرس نفسه ، فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم ، وثبت المهلب وأبلى ابنه المغيرة يومئذ بلاءً حسناً ظهر فيه أثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا إليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس ، فلما كان الغد أراد القتال بمن معه فنهاه بعض أصحابه لضعفهم

---

(١) في الطبري «حارثة بن بدر» .

(٢) تيرى بكسر أوله وفتح الراء .

(٣) مناذر كمساجد .

وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دُجيل[١] ونزل بالعاقول[٢] وهو لا يؤتى إلا من جهة واحدة ، وفي يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات :

ألا طـرقـت مـن آل مَـيَّـةَ طـارقَـهْ ... على أنَّهـا معشـوقـةُ الـدلِّ عـاشِقَهْ
تميسُ وأرضُ السُّـوسِ بيني وبينهـا ... وسـولافُ رستـاقٍ حَمَـتْـهُ الأزارِقَـةْ
إذا نحن شَتَّى صـادفتنا[٣] عِصـابَـةٌ ... حَـرُورِيَّـةٌ أَضْحَتْ مِنَ الـدِّينِ مـارِقَـةْ
أجـازَتْ[٤] إلينـا العسكـرَيْنِ كِليْهِما ... فبـاتَتْ لنـا دون اللحـافِ مُعَـانِقَـهْ

وقال فيه بعض الخوارج :

وكـائِنْ تَـرَكْنـا يـومَ سُـولافَ مِنْهُمُ ... أسـارى وقَتْلَى في الجحيمِ مَصِيـرُهـا

وأكثر الشعراء فيه ، فلما وصل المهلب إلى العاقول نزل فيه وأقام ثلاثة أيام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى ، وسلبرى فنزل قريباً منهم ، وكان كثيراً ما يفعل أشياء يحدث بها الناس لينشطوا الى القتال فلا يرون لها أثراً حتى قال الشاعر :

أنـت الـفـتـى كُـلُّ الـفـتـى ... لـو كـنـتَ تَـصْـدُقَ مـا تـقـولُ

وسماه بعضهم الكذاب ، وبعض الناس يظن انه كذاب في كل حال وليس كذلك إنما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو ، فلما نزل المهلب قريباً من الخوارج وخندق عليه وضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة ، فكان الخوارج إذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ، ثم ان الخوارج أرسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز في عسكر ليلاً إلى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم ينالوا منهم شيئاً ، وأصبح المهلب فخرج إليهم في تعبية وجعل الأزد وتميماً ميمنة ، وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة ، وأهل العالية في القلب ، وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكري ، وعلى ميسرتهم

---

(١) دُجيل اسم شعب.

(٢) العاقول اسم قرية.

(٣) في الأصل «صادقتنا» بالقاف وهو تصحيف.

(٤) في الأصل «أحادت» بالحاء والدال المهملتين وهو تحريف.

الزبير بن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلاً من أهل البصرة لأنهم مخروا الأرض وجردوها ما بين كرمان إلى الأهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ، ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فأجفلوا وانهزموا لا يلوي أحد على أحد حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء ، وأسرع المهلب حتى سبق المنهزمين إلى مكان مرتفع ثم نادى إليَّ عباد الله فاجتمع إليه ثلاثة آلاف أكثرهم من قومه من الأزد فلما رآهم رضي عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم أن يأخذ كل رجل منهم عشرة أحجار وقال : سيروا بنا نحو عسكرهم فإنهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانهم فوالله إني لأرجو أن لا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم فأجابوه فأقبل بهم راجعاً فما شعرت الخوارج إلا والمهلب يقاتلهم في جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالأحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز ، وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم ، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة راجعاً وقد وضع المهلب لهم خيلاً ورجالاً تختطفهم وتقتلهم وانكفؤوا راجعين مذلولين مغلوبين فارتفعوا إلى كرمان وجانب أصبهان ، وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة :

أتانا بأحجارٍ ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران ويحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم أقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميراً وعزل الحرث بن أبي ربيعة وفي هذا اليوم يقول الصلتان العبدي :

بِسَلَّى وَسلَّبرا مصارعُ فتية كرامٍ وقتلى لم تُوَسَّدْ خدودُها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز ، وكتب المهلب إلى الحرث بن أبي ربيعة يعرفه ظفره . فأرسل الحرث الكتاب إلى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هناك ، وكتب الحرث إلى المهلب أما بعد ـ فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيئاً لك يا أخا الأزد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها ، فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال : أما يعرفني إلا بأخي الأزد فما هو إلا أعرابي جاف ، وقيل : ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج . ونافع بن الأزرق قبل مسلم فقتل عثمان ، وانهزم أصحابه بعد أن قتل من الخوارج خلق كثير ،

فسير إليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد الغداني فلما رآهم عرف أنه لا طاقة له بهم فقال لأصحابه :

كرنبوا ودولبوا وكيف شئتم فاذهبوا

يعني ما شاء ، ثم سار بعده مسلم بن عبيس ، وقيل : إن المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الأهواز أقام بقية سنته يجبي كور دجلة ورزق أصحابه وأتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين الفاً فعلى هذا تكون هزيمة الخوارج سنة ست وستين .

ذكر نجدة بن عامر الحنفي

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفي كان مع نافع بن الأزرق ففارقه لاحداثه في مذهبه ما تقدم ذكره ، وسار إلى اليمامة ، ودعا أبو طالوت إلى نفسه ، فمضى إلى الحضارم فنهبها وكانت لبني حنيفة فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه . ثم ان عيراً خرجت من البحرين ، وقيل : من البصرة تحمل مالاً وغيره يراد بها ابن الزبير فاعترضها نجدة فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت بالحضارم فقسمها بين أصحابه وقال : اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الأرض لكم فإن ذلك أنفع فاقتسموا المال وقالوا : نجدة خير لنا من أبي طالوت فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نجدة وبايعه أبو طالوت وذلك في سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة : ثم سار في جمع إلى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بذي المجاز فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً . وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة القشيريان وقاتلا حتى قتلا .

وانهزم قيس بن الرقاد الجعدي فلحقه أخوه لأبيه معاوية فسأله أن يحمله ردفاً فلم يفعل ، ورجع نجدة إلى اليمامة فكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ، ثم سار نجدة إلى البحرين سنة سبع وستين فقالت الأزد : نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته ، واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته ، فقال بعض الأزد : نجدة أقرب إليكم منه إلينا لأنكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه ، وقال بعضهم : لا ندع نجدة وهو حروري مارق تجري علينا أحكامه فالتقوا

بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير ، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف فقال الشاعر :

نصحت لعبـد القيس يـوم قـطيفهـا ومـا نفـعُ نصـحٍ قَبْـلُ لا يُتَقَبَّـلُ

وأقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح في جمع إلى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من أصحابه ، وأرسل نجدة سرية إلى الخط فظفر بأهله ، وأقام نجدة بالبحرين ، فلما قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة سنة تسع وستين بعث إليه عبد الله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً فجعل يقول : اثبت نجدة فإنا لا نفر فقدم ونجدة بالقطيف فأتى نجدة عسكر ابن عمير وهـو غافـل فقاتلهم طويلاً وافترقوا وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى ، وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما في عسكرهم ، وأصاب جواري فيهن أم ولد لابن عمير فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها فقالت : لا حاجة بي إلى من فرّ عني وتركني ، وبعث نجدة أيضاً بعد هزيمة ابن عمير جيشاً إلى عمان واستعمل عليهم عطية بن الأسود الحنفي وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير ، وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد ، فلما أتاهم عـطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها أشهراً ثم خرج منها واستخلف رجلاً يكنى أبا القاسم، فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد وأهل عمان ، ثم خالف عطية نجدة على ما نذكره إن شاء الله فعاد إلى عمان فلم يقدر عليها ، فركب في البحر وأتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية وأقام بكرمان ، فأرسل إليه المهلب جيشاً فهرب إلى سجستان ثم إلى السند فلقيته خيل المهلب بقندابيل فقتلته ، وقيل : قتله الخوارج .

ثم بعث نجـدة الى البوادي بعـد هزيمـة ابن عمير أيضـاً من يأخـذ من أهلها الصدقة ، فقاتل أصحابه بني تميم بكاظمـة ، وأعان أهل طويلع بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلاً فأرسل نجدة إلى أهل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم نيفاً وثلاثين رجلاً وسبى ، ثم إنه دعاهم بعد ذلك فأجابوه فأخذ منهم الصدقة ، ثم سار نجدة إلى صنعاء في خف من الجيش فبايعه أهلها وظنوا أن وراءه جيشاً كثيراً فلما لم يروا مدداً يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال : إن شئتم أقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم فقالوا : لا نستقيل بيعتنا ، فبعث إلى مخالفيها فاخذ منهم الصدقة ، وبعث نجدة أبا فديك إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها ، وحج نجدة سنة ثمان وستين ، وقيل:

سنة تسع وستين وهو في ثمانمائة وستين رجلاً ، وقيل : في الفي رجل وستمائة رجل ، وصالح ابن الزبير على ان يصلي كل واحد بأصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض فلما صدر نجدة عن الحج سار إلى المدينة فتأهب أهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفاً ، فلما كان نجدة بنخل أخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع إلى الطائف وأصاب بنتاً لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئر لها فضمها إليه فقال بعض أصحابه : إن نجدة ليتعصب لهذه الجارية فامتحنوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبي منها فهي حرة قال : فزوجني إياها قال : هي بالغ وهي أملك بنفسها فأنا استأمرها فقام من مجلسه ثم عاد فقال : قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل : إن عبد الملك أو عبد الله بن الزبير كتب إليه والله لئن أحدثت فيها حدثاً لأطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكري ، وكتب نجدة إلى ابن عمر يسأله عن أشياء فقال : سلوا ابن عباس فسألوه ، ومساءلة ابن عباس مشهورة ، ولما سار نجدة من الطائف أتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف .

فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم : ياذا الوجهين بايعت نجدة ؟ قال : أي والله وذو عشرة أوجه أعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومي وبلدي ، واستعمل الحاروق وهو حراق على الطائف ، وتبالة ، والسراة ، واستعمل سعد الطلائع على ما يلي نجران . ورجع نجدة إلى البحرين فقطع الميرة عن أهل الحرمين منها ومن اليمامة . فكتب اليه ابن عباس أن ثمامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله ﷺ ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وأنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ، ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فأما الحاروق فطلبوه بالطائف فهرب ، فلما كان في العقبة[1] في طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية أبي فديك

ثم ان أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأسباب نقموها عليه ، فمنها أن أبا سنان حيان بن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له

---

(١) لم يبين أي عقبة هي ولعلها عقبة كراء وهي مشهورة في ناحية الطائف.

نجدة : كلف الله أحداً علم الغيب ؟ قال : لا . قال : فإنما علينا أن نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان إلى نجدة . ومنها أن عطية بن الأسود خالف على نجدة وسببه أن نجدة سير سرية بحراً وسرية براً فأعطى سرية البحر أكثر من سرية البر ، فنازعه عطية حتى أغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه وألب الناس عليه ، وكلم نجدة في رجل يشرب الخمر في عسكره فقال : هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله ﷺ بالمشركين . وكتب عبد الملك إلى نجدة يدعوه إلى طاعته ويوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الأموال والدماء فطعن عليه عطية وقال : ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهاناً في الدين وفارقه إلى عمان .

ومنها أن قوماً فارقوا نجدة واستنابوه فحلف أن لا يعود ثم ندموا على استنابته وتفرقوا ، ونقموا عليه أشياء أخر ، فخالف عليه عامة من معه وانحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة ، واستخفى نجدة فأرسل أبو فديك في طلبه جماعة من أصحابه وقال : إن ظفرتم به فجيئوني به ، وقيل لأبي فديك : إن لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فألح في طلبه وكان نجدة مستخفياً في قرية من قرى هجر ، وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف إليها راع لهم فأخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعي عن أمر الطيب فأخبرته ، فأخبر الراعي أصحاب أبي فديك بنجدة فطلبوه فنذر بهم ، فأتى أخواله من بني تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير إلى عبد الملك فأتى بيته ليعهد إلى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق إليه رجل منهم فأعلمه فخرج وبيده السيف فنزل الفديكي عن فرسه وقال : إن فرسي هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تنجو عليه فقال : ما أحب البقاء ولقد تعرضت للشهادة في مواطن ما هذا بأحسنها ، وغشيه أصحاب أبي فديك فقتلوه وكان شجاعاً كريماً وهو يقول :

وإن جر مولانا علينا جريرة ... صبرنا لها إن الكرام الدعائم

ولما قتل نجدة سخط قتله قوم من أصحاب أبي فديك ففارقوه ؛ وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنتي عشرة ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك إلى منزله فبرىء .

ذكر استعمال مصعب على المدينة

في هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل

أخاه مصعباً ، وسبب ذلك أن عبيدة خطب الناس فقال لهم : قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمى مقوم الناقة فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعباً .

ذكر بناء ابن الزبير الكعبة

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام . فلما مات يزيد واستقر الأمر لابن الزبير شرع في بنائها فأمر بهدمها حتى ألحقت بالأرض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الأسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الأساس وضرب عليها السور وأدخل فيها الحجر ، واحتج بأن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر » فحفر ابن الزبير فوجد أساساً امثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال : اقروها على أساسها وبنائها ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وقيل : كانت عمارتها سنة أربع وستين .

ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم

في هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمي وبني تميم بخراسان ، وسبب ذلك أن من كان بخراسان من بني تميم أعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك ، فلما صفت له خراسان جفا بني تميم وكان قد جعل ابنه محمداً على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم إليه شماس بن دثار العطاردي ـ وكانت أم محمد تميمية ـ فلما جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمداً بهراة فكتب ابن خازم إلى ابنه محمد ، وإلى بكير ، وشماس يأمرهم بمنعهم عن هراة ، فأما شماس فصار مع بني تميم ، وأما بكير فإنه منعهم من الدخول فأقاموا ببلاد هراة ، فأرسل بكير إلى شماس إني اعطيتك ثلاثين ألفاً فاعط كل رجل من بني تميم ألفا على أن ينصرفوا فأبوا عليه وأقاموا يترصدون محمداً فخرج يتصيد فأخذوه وشدوه وثاقاً وشربوا ليلتهم وجعلوا يبولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس : أما إذا بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط ـ وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا ـ فقاموا إليه

ليقتلوه فنهاهم عنه حيان بن مشحبة[١] الضبي وألقى نفسه عليه فلم يقبلوا منه وقتلوا محمداً ، فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل ، وكان الذي تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الآخر كسيب فقال ابن خازم :بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شراً .

وأقبلت تميم إلى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعي وأجمع أكثرهم على قتال ابن خازم ، فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين ، فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له : طالت الحرب بيننا فعلام نقتل قومي وقومك ؟ ابرز إليّ فأينا قتل صاحبه صارت الأرض له . فقال له ابن خازم : قد انصفت وبرز إليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على رأسه فألقى فروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعاً إلى أصحابه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة أياماً ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق . فرقة إلى نيسابور مع بحير بن ورقاء ، وفرقة إلى ناحية أخرى ، وفرقة فيها الحريش إلى مرو الروذ، فاتبعه ابن خازم إلى قرية تسمى الملحمة والحريش في اثني عشر رجلاً وقد تفرقت عنه اصحابه وهم في خربة، فلما انتهى إليه ابن خازم خرج إليه في أصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيئاً فقال الحريش لرجل معه: إن سيفي لا يصنع في سلاحه شيئاً فاعطني خشبة فأعطاه عوداً من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيذاً ، ثم قال لابن خازم : ما تريد مني وقد خليتك والبلاد ؟ قال : إنك تعود إليها قال : لا أعود فصالحه على أن يخرج من خراسان ولا يعود إلى قتاله فأعطاه ابن خازم أربعين ألفاً ، وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلاً ، وطارت قطنة عن الضربة التي برأس ابن خازم فأخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم : مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش : معذرة إلى الله وإليك أما والله لولا ركابي انقطع لخالط السيف رأسك ، وقال الحريش في ذلك :

أزالَ عَظْمَ ذراعي عَنْ مُرَكَّبِهِ ... حملُ الردينيِّ في الإدلاج بالسَّحَرِ
حَوْلَيْنِ ما اغتمضت عيني بمنزلةٍ ... إلا وكفّي وسادٌ لي على حَجَرِ

---

(١) في الطبري « جيهان بن مشجعة ».

بَـزِّي الحديـدُ وَسِرْبـالي إذا هجعت عني العيون مجال الفـالحِ الـذَّكَرِ[١]

(بحيـر بن ورقـاء) بفتـح البـاء المـوحـدة والحـاء المهملة المكسـورة ، و (الحريش) بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فماتت أم عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجروا من حملها وهو الأمير ، وحج بالناس عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب ، وعلى الكوفة ، ابن مطيع ، وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومي ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم . وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي وكـان قد عمي آخـر عمره وكانت وفاته بمصر ، وقيل : توفي سنة ثمان وستين[٢] .

---

(١) في الطبري ـ مجال القارح الذكر ـ .

(٢) كان رضي الله عنه من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم وكتب عن النبي ﷺ كثيراً أسلم قبل أبيه ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثنتي عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهداً في العبادة عاقلاً ، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة ، وقيل : إنه بكى حتى عمي .

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر وثوب المختار بالكوفة

في هذه السنة رابع عشر ربيع الأوّل وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير . وسبب ذلك أن سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقي من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوساً قد حبسه عبدالله بن يزيد الحطمي ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك ، فكتب إليهم من الحبس يثني عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم أنه هو الذي أمره محمد بن علي ـ المعروف بابن الحنفية ـ بطلب الثأر فقرأ كتابه رفاعة بن شداد ، والمثنى بن مخربة العبدي ، وسعد بن حذيفة بن اليمان ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط الأحمسي . وعبد الله بن شداد البجلي ، وعبد الله بن كامل ، فلما قرؤوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون له : إننا بحيث يسرك فإن شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فأتاه فأخبره فسر بذلك وقال لهم : إني أخرج في أيامي هذه .

وكان المختار قد أرسل إلى ابن عمر يقول له : إنني قد حبست مظلوماً ويطلب إليه أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد ، وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب إليهما ابن عمر في أمره فشفعاه وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه أنه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه أحرار ذكرهم وانثاهم، فلما خرج نزل بداره فقال لمن يثق به : قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم ، أما حلفي بالله فإنني إذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها أن أكفر عن يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم ، وأما هدي البدن وعتق المماليك فهو أهون علي من بصقة فوددت أن تم لي أمري ولا أملك بعده مملوكاً أبداً . ثم اختلفت إليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد الحطمي ، وابراهيم بن محمد بن طلحة ، واستعمل

عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفةفلقيه بحير بن رستان الحميري[١] عند مسيره إلى الكوفة فقال له : لا تسر الليلة فإن القمر بالناطح فلا تسر . فقال له : وهل نطلب إلا النطح فلقى نطحاً كما يريد فكان البلاء موكلاً بمنطقه وكان شجاعاً ، وسار ابراهيم إلى المدينة وكسر الخراج وقال : كانت فتنة فسكت عنه ابن الزبير .

وكان قدوم ابن مطيع في رمضان لخمس بقين منه ، وجعل على شرطته إياس بن أبي مضارب[٢] العجلي وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب . ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال : أما بعد فإن أمير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم . وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم . وان أتبع وصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ولأقيمن درء الأصعر[٣] المرتاب فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال : أما حمل فيئنا برضانا فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يحمل عنا فضله وأن لا يقسم إلا فينا ، وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا ، وإن كانت أهون السيرتين علينا وقد كان يفعل بالناس خيراً . فقال يزيد بن أنس : صدق السائب وبرَّ فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع فقال له : ان السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار فابعث إلى المختار فليأتك فإذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر الناس فإن أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر ، فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدة بن قدامة ، وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان ، فقالا : أجب الأمير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة ﴿وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾[٤] الآية فألقى المختار ثيابه وقال : ألقوا عليّ قطيفة فقد وعكت إني لأجد برداً شديداً ارجعا إلى الأمير فاعلماه حالي ، فعادا إلى ابن مطيع فأعلماه فتركه ؛ ووجه المختار إلى أصحابه

---

(١) في الطبري « بحير بن ريسان الحميري ».

(٢) في الطبري « أياس بن مضارب » .

(٣) الأصعر ـ بالعين المهملة ـ والصعر هو امالة الوجه عن الناس تهاوناً بهم .

(٤) الأنفال ٣٠ .

فجمعهم حوله في الدور وأراد أن يثب في الكوفة في المحرم ، فجاء رجل من أصحاب شبام ـ وشبام حي من همدان ـ وكان شريفاً اسمه عبد الرحمن بن شريح فلقي سعيد بن منقذ الثوري ، وسعر بن أبي سعر الحنفي ، والأسود بن جراد الكندي ، وقدامة بن مالك الجشمي فقال لهم : إن المختار يريد يخرج بنا ولا ندري أرسله ابن الحنفية أم لا ، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فإن رخص لنا في اتباعه تبعناه وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا قالوا له : أصبت .

فخرجوا إلى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فأخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم إليه واستأذنوه في اتباعه ، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم : وأما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ـ ولو كره لقال لا تفعلوا ـ فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن أعلموه بحالهم ، وكان ذلك قد شق على المختار وخاف أن يعودوا بأمر يخذل الشيعة عنه ، فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى بيوتهم فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له : إنا قد أمرنا بنصرك ، فقال : الله أكبر اجمعوا لي الشيعة فجمع من كان قريباً منهم فقال لهم : إن نفراً قد أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى الامام المهدي فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله وأمركم بأتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين ، فقام عبد الرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم وأن ابن الحنفية أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم : ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا ، وقام جماعة من أصحابه فقالوا نحواً من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبي وأبوه شراحيل .

فلما تهيأ أمره للخروج قال له بعض أصحابه : إن أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع فإن اجابنا إلى أمرنا ابراهيم بن الأشتر رجونا القوة على عدونا فإنه فتى رئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد. فقال لهم المختار : فالقوه وآدعوه فخرجوا إليه ومعهم الشعبي فأعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء علي وأهل بيته. فقال لهم : إني قد أجبتكم إلى الطلب بدم الحسين

وأهل بيته على أن تولوني الأمر . فقالوا له : أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو المأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته . فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فأخبروا المختار فمكث ثلاثاً ثم سار في بضعة عشر من أصحابه ، والشعبي ، وأبوه فيهم إلى ابراهيم فدخلوا عليه فألقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار : هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد انبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا ، قال الشعبي : وكان الكتاب معي ؛ فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه فدفعه إليه الشعبي فقرأه فإذا فيه من محمد المهدي إلى ابراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك إن تنصرني[1] وأجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام .

فلما فرغ من قراءة الكتاب قال : قد كتب إليّ ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب إلي إلا باسمه واسم أبيه ، قال المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال : فمن يعلم أن هذا كتابه إليَّ؟ فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن أنس، وأحمر بن شميط ، وعبد الله بن كامل ، وجماعتهم إلا الشعبي فلما شهدوا تأخر ابراهيم عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده ، وقال ابراهيم للشعبي : قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ فقال له : هؤلاء سادة القراء ، ومشيخة المصر ، وفرسان العرب ولا يقول مثلهم إلا حقاً[2] فكتب أسماءهم وتركها عنده ، ودعا إبراهيم عشيرته ، ومن أطاعه وأقبل يختلف إلى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم ، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين . فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى ابراهيم بأصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى اصحابه السلاح، وقد أتى اياس بن

---

(١) في الطبري « إن نصرتني».

(٢) في البداية والنهاية : وكتمته ما في نفسي من اتهامهم ، ولكني كنت أحب أن يخرجوا للأخذ بثأر الحسين وكنت على رأس القوم .

مضارب عبد الله بن مطيع فقال له : ان المختار خارج عليك بإحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابني إلى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة عظيمة بالكوفة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك ، فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني إلى جبانة السبيع وقال : اكفني قومك ولا تحدثن بها حدثاً ، وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشر ، وبعث زحر بن قيس الجعفي إلى جبانة كندة ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف إلى جبانة الصائديين ، وبعث شمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث يزيد بن رويم إلى جبانة المراد وأوصى كلاً منهم أن لا يـؤتى من قبله ، وبعث شبث بن ربعي إلى السبخة وقال : إذا سمعت صـوت القوم فـوجه نحـوهم ، وكان خـروجهم إلى الجبابين يـوم الاثنين، وخـرج ابراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء ـ وقد بلغه ان الجبابين قد ملئت رجالاً وأن إياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر ـ فأخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الأقبية فقال له أصحابه : تجنب الطريق فقال : والله لأمرَّن وسط السوق بجنب القصر ولأرعبن عدونا ولأرينَّهم هوانهم علينا . فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال : من أنتم ؟ فقال ابراهيم : أنا ابراهيم بن الأشتر فقال اياس : ما هذا الجمع الذي معك وما تريد؟ ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير فقال ابـراهيم : خلِّ سبيـلاً قال : لا أفعل ، وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن ـ وكان يكرمه وكان صديقاً لابن الاشتر ـ فقال له ابن الاشتر : ادن مني يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن ان ابراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس ، فلما دنا منه أخذ رمحاً كان معه وطعن به إياساً في ثغرة نحره فصرعه، وأمر رجلاً من قومه فأخذ رأسه . وتفرق أصحاب إياس ورجعوا إلى ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن أياس على الشرط وبعث مكان راشد إلى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد .

وأقبل ابراهيم بن الأشتر إلى المختار وقال له : إنا اتعدنا للخروج القابلة وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة وأخبره الخبر . ففرح المختار بقتل إياس وقال : هذا أول الفتح إن شاء الله تعالى. ثم قال لسعيد بن منقذ : قم فـاشعل النيـران في الهوادي والقصب وارفعها . وسر أنت يا عبد الله بن شداد فنادِ يا منصور أمت . وقم أنت يـا سفيان بن ليلى ، وأنت يا قدامة بن مالك فناد يا لثارات الحسين. ثم لبس سلاحه فقال

له ابراهيم : إن هؤلاء الذين في الجبابين يمنعون أصحابنا من اتياننا فلو سرت إلى قومي بمن معي ودعوت من أجابني وسرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا لخرج إلينا من أراد الخروج . ومن أتاك حبسته عندك إلى من معك فإن عوجلت كان عندك من يمنعك إلى أن آتيك فقال له : افعل وعجل وإياك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع أن لا تقاتله إلا أن يبدأك أحد بقتال ، فخرج ابراهيم وأصحابه حتى أتى قومه واجتمع إليه جلُّ من كان أجابه ، وسار بهم في سكك المدينة ليلاً طويلاً وهو يتجنب المواضع التي فيها الأمراء الذين وضعهم ابن مـطيع . فلما انتهى إلى مسجد السكون أتاه جماعة من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أميـر فحمل عليهم إبراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبانة كندة وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنّا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء . ثم رجع ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم .

ثم سار ابراهيم حتى أتى جبانة أثير فتنادوا بشعارهم فوقف فيها فأتاه سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا أن يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم إلا وهو معه ، فقال ابراهيم لأصحابه : يا شرطة الله انزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا . ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم إلى الصحراء فـانهزمـوا فركب بعضهم بعضـاً وهم يتلاومـون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقال لإبراهيم أصحابه : اتبعهم واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال : لا ولكن نأتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع أني لا آمن أن يكون قد أوتي .

ثم سار ابراهيم حتى أتى باب المختار فسمع الأصوات عالية والقوم يقتتلون . وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعبى له المختار يزيد بن أنس ، وجاء حجار بن أبجر العجلي فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميط ، فبينما الناس يقتتلون إذ جاء ابراهيم من قبل القصر . فبلغ حجاراً وأصحابه أن ابراهيم قد أتاهم من ورائهم فتفرقوا في الازقة قبل أن يأتيهم ، وجاء قيس بن طهفة النهدي في قـريب من مائـة وهو من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا ؛ وأقبل شبث إلى ابن مطيع وقال له : اجمع الامراء الذين بالجبابين وجميع الناس ثم انفذ إلى هؤلاء القوم فقاتلهم فإن أمرهم قد قوي وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره ، فلما بلغ قوله المختار خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في

ظهر دير هند في السبخة ، وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخثعمي منهم ـ وكان قد أخذ عليهم أفواه السكك ـ فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يا لثارات الحسين يا منصور أمت أمت يا أيها الحي المهتدون إن أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني إليكم داعياً ومبشراً فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا من الدور يتداعون يا لثارات الحسين وقاتلوا كعباً حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا إلى المختار فنزلوا معه ، وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم ، وخرجت شبام ـ وهم حي من همدان ـ من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فأرسل إليهم إن كنتم تريدون المختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فأصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى بأصحابه بغلس ، وأرسل ابن مطيع إلى الجبابين فأمر من بها ان يأتوا المسجد ، وأمر راشد بن إياس فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم يأت المسجد الليلة فاجتمعوا ، فبعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط ، فسار شبث إلى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فأرسل من أتاه بخبرهم ، وأتى إلى المختار ذلك الوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه لم يقدر على اتيانه إلا تلك الساعة فرأى راشد بن إياس في طريقه فأخبر المختار خبره أيضاً ، فبعث المختار ابراهيم بن الأشتر إلى راشد في سبعمائة ، وقيل : في ستمائة فارس وستمائة راجل ، وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه وأمرهما بتعجيل القتال وأن لا يستهدفا لعدوّهما فإنه أكثر منهما . فتوجه ابراهيم إلى راشد، وقدّم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث بن ربعي في تسعمائة أمامه ، فتوجه نعيم إلى شبث فقاتله قتالاً شديداً . فجعل نعيم سعر بن أبي سعر على الخيل ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت . فناداهم شبث وحرضهم فرجع إليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزمهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر ، وجماعة من أصحابه فأطلق العرب وقتل الموالي . وجاء شبث حتى أحاط بالمختار

وكان قد وهن لقتل نعيم . وبعث ابن مطيع يزيد بن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكك .

وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا مكانهم ، فقال لهم يزيد بن أنس : يا معشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم إذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عيناً تطرف وليقتلنكم صبراً ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم إلا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فتهيؤوا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم .

وأما ابراهيم بن الأشتر فإنه لقي راشداً فإذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه : لا يَهُولَنَّكم كثرة هؤلاء ، فوالله لَرُبَّ رجل خير من عشرة والله مع الصابرين ، وقدم خزيمة بن نصر إليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجالة ، وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته : تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشداً ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد ، وأقبل ابراهيم ، وخزيمة ، ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وأرسل البشير إلى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل ، وأرسل ابن مطيع حسان بن فائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو ألفين فاعترض ابراهيم ليرده عمن بالسبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم إليهم إبراهيم فانهزموا من غير قتال ، وتأخر حسان يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال : يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة : أنت آمن فلا تقتل نفسك. وكف عنه الناس. وقال لابراهيم : هذا ابن عمي وقد أمنته فقال : أحسنت وأمر بفرسه فأُحضر فأركبه وقال : الحق بأهلك .

وأقبل ابراهيم نحو المختار ـ وشبث بن ربعي محيط به ـ فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التي تلي السبخة فأقبل إلى إبراهيم ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم إليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقي معه . فلما دنا منهم ابراهيم حمل على شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن

معه إلى أبيات الكوفة . وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحرث فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت . وأقبل المختار فلما انتهى إلى أفواه السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول إلى الكوفة من ذلك الوجه .

ورجع الناس من السبخة منهزمين إلى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن إياس فسقط في يده ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي : أيها الرجل لا تلق بيدك واخرج إلى الناس واندبهم إلى عدوك فإن الناس كثير وكلهم معك إلا هذه الطائفة التي خرجت والله يخزيها وأنا أول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري طائفة ، فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج إلى المختار . وأصحابه ولما رأى المختار أنه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل إلى بيوت مزينة ، وأحمس ، وبارق ، وبيوتهم منفردة ، فسقوا أصحابه الماء ولم يشرب هو فإنه كان صائماً فقال احمر بن شميط لابن كامل : أتراه صائماً ؟ قال : نعم قال : لو أفطر كان أقوى له قال : إنه معصوم وهو أعلم بما يصنع فقال أحمر : صدقت أستغفر الله ، فقال المختار : نعم المكان للقتال هذا ، فقال ابراهيم : إن القوم قد هزمهم الله وأدخل الرعب في قلوبهم ، سر بنا فوالله ما دون القصر مانع ، فترك المختار هناك كل شيخ ضعيف ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي وقدم ابراهيم أمامه ، وبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفين فخرج عليهم ، فأرسل المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه وأقام ؛ وأمر المختار يزيد بن أنس أن يواقف عمرو بن الحجاج فمضى إليه ، وسار المختار في أثر ابراهيم ثم وقف في موضع مصلى خالد بن عبد الله ، ومضى ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج إليه شمر بن ذي الجوشن في ألفين فسرح إليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه وأرسل إلى إبراهيم يأمره بالمسير : فسار حتى انتهى إلى سكة شبث فإذا نوفل بن مساحق في ألفين . وقيل : خمسة آلاف وهو الصحيح .

وقد أمر ابن مطيع منادياً في الناس ان الحقوا بابن مساحق، وخرج ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعي على القصر ، فدنا ابن الأشتر من ابن مطيع فأمر أصحابه بالنزول وقال لهم : لا يهولنكم أن يقال جاء شبث، وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث ، وآل يزيد بن الحرث ، وآل فلان . فسمى بيوتات أهل الكوفة . ثم قال : ان هؤلاء لو وجدوا حرَّ السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب

ففعلوا ذلك ، وأخذ ابن الاشتر أسفل قبائه فأدخله في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم أن انهزموا يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا ، وانتهى ابن الاشتر إلى ابن مساحق فأخذ بعنان دابته ورفع السيف عليه فقال له : يا ابن الاشتر انشدك الله هل بيني وبينك من إحنة أو تطلبني بثأر ، فخلّى سبيله . وقال : اذكرها فكان يذكرها له ، ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فإنه أتى داره ثم خرج إلى البر ، وجاء المختار حتى نزل جانب السوق ووَلَّى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط ، فحصروهم ثلاثاً فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لا ِبن مطيع : انظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غنى عنك ولا عن أنفسهم . فقال : أشيروا عليَّ فقال شبث : الرأي أن تأخذ لنفسك ولنا أماناً وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك ، فقال ابن مطيع : إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور لأمير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال : فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة عند من تثق إليه حتى تلحق بصاحبك ، وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد ، وأسماء بن خارجة ، وابن مخنف ، وأشراف الكوفة فأقام حتى أمسى وقال لهم : قد علمت أن الذين صنعوا هذا بكم أنهم أراذلكم وأخساؤكم وإن أشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فأثنوا عليه خيراً . وخرج عنهم وأتى دار أبي موسى ؛ فجاء ابن الأشتر ونزل القصر ففتح أصحابه الباب وقالوا : يا ابن الأشتر آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه ؛ وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر .

وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً وقضاء مقضياً وقد خاب من افترى ، أيها الناس إنّا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية أن ارفعوها وفي الغاية أن اجروا إليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية وبعداً لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ، ألا فادخلوا أيها الناس وبايعوا بيعة هدى ، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً ، والأرض فجاجاً سبلاً ، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب ، وآل علي أهدى منها . ثم نزل ودخل

عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا . وكان ممن بايعه المنذر بن حسان ، وابنه حسان ، فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في جماعة من الشيعة فلما رأوهما قالوا : هذان والله من رؤوس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى يأخذوا أمر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه . وأقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة الأشراف ويحسن السيرة ؛ وقيل له : ان ابن مطيع في دار أبي موسى فسكت فلما أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال : تجهز بهذه فقد علمت مكانك وأنك لم يمنعك من الخروج إلا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعدما أحاط بالقصر وأقاموا معه تلك الليلة وتلك الأيام الثلاثة مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير وجعل الأشراف جلساءه ، وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة ، فقام أبو عمرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الأشراف بحديثه ووجهه فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي : أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ، فسأله المختار عما قالوا له فأخبره فقال : قل لهم لا يشقُّ عليهم ذلك فأنتم مني وأنا منكم وسكت طويلاً ثم قرأ : ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾[1] فلما سمعوها قال بعضهم لبعض : ابشروا كأنكم والله قد قتلتم ـ يعني الرؤساء ـ .

وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحرث أخي الأشتر على أرمينية ، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان . وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جوخى ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الأعلى . وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الأكراد وإقامة الطرق ، وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الأشعث بن قيس ، فلما وَلي المختار وبعث عبد الرحمن بن سعيد إلى

---

(١) السجدة ٢٢ .

الموصل أميراً سار محمد عنها إلى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم سار إلى المختار فبايعه ، فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس ويقضي بينهم ، ثم قال : إن لي فيما أحاول لشغلا عن القضاء ، ثم أقام شريحاً يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض ، وكانوا يقولون إنه عثماني ، وإنه شهد على حجر بن عدي ، وإنه لم يبلغ هانيء بن عروة ما أرسله به . وإن علياً عزله عن القضاء، فلما بلغ شريحاً ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم إن عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي .

ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين ، وكان سبب ذلك أن مروان بن الحكم لما استوثقت له الشام بعث جيشين ، أحدهما إلى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله ، والجيش الآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد ؛ وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين ، وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً ، فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير ، فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقر ابن زياد على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد في أمره .

فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل وأنه قد تنحى له عن الموصل إلى تكريت ، فدعا المختار يزيد بن أنس الأسدي وأمره أن يسير إلى الموصل فينزل بأداني أرضها حتى يمده بالجنود، فقال له يزيد : خلني انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلني مما توجهني إليه فإن احتجت كتبت إليك استمدك فأجابه المختار ، فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه ، فلما ودعه قال له : إذا لقيت عدوّك فلا تناظرهم وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وإن احتجت إلى مدد فاكتب إليّ مع أني ممدك وإن لم تستمد لأنه أشد لعضدك وأرعب لعدوك ، ودعا الناس له بالسلامة ودعا لهم فقال لهم : سلوا الله لي الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة .

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد إلى المدائن ثم سار إلى أرض جوخى والراذانات إلى أرض الموصل فنزل بباقلى[١] ، وبلغ خبره ابن زياد فقال : لأبعثن إلى كل ألف ألفين ، فأرسل ربيعة بن مخارق الغنوي في ثلاثة آلاف ، وعبد الله بن جملة الخثعمي في ثلاثة آلاف ، فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم فنزل يـزيد بن أنس بباقلي ، فخرج يزيد بن أنس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على أصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال : إن هلكت فأميركم ورقاء بن العازب الأسدي فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذري فإن هلك فأميركم سعر بن أبي سعر الحنفي وجعل على ميمنته عبد الله ، وعلى ميسرته سعرا ، وعلى الخيل ورقاء ، ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال : قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلون ثم يغمى عليه ثم يفيق .

واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم إلى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد إلى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي يا أولياء الحق أنا ابن مخارق إنما تقاتلون العبيد الأُبَّاق ومن ترك الإسلام وخرج منه فاجتمع إليه جماعة فقاتلوا معه فاشتد القتال ، ثم انهزم أهل الشام ، وقتل ربيعة بن مخارق قتله عبد الله بن ورقاء الأسدي ، وعبد الله بن ضمرة العذري ، فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتى لقيهم عبد الله بن جملة[٢] في ثلاثة آلاف فرد معه المنهزمين ونزل يزيد بباقلى فباتوا ليلتهم يتحارسون ، فلما صبحوا يوم الأضحى خرجوا إلى القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا إلى القتال فانهزم أهل الشام ، وترك ابن جملة في جماعة فقاتل قتالاً شديداً فحمل عليـه عبد الله بن قـراد الخثعمي فقتله ، وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً ؛ وأسروا منهم ثلاثمائة أسير وأمر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخر رمق فقتلوا ، ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه وسقط في أيديهم ، وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الأسدي فصلى عليه ثم قال لأصحابه : ماذا ترون ؟ انه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً وإنما أنا رجل منكم فأشيروا علي فإني لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك

(١) في الطبرى « فنزل ببنات تلى » ولعلها بنات قين.
(٢) في الطبري «ابن حملة » بالحاء المهملة .

يزيد وتفرق عنا بعض من معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا : إنما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا هائبين وإن لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم بالأمس . فقالوا : نِعْمَ ما رأيت . فانصرفوا فبلغ ذلك المختار ، وأهل الكوفة فأرجف الناس بالمختار وقالوا : إن يزيد قتل ولم يصدقوا أنه مات ، فدعا المختار ابراهيم بن الأشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له : سر فإذا لقيت جيش يزيد بن أنس فأنت الأمير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد ، وأصحابه فتناجزهم ، فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار ، فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعي وقالوا : والله إن المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد أذرى[1] بموالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا ـ وكان شبث شيخهم وكان جاهلياً إسلامياً ـ فقال لهم شبث : دعوني حتى ألقاه ، فذهب إليه فلم يدع شيئاً أنكروه إلا ذكره له فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار : أنا أرضيهم في هذه الخصلة وآتي لهم كل ما أحبوا ، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفيء فقال له : إن أنا تركت مواليكم وجعلت فيئكم لكم تقاتلون معي بني أمية ، وابن الزبير وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه وما أطمئن إليه من الأيمان؟ فقال شبث : حتى أخرج إلى أصحابي فاذكر لهم ذلك ، فخرج إليهم فلم يرجع إليه وأجمع رأيهم على قتاله .

فاجتمع شبث بن ربعي ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فكلموه في ذلك فأجابهم إليه، فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فدعوه إلى ذلك فقال لهم : ان أطعتموني لم تخرجوا فقالوا له : لم ؟ فقال :لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم ، وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام ومجيء أهل البصرة فتكفونه بغيركم[2] ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا : ننشدك الله أن تخالفنا وتفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه ؛ فقال : إنما أنا رجل منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا ،

---

(١) في الأصل «آذى بموالينا » .

(٢) في الطبري « فتكونوا قد كفيتموه بغيركم » وهي اظهر .

فوثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبابين كل رئيس بجبانة ، فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصداً مجداً إلى إبراهيم بن الأشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع والسرعة وبعث المختار إليهم في ذلك أخبروني ماذا تريدون فإني صانع كل ما أحببتم ؟ قالوا : أن تعتزلنا فإنك زعمت[١] أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك قال : فأرسلوا إليه وفداً من قبلكم وأرسل أنا إليه وفداً ثم أنظروا في ذلك حتى يظهر لكم - وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الأشتر - وأمر أصحابه فكفّوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك فلا يصل إليهم شيء إلا القليل ، وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله بنو شاكر قتالاً شديداً فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ، ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان في جبانة سلول ، ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن في جبانة السبيع . ولما سار رسول المختار وصل إلى ابن الأشتر عشية يومه فرجع ابن الأشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى امسى وأراحوا دوابهم قليلاً ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة .

ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلي ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة ، ثم إن المختار عبى أصحابه في السوق وليس فيه بنيان فأمر ابن الأشتر فسار إلى مضر وعليهم شبث بن ربعي ، ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة ، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبالغ في قتال قومه ، وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد[٢] وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلي ، وعبد الله بن كامل الشاكري ، وأمر كلاً منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج إلى جبانة السبيع وأسر إليهما أن شباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنهم يأتون القوم من ورائهم ، فمضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا إليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ، ثم انهزم أصحاب أحمر بن شميط ، وأصحاب ابن كامل ووصلوا إلى المختار

---

(١) في الأصل « عزمت » وهي غلط .

(٢) في الطبري « عند دار عمر بن سعد بن أبي وقاص » وهي الصحيحة .

فقال : ما وراءكم ؟ قالوا : هزمنا وقد نزل أحمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه . وقال أصحاب ابن كامل : ما ندري ما فعل ابن كامل . فأقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبي عبد الله الجدلي فوقف .

ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمي في أربعمائة إلى ابن كامل وقال له : إن كان قد هلك فأنت مكانه وقاتل القوم وإن كان حياً فاترك عنده ثلاثمائة من أصحابك وامض في مائة حتى تأتي جبانة السبيع فتأتي أهلها من ناحية حمام قطن ، فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلاثمائة رجل وسارفي مائة حتى أتى مسجد عبد القيس ، وقال لأصحابه : إني أحب أن يظهر المختار وأكره أن تهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لأن أموت أحب إلي من أن يهلكوا على يدي ولكن قفوا فقد سمعت أن شباماً يأتونهم من ورائهم فلعلهم يفعلون ذلك ونعافى نحن منه فأجابوه إلى ذلك . فبات عند مسجد عبد القيس .

وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي وكان شجاعاً ، وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمائة[1] إلى أحمر بن شميط فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك ، وأما ابن الأشتر فإنه مضى إلى مضر فلقي شبث بن ربعي ومن معه فقال لهم ابراهيم : ويحكم انصرفوا فما أحب أن يصاب من مضر على يدي فأبوا وقاتلوا فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسي فحمل إلى أهله فمات ، فكان مع شبث وجاءت البشارة إلى المختار بهزيمة مضر ، فأرسل إلى أحمر بن شميط ، وابن كامل يبشرهما فاشتد أمرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض : لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان أصوب ـ وأبو القلوص ساكت ـ فقالوا : ما تقول ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾[2] فساروا معه نحو أهل اليمن ، فلما خرجوا إلى جبانة السبيع لقيهم على فم السكة الأعسر الشاكري فقتلوه ونادوا في الجبانة وقد دخلوها يالثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير ذي مران الهمداني فقال : يالثارات عثمان . فقال لهم رفاعة بن شداد : ما لنا ولعثمان ؟ لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان . فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف . قلت : انصرفوا ودعوهم ، فعطف عليهم وهو

(١) في الطبري «في مائتين» .

(٢) التوبة : الآية ١٢٣ .

يقول :

أنـا ابـن شـدّادِ على ديـن علي لست لعثمـانَ بن أروى بـولـي
لأصْلَيَنَّ الـيـومَ فيـمن يـصـطلي بِحَـرِّ نـارِ الحـربِ غَيْـرَ مؤتلي

فقاتل حتى قتل ، وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة قال : فمنعني قول النبي ﷺ « من ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريء » ، فلما كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة . فلما سمع يزيد بن عمير يقول : يالثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل ، وقتل يزيد بن عمير بن ذي مران ، والنعمان بن صهبان الجرمي وكان ناسكاً ، وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبوه زحر ، وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس[1] وقتل عمر بن مخنف ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر ، وقاتل حوله رجال من الأزد ، وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة ، وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار بإحضارهم وعرضهم عليه وقال : انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني فقتل كل من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً ، وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم ؛فلما سمع المختار بذلك أمر بإطلاق كل من بقي من الأسارى وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدواً ولا يبغوه وأصحابه غائلة ، ونادى منادي المختار من أغلق بابه فهو آمن إلا من شرك في دماء آل محمد ﷺ ، وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يُرَ له خبر حتى الساعة .

وقيل : أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ، ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين إلى المختار تسأله أن يأذن لها في دفنه ففعل فدفنته ، وبعث المختار غلاماً له يدعى زربي في طلب شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لأصحابه : تباعدوا عني لعله يطمع في فتباعدوا عنه فطمع زربي فيه ثم حمل عليه شمر فقتله ، وسار شمر حتى نزل مساء ساتيدما ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطىء نهر إلى جانب تل ، ثم أرسل إلى أهل تلك القرية فأخذ منها علجاً فضربه وقال : امض بكتابي هذا إلى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل

(١) في الطبري « وقتل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ».

القرية وفيها أبو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار إلى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقي ذلك العلج علجاً آخر من تلك القرية فشكا إليه ما لقي من شمر فبينا هو يكلمه إذ مرّ به رجل من أصحاب أبي عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبي الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج : أين هو ؟ فأخبره فإذا ليس بينه وبينهم إلا ثلاثة فراسخ قال : فأقبلوا يسيرون إليه وكان قد قال لشمر أصحابه : لو ارتحلت بنا من هذه القرية فإنا نتخوف منها ، فقال : كل هذا فزعاً من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعباً فإنهم لنيام إذ سمع وقع الحوافر فقالوا في أنفسهم : هذا صوت الدبى ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فإذا بالخيل قد اشرفت من التل فكبروا وأحاطوا بالأبيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم ، وقام شمر وقد اتزر ـ ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد ـ وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه ، فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقائلاً يقول : قتل الخبيث قتله ابن أبي الكنود وهو الذي رأى الكتاب مع العلج وألقيت جثته للكلاب ، قال : وسمعته بعد أن قاتلنا بالرمح ثم ألقاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعراً :

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ باسلا جهماً مُحَيّاه يدقُّ الكاهلا
لم يُرَ يوماً عن عدوٍّ ناكلا إلا كذا مقاتلاً أو قاتلا
يَنْزَحُهُمْ[1] ضرباً وَيَرْوِي العاملا

وأقبل المختار إلى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقي أسيراً فناداه شعراً :

امنن علي اليوم يا خير معد وخير من حل بتجر[2] والجند وخير من لبى وحيا وسجد

فأرسله المختار إلى السجن ثم أحضره من الغد فأقبل إليه وهو يقول شعراً :

ألا أبلغ أبا إسحٰق أنا نَزَوْنا نَزْوَةً كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خروجُنا بطراً وَحَيْنا[3]

---

(١) في الطبري « يبرحهم ضرباً » .
(٢) في الطبري « من حل بشحر » .
(٣) وبعد هذين البيتين بيتان ذكرهما الطبري وهما : =

لقينــا منهم ضــربــاً طلحفــاً وطعنــاً صــائبــاً حتى انثنينــا
نصــرت على عـدوك كــلَّ يــوم بـكــل كتيبــةٍ تنعى حُسَيْنــا
كنصــرِ محمــدٍ في يــوم بــدر ويــوم الشعب إذ لاقى حُنَيْنــا
فــأسجــح إذ ملكت فلو ملكنــا لجرنــا في الحكومة واعتــدينا
تــقبــل تــوبــةً مــني فــإنــي ســأشكــر إذ جعلت النقــدَ دَيْنــا

قال : فلما انتهى إلى المختار قال : أصلح الله الأمير أحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : اصعد المنبر فأعلم الناس فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له : إني قد علمت انك لم تر شيئاً وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عني حيث شئت لا تفسد علي أصحابي ، فخرج إلى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعراً :

ألا أبــلغ أبــا إســحق أنــي رأيت البُلْقَ دهمــاً مـصــمـتاتِ
كفــرتُ بِــوَحْيِكُمْ وجعلتُ نــذراً عليَّ قتــالكم حتى الممــاتِ
أري عَـيـنـيَّ مـا لـم تـبـصــراه كــلانــا عــالمٌ بــالتُّــرهَــاتِ(١)

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وادعى قتله سعر بن أبي سعر ، وأبو الزبير الشبامي ـ وشبام بن همدان ـ ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لأبي الزبير الشبامي : أتقتل أبي عبد الرحمن سيد قومك ؟ فقرأ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوَادّونَ من حادّ الله ورسوله﴾(٢) الآية ،وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه ، وكان أكثر القتل ذلك اليوم في أهل اليمن ، وكانت الوقعة لست ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال : ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء بئس ناصر آل محمد ﷺ أنا إذاً في الدنيا أنا إذاً الكذاب كما سموني وإني أستعين بالله عليهم فسموهم

= نــراهــم في مـصــافــهــم قـليــلا وهـم مثـل الـدبى حـين التقينــا
بــرزنــا إذ رأيـنــاهــم فــلمــا رأيــنــا الـقــوم قـد بــرزوا الـيـنــا

(١) سقط هنا بيت ذكره الطبري وهو :

إذا قــالــوا أقــول لـهـم كــذبـتم وإن خــرجــوا لبست لهـم أداتي

(٢) المجادلة : الآية ٢٢ .

لي ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فإني لا يسوغ لـي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم ، فدل على عبدالله بن أسيد الجهني ، ومالك بن بشير البدي ، وحمل بن مالك المحاربي فبعث إليهم المختار فأحضرهم من القادسية فلما رآهم قال : يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن علي ؟ أدوا إليّ الحسين، قتلتم من أمـرتم بالصـلاة عليهم؟ فقالوا : رحمك الله بعثنا كـارهين فامنن علينـا واستبقنا فقـال لهم : هلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه .

وكان البدي صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل الآخـرين ، وأمر بـزياد بن مـالك الضبعي ، وبعمـران بن خالـد القشيري ، وبعبـد الرحمن بن أبي خشارة[١] البجلي ، وبعبدالله بن قيس الخولاني فأحضروا عنده فلما رآهم قال : يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس في يوم نحس ـ وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين ـ ثم أمر بهم فقتلوا ، وأحضروا عنده عبدالله ، وعبد الرحمن ابني صلحت[٢] ، وعبدالله بن وهب بن عمرو الهمداني وهو ابن عم أعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا ، وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد[٣] الدهماني الجهني وأبو أسماء بشر بن شميط القانصي[٤] وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ، ثم أرسل إلى خولي بن يزيد الأصبحي ـ وهـو صاحب رأس الحسين ـ فـاختفى في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقـالت لهم : ما تـريدون ؟ فقـالوا لهـا : أين زوجك ؟ قالت : لا أدري وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجـدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار .

ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين

ثم ان المختار قال يوماً لأصحابه : لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين ، وكان عنده الهيثم بن الأسود النخعي

---

(١) في الطبري «ابن أبي خشكارة» .

(٢) في الطبري «صلخب» .

(٣) في الطبري «أسير» بالراء .

(٤) في الطبري «ابن سوط القابضي» .

فعلم أنه يعني عمر بن سعد فرجع إلى منزله وأرسل إلى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك ، فلما قاله له قال : جزى الله أباك خيراً كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق؟ وكان عبدالله بن جعدة بن هبيرة أكرم الناس على المختار لقرابته بعلي وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار ففعل ، وكتب له المختار أماناً وشرط فيه أن لا يتحدث ـ وعنى بالحدث دخول الخلاء ـ ثم إن عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فأتى حمامه فأخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه: وأي حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت إلى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلاً فرجع وأتى المختار فأخبره بإطلاقه[1] فقال: كلا إن في عنقه سلسلة ستردە، وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة فأتاه وقال: أجب الأمير فقام عمر فعثر في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده: أتعرف من هذا؟ قال: نعم ولا خير في العيش بعده فأمر به فقتل، وقال المختار: هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله .

وكان السبب في تهيج المختار على قتله أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث إلى أن تذاكرا المختار فقال ابن الحنفية : إنه يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه ، فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه يعلمه أنه قد قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين ، قال عبدالله بن شريك : أدركت أصحاب الأردية[2] المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا : هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله ، وقال ابن سيرين : قال علي لعمر بن سعد : كيف وأنت إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ؟ ثم ان المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي وكان أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمي بسرباله وما ضره فأتاه أصحاب المختار فأخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدي بن حاتم فكلمهم عدي فيه فقالوا : ذلك إلى المختار فمضى عدي إلى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد

---

(١) في الطبري «بانطلاقه» وهي الصواب .

(٢) في الأصل الأزدية وقد أثبتنا الصواب من الطبري .

شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة: إنا نخاف أن يشفعه المختار فيه فقتلوه رمياً بالسهام كما رمي الحسين حتى صار كأنه القنفذ ، ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فشفع فيه عدي فقال المختار: أتستحل أن تطلب في قتلة الحسين ؟ فقال عدي : إنه مكذوب عليه قال : إذاً ندعه لك ، فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله فقال: ما أعجلكم إلى ذلك؟ ألا أحضرتموه عندي ؟ وكان قد سره قتله فقال ابن كامل : غلبتني عليه الشيعة ، فقال عدي لابن كامل : كذبت ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فقتلته ، فسبه ابن كامل فنهاه المختار عن ذلك ، وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين ـ وهو مرة بن منقذ ـ من عبد القيس وكان شجاعاً فأحاطوا بداره فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك .

وبعث المختار إلى زيد بن رقاد الجنبي[1] كان يقول: لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته ـ وكان ذلك الفتى عبدالله بن مسلم بن عقيل ـ وأنه قال حين رميته : اللهم إنهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا . ثم إنه رمى الغلام بسهم آخر ، وكان يقول : جئته وهو ميت فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ولم أزل أنضنض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقي النصل ، فلما أتاه أصحاب المختار خرج إليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل : لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حياً ، وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فرآه قد هرب إلى البصرة فهدم داره ، وطلب عبدالله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب إلى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاماً ، وطلب آخر من بني أسد ـ يقال له حرملة بن الكاهن[2] ـ كان قد قتل رجلاً من أهل الحسين ففاته ، وطلب أيضاً رجلاً من خثعم اسمه عبدالله بن عروة الخثعمي كان يقول : رميت فيهم باثني عشر سهماً ففاته ولحق بمصعب بن الزبير فهدم داره ، وطلب أيضاً عمرو بن الصبيح الصدائي كان يقول : لقد

---

(٢) في الأصل «الحباني» وهو تحريف وتقدم زيد بن داود وهو غلط .

(٣) في الطبري «كاهل» باللام .

طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحداً فأتى ليلاً فأخذ وأحضر عند المختار فأمر بإحضار الرماح وطعن بها حتى مات .

وأرسل إلى محمد بن الأشعث ـ وهو في قرية له إلى جنب القادسية ـ فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب إلى مصعب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي كان زياد قد هدمها .(بحير بن ريسان) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . (شبام) بكسر الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان . و(همدان) بسكون الميم وبالدال المهملة . (سعر) بكسر السين المهملة و (أحمر بن شميط) بالحاء والراء المهملتين ، و (شميط) بالشين المعجمة ، و (شبث) بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة (جبانة أثير) بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة (عتيبة بن النهاس) بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة (حسان بن فائد) بالفاء .

ذكر بيعة المثنى العبدي للمختار بالبصرة

وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة إلى بيعة المختار ، وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره إلى البصرة يدعو بها إليه ، فقدم البصرة ودعا بها فأجابه رجال من قومه وغيرهم ، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة . فوجه إليهم القباع أمير البصرة ودعا بها عباد بن حصين وهو على شرطته ، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة فخرجوا إلى السبخة . ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج أحد ، وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيساً مكانه . فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلاً وقال لهم : إذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد إلى قيس وأنشبوا القتال مع المثنى ؛ وسمع الرجال الذين في دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة ، وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعبّاد ولم يتبعوهم ، وأتى المثنى قومه عبد القيس فأرسل القباع عسكراً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه ، فلما رأى زياد بن عمرو العتكي ذلك أقبل إلى القباع فقال له : لتردن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنهم . فأرسل القباع الأحنف بن قيس ، وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس فأصلح الأحنف الأمر على أن يخرج المثنى .

وأصحابه عنهم فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم فسار المثنى إلى الكوفة في نفر يسير من أصحابه .(مخربة) بضم الميم وفتح الحاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة .

ذكر مكر المختار بابن الزبير

فلما أخرج المختار عامل ابن الزبير عن الكوفة ـ وهو ابن مطيع ـ سار إلى البصرة وكره أن يأتي ابن الزبير مهزوماً ، فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب إليه : قد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك وما كنت أعطيتني إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتني عليه فإن ترد مراجعتي ومناصحتي فعلت والسلام ، وكان قصد المختار أن يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشيء من أمره . فأراد ابن الزبير أن يعلم اسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي فولاه الكوفة وقال له : إن المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألفاً وسار نحو الكوفة . وأتى الخبر إلى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له : هذا ضعف ما انفق عمر بن عبد الرحمن في طريقه إلينا وأمره أن يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه النفقة ويأمره بالعود فإن فعل وإلا فأره الخيل، فأخذ زائدة بن قدامة المال ، وسار حتى لقي عمر فأعطاه المال وأمره بالانصراف . فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من إتيانها . فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة . فاجتمع هو وابن مطيع في إمارة الحرث بن أبي ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة . وقيل : إن المختار كتب إلى ابن الزبير أني اتخذت الكوفة داراً فإن سوغتني ذلك وأمرت لي بألف ألف درهم سرت إلى الشام فكفيتك ابن مروان . فقال ابن الزبير : إلى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرني ثم تمثل شعراً :

عاري الجواعرِ من ثمود أصلُهُ   عَبْدٌ ويزعُمُ أنه من يقدم

وكتب إليه والله ولا درهم

ولا أمتري عبد الهوان ببدرتي   وإني لآتي الحتف ما دمت أسمعُ

ثم أن عبدالملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبي الحكم بن أبي

العاص إلى وادي القرى وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لأهل الشام ، فكتب المختار إلى ابن الزبير: قد بلغني أن ابن مروان قد بعث إليك جيشاً فإن أحببت أمددتك بمدد فكتب إليه ابن الزبير: إن كنت على طاعتي فبايع لي الناس قبلك وعجل إنفاذ الجيش ومرهم ليسيروا إلى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام ، فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني فسيره في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي وليس منهم من العرب إلا سبعمائة رجل وقال : سر حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إلي بذلك حتى يأتيك أمري ـ وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة ـ وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يستنفر الأعراب وقال له : إن رأيت القوم على طاعتي وإلا فكايدهم حتى تهلكهم ، فأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه ، وأتى عباس وقد تقطع أصحابه ورأى ابن ورس على الماء وقد عبى أصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس سراً : ألستم على طاعة ابن الزبير ؟ قال : بلى قال : فسر بنا على عدوّه الذي بوادي القرى فقال ابن ورس : ما أمرت بطاعتكم إنما أمرت أن آتي المدينة فإذا أتيتها رأيت رأيي ، فقال له عباس : إن كنتم في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسيركم إلى وادي القرى ، فقال : لا أتبعك أقدم المدينة وأكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره ، فقال عباس: رأيك أفضل، وفطن لما يريد وقال : أما أنا فسائر إلى وادي القرى ، ونزل عباس أيضاً وبعث إلى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعاً فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء ، وجمع عباس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو فسطاط ابن ورس ، فلما رآهم نادى في أصحابه فلم يجتمع إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس[1] واقتتلوا يسيراً فقتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفع عباس راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها إلا نحواً من ثلاثمائة رجل مع سليمان بن حمير الهمداني ، وعباس بن جعدة الجدلي ، فظفر ابن سهل منهم بنحو مائتين فقتلهم وأفلت الباقون فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق .

---

(١) قال الطبري ان عباساً انتهى إليهم وهو يقول :

انا ابن سهل فارس غير وكل	أروع مقدام اذا الكبش نكل
واعتلى رأس الطرماح البطل	بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

وكتب المختار بخبرهم إلى ابن الحنفية يقول : إني أرسلت إليك جيشاً ليذلوا لك الأعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة جيشاً كثيفاً وتبعث إليهم من قبلك رجلاً حتى يعلموا أني في طاعتك فآفعل فإنك ستجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام ، فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوه به من سروري وإن أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت ، وإني لو أردت القتال لوجدت الناس إلي سراعاً والأعوان لي كثيراً ولكن أعتزلكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وأمره بالكف عن الدماء .

ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن وائلة له صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا : لا نبايع حتى تجتمع الأمة فأكثر الوقيعة في ابن الحنفية وذمه فأغلظ له عبدالله بن هانىء الكندي وقال : لئن لم يضرك إلا تركنا بيعتك لا يضرك شيء وإن صاحبنا يقول : لو بايعتني الأمة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته ، وإنما عرض بذكر سعد لأن ابن الزبير أرسل إليه فقتله فسبه عبدالله وسب أصحابه وأخرجهم من عنده ، فأخبروا ابن الحنفية بما كان منهم فأمرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير ، فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية . خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به فألح عليه وعلى أصحابه في البيعة له ، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار يعلمه حالهم ، فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال : إن هذا مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصوراً عليهم كما يحصر على الغنم[١] ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار لست أبا اسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وإن لم اسرب الخيل في أثر الخيل كالسيل

---

(١) في الطبري «محظور عليهم كما يحظر على الغنم» ولعلها أولى .

يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ـ يعني ابن الزبير ـ وذلك أن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن أسد بن خزيمة ، فبكى الناس وقالوا : سرحنا إليه وعجل ، فوجه أبا عبدالله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوة ، ووجه ظبيان بن عمارة[١] أخا بني تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم ، وسير أبا المعمر[٢] في مائة ، وهانىء بن قيس في مائة ، وعمير بن طارق في أربعين ، ويونس بن عمران في أربعين .

فوصل أبو عبدالله الجدلي إلى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً فبلغوا مائة وخمسين رجلاً فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات[٣] وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم ـ وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم ـ وكان قد بقي من الأجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا : خلِّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في الحرم ، فقال ابن الزبير : واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كأني أنا قتلته والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم وإنما قيل لهم خشبية لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب كراهة اشهار السيوف في الحرم ، وقيل : لأنهم أخذوا الحطب الذي أعده ابن الزبير ، وقال ابن الزبير : أتحسبون أني أخلي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون ؟ فقال الجدلي : أي ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جدالاً يرتاب منه المبطلون . فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا : يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير .

وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم . فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا ، فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا ، ثم إن البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فأرسل إلى ابن الحنفية ادخل في بيعتي وإلا

---

(١) في الطبري « ظبيان بن عثمان» .

(٢) في الطبري « سير أبا المعتمر » .

(٣) في الطبري «الكافر كوبات» .

نابذتك ـ وكان رسوله عروة بن الزبير ـ فقال ابن الحنفية : بؤساً لأخيك ما ألجه فيما اسخط الله وأغفله عن ذات الله ، وقال لأصحابه : إن ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن أحب الانصراف عنا فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم فإني مقيم حتى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين ، فقام إليه أبو عبدالله الجدلي وغيره ، فأعلموه أنهم غير مفارقيه ، وبلغ خبره عبدالملك بن مروان فكتب إليه يعلمه أنه إن قدم عليه أحسن إليه وأنه ينزل إلى الشام إن أراد حتى يستقيم أمر الناس ، فخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعراً :

هديتَ يا مهديَّنا ابن المهتدي أنتَ الذي نرضى به ونرتجي
أنت ابنُ خيرِ الناس من بعد النبي أنت إمام الحقّ لسنا نمتري
يا ابن عليّ سِرْ وَمَنْ مِثْلُ علي

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على إتيانه وخافه ، فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن هديه ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على إذنه له في قدومه بلده ، فكتب إليه أنه لا يكون في سلطاني من لم يبايعني فارتحل إلى مكة ونزل شعب أبي طالب ، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه ، وكتب إلى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن امرأة أبي الطفيل عامر بن واثلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعراً :

إنْ يكُ سَيَّرَها مصعبٌ فإني إلى مصعب متعبُ
أقود الكتيبة مستلئماً كأني أخو عزة أحربُ

وهي عدة أبيات ، وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال إلى مكة فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال : اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذي يسوم الناس ، ثم سار إلى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره ، وخرج ابن عباس أيضاً فلحق بالطائف ثم توفي فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعاً ، وبقي ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناس، فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك يطلب منه الأمان له ولمن معه وبعث إليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال :

قد كتبت إلى عبد الملك فإذا جاءني جوابه بايعت ، وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فتركه .

فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبدالله الجدلي ومعه كتاب عبد الملك بأمانه وبسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلاً فأزال حكم الحجاج عنه ، وقيل : إن ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس ، وابن الحنفية أن يبايعا فقالا : حتى يجتمع الناس على إمام ثم نبايع فإنك في فتنة فعظم الأمر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عباس في منزله وأراد إحراقهما فأرسل المختار جيشاً كما تقدم فأزال عنهما ضرر ابن الزبير فلما قتل المختار قوي عليهما ابن الزبير وقال : لا تجاوراني فخرجا إلى الطائف ، وأرسل ابن عباس ابنه علياً إلى عبد الملك بالشام وقال : لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني رجل من بني أسد ـ يعني ببني عمه بني أمية لأنهم جميعهم من ولد عبد مناف ؛ ويعني برجل من بني أسد ابن الزبير فإنه من بني أسد بن عبد العزى بن قصي ـ ولما وصل علي بن عبدالله بن عباس إلى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال : اسمي علي والكنية أبو الحسن فقال : لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري أنت أبو محمد ، ولما وصل ابن عباس إلى الطائف توفي به وصلى عليه ابن الحنفية .

ذكر الفتنة بخراسان

في هذه السنة كان حصار عبدالله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم ابنه محمداً وقد تقدم ذكره ، فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم أتى قصره قريباً[1] عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المازني ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ، وورد بن الفلق العنبري ، وزهير بن ذؤيب العدوي ، وجيهان بن مشجعة الضبي ، والحجاج بن ناشب العدوي ، ورقية بن الحر في فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا يخرجون إليه فيقاتلونه ثم يرجعون إلى القصر ، فخرج ابن خازم يوماً في ستة آلاف وخرج إليه أهل القصر فقال لهم عثمان بن بشر : ارجعوا فلن تطيقوه فحلف زهير بن

---

(١) في الطبري «فرتنا» .

ذؤيب بالطلاق أنه لا يرجع حتى يتعرض صفوفهم فاستبطن نهراً قد يبس فلم يشعر به أصحاب عبدالله حتى حمل عليهم فحط[1] أولهم على آخرهم واستدار وكر راجعاً واتبعوه يصيحون به ولم يجسر أحد ينزل إليه حتى رجع إلى موضعه فحمل عليهم فأفرجوا له حتى رجع ، فقال ابن خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب ثم علقوها في سلاحه فخرج إليهم يوماً فطاعنهم فاعلقوا فيه أربعة أرماح بالكلاليب فالتفت إليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر أربعة أرماح حتى دخل القصر ، فأرسل ابن خازم إلى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة ليناصحه فلم يجبه ، فلما طال الحصار عليهم أرسلوا إلى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال : لا ، إلا على حكمي فأجابوا إلى ذلك ، فقال زهير : ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وإن طبتم بالموت نفساً فموتوا إكراماً اخرجوا ثم جميعاً فإما أن تموتوا كراماً وإما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم ، وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فإن شئتم كنت أمامكم وإن شئتم كنت خلفكم فأبوا عليه فقال : سأريكم ، ثم خرج هو ورقية بن الحر ، وغلام تركي ، وابن ظهير ، فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا ، فأما زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير إلى من بالقصر قال : قد رأيتم أطيعوني قالوا : إنا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة فقال : لا أكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن خازم فأرسل إليهم فقيدهم وحملوا إليه رجلاً رجلاً فأراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له : إن عفوت عنهم قتلت نفسي فقتلهم إلا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فأطلقه ، والآخر جيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على محمد بن عبدالله كما تقدم . والآخر رجل من بني سعد من تميم وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لحقوه وقال : انصرفوا عن فارس مضر ، وقال : ولما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب ـ وهو مقيد ـ أبى واعتمد على رمحه فوثب الخندق ثم أقبل إلى ابن خازم يحجل في قيوده فجلس بين يديه ، فقال له ابن خازم : كيف شكرك إن أطلقتك وأطعمتك ميسان ؟ قال : لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك فلم يمكنه ابنه موسى من إطلاقه فقال له أبوه : ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين ؟ من لحمى نساء العرب ؟ فقال : والله لو شركت في دم أخي لقتلتك فأمر بقتله ؛ فقال زهير : إن

---

(١) في الطبري «فحطم».

لي حاجة لا تقتلني ويخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً ويخرجوا عليكم مصلتين ، وايم الله لو فعلوا لاذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالاً ، فأمر به ابن خازم فقتل ناحية ، فلما بلغ الحريش قتلهم قال :

أعاذلُ إني لم ألم في قتالهم ... وقد عض سيفي كبشهم ثم صمّما

أعاذلُ ما ولّيت حتى تبددت ... رجالٌ وحتى لم أجد متقدّما

أعاذلُ أفناني السلاح ومن يُطِلْ ... مقارعةَ الأبطالِ يرجع مُكَلَّما

أعينيَّ إن أنزفتما الدمعَ فاسكبا ... دماً لازماً لي دون أن تنكفا دما[1]

أَبَعْدَ زهيرٍ وابن بشرٍ متابعاً[2] ... وورد أرجي في خراسان مغنما

أعاذلُ كم من يوم حربٍ شهدته ... أكرُّ إذا ما فارس السوء أحجما

يعني زهير بن ذؤيب ، وابن بشر هو عثمان ، وورد بن الفلق .

ذكر مسير ابن الأشتر إلى قتال ابن زياد

وفي هذه السنة لثمان بقين من ذي الحجة سار إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيدالله بن زياد ، وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين ، وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم[3] وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه ، فلما بلغ دير عبد الرحمن بن أم الحكم لقيه أصحاب المختار معهم الكرسي يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه ، وكان سادن الكرسي حوشب البرسمي فلما رآهم المختار قال:

أما ورب المرسلات عرفا ... ليقتلن بعد صف صفا ... وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له : خذ عني ثلاثاً ، خف الله عز وجل في سر أمرك وعلانيتك ، وعجل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، ورجع المختار وسار إبراهيم فانتهى إلى أصحاب الكرسي وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم إلى

---

(١) في الطبري «أن تسكبا الدما».

(٢) في الطبري «تتابعا».

(٣) في بعض النسخ ووجههم.

السماء يدعون الله تعالى ؛ فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بني إسرائيل ـ والذي نفسي بيده ـ إذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار إلى قصده .

ذكر حال الكرسي الذي كان المختار يستنصر به

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة : أضقنا إضاقة شديدة[١] فخرجت يوماً فإذا جارٌ لي زَيّات عنده كرسي ركبه الوسخ فقلت في نفسي لو قلت للمختار في هذا شيئاً فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو يبضّ[٢] قال : فقلت للمختار إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدا لي أن أذكره لك، ان أبي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ويروى أن فيه أثراً من علي[٣] . قال : سبحان الله أخرته إلى هذا الوقت ابعث به ، فأحضرته عنده وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله وإنه كان في بني إسرائيل التابوت وإن هذا فينا مثل التابوت ، فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ، ثم لم يلبثوا أن أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسي على بغل وقد غشي فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ما صنعت وتكلم الناس في ذلك تعيبه[٤] ، وقيل : إن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة أم هانىء أخت علي بن أبي طالب لأبويه ائتوني بكرسي علي فقالوا : والله ما هو عندنا فقال : لا تكونن حمقى اذهبوا فأتوني به قال : فظنوا أنهم لا يأتونه بكرسي إلا قال : هذا هو وقبله منهم ، فأتوه بكرسي وقبضه منهم ، وخرجت شبام ، وشاكر، ورؤوس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير ، وكان أوّل من سدنه موسى بن أبي موسى الأشعري كان يلم بالمختار لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس على موسى فتركه وسدنه حوشب البرسمي حتى هلك المختار ، وقال أعشى همدان في ذلك شعراً :

شهـدت عليـكم أنـكم سـبئيـة   وإني بكم يا شرطة الشِّرْكِ عـارفُ

(١) في الطبري «أعدمت مرة من الورق» .
(٢) في الطبري «وهو يبص» بالصاد المهملة .
(٣) في الطبري «أثرة من علم» .
(٤) في الطبري «فتكلم الناس في ذلك فغيب» .

فأقسمُ[١] ما كرسيُّكم بسكينةٍ وإن كان قد لُفَّتْ عليهِ اللفائفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سعت شبامُ حَوَالَيْهِ ونهدٌ وخارِفُ
وإني امرؤ أحببتُ آلَ محمدٍ وتابعتُ وحياً ضُمِّنَتْهُ المصاحفُ
وبايعتُ[٢] عبدالله لما تتابعت عليه قريشٌ شُمْطُها والغطارِفُ

وقال المتوكل الليثي :

أبلغ أبا إسحاق إنْ جِئْتَهُ أني بكرسيِّكمو كافرُ
تروا[٣] شبام حول أعوادِهِ وتحملُ الوحيَ له شاكرُ
محمرَّةٌ أعينُهُمْ حَوْلَهُ كأنهنَّ الحامِضُ الخازِرُ[٤]

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملاً لأخيه عبدالله ، وعلى البصرة عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي لابن الزبير أيضاً ، وكان بالكوفة المختار متغلباً عليها ، وبخراسان عبدالله بن خازم . وفي هذه السنة توفي أسماء بن حارثة الأسلمي وله صحبة وهو من أصحاب الصفة ، وقيل : بل مات بالبصرة في إمارة ابن زياد ، وتوفي جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص ، وقيل : مات في إمارة بشر بن هارون . وتوفي أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري سيد قومه : (حارثة) بالحاء المهملة والتاء المثلثة .

---

(١) في الطبري «وأقسم» بالواو.

(٢) في الطبري «وتابعت».

(٣) في الطبري «تنزو».

(٤) في الطبري «كأنهن الحمص الحارد» قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : قلت هذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار واتباعه وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله ورداءة فهمه وترويجه الباطل على أتباعه وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطغام ويجمع عليه جهال العوام .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر مقتل ابن زياد

ولما سار ابراهيم بن الأشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق . وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه أولاً . فسار إبراهيم وخلف أرض العراق وأوغل في أرض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعي وكان شجاعاً . فلما دنا من ابن زياد عبى أصحابه ولم يسر إلا على تعبية واجتماع إلا أنه يبعث الطفيل على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلاد الموصل . فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد إليه حتى نزل قريباً منهم على شاطىء الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمي وهو من أصحاب ابن زياد إلى ابن الاشتر أن القني .

وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب ، فاجتمع عمير ، وابن الأشتر فأخبره عمير أنه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس فقال له ابن الأشتر : ما رأيك أخندق علي وأتوقف يومين أو ثلاثة؟ فقال عمير : لا تفعل وهل يريدون إلا هذا ؟ فإن المطاولة خيرٌ لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً وإن هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤوا عليهم ، فقال ابراهيم : الآن علمت أنك لي مناصح وبهذا أوصاني صاحبي . قال عمير : أطعه فإن الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد وإذا أصبحت فناهضهم . وعاد عمير إلى أصحابه .

وأذكى ابن الاشتر ضرسه[١] ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان السحر الأول عبى أصحابه وكتب كتائبه وأمر أمراءه، فجعل سفيان بن يزيد الأزدي على ميمنته، وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته وهو أخو أبي الأحوص، وجعل عبد الرحمن بن عبدالله وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة، وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك، فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس ثم خرج فصف أصحابه وألحق كل أمير بمكانه ونزل إبراهيم يمشي ويحرض الناس ويمنيهم الظفر، وسار بهم رويداً فأشرف على تلٍّ عظيم مشرف على القوم فجلس عليه وإذ أولئك القوم لم يتحرك منهم أحد، فأرسل عبد الله بن زهير السلولي ليأتيه بخبر القوم فعاد إليه وقال له: قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم وليس له كلام: ألا يا شيعة أبي تراب يا شيعة المختار الكذاب قال: فقلت له الذي بيننا أجل من الشتم، وركب إبراهيم وسار على الرايات يحثهم ويذكر لهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبي والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله، وتقدم القوم إليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني، وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي، وعلى الخيل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم فثبت له علي بن مالك الجشمي فقتل، ثم أخذ رايته قرة[٢] بن علي فقتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبدالله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله ﷺ فاستقبل المنهزمين فقال: إلي يا شرطة الله فأقبل إليه أكثرهم فقال: هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا إليه فرجعوا وإذا إبراهيم كاشف رأسه ينادي إليّ شرطة الله أنا ابن الأشتر إن خير فراركم كراركم ليس مسيئاً من أعتب، فرجع إليه أصحابه. وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما زعم فقاتلهم عمير قتالاً شديداً وأنف من الفرار، فلما رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه: اقصدوا هذا السواد الأعظم فوالله لئن هزمناه لانجفل من ترون يمنة ويسرة انجفال طير ذعرت. فمشى أصحابه إليهم فتطاعنوا ثم صاروا إلى

---

(١) في الطبري «حرسه».
(٢) في نسخة «قزة» بالزاي.

السيوف والعمد فاضربوا بها ملياً وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول : ليس لي متقدم فيقول : بلى فإذا تقدم شد إبراهيم بسيفه فلا يضرب رجلاً إلا صرعه ، وكر إبراهيم والرجالة بين يديه كأنهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم أصحاب ابن زياد وقتل من الفريقين قتلى كثيرة . وقيل : إن عمير بن الحباب أول من انهزم وإنما كان قتاله أولاً تعذيراً . فلما انهزموا قال إبراهيم : إني قد قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطىء نهر الخازر فالتمسوه فإني شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر إبراهيم فأخذ رأسه وأحرقت جثته . وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه عبيدالله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبي اقتلوني وابن الزانية فقتلوا الحصين ، وقيل : إن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير . وكان هذا شريك شهد صفين مع علي وأصيبت عينه فلما انقضت أيام علي لحق شريك ببيت المقدس فأقام به . فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى إن ظهر من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أو ليموتن دونه . فلما ظهر المختار للطلب بثأر الحسين أقبل إليه وسار مع إبراهيم بن الأشتر فلما التقوا حمل على خيل الشام يهتكها صفاً صفاً مع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا إلى ابن زياد وثار الرهج فلا تسمع إلا وقع الحديد فانفجر عن الناس وهما قتيلان شريك وابن زياد والأول أصح . وشريك هو القائل :

كل عيش قد أراه باطلا[1] غير ركز الرمح في ظل الفرس

قال : وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وادعى قتله سفيان بن يزيد الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي ، وعبيد الله بن زهير السلمي ، وكان عيينة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز :

ان تصرمي حباً لنا فربما أرديت في الهيجا الكميَّ المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق أكثر ممن قتل ، وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شيء ، وأرسل إبراهيم البشارة إلى

---

(١) في الطبري «قذرا».

المختار وهو بالمدائن ، وأنفذ إبراهيم عماله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله إلى نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة ، فولى زفر بن الحرث قرقيسيا ، وحاتم بن النعمان الباهلي حران ، والرها ، وسميساط وناحيتها ، وولى عمير بن الحباب السلمي كفرتوثا ، وطور عبدين . وأقام ابراهيم بالموصل . وأنفذ رأس عبيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قوادهفألقيت في القصر فجاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه فعلت هذا مراراً أخرج هذا الترمذي في جامعه .

وقال المغيرة : أول من ضرب الزيوف في الإسلام عبيد الله بن زياد ، وقال بعض حجاب ابن زياد : دخلت معه القصر حين قتل الحسين فاضطرم في وجهه ناراً . فقال بكمه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بهذا أحداً .

وقال المغيرة : قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين : يا خبيث قتلت ابن رسول الله ﷺ لا ترى الجنة أبداً ؛ وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد :

إنَّ المنايا إذا ما زُرْنَ طاغيةً ... هتكن أستارَ حُجّابٍ وأبوابِ
أقول بُعْداً وَسُحْقاً عند مصرعِهِ ... لابن الخبيثةِ وابن الكوْدَنِ الكابي
لا أنت زوحمتَ عن ملكٍ فتمنعه ... ولا متَتَّ إلى قومٍ بأسبابِ
لا مِنْ نزار ولا من جِذْمِ ذي يَمَنٍ ... جلمود ذا ألقيت من بين ألهاب
لا تقبل الأرض موتاهم إذا قُبِرُوا ... وكيف تقبلُ رِجْساً بين أثوابِ

وقال سراقة البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر :

أتاكم غلام من عَرَانِينِ مذحجٍ ... جريء على الأعداءِ غيرِ نكولِ
فيا ابنَ زيادٍ بُؤْ بأعظمِ هالكٍ ... وذقْ حَدّ ماضي الشفرتينِ صقيلِ
جزى الله خيراً شرطةَ الله إنهم ... شَفَوْا من عُبَيْدِ اللهِ أمسِ غليلي[1]

وقال عمير بن الحباب السلميّ يذمُّ جيش ابن زياد:

وما كان جيش يجمع الخمرَ والزنا ... محلاً إذا لاقى العدو لِيُنْصَرَا

---

(١) سقط من الأبيات بيت ذكره الطبري وهو البيت الثالث : ضربناك بالعضب الحسام بحدة

ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة ـ وهو القباع ـ عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعباً ، فقدمها مصعب متلثماً ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس : أمير أمير ، وجاء الحرث بن أبي ربيعة وهو الأمير فسفر مصعب لثامه فعرفوه ، وأمر مصعب الحرث بالصعود إليه فأجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ـ إلى قوله ـ من المفسدين ﴾[1] فأشار بيده نحو الشام : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[2]وأشار نحو الحجاز : ﴿ ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾[3] وأشار نحو الكوفة وقال : يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار .

ذكر مسير مصعب إلى المختار وقتل المختار

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم إلى مصعب فأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي : يا غوثاه ، فرفع خبره إلى مصعب فقال : هذا شبث بن ربعي فادخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم ، وقدم عليه محمد بن الأشعث أيضاً واستحثه على المسير فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه ، وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه : لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة ، وكتب إليه ـ وهو عامله على فارس ـ يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج ، فأمر مصعب محمد بن الأشعث أن يأتي المهلب يستحثه ، فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه قال له : أما وجد مصعب بريداً

---

(١) القصص ١ .
(٢) القصص ٥ .
(٣) القصص ٦ .

غيرك ؟ فقال : ما أنا بريد لأحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا ، فأقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة ، وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الأكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة فأمره أن يخرج إليه من قدر عليه وأن يثبط الناس عن المختار ويدعوهم إلى بيعة ابن الزبير سراً ففعل ودخل بيته مستتراً .

ثم سار مصعب فقدّم أمامه عباد بن الحصين الحطمي[1] التميمي ، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته ، والمهلب على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على بكر ، ومالك بن المنذر على عبد القيس ، والأحنف بن قيس على تميم ، وزياد بن عمرو العتكي على الأزد ، وقيس بن الهيثم على أهل العالية ، وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك وندبهم إلى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري فوصلوا إلى المذار . وأتى مصعب فعسكر قريباً منه ، وعبى كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا ، فجعل ابن شميط ابن كامل على ميمنته ، وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمي ، وجعل أبا عمرة مولى عرينة على الموالي ، فجاء عبد الله بن وهيب الجشمي إلى ابن شميط فقال له : إن الموالي والعبيد أولو فجور عند المصدوقة وإن معهم رجالاً كثيراً على الخيل وأنت تمشي فَمُرْهم فليمشوا معك فإني أتخوف أن يطيروا عليها ويسلموك ـ وكان هذا غشاً منه للموالي لما كان لقي منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الهزيمة أن لا ينجو منهم أحد ـ فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما أشار به فنزل الموالي معه . وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر وأصحابه وقال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول .

فرجع عباد فأخبر مصعباً فقال له : ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم ينزل[2] منهم أحد ثم انصرف إلى موقفه ، وحمل المهلب على ابن كامل فجال بعضهم في بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ، ثم قال

---

(١) في الطبري « الحبطي » .

(٢) في الطبري « فلم يزل » .

المهلب لأصحابه : كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل في رجال من همدان ساعة ثم انهزم ، وحمل عمر بن عبيد الله على عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف ، وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فقاتل حتى قتل ، وتنادوا يا معشر بجيلة ، وخثعم الصبر ، فناداهم المهلب الفرار اليوم أنجى لكم ، عَلاَمَ تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ؟ ، ثم قال : والله ما أرى كثرة القتل اليوم إلا في قومي . ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت ، وبعث مصعب عباداً على الخيل فقال . أيما أسير أخذته فاضرب عنقه ، وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال : دونكم ثأركم فكانوا أشد على المنهزمين من أهل البصرة لا يدركون منهزماً إلا قتلوه ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه ، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة أصحاب الخيل وأما الرجالة فأبيدوا إلا قليلاً ، قال معاوية بن قرة المزني ، انتهيت إلى رجل منهم فأدخلت السنان في عينه فأخذت اخضخض عينه به فقيل له : أفعلت هذا ؟ فقال : نعم إنهم كانوا عندنا أحل دماء من الترك ، والديلم ، وكان معاوية هذا قاضي البصرة ، فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم تكن بنيت بعد فأخذ في كسكر ، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء في السفن فأخذوا في نهر خرشاد ، ثم خرجوا إلى نهر قوسان ثم خرجوا إلى الفرات ، وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال : ما من الموت بدٌّ ، وما من ميتة أموتها أحب إليّ من أن أموت ميتة ابن شميط، فعلموا أنه إن لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل ، ولما بلغه أن مصعباً قد أقبل إليه في البر والبحر سار حتى وصل السلحين[1] ونظر إلى مجتمع الأنهار نهر الخريرة ، ونهر السلحين ، ونهر القادسية ونهر رسف ، فسكر الفرات فذهب ماؤها في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين ، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن إلى ذلك السكر فأصلحوه وقصدوا الكوفة ، وسار المختار إليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وأدخل إليه عدة الحصار ، وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب ، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله ، وعلى الخيل عباد بن الحصين ، وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي ، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ، وعلى الخيل عمرو بن عبد الله[2] النهدي ، وعلى

---

(١) في الطبري «السيلحين » .

(٢) في الطبري « عمر بن عبد الله » بدون واو .

الرجالة مالك بن عبد الله النهدي .

وأقبل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين مصعب والمختار، فلما رأى ذلك المختار بعث إلى كل جيش من أهل البصرة رجلاً من أصحابه وتدانى الناس ، فحمل سعيد بن منقذ على بكر ، وعبد القيس وهم في ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأرسل مصعب إلى المهلب ليحمل على من بإزائه فقال : ما كنت لأجزر الأزد خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي ، وبعث المختار إلى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فانتهوا إلى مصعب ؛ فجثا مصعب على ركبته وبرك الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ، ثم ان المهلب حمل في أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم .

وقال عبد الله بن عمرو النهدي ـ وكان ممن شهد صفين ـ اللهم إني على ما كنت عليه بصفين اللهم أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء ـ يعني أصحاب مصعب ـ ثم جالد بسيفه حتى قتل ، وانقضت أصحاب المختار كأنهم أجمة قصب فيها نار ، وحمل مالك بن عبد الله النهدي وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلاً وذلك عند المساء على أصحاب ابن الأشعث حملة منكرة فقتل ابن الأشعث وقتل عامة أصحابه ، وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس ، وقاتلت معه همدان أشد قتال ، وتفرق الناس عن المختار فقال له من معه : أيها الأمير اذهب إلى القصر فجاء حتى دخله فقال له بعض أصحابه : ألم تكن وعدتنا الظفر وأنّا سنهزمهم ؟ فقال : أما قرأت في كتاب الله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾[1] . فقيل : إن المختار أول من قال بالبداء ، فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب : ياله فتحاً ما أهناه لولم يقتل محمد بن الأشعث قال : صدقت ، ثم قال مصعب للمهلب : إن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل فاسترجع المهلب ، فقال مصعب : قد كنت أحب أن يشهد هذا الفتح أتدري من قتله ؟ إنما قتله من يزعم أنه شيعة لأبيه ، ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وقاتلهم المختار وأصحابه قتالاً ضعيفًا . واجترأ الناس عليهم فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر .

---

(١) الرعد ٣٩ .

وكان أكثر معاشهم من النساء تأتي المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب إلى أهلها ففطن مصعب بالنساء فمنعهن فاشتد على المختار وأصحابه العطش ، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروي بعضهم . ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار : ويلكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا فوالله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا، فقال لهم: أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي وإذا خرجت فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذلاً ؛ فإن نزلتم على حكمهم وثبت أعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر إلى بعض فتقولون : يا ليتنا أطعنا المختار ، ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متم كراماً ، فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاختفى عندهم سراً ، ثم إن المختار تطيب وتحنط وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً منهم السائب بن مالك الأشعري ـ وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الأشعري فولدت له غلاماً اسمه محمد ؛ فلما أخذ القصر وجد صبياً فتركوه ـ فلما خرج المختار قال للسائب : ماذا ترى ؟ قال : ما ترى أنت ؟ قال : ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كأحدهم إلا أني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نية ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي .

ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بني حنيفة أخوان أحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن دجاجة ، فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله المسكي[1] ومن معه بالقصر إلى ما دعاهم المختار فأبوا عليه وأمكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فأخرجوهم مكتفين فأراد اطلاق العرب وقتل الموالي فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فأمر بقتلهم، وعرض عليه بحير المسكي فقال لمصعب : الحمد لله الذي ابتلانا بالأسر وابتلاك بأن تعفو عنا هما منزلتان إحداهما رضا

---

(١) في الطبري « بجير بن عبد الله المسلي » بجير : بالجيم لا بالحاء المهملة ، والمسلي باللام لا بالكاف .

الله والأخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزاً ومن عاقب لم يأمن القصاص ، يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تُركاً ولا دَيْلَما ، فإنما خالفنا إخواننا من أهل مصرنا(١) فإما ان يكن أصبنا أو أخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسجحوا(٢) وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رقَّ لهم الناس ومصعب وأراد أن يخلي سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : أتخلي سبيلهم اخترنا أو اخترهم ، وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فقال مثله ، وقام أشراف الكوفة فقالوا مثلهما فأمر بقتلهم ، فقالوا له : يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك إلى أهل الشام غداً فما بكم عنا غنى فإن قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فأبى عليهم ، فقال بحير المسكي : لا تخلط دمي بدمائهم إذ عصوني فقتلهم ، وقال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي : ما تقول يا ابن الزبير لربك غداً وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك في أنفسهم صبراً ؟ اقتلوا منا بعدة من قتلنا منكم ففينا رجال لم يشهدوا موطناً من حربنا يوماً واحداً كانوا في السواد ، وجباية الخراج ، وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ، ولما أراد قتلهم استشار مصعب الأحنف بن قيس فقال : أرى أن تعفو فإن العفو أقرب للتقوى ، فقال أشراف أهل الكوفة : اقتلهم وضجوا فقتلهم ، فلما قتلوا قال الأحنف : ما أدركتم بقتلهم ثاراً فليته لا يكون في الآخرة وبالا .

وبعثت عائشة بنت طلحة امرأة مصعب إليه في اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا ، وأمر مصعب بكف المختار بن أبي عبيدة فقطعت وسمرت بمسمار إلى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر إليها وسأل عنها فقيل : هذا كف المختار فأمر بنزعها ، وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد ، وكتب إلى ابراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول له : إن أطعتني فلك الشام ، وأعنة الخيل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك ؛ وكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول : إن أنت أجبتني فلك

---

(١) في الطبري « فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطأوا وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا » .

(٢) يقال لمن ظهر وملك « فاسجح » أي قدرتَ فسهِّل وأحسن العفو ، وهو مثل سائر .

العراق ، فاستشار إبراهيم أصحابه فاختلفوا ، فقال ابراهيم : لو لم أكن أصبت ابن زياد ، وأشراف الشام لأجبت عبد الملك مع أني لا أختار على أهل مصري وعشيرتي غيرهم ، فكتب إلى مصعب بالدخول معه ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

فلما بلغ مصعباً إقباله إليه بعث المهلب على عمله بالموصل ، والجزيرة ، وارمينية ، وأذربيجان ، ثم إن مصعباً دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار ، وعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية امرأته الأخرى فأحضرهما وسألهما عن المختار ، فقالت أم ثابت : نقول فيه بقولك أنت ، فأطلقها ، وقالت عمرة : رحمه الله كان عبداً لله صالحاً ، فحبسها ، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنه نبي ، فأمره بقتلها ، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة ، قتلها بعض الشُّرَطِ ، ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول : يا أبتاه، يا عثرتاه ، فرفع رجل يده فلطم القاتل ، وقال : يا ابن الزانية عذبتها . ثم تشحطت فماتت ، فتعلق الشرطي بالرجل ، وحمله إلى مصعب فقال : خلوه فقد رأى أمراً فظيعاً[1] ، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك » .

إن من أعجبِ العجائب عندي ... قتلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ هكذا على غير جرمٍ ... إنَّ للَّهِ درَّها من قتيلِ
كتب القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحصناتِ جَرُّ الذيولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري في ذلك أيضاً :

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب ... بقتل ابنةِ النعمان ذي الدين والحَسَبْ
بقتل فتاةٍ ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ ... مهذَّبة الأخلاقِ والخِيم[2] والنَّسَبْ
مطهرةٍ من نسل قوم أكارمٍ ... من المؤثرين الخير في سالف الحِقَبْ
خليل النبيّ المصطفى ونصيره ... وصاحبه في الحرب والضرب والكُرَبْ[3]

---

(١) إنما رفع الشرطي أمره إلى مصعب ليقيم الحد عليه إذ قال له ـ يا ابن الزانية ـ وقال إن أمي مسلمة وكان مولى لبني قفل واستشهدهم على اسلام أمه فلم يشهدوا ولذلك خلى مصعب عن القاذف .

(٢) في الأصل « في الخيم » .

(٣) في الطبري « والنكب والكرب » .

أتـاني بـأن الملحـدين تـوافقـوا ... على قتلِها لا أحْسَنُوا[١] القتلِ والسلب
فـلا هنـأت آل الـزبيـر معيشـةٌ ... وذاقوا لباس الذلِّ والخوف والحَـرَبْ
كـأنـهـم إذ أبـرزوهـا وقـطِّعَـتْ ... بـأسيـافهم فـازوا بمملكـة العَـرَبْ
ألَمْ تعجبِ الأقـوامُ من قتـل حـرةٍ ... من المحصنات الدين محمودة الأدَبْ
مِنَ الغـافـلاتِ المؤمنـات بـريئـة ... من الـذمِّ والبهتان والشـكِّ والكَـذِبْ
علينا ديات[٢] القتـل والبأسِ واجبٌ ... وهنَّ العفافُ في الحجال وفي الحُجُبْ
عـلى ديـن أجـداد لـهـا وأبـوة ... كـرام مضت لم تُخْزِ أهـلاً ولم تُرِبْ
مـن الخَـفِـرَاتِ لا خـروج بـزنـة ... ولادمـة تنعى[٣] على جارهـا الجُنُبْ
ولا الجارذي القربى ولم تدر ما الخنا ... ولم تـزدلفْ يـومـاً بسـوءٍ ولم تجبْ
عجبت لهـا إذ كُتِّفَتْ[٤] وهي حَيَّـةٌ ... ألا إن هذا الخطب من أعْجَبِ العَجَبْ

وقيل : إن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة ، وإن مصعباً لما سار إليه فبلغه مسيره أرسل إليه أحمر بن شميط وأمره أن يواقعه بالمذار وقال : إن الفتح بالمذار لأنه بلغه أن رجلاً من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن أنه هو ، وإنما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الأشعث وأمر مصعب عباداً الحطمي[٥] بالمسير إلى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصريين ، وخرج المختار في عشرين ألفاً . وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لأصحابه : لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع منادياً ينادي يا محمد فإذا سمعتوه فاحملوا فلما طلع القمر أمر منادياً فنادى يا محمد فحملوا على أصحـاب مصعب فهزمـوهم وأدخلوهم عسكـرهم فلم يـزالـوا يقـاتلونهم حتى أصبحوا . وأصبح المختار وليس عنده أحد وأصحابه قد أوغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة وجاء أصحابه حين أصبحوا فوقفوا ملياً فلم يروا المختار فقالوا : قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة

---

(١) في الطبري « لاجنبوا ».
(٢) في الطبري « علينا كتاب » .
(٣) في الطبري « ملائمة تبغي » .
(٤) في الطبري « اذ كفنت ».
(٥) في الطبري « الحبطي » .

وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في القصر فدخلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقاً كثيراً منهم محمد بن الأشعث ، وأقبل مصعب فأحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة . فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان فأبى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم .

وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعاً وستين سنة . وكان قتله لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين ، قيل : إن مصعباً لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له : أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك ؛ فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة فجرة ، فقال : والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً ؛ وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : ألم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال : ابن أبي عبيد قال : قد بلغني قتل المختار قال : كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له قال : ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة ، وقال عروة بن الزبير لابن عباس : قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه ، فقال ابن عباس : قد بقيت لكم عقبة كؤود فإن صعدتموها فأنتم أنتم وإلا فلا ـ يعني عبد الملك بن مروان ـ وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر ، وابن الحنفية فيقبلانها ، وقيل : رد ابن عمر هديته .

ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً عن العراق بعد أن قتل المختار وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله ، وكان حمزة جواداً مخلطاً يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال : إنه ركب يوماً فرأى فيض البصرة فقال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم[1] فلما كان بعد ذلك رآه جازراً فقال : قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الأحنف إلى أبيه وسأله أن يعزله عنهم ويعيد مصعباً فعزله فاحتمل مالاً كثيراً من

---

(١) في الطبري « صيفهم » .

مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له : لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فأودعه رجالاً فجحدوه إلا رجلاً واحداً فوفى له ، وبلغ ذلك أباه فقال : أبعده الله أردت أن أباهي به بني مروان فنكص ، وقيل : إن مصعباً أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولاً عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة . ثم إن مصعباً وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة ، وقيل : بل انصرف مصعب إلى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة فكانتا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الأحنف وأهل البصرة ورد مصعباً .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس عبدالله بن الزبير ، وكان عامه على الكوفة والبصرة من تقدم ذكره ، وكان على قضاء الكوفة عبدالله بن عتبة بن مسعود ، وعلى قضاء البصرةهشام بن هبيرة ، وبالشام عبدالملك بن مروان ، وبخراسان عبدالله بن خازم . وفي هذه السنة مات الأحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب . وقيل : مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب إلى قتال عبد الملك بن مروان ، وقتل هبيرة بن مريم مولى الحسين بن علي بالخازر وهو من أصحاب المختار وثقات المحدثين . وفيها توفي جنادة بن أبي أمية وأدرك الجاهلية وليست له صحبة . وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابني حجر بن عدي ، وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبراً بعد قتل المختار وبعد قتل أصحابه .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة

وفي هذه السنة رد عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً إلى العراق . وسببه أن الأحنف رأى من حمزة بن عبدالله اختلاطاً وحمقاً فكتب إلى أبيه فعزله ورد مصعباً . واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة ، وقيل : كان سبب عزله حمزة أنه قصر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل إلى حمزة : الحق بأبيك وأخرجَه عن البصرة فقال العذيل العجلي :

إذا ما خشينا من أميرٍ ظُلامـة دعونا أبا سفيانَ يوماً فعسكـرا

ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق

في هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيدالله بن معمر على فارس وولاه حرب الأزارقة ، وكان المهلب على حربهم أيام مصعب الأولى وأيام حمزة بن عبـدالله بن الزبير . فلما عاد مصعب أراد أن يولي المهلب بلاد الموصل ، والجزيرة ، وأرمينية ، ليكـون بينه وبين عبـدالله بن مروان فكتب إليـه وهو بفـارس في القدوم عليـه فقـدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعـزله مصعب عن حرب الخوارج ، وبلاد فارس واستعمل عليهما عمر بن عبيدالله بن معمر ، فلما سمع الخوارج به قال قطري بن الفجاءة : قد جاءكم شجاع وهو شجاع وبطل وجاءه يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثلها لأحد ما حضر حرباً إلا كان أول فارس يقتل قرنه ، وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عبيدالله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ما ذكرناه سنة خمس وستين ؛ فجاءت الخوارج إلى اصطخر فقدم إليهم عمر ابنه عبيدالله في خيل فاقتتلوا فقتل عبيدالله بن عمر ، وأراد الزبير بن الماحوز قتال عمـر فقال لـه

قطري : إن عمر موتور فلا نقاتله فأبى فقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون رجلاً ، وطعن عمر صالح بن مخارق فشتر عينه ، وضرب قطرياً على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وساروا إلى سابور ، فعاد عمر ولقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود كان معه أربعة عشر رجلاً من الخوارج ، وكاد عمر يهلك في هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم فقيل في ذلك :

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم ، فساروا وقطعوا قنطرة بينهما ليمتنع من طلبهم وقصدوا نحو أصبهان فأقاموا عندها حتى قووا واستعدوا ، ثم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر فقطعوها في غير الموضع الذي هم به أخذوا على سابور ثم على أرجان حتى أتوا الأهواز ، فقال مصعب : العجب لعمر قطع هذا العدو الذي هو بصدد محاربته أرض فارس فلم يقاتلهم ولو قاتلهم وفر كان أعذر له ، وكتب إليه يا ابن معمر ما انصفتني تجبي الفيء وتحيد عن العدو فاكفني أمرهم ، فسار عمر من فارس في أثرهم مجدّاً يرجو أن يلحقهم قبل أن يدخلوا العراق ، وخرج مصعب فعسكر عند الجسر الأكبر وعسكر الناس معه ، وبلغ الخوارج وهم بالأهواز إقبال عمر إليهم وإن مصعباً قد خرج من البصرة إليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز : من سوء الرأي وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا إلى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم فقطع بهم أرض جوخى والنهروانات ، فأتى المدائن وبها كردم بن مرثد القرادي[1] فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون أجواف الحبالى[2] فهرب كردم ، وأقبلوا إلى ساباط ووضعوا

---

(١) في الطبري «الفزاري».

(٢) قال ابن جرير : فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي وكانت قد قرأت القرآن وكانت من أجمل الناس . فلما غشوها بالسيوف قالت : ويحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء؟ ويحكم تقتلون من لا يبسط إليكم يداً ولا يريد بكم ضراً ولا يملك لنفسه نفعاً أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين؟ فقال بعضهم : اقتلوها وقال رجل منهم : لو أنكم تركتموها؟ فقال بعضهم : أعجبك جمالها يا عدو الله قد كفرت وافتتنت فانصرف الآخر عنهم وتركهم فظننا أنه فارقهم وحملوا عليها فقتلوها فقالت ربطة بنت يزيد : سبحان الله أترون الله يرضى بما تصنعون تقتلون النساء، والصبيان، ومن لم يذنب إليكم ذنباً ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرواع بنت أياس بن شريح الهمداني وهي ابنة أخيها لأمها فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف ويصيب ذباب السيف رأس الرواع فسقطتا جميعاً إلى الأرض .

السيف في الناس يقتلون ، وأرسلوا جماعة إلى الكرج فلقوا أبا بكر بن مخنف فقاتلهم قتالاً شديداً فقتل أبو بكر وانهزم أصحابه ، وأفسد الخوارج في الأرض فأتى أهل الكوفة أميرهم وهو الحرث بن أبي ربيعة ـ ولقبه القباع ـ فصاحوا به وقالوا : اخرج فإن العدو قد أظل علينا ليست له بقية. فخرج حتى نزل النخيلة فأقام أياماً فوثب إليه إبراهيم بن الأشتر فحثّه على المسير فسار حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به حتى دخل إليه شبث بن ربعي فأمر بالمسير فلما رأى الناس بطء مسيره رجزوا به فقالوا :

سار بنا القباع سيراً نُكْرَا يسيرُ يوماً ويقيمُ شهرا

فسار من ذلك المكان فكان كلما نزل منزلاً أقام به حتى يصيح به الناس فبلغ الفرات في بضعة عشر يوماً فأتاها وقد انتهى إليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه وأخذوا رجلاً اسمه سماك بن يزيد ومعه بنت له فأخذوها ليقتلوها فقالت لهم : يا أهل الإسلام إن أبي مصاب فلا تقتلوه وأما أنا فجارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لي ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما أرادوا قتلها سقطت ميتة فقصعوها بأسيافهم ،وبقي سماك معهم حتى أشرفوا على الصراة فاستقبل أهل الكوفة فناداهم : اعبروا إليهم فإنهم قليل خبيث فضربوا عنقه وصلبوه ، فقال إبراهيم بن الأشتر للحرث : اندب معي الناس حتى أعبر إلى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤوسهم ، فقال شبث وأسماء بن خارجة ، ويزيد بن الحرث ، ومحمد بن عمير ، وغيرهم : أصلح الله الأمير دعهم فليذهبوا وكأنهم حسدوا إبراهيم ، فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتنم ذلك الحرث فتحبس ثم جلس للناس فقال : أما بعد ، فإن أول القتال الرمية[1] بالنبل وإشراع الرماح والطعن ثم الطعن شزراً ثم السلة آخر ذلك كله ، فقال له رجل : قد أحسن الأمير الصفة ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم؟ فمر بهذا الجسر فليعقد ثم عبرنا إليهم فإن الله سيريك ما تحب ، فعقد الجسر وعبر الناس فطارد الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طراداً ضعيفاً فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة وقال له : إذا وقعوا في أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا في أرض أصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الري وعليها يزيد بن الحرث بن رويم

---

(١) في الطبري «أول القتال الرقي بالنبل».

الشيباني فقاتلهم فأعان أهل الري الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع فقال بعضهم :

فلو كانَ حرّاً حوشبٌ ذا حفيظة ... رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعبِ

يعني أن عيسى بن مصعب لم يفر عن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل ، وقال بشر بن مروان يوماً وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعي : من يدلني على فرس جواد؟ فقال عكرمة : فرس حوشب فإنه نجا عليه يوم الري . وقال بشر أيضاً يوماً من يدلني على بغلة قوية الظهر ؟ فقال حوشب : بغلة واصل بن مسافر كان عكرمة يتهم بامرأة واصل فتبسم بشر وقال : لقد انتصفت . ولما فرغ الخوارج من الري انحطوا إلى أصبهان فحاصروها وبها عتاب بن ورقاء فصبر لهم وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة ، وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول :

كيف ترون يا كلاب النار ... شد أبي هريرة الهرَّار
يَهُرُّكُمْ بالليلِ والنهار ... يا ابن أبي ماحوز والأشرار
كيف ترى حربي[1] على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج إليهم على عادته . ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهراً حتى نفدت أطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد ، فقال لهم عتاب : أيها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون وما بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه إن استطاع ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه والله ما أنتم بالقليل وإنكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا إلى هؤلاء وبكم قوة وحياة قبل أن تضعفوا عن الحركة من الجهد فوالله إني لأرجو إن صدقتموهم أن تظفروا بهم فأجابوه إلى ذلك .

ذكر قتل ابن الماحوز وإمارة قطري بن الفجاءة

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه إلى ذلك جمع الناس وأمر لهم

---

(١) في الطبري «كيف ترى جي»وجي بالفتح ثم التشديد مدينة ناحية اصبهان.

بطعام كثير ثم خرج حين أصبح فأتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم وانتهوا إلى الزبير بن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل ، وانحازت الأزارقة إلى قطري بن الفجاءة المازني وكنيته أبو نعامة فبايعوه ، وأصاب عتاب وأصحابه من عسكره ما شاؤوا ، وجاء قطري فنزل في عسكر الزبير ثم سار عن أصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة وجبى المال وقوي ثم أقبل إلى أصبهان ثم أتى إلى أرض الأهواز فأقام بها - والحرث بن أبي ربيعة عامل مصعب عل البصرة - فكتب إلى مصعب يخبره بالخوارج وأنهم ليس لهم إلا المهلب ، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج وبعث إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلب إلى البصرة وانتخب الناس وسار بهم نحو الخوارج ثم أقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس .

ذكر حصار الريّ

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحي عامله على أصبهان بالمسير إلى الريّ وقتال أهلها ، لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم ، وامتناعهم من مدينتهم ، فسار إليهم عتاب ، فنازلهم وقاتلهم ، وعليهم الفرخان . وألح عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوةً ، وغنم ما فيها ، وافتتح سائر قلاع نواحيها .

وفيها كان بالشام قحط شديد حتى إنهم لم يقدروا من شدته على الغزو .

وفيها عسكر عبدالملك بن مروان ببطنان ، وهو قريب[١] من قنسرين ، وشتا بها ، ثم رجع إلى دمشق .

ذكر خبر عبيدالله بن الحر ومقتله

في هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفي وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً واجتهاداً ، فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين علي ، ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبته عثمان ، وشهد معه صفين هو ومالك بن مسمع ، وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها أخوها رجلاً يقال له عكرمة بن الخبيص ،

---

(١) في الطبري «بطنان حبيب من أرض قنسرين» .

وبلغ ذلك عبيد الله فأقبل من الشام فخاصم عكرمة إلى علي فقال له : ظاهرت علينا عدونا فغلت[١] فقال له : أيمنعني ذلك من عدلك ؟ قال : لا فقص عليه قصته فرد عليه امرأته ـ وكانت حبلى فوضعها عند من يثق إليه حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة إلى عبيد الله وعاد إلى الشام فأقام به حتى قتل علي ؛ فلما قتل أقبل إلى الكوفة فأتى إخوانه فقال : ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقالوا[٢] : وكان من أمر علي كيت وكيت وكانوا يلتقون بذلك .

فلما مات معاوية وقتل الحسين بن علي لم يكن عبيد الله فيمن حضر قتله يغيب عن ذلك تعمداً . فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الأشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيدالله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال له : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ فقال : أما قلبي فلم يمرض وأما بدني فقد منّ الله علي بالعافية ، فقال ابن زياد : كذبت ولكنك كنت مع عدونا فقال : لو كنت معه لرئي مكاني . وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا : ركب الساعة فقال : علي به فأحضر الشرطة خلفه فقالوا : أجب الأمير فقال : أبلغوه عني أني لا آتيه طائعاً أبداً ثم أجرى فرسه وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي فاجتمع إليه أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى إلى المدائن وقال في ذلك :

يقــولُ أميــرٌ غــادرٌ وابـن غــادِرٍ	ألا كنتَ قاتلتَ الحسينَ بن فاطِمَهْ
ونفسي على خـذلانـه واعتــزالـه	وبيعـة هذا النـاكث العهـدِ لائمـهْ
فيـا نـدمي أن لا أكــونَ نصـرتُــهُ	ألا كــلُّ نفس لا تُسَـدَّدُ نــادمــهْ
وإني لأني لم أكن مـن حُمَــاتِــهِ	لـذو حَسْـرَةٍ أن لا تفــارقَ لازمـهْ
سقى الله أرواحَ الـذيـن تبــادروا	إلى نصـره سحّاً من الغيث دائمـهْ
وقفت على أجــداثهم ومحــالهم	فكاد الحشا ينقضُّ والعينُ ساجمهْ
لعمري لقد كانوا مصاليتَ في الوغى	سراعاً إلى الهيجا حماةً خضـارمهْ
تـأسَّـوْا على نصـر ابن بنت نبيهم	بـأسيافهم آسـاد غِيـلٍ ضـراغمـهْ

(١) هذه الكلمة لا معنى لها.

(٢) في الطبري فقال له القوم : وكان من أمر علي.

فــإنْ يقتلوا في كــل نفس بقيــة على الأرض قد أضحت لذلك واجمهْ
ومـا إن رأى الراؤون أفضـلَ منهمُ لدى الموت سادات وزهر قمـاقمهْ
يُقَتِّلُهُمْ ظـلمــاً ويــرجــو وِدادنـــا فَـدَعْ خـطةً ليست لنـا بمـلائمــهْ
لعمـري لقـد راغمتمــونـا بقتلهم فكم نــاقمٍ منـا عليكم ونــاقمـهْ
أهمُّ مــراراً أن أسيــر بجحـفـلٍ إلى فئـة زاغت عن الحق ظـالمـهْ
فَـكُفُّــوا وإلا زدتـكم بـكـتــائـبٍ أشدَّ عليكم من زُحُوفِ الـديالمـهْ

وأقام ابن الحر بمنزله على شاطىء الفرات إلى أن مـات يزيـد ووقعت الفتنة فقال : ما أرى قرشياً ينصف[١] أين أبناء الحرائـر؟ فأتـاه كل خليـع ، ثم خرج إلى المدائن فلم يدع مالاً قدم به للسلطان إلا أخذ منـه عطاءه وعـطاء أصحابـه ويكتب لصاحب المال بذلك ، ثم جعل ينقص الكور[٢] على مثل ذلك إلا أنه لم يتعرض لمال أحد ولا ذمة ، فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وسمع ما يعمل في السواد فأخذ امرأته فحبسها فأقبل عبيدالله في أصحابه إلى الكـوفة فكسـر باب السجن وأخـرجها وأخرج كل امرأة فيه وقال في ذلك :

ألـم تعـلمـي يـــا أم تـــوبــةَ أنَّـنـي أنا الفارسُ الحـامي حقائقَ مـذحجِ
وأني صَبَحْتُ السجن في سورة الضحى بكـل فتى حـامي الـذمـار مـدجَّـجِ
فمـا إن برحنـا السجن حتى بدا لنـا جبينٌ كقـرنِ الشمس غير مُشَنَّـجِ[٣]
وخــدٌّ أسيـــل عن فـتــاة حبيـبــة إلينـا سقـاهــا كـل دان مُثَجَّــجِ[٤]
فـمـــا الـعـيش إلا أن أزورك آمـنـــاً كعـادتنـا من قبـل حـربي ومخـرجي
ومـا زلت محبوسـاً لحبسـك واجمـاً وإني بمـــا تلقين من بـعـــده شجـي

وهي طويلة .

---

(١) في الطبري «ما أرى قريشاً تنصف» .
(٢) في الطبري «يتقصى الكور» .
(٣) الشنج تقبض في الجلد .
(٤) كذا هنا وفي الطبري وهي غير مناسبة . قال في القاموس وطب مثجج لم يجتمع زبده اهـ . وهي غير لائقة وإنما اللائق أن يقال مثجثج بمعنى سائل الماء .

وجعل يعبث بعمال المختار وأصحابه فأحرقت بهمدان داره[١] ونهبوا ضيعته فسار عبيدالله إلى ضياع همدان فنهبها جميعها . وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من المال ثم يميل إلى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار ، وقيل : إنه بايع المختار بعد امتناع وأراد المختار أن يسطو به فامتنع لأجل إبراهيم بن الأشتر . ثم سار مع ابن الأشتر إلى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد أظهر المرض ، ثم فارق ابن الأشتر ، وأقبل في ثلاثمائة إلى الأنبار فأغار عليها وأخذ ما في بيت مالها ، فلما فعل ذلك أمر المختار بهدم داره وأخذ امرأته ففعل ما تقدم ذكره . وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله ، فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية : إنا لا نأمن أن يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال :

فمن مبلغ الفتيان أنَّ أخاهم ... أتى دونه باب شديدٌ وحاجبهْ
بمنزلةٍ ما كان يرضى بمثلها ... إذا قام عَنَّتْهُ كبولٌ تُجاذِبُهْ[٢]
على الساق فوق الكعب أسودُ صامتٌ ... شديدٌ يداني خطوَهُ ويقاربُهْ
وما كان ذا من عظم جرم جرمته[٣] ... ولكن سعى الساعي بما هو كاذبهْ
وقد كان في الأرض العريضة مسلكٌ ... وأيُّ امرىء ضاقت عليه مذاهبهْ؟
وقال : بأيِّ بلاء أم بأية نعمة ... تقدم قبلي مسلم والمهلبُ؟

يعني مسلم بن عمرو والد قتيبة ، والمهلب بن أبي صفرة ، وكلم عبيدالله قوماً من وجوه مذحج ليشفعوا له إلى مصعب وأرسل إلى فتيان مذحج وقال : البسوا السلاح واستروه فإن شفعهم مصعب فلا تعترضوا لأحد وإن خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فإني سأعينكم من داخل ، فلما شفع أولئك النفر فيه شفعهم مصعب وأطلقه فأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بمثل الخلفاء

(١) عبارة الطبري «ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره» وهي واضحة بخلاف ما هنا .
(٢) في الطبري «تجاوبه» .
(٣) في الطبري «جنيته» .

الماضين الأربعة ولم نر لهم فينا شبيهاً فنلقي إليه أزمتنا فإن كان من عزيز فعلام نعقد في أعناقنا بيعة وليسوا بأشجع منا لقاء ولا أعظم مناعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى » وكلهم عاصٍ مخالفٌ ، قوي الدنيا ضعيف الآخرة ، فَعَلامَ تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة ، والقادسية ، وجلولاء . ونهاوند نلقى الأسنة بنحورِنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف حقنا وفضلنا ؟ فقاتلوا عن حريمكم فإني قد قلبت لكم ظهر المجن وأظهرت لهم العداوة ولا قوة إلا بالله ، وخرج عن الكوفة وحاربهم وأغار فأرسل إليه مصعب سيف بن هانىء المرادي فعرض عليه خراج بادرويا وغيرها ويدخل في الطاعة فلم يجب إلى ذلك فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي فقاتله فهزمه عبيدالله وضربه على وجهه ، فبعث إليه أيضاً حريث بن يزيد فقتله عبيدالله ، فبعث إليه مصعب الحجاج بن جارية[1] الخثعمي ، ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما ، فأرسل إليه مصعب يدعوه إلى الأمان والصلة وأن يوليه أي بلد شاء فلم يقبل ، وأتى نرسي ففر دهقانها بمال الفلوجة فتبعه ابن الحر حتى مر بعين تمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فالتجأ إليهم الدهقان فخرجوا إلى عبيد الله فقاتلوه ، ووافاهم الحجاج بن جارية الخثعمي فحمل على عبيد الله فأسره عبيدالله وأسر أيضاً بسطام بن مصقلة وناساً كثيراً ، وبعث ناساً من أصحابه فأخذوا المال الذي مع الدهقان وأطلق الأسرى . ثم ان عبيدالله أتى تكريت فأقام يجبي الخراج فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي . والجون بن كعب الهمداني في ألف ، وأمدهم المهلب بيزيد بن المغفل في خمسمائة فقال لعبيد الله رجل من أصحابه : قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم فقال :

يخوِّفني بالقتلِ قومي وإنما ... أموتُ إذا جاء الكتاب المؤجَّلُ
لعلَّ القنا[2] تدلي بأطرافها الغنى ... فنجدي كراماً تجتدي ونؤمّلُ
ألم تر أن الفقرَ يُزْرِي بأهلِهِ ... وأنَّ الغنى فيه العلى والتجمُّلُ؟
وأنك إلّا تركبِ الهولَ لا تنلْ ... من المال ما يرضي الصديقَ ويفضلُ؟

وقاتلهم عبيدالله يومين وهو في ثلاثمائة ، ولما كان عند المساء تحاجزوا ، وخرج

---

(١) في الطبري «الحجاج بن حارثة».

(٢) في الطبري :

لعل القنا تدني بأطرافها الغنى ... فنحيا كراماً أو نكر فنقتل

عبيدالله من تكريت وقال لأصحابه : إني سائر بكم إلى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال : إني خائف أن أموت ولم أذعر مصعباً وأصحابه ، وسار نحو الكوفة فبلغ كسكر فأخذ بيت مالها ، ثم أتى الكوفة فنزل بحمام جرير فبعث إليه مصعب عمر بن عبيدالله بن معمر فقاتله فخرج إلى دير الأعور ، فبعث إليه مصعب حجار بن ابجر فانهزم حجار فشتمه مصعب ، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني ، وعمر بن عبيدالله بن معمر فقاتلوه بأجمعهم وكثرت الجراحات في عسكر عبيدالله بن الحر وعقرت خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أمسوا وخرج ابن الحر من الكوفة ، وكتب مصعب إلى يزيد بن الحرث بن رويم الشيباني وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحر فقدم ابنه حوشباً فلقيه بباجسرى فهزمه عبيدالله وقتل فيهم ، وأقبل ابن الحر إلى المدائن فتحصنوا منه فخرج عبيدالله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني . وبشر بن عبدالله الأسدي فنزل الجون بحَوْلايا وقدم بشر إلى تامَرّا[1] فلقي ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ، ثم لقي الجون بن كعب بحولايا فخرج إليه عبدالرحمن بن عبدالله فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ، وخرج إليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلي فقاتله بسوراء قتالاً شديداً فرجع عنه بشير وأقام ابن الحر بالسواد يغير ويجبي الخراج ، ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار إليه أكرمه وأجلسه معه على السرير وأعطاه مائة ألف درهم وأعطى أصحابه مالاً فقال له ابن الحر : لتوجه معي جنداً أقاتل بهم مصعباً فقال له : سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال فسار بأصحابه نحو الكوفة فنزل بقرية إلى جانب الأنبار فاستأذنه أصحابه في إتيان الكوفة فأذن لهم وأمرهم أن يخبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا إليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحرث بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه أن يرسل معهم جيشاً يقاتلون عبيدالله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق أصحابه فبعث معهم جيشاً كثيفاً فساروا فلقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه : نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا به فقال : ما كنت لأدعهم وحمل عليهم وهو يقول :

يا لكَ يوماً فاتَ فيه نهبي وغابَ عني نقتي وصحبي

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك، وأذن

---

(١) حولايا بفتح أوله وسكون ثانيه ـ ، وتامرا بتشديد الراء المفتوحة وقبلها فتحة .

لأصحابه في الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد ، وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية فطعنه وجعلوا يرمونه ويكتبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول : أهذه نبل أم مغازل فلما اثخنته الجراح حاص إلى معبر هناك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات فأشرفت عليه الخيل وكان معه في السفينة نبط فقالوا لهم : إن في السفينة طليبة[1] أمير المؤمنين فإن فاتكم قتلناكم ، فوثب ابن الحر ليرمي نفسه في الماء فوثب إليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجري دماً وضربه الباقون بالمجاذيف فلما رأى أنه يقصد به نحو القيسية قبض على الذي معه وألقى نفسه معه في الماء فغرقا ، وقيل في قتله : إنه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره فكتب إلى عبدالله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها مصعباً ويخوفه مسيره إلى ابن مروان يقول فيها :

أبلغ أميرَ المؤمنين رسالةً ... فلستُ على رأيٍ قبيحٍ أواربُهْ
أفي الحق أن أُجْفَى ويجعلَ مصعبٌ ... وزيراً له[2] من كنت فيه أحاربُهْ
فكيف وقد آتيتكم[3] حقَّ بيعتي ... وحقي يلوى عندكم وأطالبُهْ
وأبليتكم ما لا يُضَيَّعُ مثلُهُ ... وآسيتكم والأمرُ صعبٌ مراتبُهْ
فلما استنار الملك وانقادت العدى ... وأدرك من ملك[4] العراق رغائبُهْ
جفا مصعب عني ولو كان غيره ... لأصبحَ فيما بيننا لا أعاتبُهْ
لقد رابني من مصعب أن مصعباً ... أرى كل ذي غشٍّ لنا هو صاحبُهْ
وما أنا إن خليتموني[5] بواردٍ ... على كدر قد غصَّ بالماء شاربه[6]
وما لامرىء إلا الذي اللَّهُ سائقٌ ... إليه وما قد خطّ في الزّبْرِ كاتبُهْ
إذا قمتُ عند الباب أدخل مسلماً[7] ... فيمنعني أن أدخل البابَ حاجبُهْ

---

(١) في الطبري «طلبة».
(٢) في الطبري «وزيريه».
(٣) في الطبري «ابليتكم».
(٤) في الطبري «من مال».
(٥) في الطبري «حلأتموني»، حلأه عن الماء إذا رده عنه ومنعه إياه.
(٦) في الطبري «قد خص بالصفو شاربه».
(٧) في الطبري «أدخل مسلم ويمنعني» وادخل مبنى للمفعول ومسلم نائب الفاعل وهي أظهر.

فحبسه مصعب وله معه معاتبات من الحبس ، ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها :

ألم تــر قيســاً قيس عيــلان بـرقعت لحـاهـا وبـاعت نبلَهـا بـالمغـازلِ ؟

فأرسل زفر بن الحرث الكلائي إلى مصعب : إني قد كفيتك قتال ابن الزرقاء ـ يعني عبد الملك بن مروان ـ وابن الحر يهجو قيساً ، ثم إن نفراً من بني سليم أسروا ابن الحر فقال : إنما قلت :

ألم تـر قيسـاً قيسَ عيـلان أقبلتْ وسارت إلينا في القنـا والقبائـل؟

فقتله رجل منهم يقال له عياش .

ذكر عدة حوادث

قيل في هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية : لواء لابن الحنفية وأصحابه . ولواء لابن الزبير وأصحابه ، ولواء لبني أمية ، ولواء لنجدة الحروري ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة[1] ، وكان أصحاب ابن الحنفية أسلم الجماعة، وكـان العامل لابن الـزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الأسود بن عوف الزهري ، وعلى البصرة ، والكوفة مصعب أخوه ، وعلى قضاء الكوفة عبدالله بن عتبة بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبدالله بن خازم ، وكان عبدالملك بن مروان بالشام مشـاققاً لابن الزبير.

ومات عبدالله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره أربع وسبعون سنـة ، وقيل غير ذلك . وفيها مـات عدي بن حـاتم الطائي ، وقيـل : سنة ست وستين وعمـره مائـة وعشرون سنة ، ومات أبو واقد الليثي واسمه الحرث بن مالك . وفيها توفي أبو شريح الخـزاعي واسمه خـويلد بن عمرو وهـو الكعبي . (شريـح) بالشين المعجمـة وعبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة . وقيل : انه ولد زمن النبي ﷺ . (حاطب) بالحاء المهملة و (بلتعة) بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات .

---

(١) قال ابن جرير الطبري : فكان أول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية ثم تبعه نجدة ثم لواء بني أمية ثم لواء ابن الزبير وتبعه الناس .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ذكر قتل عمرو بن سعيد الأشدق

في هذه السنة خالف عمرو بن سعيد بن العاص عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله ، وقيل : كانت هذه الحادثة سنة سبعين . وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان أقام بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ما شاء الله أن يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلائي ، وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطنان حبيب[1] رجع عمرو ليلاً ومعه حميد بن حريث الكلبي : وزهير بن الأبرد الكلبي فأتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك . فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنة[2]، وهدم دار ابن أم الحكم وجمع [3] الناس إليه فخطبهم ومناهم ووعدهم ، وأصبح عبد الملك وقد فقد عمراً فسأل عنه فأخبر خبره فرجع إلى دمشق فقاتله أياماً ، وكان عمرو إذا أخرج حميد بن حريث على الخيل أخرج إليه عبد الملك سفيـان بن الأبرد الكلبي ، وإذا أخرج عمرو زهير بن الأبرد أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل . ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً وأمنه عبد الملك فخرج عمرو في الخيل إلى عبد الملك فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس ، فلما كان بعد دخول عبد الملك بأربعة أيام أرسل إلى عمرو أن ائتني . وقد كان عبد الملك استشار

---

(١) بطنان حبيب ـ بضم الباء الموحدة أوله وسكون ثانيه كان مشتى عبد الملك ، وحبيب نسبة إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وفي الأصل «بطنان حلب» وهو تخريف .

(٢) في الطبري « على خزائنها» .

(٣) في الطبري «واجتمع الناس » .

كريب بن أبرهة الحميري في قتل عمرو فقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، في مثل هذا هلكت حمير . فلما أتى الرسول عمراً يدعوه صادف عنده عبدالله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو : يا أبا أمية أنت أحب إلي من سمعي ومن بصري وأرى لك أن لا تأتيه فقال عمرو : لم؟ قال : لأن تبيعاً ابن امرأة كعب الأحبار قال : إن عظيماً من ولد اسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل ، فقال عمرو: والله لو كنت نائما ما أنبهني ابن الزرقاء ولا اجترأ علي ، أما إني رأيت عثمان البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وكان عبدالله بن يزيد زوج ابنة عمرو . ثم قال عمرو للرسول : أنا رائح العشية ، فلما كان العشاء لبس عمرو درعاً ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبي . فلما نهض متوجهاً عثر بالبساط فقال له حميد : والله لو أطعتني لم تأته . وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم يلتفت . ومضى في مائة من مواليه ـ وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان ـ فلما بلغ الباب أذن له فدخل فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قاعة الدار وما معه إلا وصيف له فنظر عمرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان، وحسان بن بحدل الكلبي ، وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت إلى وصيفه وقال : انطلق إلى أخي يحيى فقل له : يأتيني فلم يفهم الوصيف فقال له : لبيك، فقال عمرو : أعزب عني في حرق الله وناره . وأذن عبد الملك لحسان ، وقبيصة فقاما فلقيا عمراً في الدار فقال عمرو لوصيفه : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني فقال : لبيك فقال عمرو : اعزب عني ، فلما خرج حسان ، وقبيصة أغلقت الأبواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال : ههنا ههنا يا أبا أمية فأجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلاً ثم قال : يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك : أتطمع أن تجلس معي متقلداً بسيفك ؟فأخذ السيف عنه ثم تحدثا ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية إنك حيث خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجعلك في جامعة، فقال له بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ، فقال بنو مروان : أبر قسم أمير المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج من تحت فراشه جامعة وقال : يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو : اذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس فقال عبد الملك : أمكراً يا أبا أمية عند الموت ؟ لا والله ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس، ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ، فقال عمرو : أذكرك الله

يا أمير المؤمنين كسر عظم مني فلا تركب ما هو أعظم من ذلك ، فقال له عبد الملك : والله لو أعلم أنك تبقي علي إذا أبقيت عليك وتصلح قريش لأطلقتك ، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، فلما رأى عمرو أنه يريد قتله قال : أغدراً يا ابن الزرقاء ؟ ، وقيل : إن عمراً لما سقطت ثنيتاه جعل يمسهما فقال عبد الملك : يا عمرو أرى ثنيتيك قد وقعتا منك موقعاً لا تطيب نفسك لي بعدها ، وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله ؛ فقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو : أذكرك الله والرحم أن تلي قتلي ليقتلني من هو أبعد رحماً منك فألقى السيف وجلس ، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الأبواب ، ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد ، فأقبل في الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من أصحابه كثير ، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، فأقبل مع يحيى حميد بن حريث ، وزهير بن الأبرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف ، وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس ، ودخل عبدالملك حين صلى فرأى عمراً بالحياة فقال لعبد العزيز : ما منعك أن تقتله ؟ فقال : إنه ناشدني الله والرحم فرفقت له ، فقال له : أخزى الله أمك البوالة على عقبها فإنك لم تشبه غيرها ، ثم أخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمراً فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال : ودرع أيضاً إن كنت لمعداً فأخذ الصمصامة وأمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يا عمرو إنْ لا تَدَعْ شتمي ومنقصتي   أضْرِبْكَ حتى تقـول الهامـةُ اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال : ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ، ودخل يحيى ومن معه على بني مروان ومن كان من مواليهم فقاتلوا يحيى ، وأصحابه ، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فدفع إليه الرأس فألقاه إلى الناس ، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذ المال في البدر فجعل يلقيها إلى الناس ، فلما رأى الناس الرأس والأموال تفرقوا وانتهبوا ، ثم أمر عبد الملك بتلك الأموال فجبيت حتى عادت إلى بيت المال ، وقيل : إن عبد الملك إنما أمر بقتل عمرو حين خرج إلى الصلاة غلامه ابن الزعيرية[١] فقتله وألقى رأسه إلى

---

(١) في الطبري «غلامه أبا الزعيزعة» .

الناس ورمى يحيى بصخرة في رأسه ، وأخرج عبد الملك سريره إلى المسجد ، وخرج وجلس عليه ، وفقد الوليد ابنه فقال : والله لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عربي الكناني فقال : الوليد عندي . وقد جرح وليس عليه بأس ، وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد ، وأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان فقال : جعلت فداك يا أمير المؤمنين أتراك قاتلاً بني أمية في يوم واحد ؟ فأمر بيحيى فحبس ، وأراد قتل عنبسة بن سعيد ، فشفع فيه عبد العزيز أيضاً وأراد قتل عامر بن الأسود الكلبي ، فشفع فيه عبد العزيز ، وأمر ببني عمرو بن سعيد فحبسوا ، ثم أخرجهم مع عمهم يحيى ، فألحقهم بمصعب بن الزبير ، ثم بعث عبد الملك إلى امرأة عمرو الكلبية : ابعثي إليّ كتاب الصلح الذي كتبته لعمرو . فقالت لرسوله : ارجع فأعلمه أن ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك عند ربه . وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان في النسب في أمية ، هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وذاك عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكانت أم عمرو أم البنين بنت الحكم عمة عبد الملك فلما قتل عبد الملك مصعباً واجتمع الناس عليه دخل أولاد عمرو على عبد الملك وهم أربعة : أمية، وسعيد، واسماعيل، ومحمد . فلما نظر إليهم قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً ولكن كان قديماً في أنفس أوليائكم على أوليائنا[1] في الجاهلية فأقطع بأمية ـ وكان أكبرهم ـ فلم يقدر أن يتكلم . فقام سعيد بن عمرو ـ وكان الأوسط ـ فقال : يا أمير المؤمنين ما تبغي[2] علينا أمراً كان في الجاهلية وقد جاء الله بالإسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر ناراً . وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإنه كان ابن عمك وأنت أعلم بما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله وكفى بالله حسيباً ، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها . فرقّ لهم عبد الملك وقال : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم ، وأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقربهم . وقيل : إن خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم : عجبت كيف أصبت غرة عمرو ؟ فقال عبد الملك :

---

(١) في الطبري «في أنفس أوليكم على أولينا» .

(٢) في الطبري «ما تنعي» .

أدنيتـه مـني لـيسكـنَ رَوْعُـهُ   وأصولَ[١] صولة حازم متمكِّنِ[٢]
غضبـاً ومحميـة لـديني إنـه   ليس المسيء سبيلُهُ كـالمحسِنِ

وقيل : إنما خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب ، فقال له عمرو : إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك جعل لي هذا الأمر بعده ، وعلى ذلك قاتلت معه ، فاجعل هذا الأمر لي بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق ، وكان من قتله ما تقدم .

وقيل : بل كان عبد الملك قد استخلف عمراً على دمشق ، فخالفه وتحصن بها ، والله أعلم .

ولما سمع عبدالله بن الزبير بقتل عمرو قال : ان ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[٣] وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال : ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾[٤] يرفع لـه يوم القيـامة لـواء على قدر غدرته .

ذكر عصيان الجراجمة بالشام

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضاً قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام ، واتبعه خلق كثير من الجراجمة ، والأنبـاط ، وأباق عبيد المسلمين ، وغيرهم ، ثم سار إلى البنان . فلما فرغ عبد الملك من عمرو أرسل إلى هذا الخارج عليه ، فبذل له كل جمعة ألف دينار ، فركن إلى ذلك ولم يفسد في البلاد ؛ ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهـاجر ، فتلطف حتى وصـل إليه متنكـراً ، فأظهـر له ممالأته ، وذم عبد الملك وشتمه ، ووعده أن يدله على عوراته وما هـو خير لـه من الصلح ، فوثق إليه . ثم إن سحيماً عطف عليه وعلى أصحابه وهم غارُّون غـافلون بجيش مع موالي عبد الملك ، وبني أمية ، وجند من ثقات جنـده وشجعانهم كـان أعدهم بمكان خفيّ قريب، وأمر فنودي من أتانا من العبيد ـ يعني الذين كانوا معه ـ

(١) في الطبري : فأصول .
(٢) في الطبري : مستمكن .
(٣) سورة الأنعام ١٢٩ .
(٤) سورة الفتح ١٠ .

فهـو حر ويثبت في الـديوان فـانقضّ إليه كثيـر منهم، فكانـوا ممن قاتـل معه فقتـل الخارج ، ومن أعانه من الروم ، وقتل نفر من الجراجمة والأنباط ، ونادى المنـادي بالأمان فيمن بقي منهم ، فتفرقوا في قراهم ، وسد الخلل ، وعاد إلى عبد الملك ، ووفى للعبيد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قتل زهير بن قيس أمير أفريقيـة ، وقد ذكـرنا ذلـك سنة اثنتين وستين .

وفيها حكم رجل من الخوارج بمنى وسل سيفه ، وكانوا جماعة ، فأمسك الله أيديهم ، فقتل ذلك الرجل عند الجمرة .

وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير . وكان على البصرة والكوفة له أخوه مصعب ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيـرة ، وعلى خراسان عبدالله بن خازم .

وفيها توفي أبو الأسود الدؤلي ، وله خمس وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة سبعين

في هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام ، فصالح عبد الملك ملكهم على أن يؤدي إليه كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين ، وفيها شَخَصَ مُصعب إلى مكة ـ في قول بعضهم ـ ومعه أموال كثيرة، ودوابّ كثيرة قسّمها في قومه وغيرهم ، ونهض فَنَحَرَ بدناً كثيرة ، وحجّ بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم .

ذكر يوم الجُفْرة[1]

وفي هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعباً فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسَيْد : إنْ وجهتني إلى البصرة وأتبعتني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها ، فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفياً في خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع ؛ وقيل : نزل على علي بن أصمع الباهلي ، فأرسل عمرو إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر ـ وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ـ ورجا ابن أصمع أن يبايعه عبّاد بن الحصين وقال له : إني قد أجرتُ خالداً وأحببت أن تعلم ذلك لتكون ظهراً لي . فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عبّاد : قلْ له : والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل . فقال ابن أصمع لخالد : إن عباداً يأتينا الساعة ، ولا أقدر أن أمنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع . فخرج خالد يركض وقد أخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكاً فقال : أجرني ، فأجاره ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد فكان أول راية أتته راية بني يَشْكر . وأقبل عبّاد في الخيل فتواقفوا ، ولم

---

(١) بضم أوله وسكون ثانيه ، آخره هاء ، موضع بالبصرة .

يكن بينهم قتال . فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن بشر، ومُرّة بن محكان ، وغيرهم ، وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة وأصحاب ابن معمر زبيرية ، وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبي بكرة ، وحمران بن أبان ، والمغيرة بني المهلب، ومن الزُّبَيْرِيّة قيس بن الهيثم السلميّ ، ووجه مصعب زُحَر بن قيس الجعفي مدداً لابن معمر في ألف ، ووجه عبد الملكْ عُبيد الله بن زياد بن ظبيان مدداً لخالد . فأرسل عبيد الله إلى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد إليه فأخبره بتفرق القـوم، فرجـع إلى عبد الملك، فاقتتلوا أربعة وعشرين يوماً ، وأصيبت عين مالك بن مِسْمَع ، وضَجِر من الحرب ، ومشت بينهم السفراء ، فاصطلحوا على أن يخرج خالد من البصرة ، فأخرجه مالك ، ثم لحق مالك بالنباج[(١)] ـ وكان عبدُ الملك قد رجع إلى دمشق ـ فلم يكن لمصعب هِمّة إلا البصرة ، وطمع أن يُدرك بها خالداً فوجده قد خرج ، فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبَّهم ، فقال لعبيد الله بن أبي بكرة : يا ابن مسروح إنما أنت ابن كلبة تعاورَها الكلاب فجاءت بأحمر، وأصفر، وأسود من كل كلب بما يشبهه . وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف ثم ادّعيتم أن أبا سفيان زنى بأمكم ، ووالله لئن بقيتُ لألحقنكم بنسبكم . ثم دعا حمران فقال له : إنما أنت ابن يهودية عِلْج نبطيّ سبيت من عين التمر . وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ، ولعبد الله بن فُضالة الزهراني ، ولعلي بن اصمع ، ولعبد العزيز بن بشر ، وغيرهم ، نحو هذا من التوبيخ والتقريع ، وضربهم مائة مائة ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وهدم دورهم، وصحرهم في الشمس ثلاثاً، وحملهم على طلاق نسائهم وجنّ أولادهم في البيوت[(٢)] وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر ، وهدم دار مالك بن مسمع وأخذ ما فيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب[(٣)] ، وأقام مُصعب بالبصرة ، ثم شخص إلى الكوفة ، فلم يزل بها حتى خرج إلى حرب عبـد الملك بن مروان .

---

(١) النباج بكسر أوله وآخره جيم ، في بلاد العرب نباجان : أحدهما ، على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر ، وهو بحذاء فيد ، والآخر نباج بني سعد بالقريتين ، وفي الطبري « ثأج » وهو الصواب .

(٢) في الطبري « وجمر أولادهم في البعوث » والتجمير أن يبقيهم في الجيش بعيداً عن أهليهم مدة طويلة .

(٣) في الطبري « عمر بن مصعب» بدون واو .

(المُغِيرَة) بضمّ الميم وبالغين والراء و(خالد بن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين ؛ و(الجُفْرَة) بضم الجيم وسكون الفاء .

وفي هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو جدّ عمر بن عبد العزيز لأمه ، وولد قبل موت النبي ﷺ بسنتين .

ذكر مَقْتل عُمَيْر بن الحبّاب بن جَعْدة السلميّ

في هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جَعْدَة السلميّ ، ونحنُ نذكر سببَ الحرب بين قيسٍ وتغلب حتى آل الأمر إلى قتل عمير ، وكان سبب ذلك أنه لما انقضى أمرُ مَرْجِ راهط وسار زفَرُ بنُ الحرثِ الكلائي[1] إلى قَرْقِيسيا على ما ذكرناه ، وبايع عميرٌ مروانَ بن الحكم وفي نفسه ما فيها بسبب قَتْلِ قيسٍ بالمرج . فلما سيّر مروان بن الحكم عبيدالله بن زياد إلى الجزيرة والعراق كان عميرٌ مَعه فَلَقوا سليمانَ بن صُرَد بعين الوردة وسار عبيد الله إلى قرقيسيا لقتال زُفَر فَثَبطَهُ عُمَيْرٌ وأشارَ عليه بالمسير إلى الموصل قبلَ وُصُولِ جيش المختار إليها ، فسار إليها ولقي إبراهيم بن الأشتر بالخازِر ، فمالَ عميرٌ معه ، فانهزم جيشُ عبيد الله ، وقتل هو ، فأتى عُمَيْرٌ قرقيسيا ، وصار مع زفر، فعجلا يطلبان كلباً واليمانية بمن قُتلوا من قيس ، وكان مَعَهُما قومٌ من تغلب يقاتلون معهما ويدلونهما ، وشغل عبد الملك عنهما بمصعب ، وتغلب عُمَيْرٌ على نَصِيبين .

ثم إنه ملّ المقامَ بقرقيسيا فاستأمن إلى عبد الملك فآمنه ، ثم غدر به فحبسه عند مولاه الريّان ، فسقاه عُمَيْرٌ ومن معه من الحرس خمراً حتى أسكرهم ، وتسلق في السُّلّم من حبال ، وخرج من الحبس ، وعاد إلى الجزيرة ، ونزل على نهر البليخ بين حَرَّان والرقّة فاجتمعت إليه قَيْسٌ فكان يُغِيرُ بهم على كَلْب ، واليمانية ، وكان مَنْ معه يستأوون جواري تَغْلِب وَيُسَخِّرُونَ مشايِخَهُمْ من النصارى ، فهاج ذلك بينهم شراً لم يبلغ الحرب ، وذلك قَبْلَ مسير عبد الملك إلى مصعب ، وزفر ، ثم إن عُميراً أغارَ على كَلْبٍ ثُمّ رجعَ فنزلَ على الخابور ، وكانت منازلُ تغلب بين الخابور ، والفرات ، ودجلة ، وكانت بحيث نَزَلَ عُمَيْر امرأة من تميم ناكحة في تغلب يقال لها أم دُوَيْل فأخذ

---

(١) في الطبري « الكلابي » وسيتكرر ذكره .

غلامٌ من بني الحريش أصحاب عُمَيْر عيراً مِنْ غَنَمِها، فشَكَتْ إلى عُمير ، فلم يمنع عنها ، فأخذوا الباقي ، فمانعهم قوم من تغلب ، فَقُتِلَ رجلٌ منهم يقال له مجاشع التغلبي ، وجاء دُوَيْل فشكت أمه إليه ، وكان فارساً من فرسان تغلب ، فسارَ في قومه ، وجعل يُذَكِّرهُمْ ما تصنعُ بهم قيسُ ، ويشكو إليهم ما أُخِذَ من غنم أمِّه ، فاجتمعَ منهم جماعةٌ وأمَّرُوا عليهم شُعَيْث بن مليك التغلبي ، وأغاروا على بني الحريش ومعهم قومٌ من نُمَيْر فَقَتَل فيهم التغلبيون واستاقوا ذَوْداً لامرأةٍ منهم يقال لها أمُّ الهيثم ، فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم ، فقال الأخطل :

فإن تسألونا بالحَرِيشِ فإنّنا ... مُنينا بنوكٍ مِنْهُمُ وَفُجُورِ
غداةَ تحامتنا الحرِيشُ كأنها ... كلابٌ بَدَتْ أنيابُها لهريرِ
وجاؤوا بجمعٍ ناصري أمِّ هيثمٍ ... فما رجعوا من ذَوْدِها بِبَعيرِ

يوم ماكسين[1]

ولما استحكم الشرُّ بين قيس، وتغلب ، وعلى قيس عُمَيْرٌ وعلى تغلب شُعَيْثٌ غزا عميرٌ بني تغلب وجماعتهم بماكِسين من الخابور فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وهي أول وقعة لهم ، فَقُتِلَ من بني تغلب خمسمائة ، وقُتِلَ شُعَيْثٌ ، وكانت رجله قُطِعَتْ فَقَاتَلَ حتى قُتِلَ وهو يقول :

قد عَلِمَتْ قيسٌ ونحنُ نَعْلَمُ ... أنَّ الفتى يُقْتَلُ وهو أجْذَمُ

يوم الثرثار الأول

والثرثار[2] نهر أصلُ منبعِه شرقي مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها سرق ، ويفرغ في دجلة بين الكحيل ورأس الابل من عمل الفرج ، لما قُتِلَ بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب وحشدت واجتمعت اليها النَّمِرُ بن قاسط وأتاها المُشَجَّرُ بن الحرث الشيباني وكان من ساداتهم بالجزيرة وأتاها عُبَيْدُ الله بن زياد بن ظبيان منجداً لهم على قيس فلذلك حقد عليه مُصعب بن الزبير حتى قتل أخاه النابي بن زياد ، واستنجد عميرٌ

---

(١) بكسر الكاف بلد بالخابور .

(٢) وادٍ عظيم بالجزيرة ، يصب في دجلة أسفل تكريت .

تميماً ، وأسداً فلم ينجده منهم أحد ، فالتقوا على الثرثار وقد جعلت تغلبُ عليها بعد شُعَيْثٍ زياد بن هَوْبَر ويقال يزيد بن هوبر التغلبي ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت قيس وقَتَلَتْ تغلبُ ومن معها منهم مقتلة عظيمة، وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سليم .

وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية ، وقيل : هي للأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ومارس جيش وسما ناقعا
والخيل لا تحمل إلا دارعا والبيض في أيماننا قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا وحنطة طيسا وكرما يانعا

يوم الثرثار الثاني

ثم إن قيساً تجمعت واستمدت واستعدت وعليها عُمَيْرُ بن الحباب وأتاهم زُفَرُ بن الحرث من قرقيسيا، وكان رئيس بني تغلب ، والنمر ، ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا أشدَّ قتال اقتتله الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مُجَنَّبة قيس ، وصبرت سليمُ وأعصرت حتى انهزمت تغلب ، ومن معها ، وقتل ابنا عبد يشوع ، وغيرهما من أشراف تغلب فقال عُمَيْرُ بن الحباب :

فدا لفوارس الثرثار نفسي وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فأجلت وحولي من ربيعة كالجبال
أكافحهم بِدُهم من سليم وأعصر كالمصاعيب النهال

وقال زُفَرْ بن الحرث :

ألا من مبلغ عني عُمَيْراً رسالة ناصح وعليه زاري
أنترك حيَّ ذي يمن وكلبا ونجعل جدنا بك في نِزار
كمعتمد على احدى يديه فخانته بوهن وانكسار

يوم الفُدَيْن(١)

وأغار عُمَيْرُ بن الحباب على الفُدَيْنِ وهي قرية على الخابور وقتل من بها من بني تغلب فهزمهم فقال نُفَيْع بن صفار المحاربي :

---

(١) فُدَيْن بالتصغير هو ما بين ماكسين وقرقيسيا .

لـو تسـأل الأرض الفضـاء عليكم شهـد الفـدين بهلككم والصـور

والصور قرية من الفُدَيْنِ .

يوم السُّكَيْر[١]

وهو على الخابور ويسمى سكير العباس ، ثم اجتمعوا والتقوا بالسكيـر وعلى قيس عُمَيْر بن الحباب وعلى تغلب والنَّمِرِ يزيد بن هَوْبر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت تغلب ، والنَّمِر ، وهرب عمير بن جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب :

وأفلتنـا يـوم السكيـر ابن جنـدل على سـابـح عـوج اللبـان مشابـر
ونحن كررنا الخيـل قدمـاً شواذبـا دقـاق الهـوادي داميـات الـدوائـر

وقال ابن صفار

صبّحنـاكـم بهِن على سكيـر ولاقيتـم هنـاك الأقـوريـنـا

يوم المعارك

والمعارك بين الحضر والعتيق من أرض الموصل ، اجتمعت تَغلبُ بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب ، وقال ابن صفار :

ولقـد تـركنـا بـالمعـاركِ منكم والحضـر والثرثـار اجساداً جثـا

فيقال : ان يوم المعارك والحضر واحد ، هزموهم إلى الحضر وقتلوا منهم بشراً كثيراً ، وقال بعضهم : هما يومان كانا لقيس والله أعلم ، والتقوا أيضاً بِلبىً[٢] فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا فقيس تقول : كان الفضل لنا ، وتغلب تقول : كان الفضل لنا .

يوم الشرعبية

ثم التقوا بالشرعَبية وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر

---

(١) تصغير السكر .
(٢) بكسر أوله وبالتنوين .

فكان بينهم قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمي وكان لتغلب على قيس ، قال الأخطل :

ولقد بكى الجحّافُ لما أوْقَعَتْ بـالشَّرْعَبِيَّـة إذْ رأى الأهـوالا[١]

يعني أوقعت الخيل ، والشّرعبيَّة من بلاد تَغْلِب ، والشرعبية أيضاً ببلاد مَنْبِجَ فبعضهم يقول : إن هذه الوقعة كانت ببلاد مَنْبجَ وذلك خطأ .

يَوْمُ البُلَيْخ

واجتمعت تغلب ، وسارت إلى البليخ ، وهناك عُمَيْرٌ في قيس ، والبليخ نهر بَيْنَ حَرَّان والرقّة ، فالتقوْا وانهزمت تغلب ، وكثر القتل فيها ، وبقرت بطون النساء ، كما فعلوا يوم الثرثار ، فقال ابن صفار :

زُرْقُ الـرماحِ وَوَقْـعُ كلِّ مهنـدٍ زَلْـزَلْنَ قلبـك بـالبليـخ فـزالا

يوم الحَشَّاك[٢] ومقتل عُمَيْرٍ بن الحباب السّلميّ وابن هوبر التغلبي

لما رأتْ تغلب إلحاح عمير بن الحباب عليها جمعت حاضرتها وباديتها ، وساروا إلى الحَشَّاك ، وهُوَ تلٌّ قريبٌ من الشرعَبية ، وإلى جنبه بُراق ، وَدَلَفَ إليه عُمير في قيس ، ومعه زُفَرُ بن الحرث الكلائي[٣] وابنه الهذَيْلُ بن زُفَر ، وعلى تغلب ابن هوبر ، واقتتلوا عند تلّ الحَشَّاك أشدّ قتال وأبرحه حتى جنَّ عليهم الليل ، ثم تفرقوا ، واقتتلوا من الغد إلى الليل ثم تحاجزوا ، وأصبحت تغلب في اليـوم الثالث فتعـاقدوا أن لا يفروا ، فلما رأى عُمَيْرٌ جِدَّهم وأن نساءهم معهم قال لقيس : « يا قوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنهم مستقتلون ، فإذا اطمأنوا وساروا إلى سرحهم وَجَّهْنا إلى كلّ قوم منهم من يغير عليهم » ، فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النُّعمان الباهلي : « قتلت فرسان قيس أمسِ وأولَ أمسٍ ثم ملى سَحْرَكَ وَجَبُنْتَ، ويقال: إن عُيَيْنَةَ بن أسماء بن

---

(١) وذكر البيت في معجم البلدان ببعض تغيير :

ولـقـد بكـى الجحـاف فيمـا أوقـعت بـالـشـرعـبـيـة اذ رأى أطـفـالا

(٢) الحشَّاك بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره كاف .

(٣) في الطبري « الكلابيّ » .

خارجة الفَزَاري قال له ذلك ـ وكان أتاه منجداً ـ فغضب عُمَيْرٌ وقال : كأني بك وقد حمي الوغى أوّل فارّ ، فنزل عُمير وجعل يقاتل راجلاً[١] وهو يقول :

أنــا عُـميــر وأبــو الـمُـغَـلِّس   قد أحبس القوم بضَنك فأحْبِسِ

وانهزمَ زُفَرٌ يومئذٍ ، وهو اليوم الثالث ، فلحق بقَرْقيسيا ، وذلك أنه بلغه أن عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة إليه بقرقيسيا فبادر للتأهب، وقيل : إنه ادّعى ذلك حين فرّ اعتذاراً ، وانهزمت قيس ، وركبت تغلب ومن معها أكتافهم ، وهم يقولون : أما تعلمون أن تغلبَ تغلِبُ ، وشد على عُمَيْرٍ جميلُ بن قيس من بني كَعْب بن زُهَيْر فقتله ، وقيل : بل تقاوىٰ على عمير غلامان من بني تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيياه فأثخناه ، وكرّ عليه ابن هوبر فقتله ، وأصابت ابن هوبر يومئذٍ جراحة ، فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب بأن يُوَلّوا أمرهم مراد بن عَلْقَمَة الزُّهيريّ ، وقيل : خرج ابن هوبر في اليوم الثاني من أيامهم هذه الثلاثة وأوصى أنهم يولّون أمرَهم مراداً ومات من ليلته ، وكان مراد رئيسهم في اليوم الثالث ، فعبأهم على راياتهم، وأمر كل بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم ، فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره ، قال الشاعر :

أرِقْتُ بـأثنـاء الفــراتِ وشفَّنِي   نــوائحُ أبكـاها قتيـلُ ابن هوبـر
ولم تظلمي أن نحت أمَّ مُغَلِّسٍ   قتيل النصارى في نوائحَ حُسَّرِ

وقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميراً :

وإن عميــراً يـومَ لاقتــه تغلبُ   قتيلُ جميلٍ لا قتيل ابن هوبـرِ

وكثر القتل يومئذ في بني سليم ، وغنيّ خاصة ، وقتل من قيس أيضاً يومئذ بشر كثير ، وبعثت بنو تغلب رأس عُمَيْـر بن الحباب إلى عبـد الملك بن مروان بـدمشق فأعطى الوفد وكساهم، فلما صالح عبد الملك زُفَر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الأخطل :

بني أميــةَ قــد نــاضلتُ دُونَـكُمُ   أبنــاءَ قومٍ هم آوَوْا وَهُمْ نَصَــرُوا
وقيسَ عَيْــلانَ حتى أقبلوا رقصــاً   فبـايعوا لـك قسراً بعـد مـا قهـروا

---

(١) في الأصل « يقاتل رجلاً » .

ضَجُّوا من الحرب إذ عَضَّتْ غوارِبَهُمْ ... وقيسُ عيلان من أخلافها ضَجروا

في أبيات كثيرة ، فلما قُتِلَ عُمير بن الحباب وقف رجلٌ على أسماء بن خارجة الفزاري بالكوفة ، فقال: قَتلتْ بنو تغلب عُمير بن الحباب ، فقال : لا بأس إنما قتل الرجل في ديار القوم مقبلاً غيرَ مدبر ، ثم قال:

يــدي رهــن على سـليم بـغــارة ... تشيب لهـا أصداغ بكـر بن وائـلِ
وتتــرك أولادَ الفــدوكس عــالــةً ... يتـامى أيـامى نهـزة للقبــائـلِ

يوم الكحيل

وَهُوَ مِنْ أرضِ المَوْصِلِ في جانب دجلة الغربيّ ، وسببه أنه لما قُتِلَ عُمير بن الحباب السلميّ أتى تميم بن عُمير زفر بن الحرث فسأله أن يطلب له بثأره ، فامتنع ، فقال الهذيل بن زفر لأبيه : والله لئن ظفرت بهم تغلب إن ذلك لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا بتغلب وقـد خذلتهم إن ذلـك لأشدُّ ، فـاستخلف زُفَر على قـرقيسيـا أخـاه أوس بن الحرث ، وعزم على أن يغير على بني تغلب ويغزوهم ، فوجه خيلاً إلى بني فدوكس ـ بطن من تغلب ـ فَقُتِلَ رجالُهُمْ واستبيحتْ أموالهم ونساؤهم حتى لم يبقَ غيرُ امرأة واحدة استجارت فأجارها يزيد بن حمران ، ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل في جيش إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث زفر أيضاً مسلم بن ربيعة العقيلي إلى قوم تغلب مجتمعين فأكثر فيهم القتل ، ثم قصد زُفَر لبني تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل ، فلما أحسّتْ به ارتحلت تريد عُبُورَ دجلة ، فلما صارت بالكحيـل لحقهم زفر في القيسية فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجّل أصحابُ زُفَر أجمعون ، وبقي زُفَر على بغلٍ له ، فقتلوهم ليلتهم ، وبَقَرُوا بطون نساء منهم ، وغَرِقَ في دجلة أكثر ممن قُتِلَ بالسيف ، فأتى فلّهم لِبّى فوجه زُفَر ابنه الهذيل فأوقع بهم إلا من عبر فنجا ، وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صَبْراً ، فقال زفر:

ألا يــا عينُ بَكّي بــانسكــابِ ... وبكّي عـاصمـاً وابن الحبــابِ
فــإن تـك تغلبُ قتلت عُمَيــرا ... ورهــطاً من غَنِيٍّ في الحـرابِ
فقــد أفنى بني جُشَمِ بن بَكْـرٍ ... ونمــرهم فـوارسُ من كــلابِ
قَتَلْنــا منهـمُ مــائتينِ صَبْـراً ... ومـا عدلـوا عُمَيرَ بن الحبابِ

وقال ابنُ صفّار المحاربيّ :

ألمْ ترَ حَرْبنا تركتْ حبيباً   مُحالِفَها المذلَّةُ والصغارُ
وقد كانوا أولي عزٍّ فأضحوا   وليس لهم من الذل انتصارُ

وأسرَ القطامي التغلبيّ في يوم من أيامهم ، وأخذ ماله ، فقام زفر بأمره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه :

إني وإن كان قومي ليس بينهم   وبين قومك إلا ضربة الهادي
مثن عليك بما أوليت من حسنٍ   وقد تعرض لي من مقتل بادي

(حُبَيْب) الذي في الشعر هو بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو في نسب بني تغلب .

يوم البشر

فلما استقر الأمرُ لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الأخطل الشاعر التغلبيّ وعنده الجحّافُ بنُ حكيم السليميّ ، فقال له عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟ قال : نعم هذا الذي أقول فيه :

ألا سائلِ الجحافَ هل هو ثائر   بقتلى أصيبت من سليمٍ وعامرِ

وأنشدَ القصيدة حتى فرغ منها ، وكان الجحّافُ يأكلُ رُطَباً فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً، وأجابه وقال :

بلى سوف نبكيهم بكل مُهند   وننعى عميراً بالرماحِ الشواجرِ

ثم قال : يا ابن النصرانية ما كنت أظن أن تجترىء عليَّ بمثل هذا ، فأرعد الأخطل من خوفه ، ثم قام إلى عبدالملك ، وأمسك ذيله ، وقال : هذا مقام العائذ بك وأنا لك جار ، ثم قام الجحاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب الديوان حتى اختلق له عهداً على صدقات تغلب ، وبكر بالجزيرة ، وقال لأصحابه : إن أمير المؤمنين قد ولاني هذه الصدقات ، فمن أراد اللحاق بي فليفعل ، ثم سار حتى أتى رصافة هشام ، فاعلم أصحابه ما كان من الأخطل اليه ، وأنه افتعل كتاباً ، وأنه ليس بوالٍ ، فمن كان أحب أن يغسل عني العار وعن نفسي فليصحبني فإني قد أقسمتُ أن

لا أغسل رأسي حتى أوقع في بني تغلب . فرجعوا عنه غير ثلاثمائة قالوا له : نموت بموتك ونحيا بحياتك ، فسار ليلته حتى صبح الرحوب ـ وهو ماء لبني جُشَم بن بكر من تغلب ـ فصادف عليه جماعةً عظيمةً منهم ، فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وأسر الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنه الذي أسره عبداً ، فسأله من هو ؟ فقال : عبد ، فأطلقه ، فرمى بنفسه في جب ، وخاف إن رآه من يعرفه أن يقتله، فلما انصرف الجحاف خرج من الجب ، وأسرف الجحاف في القتل، وبقر البطون عن الأجنة ، وفعل أمراً عظيماً ؛ فلما عاد عنهم قدم الأخطل على عبد الملك ، فأنشده قوله :

لقد أوقع الجحاف بالبشرِ وَقْعَةً ... إلى الله منها المشتكى والمعوَّلُ

فهرب الجحافُ فطلبه عبد الملك ، فلحق ببلاد الروم ، وقال بعد وقعة البشر يخاطب الأخطل :

أبا مالكٍ هل لُمتني أو حَضَضْتَني ... على القتل أم هل لامني كلُّ لائمِ
أَلَمْ أُفْنِكُمْ قتلاً وَأَجْدَعْ أُنوفَكُم ... بفتيانِ قيسٍ والسيوفِ الصوارمِ
بكلّ فتى ينعى عميراً بسيفه ... إذا اعتصمت أيمانُهُمْ بالقوائمِ
فإن تطردوني تطردوني وقد جرى ... بِيَ الورد يوماً في دماء الأراقم[1]
نكحت بسيفي في زهير ومالك ... نكاح اغتصاب لانكاح دراهم

في أبياتٍ ، ولم يزل الجحّاف يتردد في بلاد الروم من طرابزندة الى قاليقلا ، وبعث إلى بطانة عبد الملك من قيس حتى أخذوا له الأمان فأمنه عبد الملك فقدم عليه ، فألزمه ديات من قتل ، وأخذ منه الكفلاء وسعى فيها ، فأتى الحجاج من الشام ، فطلب منه ، فقال له : متى عهدتني خائناً ؟ فقال له : ولكنك سيّد قومك ولك عمالة واسعة فقال : لقد ألهمت الصدق ، فأعطاه مائة ألف درهم وجمع الديات فأوصلها ، ثم تنسّك بعدُ وصلُح ومضى حاجّاً فتعلّق بأستار الكعبة ، وجعل ينادي : اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل ، فسمعه محمد بن الحنفية فقال : يا شيخ قنوطك شر من ذنبك ، وقيل : إن سبب عوده كان أن الجحاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ما شاء فقال : ما أتيتك رغبة عن الإسلام ، ولقي الروم تلك السنة عساكر

---

(١) الورد : الفرس الذي لونه الحمرة .

المسلمين صائفة فانهزم المسلمون وأخبروا عبد الملك أنهم هزمهم الجحّاف ، فأرسل إليه عبد الملك يُؤمّنه ، فسار وقصد البشر وبه حي من بشر ، وقد لبس أكفانه وقال : قد جئت إليكم أعطي القود من نفسي ، وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم فغفر عنه وحج ؛ فسمعه عبدالله بن عمر وهو يطوف ويقول : اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل ، فقال ابن عمر : لو كنت الجحّاف ما زدت على هذا قال : فأنا الجحّاف .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق

في هذه السنة قُتِلَ مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة، واستولى عبد الملك بن مروان على العراق، وسبب ذلك أن عبدَ الملك بن مروان، لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره، وضع السيف فقتل من خالفَهُ فصفا له الشام، فلما لم يبق له مخالفٌ فيه، أجمعَ المسير إلى مُصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه في ذلك، فأشار يحيى بن الحكم بن أبي العاص عمه؛ بأن يَقْنَعَ بالشام ويتركَ ابن الزبير والعراق، وكان يقول عبد الملك: من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى، وقال بعضهم: إن العام جدب، وقد غزوت سنتين فلم تظفر فأقم عامك هذا فقال عبد الملك: الشام بلدٌ قليلُ المالِ ولا آمن نفاده، وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونني إليهم، وقال أخوه محمد بن مروان: الرأي أن تطلب حقك وتسير إلى العراق فإني أرجو ان الله ينصرك، وقال بعضهم: الرأي أن تُقيم وتبعث بعض أهلك وتمدّه بالجنود، فقال عبد الملك: إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشيٌّ له رأي ولعلي أبعثُ من له شجاعة ولا رأي له وإني بصيرٌ بالحرب شجاع بالسيف إن احتجت إليه، ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي، فلما عزم على المسير، ودَّع روجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال: قاتل الله كثير عزّة لكأنه يشاهدنا حين يقول:

إذا مَا أرادَ الغَزْوَ لم يثنِ هَمَّهُ حصّانٌ عليها عَقْدُ درٍ يزينُها
نَهَتْهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ وَبَكى مِمَّا عَنَاهَا قَطِيْنُها

وسار عبدُ الملك إلى العراق، فلما بلغ مُصعباً مسيَرهُ وهو بالبصرة أرسلَ إلى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره، وقيل: بل أحضره عنده فقالَ لمصعب: اعلمْ

أن أهلَ العراقِ قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم، فلا تبعدني عنك؛ فقال له مُصعب: إن أهلَ البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج، وهم قد بلغوا سوق الأهواز، وأنا أكره؛ إذ سار عبد الملك إليّ أن لا أسيرُ إليه فاكفني هذا الثغرَ فعاد إليهم، وسار مُصعب إلى الكوفة ومعه الأحنف فتوفي بالكوفة، وأحضر مُصعب إبراهيم بن الأشتر ـ وكان على الموصل والجزيرة ـ فلما حضرَ عنده جعله على مقدمته، وسار حتى نزل بَاجُمَيْرَا(١)، وهي قريبٌ من أَوَانَا(٢) وهي من مسكن فعسكرَ هناك، وسار عبدُ الملك وعلى مقدمتِهِ أخوه محمدٌ بن مروان وخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا، وحصروا زُفرَ بن الحرث الكلائي، ثم صالحهم على ما نذكرُهُ إن شاء الله تعالى، وسير زُفَرُ ابنه الهُذَيْل مع عبد الملك، وكان معه، ثم لحق بمصعب بن الزبير، فلما اصطلحا سار عبدُ الملك وَمَنْ معه فنزلوا بمسكنٍ قريباً من عسكر مُصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويُقَالُ فرسخان، وكتب عبد الملك إلى أهلِ العراق من كاتبه، ومن لم يكاتبه، وبذلَ لجميعهم أصبهان طعمة، وقيل: إن كل من كاتبه طلب مِنْهُ امرةَ أصبهانَ فقال: أيُّ شيء أصبهان هذه حتى كلهم يطلبها؟ فكل منهم أخفى كتابه إلا إبراهيم بن الأشتر، فإنه أحضرَ كتابَهُ عند مصعب مختوماً، فقرأه مُصعب، فإذا هو يَدعوهُ إلى نفسه ويجعلُ له ولاية العراق، فقالَ لَهُ مُصعب: أتدري ما فيه؟ قال: لا، قال: يعرضُ عليك كذا وكذا وإنّ هذا لما يرغبُ فيه، فقال إبراهيم: ما كنتُ لأتقلدَ الغدر والخيانةَ ووالله ما عند عبد الملك من أحدٍ من الناس بأيأس منه منّي، ولقد كتبَ إلى أصحابك كلِّهم مثلَ الذي كتبَ إلي فأطعني واضربْ أعناقهم قال: إذاً لا يناصحني عشائرهم قال: فأوقرهم حديداً، وابعثْ بهم إلى أبيضَ كِسرى واحبسهم هناكَ، ووكّل بهم من إنْ غلبتَ وتفرَّقَتْ عشائرُهُمْ عنكَ ضَرَبَ رِقابَهم وإن ظهرت مننتَ على عشائِرهم بإطلاقهم فقال: إني لفي شغلٍ عن ذلك، فرحم الله أبا بحر ـ يعني الأحنف بن قيس ـ إن كان ليحذرني غدر أهل العراق ويقول: هم كالمُومِسَة تريد كلَّ يوم بعلاً وهم يريدون كلَّ يومٍ أميراً، فلما رأى قيسُ بن الهيثم ما عَزَمَ أهلُ العراق عليهِ من الغدرِ بمُصعب، قال لهم: ويحكم لا تُدخلوا أهل الشامِ عليكم فوالله

---

(١) باجميرا: في معجم البلدان بالألف المقصورة: موضع دون تكريت.

(٢) أوانا: بليدة كثيرة البساتين والشجر، من نواحي دجيل بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت.

لئن يطعموا بعيشكم لَيُضَيقنَّ عليكم منازلكم ، والله لقد رأيتُ سيدَ أهلِ الشام على باب الخليفة ، يفرح ان أرسله في حاجةٍ ، ولقد رأيتنا في الصوائف ، وإنْ زاد أحدنا على عدةِ أجمالٍ ، وإن الرجل من وجوههم ليغزوَ على فرسِهِ وزاده خلفه فلم يسمعوا منه ؛ فلما تدانى العسكران أرسلَ عبد الملك الى مصعب رجلاً من كلب وقال له : اقرىء ابن اختك السلام ـ وكانت أمُّ مصعب كلبية ـ وقُل له يدعُ دعاءه إلى أخيه وادع دعائي إلى نفسي ويجعلِ الأمرَ شورى ، فقال له مصعبُ : قلْ له : السيف بيننا ، فقدّم عبد الملك أخاه محمداً وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقُتلَ صاحبُ لواء محمد ، وجعل مُصعب يمد ابراهيم فازال محمداً عن موقفه ، فوجّه عبدُ الملك عبدالله بن يزيد إلى أخيه محمد فاشتد القتالُ فَقُتِلَ مسلمُ بن عمرو الباهلي والد قُتيبة ـ وهو من أصحاب مُصعب ـ وأمدَّ مُصعب ابراهيمَ بُعتَاب بن ورقاء ، فساء ذلك إبراهيم وقال : قد قلتُ له : لا تمدُّني بعتاب وضُربائِهِ وإنا لله وإنا إليه راجعون ، فانهزمَ عُتاب بالناسِ وكانَ قدْ كاتبَ عبد الملك وبايعه ، فلما انهزمَ صبرَ ابن الأشتر فقتل قتله عبيدُ بن ميسرة مولى بني عَذْرة وحملَ رأسه إلى عبد الملك، وتقدم أهلُ الشام فقاتلهم مُصعب وقال لقُطَن بن عبد الله الحارثي : قَدّم خيلك أبا عثمان، فقال: أكره أن تَقْتُلَ مذحجَ في غير شيءٍ ، فقال لحجار بن أبجر : يا أبا أسيد قدِّم خيلك، قال: إلى هؤلاء الأنتانِ قال : ما تتأخر إليه انتن ، فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثلَ ذلك، فقال: ما فعل أحدٌ هذا فأفعله، فقالَ مصعب: يا ابراهيم ولا إبراهيم لي اليوم، ثم التفت فرأى عُروةَ بن المُغيرة بن شعبة ، فاستدناه فقال له : أخبرني عن الحُسين بن علي كيف صنع بامتناعه عن النزولِ على حكم ابن زياد وعزمِه على الحرب ؟ فأخبره فقال :

إن الألى بـالـطَّفِ من آلِ هَـاشِمٍ   تَـأَسَّـوا فَسَنّـوا لِلْكِـرَامِ التَـأسِيَـا

قال عروة : فعلمت أنه لا يبرحُ حتى يُقتل ؛ ثم دنا محمد بن مروان من مُصعب وناداه: أنا ابن عمـك محمد بن مـروان ، فاقبـلْ أمان أمير المؤمنين ، فقال : أميـرُ المؤمنيـن بمكة ـ يعني أخاه عبدالله بن الزبير ـ قال :فإن القومَ خاذلوك فأبى ما عرض عليه ، فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له ، فقال له مصعب : انظر ما يريد منك ، فدنا منه فقال له : إني لك ولأبيك ناصحٌ ولكما الأمان ، فرجع إلى أبيه فأخبره

فقال : إني أظن القوم يفون لك ، فإن أحببت أن تأتيهم فافعل ،فقال :لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك، قال: فاذهبْ أنت ومن معك إلى عمك بمكة فأخبره بما صنع أهل العراق ، ودعني فإني مقتول ، فقال : لا أخبر عنك قريشاً أبداً ، ولكن يا أبتِ الحقْ بالبصرة فإنهم على الطاعةِ أو الحق بأمير المؤمنين ، فقال مصعب : لا تتحدثُ قريش أني فررت ، وقال لابنه عيسى : تقدّم اذن احتسبك ، فتقدم ومعه ناس فقتل وقُتِلوا ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتزَ رأسَ عيسى ، فحمل عليه مُصعب فقتله ، وشدَّ على الناس فانفرجوا له ، وعاد، ثم حمل ثانية فانفرجوا له ، وبذل عبد الملك الأمان وقال : انه يعزّ علي أن تُقتلَ فاقبلْ أماني ، ولك حكمك في المال والعمل ، فأبى وجعل يُضارب ، فقال عبد الملك : هذا والله كما قال القائل :

ومُـدَجَّجٌ كَـرِهَ الكُـمَـاةُ نِـزَالَـهُ   لا مُمْعِنـاً هَـرَبـاً ولا مُسْتَسْلِمـا

ودخل مصعب سرادقه فتحنط ، ورمى السرادق وخرج فقاتل ، فأتاه عبيدالله بن زياد بن ظبيان ، فدعاه إلى المبارزة فقال له : يا كلبُ ؛ اعزب مثلي يبارز مثلك ؟ وحمل عليه مُصعب فضربه على البيضة فهشّمها وجرحه ، فرجع وعصب رأسه ، وترك الناس مصعباً وخذلوه حتى بقي في سبعةِ أنفسٍ ، واثخن مصعب بالرمي ، وكَثُرَت الجراحات فيه ، فعاد الى عبيدالله بن زياد بن ظبيان فضربه مُصعب فلم يصنعْ شيئاً لضعفهِ بكثرة الجراحات ، وضربه ابن ظبيان فقتله ، وقيل : بل نظر إليه زائدة بن قُدامة الثقفي ، فحمل عليه فطعنه وقال : يا لثارات المختار فصرعه ؛ وأخذ عُبيدالله بن زياد رأسه ؛ وحمله الى عبد الملك فألقاه بين يديه وأنشد :

نُعَاطي الملوكَ الحقَّ ما قَسَطوا لَنا   وَلَيس عَلَيْنَـا قَتْلُهُمْ بِمُحَـرَّمِ

فلما رأى عبدُ الملك الرأسَ سجدَ ، قال ابن ظبيان : لقد هممت أن أقتل عبد الملك وهو ساجد ، فأكون قد قتلت ملكي العرب وأرحتُ الناس منهما ، وقال عبد الملك : لقد هممت أن أقتل ابن ظبيان ، فأكون قد قتلت أفتكَ الناس بأشجعِ الناس ، وأمر عبد الملك لابن ظبيان بألف دينار فقال : لم أقتْلهُ على طاعتك ، وانما قتلته على قتل أخي النابىء بن زياد ولم يأخذْ منها شيئاً ، وكان قَتل مُصعب بدير الجاثليق عند نهر دجيل ، فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا ، وقال : كانت الحُرمة بيننا قديمة ، ولكن المْلكَ عقيمٌ .

وكان سبب قتل النابىء أنه قطع الطريق هو ورجل من بني نمير فأحضرا عند مطرف ابن سيدان الباهلي صاحب شرطة مصعب فقتل النابىء وضرب النُميري وأطلقه، فجمع عبيدالله جمعاً، وقصد مُطرفاً بعد أن عزله مُصعب عن شرطتِهِ وولّاه الأهواز وسار عُبيدالله إلى المطرف فقتله، فبعث مصعب مكرم بن مُطرف في طلب عبيدالله، فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب إليه، ولم يلقَ عُبيدالله، كان قد لحق بعبد الملك، وقيل في قتله غير ذلك، فلما أتى عبد الملك برأس مصعب نظر إليه وقال: متى تغزو قرشية مثلك؟ وكانا يتحدثان إلى حُبَّى وهما بالمدينة فقِيلَ لها: قُتِلَ مُصعب فقالت: تَعِسَ قاتله، فقيل: قتله عبد الملك بن مروان فقالت: وا بأبي القاتل والمقتول، ثم دعا عبد الملك بن مروان جند العراق إلى بيعته فبايعوه، وسار حتى دخل الكوفة، فأقام بالنخيلة أربعين يوماً، وخطب الناس بالكوفة، فوعدَ المُحسن وتوعد المُسيء، فقال: إن الجامعة التي وضعت في عنق عمرو بن سعيد عندي، واللهلا أضعها في عنق رجل فانتزعها إلا صعداً لا أفكها عنه فكاً، فلا يبقين امرؤ إلا على نفسه ولا يولغن دمه والسلام.

ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فحضرت قضاعة فقال لهم: كيفَ سلمتم وأنتم قليلٌ مع مضر؟ فقال عبد اللهبن يعلى النهدي: نحن أعزُّ منهم وأمنعُ بك وبمن معك منا، ثم جاءت مُذحج فقال: ما أرى لأحدٍ مع هؤلاء بالكوفة شيئاً، ثم جاءت جُعفى فقال: ائتوني بابن أختكم - يعني يحيى بن سعيد، وكانت أمه مذحجية - فقالوا: هو آمن؟ فقال: وتشترطون أيضاً؟ فقال رجل منهم: إنّا ما نشترط جهلاً بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على الوالد فقال: نعم انتم الحي ان كنتم لفرساناً في الجاهلية والاسلام ليحضر فهو آمن، فأتوه به فبايعه، ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلاً جميلاً وسيماً فقال عبد الملك:

عَـذِيْـرُ الـحيِّ مِـنْ عـدوا نَ كَـانـوا حَـيَّـةَ الأَرْضِ
بَـغَى بَـعْـضُـهُـمْ بـعـضـاً فَـلَمْ يَـرْعـوا على بَـعْضِ
وَمِـنْـهُـمْ كـانـتِ الـسَّـادَا تُ والـمُـوفُـونَ بـالقَـرْضِ

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال: إيه فقال: لا أدري فقال مَعْبِدُ بن خالد الجدلي وكان خَلْفهُ:

وَمِـنْـهُـمْ حَـكَـمٌ يـقْـضِـي فَـلَا يـنقضُ مَـا يَـقْـضِـي
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجيـزُ الـحَـجَّ بِـالـسُّـنَّـةِ وَالْـفَـرْضِ

وَهـمْ مُـذ وُلِـدوا شـبُّـوا بِــسـرِّ الـنَّـسَـبِ الـمَـحضِ

فاقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال : من هو ؟ فقال: لا أدري ، فقال مَعبد من ورائه : هو ذو الأصبع فاقبل على الجميل فقال: لم تُسمى ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري ، فقال معبد: لأن حية نهشت أُصبعه فقطعتها ؛ فاقبل على الجميل فقال: ما كان اسمه ؟ قال: لا أدري فقال معبد: حُرثان بن الحرث ، فقال للجميل من أيكم هو؟ قال: لا أدري فقال معبد : من بني ناج ، ثم قال للجميل : كم عطاؤك ؟ قال سبعمائة قال لمعبد : كم عطاؤك ؟ قال: ثـلاثمائـة فقال لكـاتبه : اجعـلْ معبداً في سبعمائة وانقصْ من عطاء هذا أربعمائة ففعل ، ثم جاءت كندة ، فنظر إلى عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فاوصى به أخاه بشر بن مروان ، وأقبل داود بن قُحذم في جمعٍ كثير من بكر بن وائل ، عليهم الاقبية الداودية وبه سميت ، فجلس مع عبد الملك على سريره ، فأقبل عليه عبد الملك ، ثم نهض ونهضوا معه ، فقال عبد الملك : هؤلاء الفساق ؛ لولا أن صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة ، ثم ولّى قطن بن عبدالله الحارثي الكوفة اربعين يوماً ثم عزله ، فاستعمل أخاه بشر بن مروان ، ثم استعمـل محمد بن عُمير الهمداني على همذان ، ويزيد بن رُويم على الري ، ولم يفِ لأحدٍ شرط له اصبهان وقال : علي بهؤلاء الفساق الذين انغلوا الشام وأفسدوا العراق فقيل : قد أجارهم رؤسـاء عشائرهم فقال : وهل يُجير عليّ أحدٍ ؟ وكان عبدالله بن يزيد بن أسد ـ والد خالد القسري ـ قد لجأ إلى علي بن عبدالله بن عباس ، ولجأ إليـه أيضاً يحيى بن معيوف الهمداني ، ولجأ الهذيل بن زُفرْ بن الحرثِ ، وكان مع عبد الملك على ما نذكره ، عمرو بن يزيد الحكمي إلى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك فظهروا ، فصنع عمرو بن حُريث لعبد الملك طعاماً كثيراً ، وأمر به إلى الخورنق ، وأذن إذناً عاماً فدخل الناس ، وأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حُريث فأجلسه معه على سريره ، ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك : ما ألذ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الأول :

وَكـلُّ جَـدِيـدٍ يـا أُمَيْمُ إلى بلى وَكلُّ امرىءٍ يوماً يَصِيْرُ إلى كَان

فلما فرغوا من الطعام ؛ طاف عبد الملك في القصر وعمرو بن حُريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت وَمَنْ بنى هذا البيت ؟ وعمرو يخبره فقال عبد الملك :

اعْمَـلْ على مَهـلٍ فَـإنَّـكَ مَيِّتٌ وَاكْـدَحْ لِنَفْسِـكَ أيُّهـا الإنْسَـانْ
فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَـكُ إذْ مَضَى وكَـأَنَّ مَـا هُـوَ كَـائِنٌ قَـدْ كَـانْ

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال : أمعه عمر بن عبيد الله بن مُعَمَّر ؟ قيل لا استعمله على فارس قال : أمعه المهلَّب ؟ قِيْل : لا استعمله على الخوارج قال: أمعه عبَّاد بن الحُصين ؟ قيل : استخلفه على البصرة قال: وأنا بخراسان .

خُـذِيني فَجُـرِّيني جِعَـارَ وأبْشِـرِي بِلَحْمِ آمْرِىءٍ لَمْ يَشْهَدِ آليَوْمَ نَاصِرَهْ

ولما قُتِلَ مصعب بعث عبد الملك رأسه إلى الكوفة ، أو حمله معه إليها ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر ، فلما رآه وقد قطع السيف أنفه قال: رحمكِ الله ؛ أما والله لقد كنت من أحسنهم خلقاً وأشدهم بأساً وأسخاهم نفساً ، ثم سيره إلى الشام ، فنصب بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام فأخذته عاتِكَةُ بنت يزيد بن معاوية ـ زوجة عبد الملك بن مروان ـ وهي أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت : أما رضيتم بما صنعتم ، حتى تطوفوا به في المدن هذا بغي ، وكان عمر مصعب حين قُتِل ستاً وثلاثين سنة ، قال يوماً عبـد الملك لجلسائـه : مَنْ أشد الناس ؟ قالوا : أميرُ المؤمنين قال : اسلكوا غير هذا الطريق قالوا : عمير بن الحُباب قال: قبح الله عميراً ، لص ثوب ينازع عليه أعزُّ عنده من نفسه ودينه قالوا : فشبيب قال: إن للحرورية لطريقاً قالوا: فمن؟ قال: مُصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثم هو أكثـر الناس مـالاً جعلت له الأمـان وولاية العراق ، وعلم أني سأفي له للمودة التي كانت بيننا فحمي أنفاً وأبى وقاتل حتى قُتِل، فقال رجل : كان مُصعب يشرب النبيذ ،قال :كان ذلك قبل أن يطلب المروءة ، فأما مذ طلبها ، فلو علم أن الماء ينقص مروءته ما ذاقه ، قال الأقشر الأسدي :

حمى أنْفـهُ أنْ يَقْبَـلَ الضَّيْمَ مُصْعَبُ فَمَـاتَ كَـرِيمـاً لَمْ تُـذمّ خَـلاَئِقُـه
وَلَوْ شَاءَ أَعْطَى الضَّيْمَ مَنْ رَامَ هَضْمَهُ فَعَـاشَ مَلُوماً في الـرِّجَـالِ طَـرَائِقُـه
وَلَكِنْ مَضَى وَالبَـرْقُ يَبْـرقُ خَـالَـهُ يُـشَـاوِرُهُ مَـرّاً وَمَـرّاً يُـعَـانِـقُـه
فَـوَلّى كَـرِيمـاً لَـمْ تَنَلْهُ مَـذَمَّـةٌ وَلَمْ يَـكُ رَغْـداً تُـطبيـهِ نمـارِقُـه

وقال عَرْفَجة بن شُرَيْك :

مَـا لابْنِ مـرْوَانَ أَعْمَى اللهُ نَـاظِرَهُ ... وَلاَ أَصَـابَ رُغَيْبَـاتٍ وَلاَ نَـفَـلاَ
يَـرجو الفَـلاَحَ ابن مروانَ وَقَـد قَتَلَتْ ... خَيْـلُ ٱبْنِ مرْوَانَ حُـرّاً مَاجِـداً بَـطَلاَ
يَـا ابْنَ الحَـوَاري كَمْ مِنْ نِعْمَـةٍ لَكم ... لَـوْ رَامَ غَيْـرُكُم أَمْثَـالَهـا شُغِـلاَ
حُـمِّلْتُـمُ فَحَـمـلتُـمْ كُـلَّ مـعْضِـلَةٍ ... إنَّ الـكَـرِيْمَ إذا حَـمَّـلْتَـهُ حَـمَـلاَ

وقال عبدالله بن الزبير الأسدي في إبراهيم بن الأشتر : ـ (هذا الزَبير بفتح الزاي وكسر الباء) .

سَـأبْكي وإنْ لَمْ تَبْكِ فِتْيَانُ مُذحِـجٍ ... فَتَـاهـا إذَا اللّيْـلُ التَّمَـام تَـأَوّبـا
فَتىً لَمْ يَكُنْ في مُرَّة الحَرْبِ جَـاهِلاً ... وَلاَ بِمُـطِيـعٍ في الـوَغى مَنْ تَهَيَّبـا
أَبَـانَ أُنُـوف الحَيّ قـحْـطَانَ قَتـلُهُ ... وَأنْـفُ نـزَارٍ قَـدْ أَبَـانَ فَـأوْعَبْـا
فَمَنْ يَـكُ أَمْسى خَـائِنـاً لأمِيرِهِ ... فَمَا خَانَ إبراهيمُ في الموتِ مُصْعَبا

وحين قُتِل مصعب كان المهلّب يحارب الأزارقة بسولاف ـ بلد بفارس ـ على شاطىء البحر ثمانية أشهر ، فبلغ قتله الأزارقة قبل المهلب ، فصاحوا بأصحاب المهلب ما قولكم في مُصعب ؟ قالوا : أميرُ هدى ، وهو ولينا في الدنيا والآخرة ، ونحن أولياؤه قالوا : فما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك ابن اللعين نحن نبرأ الى الله منه ، وهو أحلّ دماً منكم قالوا : فإن عبد الملك قتل مُصعباً وستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مُصعب ، فبايع المهلّب الناس لعبد الملك بن مروان ، فصاح بهم الخوارج ؛ يا أعداء الله ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله لا نخبركم ، وكَرِهوا أن يكذّبوا أنفسهم ، قالوا : وما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : خليفتنا ؛ ولم يجدوا بداً إذ بايعوه أن يقولوا ذلك ، قالوا : يا أعداء الله أنتم بالأمس تبرؤن منه في الدنيا والآخرة ، وهو اليوم إمامكم ، وقد قتل أميركم الذي كنتم تولونه ، فأيهما المهتدي وأيهما المبطل ؟ قالوا : يا أعداء الله رضينا بذلك إذ كان يتولى أمرنا ونرتضي بهذا ، قالوا : لا والله ؛ ولكنكم إخوان الشياطين وعبيد الدنيا .

وأما عبدالله بن الزبير ، فلما انتهى إليه قتل أخيه مصعب ، قام في الناس

فخطبهم فقال : الحمد لله الذي لـه الخلق والأمر : يؤتي الملك من يشـاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء ،ألا وإنه لم يذلل الله من كان الحق معه ، وإن كان فردا ، ولم يعزز من كان وليه الشيطان وإن كان الناس معه طراً . ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا ؛ أتانا قتل مصعب رحمه الله ، أما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة ، وأما الذي أحزننا ، فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوي بعدها ذوو الرأي الجميل الى الصبر وكريم العزاء . وما مُصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعواني . ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق ؛ أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فان يقتل فمه ؛ والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص ، والله ما قُتِل رجلٌ منهم في زحف[1] في الجاهلية ولا في الاسلام ، ولا نموت الا قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف . ألا انما الدنيا عارية من الملك الأعـلى الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه ، فان تقبل لا آخذها أخذ البطر، وإن تُدبر لم أبكِ عليها بكاءَ الضرع المهين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . (حَجّار بن أبجر) بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين ، و (حبّي) بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة الممالة وآخره ياء مثناة من تحتهـا ، و (عبدالله بن خازم) بالخاء المعجمة والزاي .

ذكر ولاية خالد بن عبدالله البصرة

وفي هذه السنة تنازع ولاية البصرة حُمران بن أبان ، وعبيدالله بن أبي بُكرة ، فقال ابن ابي بُكرة : أنا أعظم منك ، كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجُفْرَة ، فقِيل لحَمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بُكرة ، فاستعن بعبدالله بن الأهيم[2] ، فاستعان به ، فغلب على البصرة وعبدالله على شرطها ، وكان لحمران منزلة عند بني أميـة ، وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب ، فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قَتْلهِ استعمل على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد ، فوجه خالد عبيدالله بن أبي بكرة اليها خليفةً له ، فلما قدم على حُمران قال : قد جِئْتَ لا جِئت[3] ؛ فكان عبيدالله

(١) في الطبري « في زعف » .
(٢) في الطبري « بعبد الله بن الأهتم » .
(٣) في الطبري « أَقَدْ جئتَ لا جئتَ » .

عليها حتى قدم خالد ، ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد إلى الشام .

ذكر أمر عبد الملك وزُفر بن الحرث

قد ذكرنا في واقعة راهط مسير زُفر إلى قرقيسيا ، واجتماع قيس عليه والسبب في استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك . وكان على بيعة ابن الزبير وفي طاعته ، فلما مات مروان بن الحكم وولي ابنه عبد الملك كتب إلى أبان بن عُقبة بن أبي مُعيط ـ وهو على حمص ـ يأمره أن يسير إلى زُفر ، فسار إليه وعلى مقدمته عبدالله بن زميت الطائي : فواقع عبدالله زُفر قبل وصول أبان وكثر في أصحابه القتل قتل منهم ثلاثمائة فلامَه أبان على عجلته ، وأقبل أبان فواقع زفر ، فقتل ابنه وَكيع بن زُفر وأدركت طيىء ثقلَ زُفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن نُميرِ النساء وألحقهن بزُفر بقرقيسيا فقال زُفر :

عَلِقْنَ بِحَبْـلٍ مِنْ حُصَيْنٍ لـو أنـه تَغَيَّبَ حَـالَتْ دُونَـهُنَّ الـمَصَـائِـرُ
أبُـوكُمْ أبُـونَـا في القَـدِيمِ وَإنني لغَـابِـرُكُمْ في آخِـرِ الـدَّهْـرِ شَـاكِـرُ

وكان يقال لزفر إنه من كندة ، ثم إن عبد الملك لما أراد المسير إلى مُصعب ، سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ، ونصب عليها المجانيق ، فأمر زفـر أن ينادى في عسكر عبد الملك لِمَ نصبتم علينا المجانيق ؟ قال : لِنثلم ثلمةً نقاتلكم عليها فقال زُفر : قولوا لهم : فإنا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ، ولكنا نخـرج إليكم ، وثلمت المنجنيق من المدينة برجاً مما يلي حُريث بن بُحدل فقال زُفر :

لَقَـدْ تَـرَكَتْني مَنْجَنِيقُ ابنِ بُحْـدُلٍ أُحيْـدُ عَنِ العُصْفُـورِ حِينَ يَـطِيْـرُ

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مجداً في قتالهم ، فقال رجل من أصحاب زفر من بني كلاب : لأقولن لخـالد كـلاماً يعـود عما يصنـع ، فلما كـان الغد خـرج خالـد للمحاربة ، فقال له الكلابي :

مَـاذا ابـتِـغَـاءُ خَـالِـدٍ وَهَـمُّـهُ إذ سُلِبَ الـمُـلْكُ وَنيـكَـتْ أُمُّـهُ

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم ، وقالت كلب لعبد الملك : إنّا إذا لقينا زفر انهزمت القيسية الذين معك ، فلا تخلطهم معنا ففعل ، فكتبت القيسية على نبلها أنه ليس يقاتلكم غداً مضري ، ورموا النبل إلى قرقيسيا ، فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل

وبه كان يُكنّى ، وقيل : كان يُكنّى أبا الكوثر، فقال: اخرج إليهم فشدّ عليهم شدةً لا تَرجِع حتى تَضرب فسطاطَ عبد الملك والله لئن رجعت دون أن تطأ أطناب فسطاطه لأقتلنك فجمع الهُذيل خيله ، وحمل عليهم فصبروا قليلاً ، ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا أطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ، ثم رجعوا ، فقبَّل زفر رأس الهُذيل وقال : لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبداً فقال الهذيل : والله لو شئت أن أدخل الفسطاط لفعلت فقال زفر :

أَلا لاَ أُبَـالِي مَنْ أَتَـاهُ حِمَـامَـهُ ... إِذَا مَـا المَنَـايَا عَنْ هُـذيـلٍ تَجَلَّتِ
تَـرَاهُ أَمَـامَ الـخَيْـلِ أَوَّلَ فَـارِسٍ ... وَيَضْـرِبُ في أَعْجَـازِهـا إِنْ تَـوَلَّتِ

ولما ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله : لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل وقاتلهم ، فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة ، وكثر القتل فيهم ، وأقبل رَوْحُ بن زُنباع الجُذامي إلى برجٍ منها فسأل أهله وقال : نشدتكم الله كم قتلنا منكم ؟ قالوا : والله لم يُقتل منا أحدٌ ، ولم يجرح إلا رجل واحد ، ولا بأس عليه ، ثم قالوا : نشدناك الله كم قتل منكم ؟ قال : عدة فرسان وجرحتم مالا يحصى ، فلعن الله ابن بحدل ، ورجع رَوْحُ إلى عبد الملك وقال : ان ابن بَحدل يمنيكَ الباطل فاعرض عن هذا الرجل .

وكان رجل من كلب يقال له الذّيال ، يخرج فيسبّ زُفر فيكثر ، فقال زفر للهُذيل ابنه أو لبعض أصحابه : أما تكفيني هذا قال : أنا أجيئك به ، فدخل عسكر عبد الملك ليلاً فجعل ينادي : من يعرف بغلاً من صفته كذا وكذا حتى انتهى إلى خباء الرجل ، وقد عرفه فقال الرجل : ردّ الله عليك ضالتك فقال : يا عبدالله إني قد عييت ، فلو أذنت لي فاسترحت قليلاً ، قال : أدخل ، فدخل والرجل وحده في خبائه ، فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء ، فقام إليه فأيقظه ، وقال : والله لئن تكلمت لأقتلنك قُتلت أو سلمت ، فماذا ينفعك قتلي إذا قتلت أنت ولئن سكتّ وجئت معي إلى زُفَر فلك عهد الله وميثاقه أن أردك الى عسكرك بعد أن يصلك زفَر ويحسن إليك ، فخرجا وهو ينادي : من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زُفَر والرجل معه ، فأعلمه أنه قد أمنه فوهب له زُفر دنانير ، وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن ، وبعث معه رجلاً حتى دنوا من عسكر عبد الملك ، فنادوا هذه جارية قد بعث بها زُفَر إلى عبد الملك وانصرفوا ، فلما نَظر

إليه أهل العسكر عرفوه وأخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال : لا يُبعد الله رجلاً نصر والله إن قَتْلَهم لَذُل وان تَرْكَهُمْ لَحسرة وكفّ الرجل فلم يَعدْ يسبّ زُفر ، وقيل : إنه هَرَبَ من العسكر .

ثم إن عبد الملك أمر أخاهُ محمداً أن يعرض على زُفر وابنه الهذيل الأمانَ على أنفسهما ومن معهما ومالهم وأن يُعطيا ما أحبا ففعَلَ محمدُ ذلك فاجاب الهذيلُ وكلمّ أباهُ وقال له : لو صالحتَ هذا الرجل فقد أطاعَهُ الناس وهو خيرٌ لك من ابن الزُبير فأجابَ على أن له الخَيارَ في بيعتِه سنةً وأن يَنزلَ حيث شَاءَ ولا يُعينُ عبد الملك على قتال ابن الزبير ، فبينا الرسل تختلف بينهما إذْ جاءَهُ رجلٌ من كلب فقال : قد هُدِمَ من المدينة أربعةُ أبراجٍ فقال عبد الملك : لا أُصالحهم وزَحَفَ اليهم فهزموا أَصْحابُه حتى أدخلوهم عسكرهم ، فقال : أَعطُوهم ما أرادوا ، فقال زُفَر : لو كان قبل هذا لكان أحسن ؛ واستقرَّ الصلحُ على أمانِ الجميع ووضع الدماء والأموال وأن لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة له في عُنقهِ وأن يُعطى مالاً يقسّمه في أصحابه ، وخَافَ زُفَر أن يَغدُرَ به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل إليه فأرسل إليه بقضيب النبي ﷺ أماناً له فنزل إليه، فلما دخل عليه أجلسه معه على سريره ، فقال ابن عضاة الأشعري : أنا كنت أحقَّ بهذا المجلسِ منه ، فقال زُفَر : كذبت هناك إني عاديتُ فضربتُ وواليتُ فنفعتُ ، ولما رأى عبد الملك قلّة من مع زُفَرَ قال : لو عَلمتُ أنه في هذه القلّة لحاصرته أبداً حتى نزل على حكمي فَبلغَ قوله زُفر فقال : إن شِئْتَ رَجِعنا ورجعت فقال : بل نفي لك يا أبا الهذيل ، وقال له عبد الملك يوماً : بلغني أنك من كِنْدَةْ فقال : وما خيرُ من لا يبغي حسداً ولا يدعي رغبة ، وتزوج مسلمة بن عبد الملك الربابَ بنت زُفَر فكان يؤذن لأخويها الهذيل ، والكوثر في أول الناس ، وأمَرَ زفر ابنه الهذيل أن يَسيرَ مع عبد الملك إلى قتالِ مُصْعَبْ وقال له : أنت لا عَهْدَ عليك فسار معه فلما قاربَ مصعباً هرب إليه وقاتل مع ابن الأشتر فلما قُتِلَ ابن الأشتر اختفى الهذيل بالكوفةِ حتى استؤمِنَ له من عبد الملك فأمنه كما تقدم .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة افتتحَ عبد الملك قيسارية في قول الواقدي ، وفيها نَزَعَ ابن الزبير جابر بن الأسودِ بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طَلْحَةَ بن عُبيدالله بن عوف وهو

آخر والٍ كان له على المدينة حتى أتاهُ طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارقٌ بها حتى سارَ إلى مكةَ لِقتالِ ابن الزبير ؛ وفي إمارة مصعب مات البراءُ بنِ عازب بالكوفة ، ويزيد بن مفزع الحميري الشاعر بها أيضاً ، وعبدالله بن أبي حدود الأسلمي شهد الحديبية ، وخيبر ، وفي أيامه مات شُتَير بن شَكل القيسي الكوفي وهو من أصحاب علي ، وابن مسعود . (شتير) بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان ، وبعدها ياء تحتها نقطتان ، و (شكل) بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر أمر الخوارج

لمّا استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مُصعب استعملَ خالد بن عبدالله على البصرة فلما قَدِمها خالد كان المهلب يُحاربُ الأزارقة فجعله على خراج الأهواز ومعونتها ، وسيّر أخاهُ عبد العزيز بن عبدالله إلى قتالِ الخوارج وسيّر معه مقاتل بن مسمع فخرجا يطلبان الأزارقة ، فأتت الخوارجُ من ناحية كرمان إلى دارابجرد ، وأرسل قطري بن الفجاءة المازني مع صالح بن مخارق[1] تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسيرُ مهلاً على غير تعبية فانهزمَ بالناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قُتِل ، وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المُنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف ، فجاء رجلٌ من قومها من رؤوس الخوارج[2] فقال : تنحّوا هكذا ما أرى هذه المُشركة إلا قد فَتنتكُمْ وضَربَ عنقها ولحق بالبصرة ، فرآه آلُ المنذر فقالوا : والله ما ندري أنحمدكَ أمْ نذمّك فكان يقول : ما فعلته إلا غيرة وحمية .

وانتهى عبد العزيز إلى رَام هُرْمُز وأتى المهلب خَبرهُ فأرسل إليه شيخاً من الأزْد وقال له : إن كان منهزماً فعزه فأتاه الرجل فرآه نازلاً في نحو ثلاثينَ فارساً كئيباً حزيناً فأبلغه الرسالة وعاد إلى المهلب بالخبر ، فأرسل المهلب الى أخيه خالد بن عبدالله يُخبره بهزيمته فقال للرسول : كَذبتَ ، فقال : والله ما كذبت فإن كنت كاذباً فاضرب عنقي وإن كنت صادقاً فاعطني جُبّتكَ ومطرفك قال : قد رضيتُ من الخطرِ العظيمِ بالخطر اليسيرِ وحَبسهُ وأحسن إليه حتى صحّ خبرُ الهزيمة ، قال ابن قيس الرقيات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته :

---

(١) في الطبري « صالح بن مخراق » .

(٢) جاء اسمه في الطبري : « أبو الحديد الشَنّيّ » .

عبدَ العزيزِ فَضحتَ جَيشَكَ كلَّهم وتركتَهم صَرعَى بكلِ سبيلِ
من بين ذي عَطَشٍ يجودُ بنفسهِ وملحب بين الرجال قتيلِ
هلاَّ صبرت مع الشهيدِ مُقاتلاً اذ رُحْتَ مُنتَكِثَ القوى بأصيلِ
وتركتَ جَيشكَ لا أميرَ عليهم فارجعْ بعارٍ في الحياةِ طويلِ
ونسيتَ عِرْسكَ إذ تُقادُ سَبيّة تُبكي العيونَ برَنَّةٍ وعويلِ

فَكَتبَ خالدٌ الى عبد الملك يخبره بذلك ، فكتب إليه عبد الملك قد عَرفتُ ذلك وسألتُ رسولك عن المُهلّب فأخبرني أنه عاملٌ على الأهواز فقبّح الله رأيكَ حين تبعثُ أخاكَ إعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو الميمونُ النقيبة المقاسي للحرب ابنها وابن أبنائها ، أرسِلْ إلى المهلب يستقبلهم وقد بعثت إلى بِشْرٍ بالكوفة ليمدكَ بجيش فَسِرْ معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام ، وكتب عبد الملك إلى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجلٍ يرضاه لقتالِ الخوارج فإذا قضوا غزوتهم ساروا الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا مسلحة ، فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فكتب له عهداً على الري عند الفراغ من قتاله ، وخَرجَ خالد بأهل البصرة حتى قَدِمَ الأهوازَ وقَدِمَها عبد الرحمن بن محمد في أهل الكوفة وجاءت الأزارقة حتى دنوا من الأهواز ، فقال المهلب لخالد : إني أرى ههنا سفناً كثيرة فَضُمّها اليك فإنهم سيحرقونها فلمْ يمضِ إلا ساعة حتى أرسلوا اليها فأحرقوها ، وجعل خالد المهلب على مَيْمَنتهِ ، وعلى مَيْسَرَته داود بن قَحذَم من بني قيس بن ثعلبة ، ومَرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخندق عليه فقال : ما يَمنعُكَ من الخندق ؟ فقال : هم أهونُ علي من ضرطة الجمل قال : لا يهونوا عليك فإنهم سباعُ العرب ولم يبرح المهلب حتى خَنْدقَ عبد الرحمن عليه ، فأقاموا نحواً من عشرين ليلة ثم زحف خالد إليهم بالناس فرأوا أمراً هالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مُولون لا يرون طاقةً بقتالِ جماعة الناس ، فأرسل خالد داود بن قحذم في آثارهم وانصرف خالد إلى البصرة ، وسار عبد الرحمن الى الري وأقام المهلب بالأهواز .

وكتب خالد الى عبد الملك بذلك ، فلما وصل كتابه إلى عبد الملك كتب إلى أخيه بشر يأمرهُ أن يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب إلى

فارس في طلب الأزارقة ويأمرُ صاحبه بموافقة داود بن قحذم ان اجتمعا ، فَبَعَثَ بشر عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فساروا حتى لحقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج حتى هَلَكت خيول عامتهم وأصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة إلى الأهواز .

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي - وهو من بني قيس بن ثعلبة - فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي ، فاجتمع على خالد بن عبدالله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك فبعث أخاه أمية بن عبدالله في جند كثيف الى أبي فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك .

ذكر قتل عبدالله بن خازم

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحير بن ورقاء الصريميّ التيمي بنيسابور ، فكتب عبد الملك إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة له ويطعمه خراسان سبع سنين وأرسل الكتاب مع سوادة[١] بن أشتم النميريّ ، وقيل : مع مكمل الغنوي ، فقال ابن خازم : لولا ان أضرب بين بني سليم ، وبني عامر لقتَلْتُكَ ولكن كلْ كتابك فاكله ، وقيل : بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيدالله النميري وقيل : مع مكمل الغنوي[٢] ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذّبان لأنك من غَنِيّ[٣] وقد علم أنّي لا أقتل رجلاً من قيس ولكن كُلْ كتابه ، وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح وكان خليفة بن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومنّاه فخلع بكير عبدالله بن الزبير ودعا إلى عبد الملك فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير فيجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بَحِيراً وأقبل إلى مرو - ويزيد ابنه بترمِذ[٤] فاتبعه بحير ، فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقُتِلَ ابن خازم ، وكان الذي قتله وَكيع بن عمرو

---

(١) في الطبري « مع سورة بن أشيم » .

(٢) في الطبري « سنان بن مكمل الغنويّ » .

(٣) غني : قبيلة

(٤) ترمذ : قيل بضم التاء ، وقيل بكسرها ، وقيل بفتحها : مدينة مشهورة من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي .

القُرَيْعيّ[١] أعثره[٢] وكيع وبحير بن ورقاء، وعمار بن عبد العزيز، فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فَقَتَلَهُ ؛ فقال بعض الولاة لوكيع : كيف قتلته ؟ قال : غلبته بنصل القناة[٣] فلما صُرِعَ قَعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقلت : يا لثاراتِ دويلة ـ وهو أخو وكيع لأمه قُتِلَ في بعض تلك الحروب ـ قال وكيع : فتنخّم في وجهي وقال : لعنك الله أتقتل كَبْشَ مُضَر بأخيك وهو لا يساوي كفاً من نوى أو قال : من تراب ؟ قال : فما رأيت أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

وبعث بَحِير ساعة قَتْلِ ابن خازم إلى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث بالرأس ، وبعث بحير بكير بن وشاح في أهل مرو ، فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ الرأس وإنفاذه إلى عبد الملك فمنعه بَحِير فضربه بكير بعمود وحَبَسَهُ وسيّر الرأس إلى عبد الملك وكتب إليه يخبره انه هو الذي قتله ، فلما قدم الرأس دعا عبد الملك برسول بَحِير[٤] وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري وما فارقتُ القوم حتى قتل ابن خازم ، وقيل : ان ابن خازم إنما قُتِلَ بعد قَتْلِ عبدالله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ إليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفّنه وبعثه إلى أهله بالمدينة وأطعَمَ الرسول الكتاب وقال : لولا إنك رسول لقتلتك ، وقيل : بل قَطَع يديه ورجليه وقتله وحلف أن لا يطيع عبد الملك أبداً (بحير) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة .

ذكر عدة حوادث

كان العامل على المدينة طارقاً لعبد الملك ، وعلى الكوفة بشر بن مروان ، وعلى قضائها عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ، وعلى البصرة خالد بن عبدالله ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان في قول بعضهم بكير بن وشاح ، وفي قول بعضهم عبدالله بن خازم .

وفي هذه السنة مات عبيدة السلماني وهو من أصحاب علي . (عبيدة) بفتح العين وكسر الباء الموحدة .

---

(١) زاد الطبري « وهو ابن الدَورقيّة » .

(٢) في الطبري « اعتور » .

(٣) في الطبري « بنصل القناة » .

(٤) سماه الطبري « الغُداني » .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر قتل عبدالله بن الزبير

لما بويع عبد الملك بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن لا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعرصة ، وكان عامل عبدالله بن الزبير على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحي فهرب الحرث ، وكان ابن أنيف يدخل ويصلي بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فأقام شهراً ولم يبعث إليهم ابن الزبير أحداً ، وكتب إليه عبد الملك بالعود إليه فعاد هو ومن معه ، وكان يصلي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظي . ثم عاد الحرث الى المدينة ، وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقي الأنصاري ـ وكان رجلاً صالحاً ـ عاملاً على خيبر ، وفدك فنزل في عمله ، فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم ـ وقيل : اسمه عبد الملك وهو أصح ـ في أربعة آلاف فسار حتى نزل وادي القرى وسيّر سرية عليها أبو القمقام في خمسمائة إلى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فأدركوه فقتلوه ومن معه فاغتمَّ عبد الملك بن مروان بقتله وقال: قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنب، وعزل ابن الزبير الحارث واستعمل مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزهري فوجه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة فارس وأربعين فارساً الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم اصحاب أبي القمقام وأُسِرَ منهم ثلاثون رجلاً فقتلوا صبراً ، وقيل : بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم ، ووجه عبد الملك طارق بن عمرو ـ مولى عثمان ـ وأمره أن ينزل بين أيلة ووادي القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسدّ خللاً إن ظهر له فوجه طارق إلى أبي بكر خيلاً فاقتتلوا فأصيب أبو بكر في المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مائتي رجل ، وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع أيام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل اليه ألفي فارس ليعينوا عامله على

المدينة فوجه إليه ألفي رجل ، فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسير جيش البصرة الى قتال طارق ، فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقاً الخبر ، فسار نحوه فالتقيا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبقِ أسيرهم ورجع طارق إلى وادي القرى .

وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الأسود وعزل ابن الزبير جابراً واستعمل طلحة بن عبيدالله بن عوف الذي يعرف بطلحة الندي سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق ، فلما قَتَلَ عبد الملك مصعباً وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين ، وقيل : في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبدالله بن الزبير ، وكان السبب في تسييره دون غيره أنه قال لعبد الملك : قد رأيت في المنام أني أخذت عبدالله بن الزبير فسلخته فابعثني إليه وولّني قتاله ، فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزبير ، ومن معه إن أطاعوا ، فسار في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف ، وكان يبعث الخيل إلى عرفة ويبعث ابن الزبير أيضاًفيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخبره بضعفه وتَفرُّق اصحابه ويستمدّه ، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقَدِمَ المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة ، فكان ثعلبة يُخرِج المخ وهو على منبر النبي ﷺ ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغبط أهل المدينة وكان مع ذلك شديداً على أهل الزبير ، وقدم طارق على الحجاج بمكة في سلخ ذي الحجة في خمسة آلاف ، وأما الحجاج فإنه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجة فنزل بئر ميمون ، وحج بالناس تلك السنة الحجاج إلا أنه لم يَطُفْ بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك ، فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل ابن الزبير ، ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر ابن الزبير بُدْنَهُ بمكة ، ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المِنجنيقَ على أبي قبيس ورمى به الكعبة ، وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون : خذل في دينه ، وحج ابن عمر تلك السنة فأرسل الى الحجاج أن اتقّ الله واكْفُفْ هذه

الحجارة عن الناس فإنك في شهر حرام وبلد حرام وقد قَدِمَتْ وفود الله من أقطار الأرض ليؤدّوا فريضة الله ويزدادوا خيراً وإن المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكْفُفْ عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي ، فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج : انصرفوا إلى بلادكم فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد ، وأول ما رُميَ بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فأخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم : فلما أصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر اهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فأبشروا ، فلما كان الغد جاءت الصاعقة فأصابت من اصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها ، وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف ، وكان أهل الشام يقولون :

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا اليكا لتجزين بالذي أتيكا

يعنون عصيت وأتيت .

وقدم عليه قوم من الأعراب فقالوا : قدمنا للقتال معك فنظر فإذا مع كل امرىء منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده فقال : يا معشر الأعراب لاقربكم الله فوالله ان سلاحكم لرثّ وإن حديثكم لغثّ وإنكم لقتال في الجدب أعداء في الخصب فتفرقوا . ولم يَزلْ القتال بينهم دائماً فغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسّم لحمها في أصحابه ، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ، والمدّ الذرة بعشرين درهماً وان بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً ، وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده ، وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق ويقول : أنفسُ أصحابي قوية ما لم يفن ، فلما كان قُبيل مقتله تفرّق الناس عنه وخرجوا الى الحجاج بالأمان خرج من عنده نحو عشرة آلاف ، وكان ممن فارقه ابناه حمزة ، وخبيب أخذا لأنفسهما أماناً ، فقال عبدالله لابنه الزبير : خُذْ لنفسك أماناً كما فعل أخواك فوالله إني لأحبّ بقاءكم فقال : ما كنت لأرغب بنفسي عنك فصبر معه فقُتِل .

ولما تفرّق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال: قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق ففرحوا واستبشروا وتقدموا فملؤوا ما بين الحجون إلى الأبواء، فدخل على أمه فقال: يا أماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبقَ معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامضِ له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك، وإن قلت: كُنتَ على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، كم خلودك في الدنيا القتل أحسن. فقال: يا أماه أخاف ان قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني، قالت: يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ فامضِ على بصيرتك واستعنْ بالله فقبّلَ رأسها وقال: هذا رأيي والذي خرجت به دائباً إلى يومي هذا ما ركنتُ الى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله، وان تستحل حرماته ولكني احببت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتدّ حزنك وسلّمي الأمر الى الله فإن ابنك لم يتعهد إيثار منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضِيتُ به بل أنكرته ولم يَكُنْ شيء آثر عندي من رضا ربي اللّهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تَسْلو عني.

فقالت أمه: لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدمتني احتسبتك وإن ظفرت سُررتُ بظفركَ اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك؛ فقال: جزاك الله خيراً فلا تدعي الدعاء لي قالت: لا أدعهُ لك أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهمّ ارحم طول ذاك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فيَّ هواجر مكة والمدينة وبرّه بأبيه وبي، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فاثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين، فتناول يديها ليقبلهما فقالت: هذا وداع فلا تبعد فقال لها: جئت مودعاً لأني أرى هذا آخر أياميِ من الدنيا قالت: امضِ على بصيرتك وادنُ مني حتى أودّعك فدنا منها فعانقها وقبّلها فوقعت يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد، فقال: ما لبسته إلا لأشُدّ متنك قالت: فإنه لا يشد متني فنزعها ثم درج كُمَّيْهِ وشدّ أسفل قميصهِ وجبّة خز تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه

تقول له : البس ثيابك مشمّرة ، فخرج وهو يقول :

إني إذا أعرفُ يومي أصبرُ   وإنما يَعْرف يومه[١] الحُرّ   إذ بعضهم يعرفُ ثم يُنكر

فسمعته فقالت : تصبر إن شاء الله أبواك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب ، فحمل على أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه ، وقال له بعض أصحابه : لو لحقت بموضع كذا ، قال : بئس الشيخ أنا إذاً في الاسلام لئن أوقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ، ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الأبواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين فيقول :

وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارها

وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجلاً من أهل كل بلد ؛ فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شيبة ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح ، ولأهل قنسرين باب بني تميم[٢] . وكان الحجاج ، وطارق من ناحية الأبطح إلى المروة ، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فكأنه أسدٌ في أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان : ويل أمه فتحاً لو كان له رجال أو كان قرني واحداً كفيته ، فيقول أبو صفوان عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف : أي والله وألف ، فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجّل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم، صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه ، فتقدم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم فانكشفوا وعرّج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بني شيبة وصار العلم بأيدي أصحاب الحجاج ، فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب رجلاً من أهل الشام وقال : خُذها وأنا ابن الحواري وضرب آخر وكان حبشياً فقطع يده وقال : إصبر أبا حِمَمَة اصبر ابن حام .

وقاتل معه عبدالله بن مطيع وهو يقول :

أنا الذي فَررتُ يوم الحره   والحرُ لا يفرّ إلا مَره   واليوم أجزي فرة بكره

---

(١) في الطبري « يوميه » .

(٢) في الطبري « باب بني سهم » .

وقاتل حتى قُتل ، وقيل : انه أصابته جراح فمات منها بعد أيام ، وقال ابن الزبير لأصحابه ، وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال : يا آل الزبير لو طبتم بي نفساً عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلحنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف فإنّ ألم الدواء للجراح أشدّ من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم ، غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل امرىء قرنه ولا تسألوا عني فمن كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول احملوا على بركة الله ، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرُمي بآجرة رماه رجل من السكون فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال :

فلسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تَقْطُر الدمَا

وقاتلهم قتالاً شديداً فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة ، وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكوني ، والمرادي إلى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار ، وسار الحجاج ، وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق : ما ولدت النساء أذْكَر من هذا . فقال الحجاج : أتمدح مخالف أمير المؤمنين ؟ قال : نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر إنّا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير جُندٍ ولا حصنٍ ولا مَنعة فينتصف منّا بل يفضّل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقاً ، ولما قتل ابن الزبير كبرّ أهل الشام فرحاً بقتله فقال ابن عمر : انظروا الى هؤلاء ولقد كبرّ المسلمون فرحاً بولادته وهؤلاء يكبّرون فرحاً بقتله وبعث الحجاج برأسه ، ورأس عبدالله بن صفوان ، ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فأرسلت اليه أسماء : قاتلك الله على ماذا صلبته ؟ قال : إستبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته في تكفينه ودفنه فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها . وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب إليه يلومه ويقول : ألا خليت بينه وبين أمه فأذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فمر به عبدالله بن عمر فقال : السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ولقد كنت صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله ان قوماً أنت شرهم لنعم القوم ، وكان ابن الزبير قبل قتله بقي أياماً يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن ، فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك

فقيل : ان الحجاج صلب معه كلباً ميتاً فغلب على ريح المسك ، وقيل : بل صلب معه سنوراً ، ولما قتل عبدالله ركب أخوه عروة ناقة لم يرَ مثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبدالله فاتى باب عبد الملك فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل سلّم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه على السرير فقال عروة :

متنت بـأرحـام إليـك قـريبـة   ولا قـرب للأرحـام مـا لـم تقـرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة: إنه كان، فقال عبد الملك: وما فعل؟ قال: قتل، فَخرّ ساجداً فقال عروة: ان الحجاج صلبه فهبْ جثته لأمه قال: نعم وكتب الى الحجاج يعظم صلبه ، وكان الحجاج لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له : إن عروة كان مع أخيه فلما قتل عبدالله أخذ مالاً من مال الله فهرب ، فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعاً وقد أمنته وحللته مما كان وهو قادم عليك فإياك وعروة ، وعاد عروة الى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوماً ، فأنزل الحجاج جثة عبدالله عن الخشبة وبعث به إلى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضواً عضواً فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته .

وقيل : إن عروة لما كان غائباً عند عبد الملك كتب اليه الحجاج وعاوده في إنفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة : ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه ، وليس بملوم من صَبرَ فمات ولكن المَلومَ من فرّ من الموت ، فسمع منه هذا الكلام فقال عبد الملك : يا أبا عبدالله لن تسمع منا شيئاً تكرهه وإن عبدالله لم يصل عليه أحد منعه الحجاج من الصلاة عليه وقال : إنما أمر أمير المؤمنين بدفنه .

وقيل : صلى عليه غير عروة ، والذي ذكره مسلم في صحيحه أن عبدالله بن الزبير أُلقي في مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلاً وماتت وكانت قد أضرت وهي أم عروة أيضاً ؛ فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان ، وأمر بكَنسِ المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار إلى المدينة ـ وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة ـ فلما قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال : أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن

عبدالله ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد ثم عاد إلى مكة فقال حين خرج منها : الحمد لله الذي أخرجني من أم نَتِنٌ أهلها أخبثُ بلدٍ وأغشه لأمير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعودون بها وزمة قد بليت يقولون : منبر رسول الله ﷺ وقبر رسول الله ﷺ ، فبلغ جابر بن عبدالله قوله فقال : إن وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد أن أنظره ، وقيل : إن ولاية الحجاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله ﷺ كان سنة أربع وسبعين في صفر (خُبيب بن عبدالله بن الزبير) بضم الخاء المعجمة وبباءين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبدالله يكنى به وبأبي بكر أيضاً .

ذكر عمر ابن الزبير وسيرته

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة ، وكانت خلافته تسع سنين لأنه بويع له سنة أربع وستين . وكانت له جمة مفروقة طويلة ، قال يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنه حائطاً لسكونه وطول سجوده ، وقال غيره : قسّم عبدالله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتى الصباح ، وليلة راكع حتى الصباح ، وليلة ساجد حتى الصباح . وقيل : أول ما علم من همة ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان ـ وهو صبي ـ فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال : يا صبيان اجعلوني أميركم وشدّوا بنا عليه ففعلوا ، ومر به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففرّ الصبيان ووقف هو فقال له عمر : مالك لم تفرّ معهم ؟ فقال : لم أجرم فأخافك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسِّع لك ؛ وقال قطن بن عبدالله : كان ابن الزبير يواصل من الجمعة إلى الجمعة .

قال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير يفطر في الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين سنة لم ينزع ثيابه عن ظهره ، وقال مجاهد : لم يكن بابٌ من أبواب العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلّفه ابن الزبير ، ولقد جاء سَيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، قال هشام بن عروة : كان أول ما أفصح به عمي عبدالله بن الزبير ـ وهو صغير ـ السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول : والله ليكوننّ لك منه يوم وأيام ، قال ابن سيرين : قال ابن الزبير ما شيء كان يحدثنا به كعب إلا وقد جاء على ما قال إلا قوله : فتى ثقيف يقتلني وهذا رأسه بين يدي ـ يعني المختار ـ قال ابن سيرين : ولا يشعر ابن

الزبير أن الحجاج قد خبيء له ، وقال عبد العزيز بن أبي جميلة الأنصاري : ان ابن عمر مر بابن الزبير ـ وهو مصلوب ـ بعد قتله فقال : رحمك الله أبا خبيب إنك كنت صواماً قواماً ولقد أفلحت قريش إن كنت شرهاً ، وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه في مقابر اليهود وأرسل إلى أمه يستحضرها فلم تحضر فأرسل إليها لتأتيني أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته فقام إليها ، فلما حضر قال لها : كيف رأيتني صنعت بعبدالله قالت : رأيتك أفسدت على ابني دنياه وأفسد عليك آخرتك أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً فأما الكذاب فقد رأيناه ـ تعني المختار ـ وأما المبير فأنت هو ، وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه ، وقال ابن الزبير لعبدالله بن جعفر : أتذكر يوم لقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت فأخذ بني فاطمة فقال : نعم فحملنا وتركك ولو علم أنه يقول له هذا ما سأله .

ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة ، وأرمينية

وفي هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمداً على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن في العدو، وكانت بحيرة الطريخ التي بأرمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه ، ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم وهي إلى الآن على هذه الحال من الحجر ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، وهذا الطريخ من عجائب الدنيا لأن سمكه صغير له كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة في نهر يصب اليها كثيراً يؤخذ بالأيدي والآلات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لا يوجد منه شيء .

ذكر قتل أبي فديك الخارجي

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجي وطاعة أصحابه أبا فديك ؛ وثبت قدم أبي فديك إلى الآن فامر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيدالله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة ، والبصرة ويسير إلى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم، وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله ، وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن

موسى بن عبيدالله بن معمر وهو ابن أخي عمر ، وجعل خيلهُ في القلب ، وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفّوا للقتال فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا إلا المغيرة بن المهلب ، ومجاعة بن عبد الرحمن ، وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى ، فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لَمْ ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير لأن أميرهم عمر بن موسى كان جريحاً فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم ، وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ، ووجدوا جارية عبدالله بن أمية حبلى من أبي فديك وعادوا إلى البصرة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ عبد الملك خالد بن عبدالله عن البصرة وولّاها أخاه بشراً في قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة ، والبصرة فسار بشر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم ، وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً فهزمهم وأكثر القتل فيهم ، وحجّ بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة ، واليمن ، واليمامة ، وكان على الكوفة ، والبصرة في قول بعضهم بشر بن مروان ، وقيل : كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبدالله ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان بكير بن وشاح .

وفي هذه السنة مات عبدالله بن عمر بمكة ، ودفن بذي طوى وقيل : بفخ ، وكان سبب موته أن الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه بزج رمح مسموم فمات منها ، وعاده الحجاج في مرضه فقال : من فعل بك هذا ؟ قال : أنت لأنك أمرت بحمل السلاح في بلد لا يحلّ حمله فيه ، وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر ، وقيل غير ذلك ، وكان عمره سبعاً وثمانين سنة ، وفيها مات سلمة بن الأكوع ، وأبو سعيد الخدري ، ورافع بن خديج ، ومالك بن مسمع أبو غسان البكري ، وقيل : مات سنة أربع وستين وولِدَ على عهد رسول الله ﷺ ، وتوفي سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن

مروان ، وأسماء بنت أبي بكر بعد ابنها بقليل ، وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير ، قيل : ان ابنها عبدالله قال له : مثلي لا توطأ أمه فطلقها .

وفيها مات عوف بن مالك الأشجعي وكان أول مشاهده خيبر ، ومعاوية بن حديج قبل ابن عمر بيسير ، وفيها مات معبد بن خالد الجهني وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة ، وفيها قُتِلَ عبد الرحمن بن عثمان بن عبيدالله مع ابن الزبير ، وهو ابن أخي طلحة بن عبيدالله وله صحبة .

(رافع بن خَدِيج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ، و (معاوية بن حُدَيج) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

في هذه السنة عَزَلَ عبد الملك طارقاً عن المدينة واستعمل عليها الحجاج فاقام بها شهراً وفعل بالصحابة ما تقدم ذكره وخَرَجَ عنها مُعتمراً .

وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها إلى البناء الأول وأخرج الحجر منها ، وكان عبد الملك يقول : كذب ابن الزبير على عائشة في أن الحجر من البيت ، فلما قيل له : قال غير ابن الزبير : إنها روت عن رسول الله ﷺ قال : وددت أني تركته وما يحمل ، وفيها استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولاني .

ذكر ولاية المهلب حرب الأزارقة

لما استعمل عبد الملك أخاه بشراً على البصرة سار اليها فأتاه كتاب عبد الملك يأمرهُ أن يبعثَ المهلب إلى حرب الأزارقة في أهل البصرة ووجوههم ، وكان ينتخب منهم من أراد أن يتركه وراءه في الحرب وأمره أن يبعث من أهل الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالبأس والنجدة والتجربة في جيشٍ كثيف الى المهلب ، وأمرهم أن يتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم ، فأرسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وأمره أن ينتخب الناس من الديوان ، وشق على بشر أن امرة المهلب جاءت من عبد الملك فأوغرت صَدره عليه حتى كأنه أذنبَ اليه فدعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : قد عرفت منزلك عندي وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش الذي أسيّره من الكوفة للذي عرفته منك فكن عند أحسن ظني بك وانظر إلى هذا كذا وكذا يقع في المهلب فاستبد عليه بالأمر ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً وتنقصه ، قال عبد الرحمن : فترك أن يوصيني بالجيش وقتال العدو والنظر لأهل الاسلام وأقبل يغريني بابن عمي كأني من السفهاء ما

رأيت شخصاً مثلي طمع منه في مثل هذا ، قال : فلما رأى أني لست بنشيط إلى جوابه قال لي : مالك ؟ قلت : أصْلحكَ الله وهل يسعني إلا إنفاذُ أمرك فيما أحببت وكرهت ، وسار المهلب حتى نزل رام هرمز فلقي بها الخوارج فخندق عليه ، وأقبل عبد الرحمن في أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وإسحاق بن محمد بن الأشعث ، وزحر بن قيس ، فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برام هرمز ، فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعي بشر بن مروان توفي بالبصرة فتفرق ناسٌ كثير من أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، واستَخْلَفَ بشر على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث ، وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس، وإسحاق بن محمد بن الأشعث، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ، فأتوا الأهواز فاجتمع بها ناس كثير ، فبلغ ذلك خالد بن عبيدالله فكتب اليهم يأمرهم بالرجوع إلى المهلب وتَهَـدَّدَهُمْ إن لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذرهم عقوبة عبد الملك ، فلما قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطراً أو سطرين قال زحر : أُوجِزْ ، فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه ، وأقبل زحر ومن معه حتى نزلوا إلى جانب الكوفة وأرسلوا إلى عمرو بن حريث أن النفر لما بلغهم وفاة الأمير تفرّقوا فأقبلنا إلى مصرنا وأحببنا أن لا ندخل إلا بإذن الأمير ، فكتب إليهم ينكر عليهم عودهم ويأمرهم بالرجوع إلى المهلب ولم يأذن لهم في دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا الى بيوتهم فأقاموا حتى قدم الحجاج أميراً .

ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبدالله بن خالد

في هذه السنة عَزَلَ عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولّاها أمية بن عبدالله بن خالد بن أُسيد وكانت ولاية بكير سنتين ، وكان سبب عزله أن تميماً اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصبون لبحَير ويطلبون بكيراً وصارت أوف والأبناء يتعصبون لبكير ـ وكل هذه بطون من بني تميم ـ فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ، ويقهرهم المشركون فكتبوا إلى عبد الملك بذلك وأنها لا تصلح إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه ، فاستشار عبد الملك فيمن يوليه فقال أمية : يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال : لولا انهزامك[1] عن أبي فديك

(١) في الطبري « لولا انحيازك » .

كنت لها، قال: يا أمير المؤمنين والله ما انهزمتُ حتى خذلني الناس ولم أجد مقاتلاً فرأيتُ أن انحيازي إلى فئة أفضل من تعرض[1] عصبة بقيت من المسلمين للهلكة، وقد كتب اليك خالد بن عبدالله بعذري، وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان ـ وكان عبد الملك يحبه ـ فقال الناس: ما رأينا أحداً عوّض من هزيمة ما عوّض أمية، فلما سمع بكير بمسيره أرسل إلى بحير وهو في حبسه ـ وقد تقدم ذكر ذلك في مقتل ابن خازم ـ يطلب منه الصلحَ فامتنعَ بحير وقال: ظنّ بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة، ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال: أراك أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك، وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس أمرك، فقبل منه وصالحَ بكيراً، فأرسل إليه بكير باربعين ألفاً وأخذ عليه أن لا يقاتله، وخرج بَحير فاقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه أنه قد قارب نيسابور، سار اليه ولقيه بها فاخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة أهلها ورفع على بكير أموالاً أخذها وحذّره غدرهُ وسار معه حتى قَدِمَ مرو، وكان أمية كريماً ولا يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فأبى فولاها بحير بن ورقاء، فلامَ بكيراً رجالٌ من قومه فقال: كنت بالأمس أميراً تحمل الحراب بين يدي فأصيرُ اليوم أحمل الحربة، ثم خيّر أمية بكيراً أن يولّيه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال: فتجهز لها فأنفق مالاً كثيراً فقال بَحير لأمية: إنْ أتى طخارستان خَلَعَك وحذّره فلم يولّه. (أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين. (وبحير) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء.

ذكر ولاية عبدالله بن أمية سجستان

لما وصل أمية بن عبدالله إلى كرمان استعمل ابنه عبدالله على سجستان، فلما قَدِمَها غزا رتبيل الذي ملك بعد المقتول الأول وكان رتبيل هائباً للمسلمين، فلما وصل عبدالله إلى بست أرسل رتبيل يطلب الصلح وبذل ألف ألف وبعث إليه بهدايا ورقيق فأبى عبدالله قبولَ ذلك وقال: إن ملأ لي هذا الرواق ذهباً وإلا فلا صلح ـ وكان غراً ـ فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلى عنه

(١) في الطبري «من تعريضي».

وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيئاً فأبى رتبيل وقال : بل يأخذ ثلاثمائة ألف درهم صلحاً ويكتب لنا به كتاباً ولا يغزو بلادنا ما كنت أميراً ولا يحرق ولا يخرب ففعل ، وبلغ ذلك عبد الملك فعزله .

ذكر ولاية حسان بن النعمان أفريقية

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين ؛ فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك ، وشغله عن أفريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير ، فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهّز جيشاً كثيراً واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيّرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله ، فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك إفريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها ، فلما وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة ، فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيراً ، فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ؛ ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلاً ذريعاً، وأرسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا إليه خوفاً فأمرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ؛ ثم بلغه أن الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة ، وبنزرت وهما مدينتان فسار إليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ، ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم إلا وطِئَهُ وخاف أهل افريقية خوفاً شديداً ، ولجأ المنهزمون من الروم إلى مدينة باجة فتحصّنوا بها وتحصّن البربر بمدينة بونة فعاد حسان إلى القيروان لأن الجراح قد كثرت في أصحابه فأقام بها حتى صحوا .

ذكر تخريب أفريقية

لما صلح الناس قال حسان : دلّوني على أعظم من بقي من ملوك أفريقية فدلّوه على امرأة تملك البربر تُعرف بالكاهنة ـ وكانت تُخبرهم باشياء من الغيب ولهذا سُميت الكاهنة ـ وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة ، فسأل أهل افريقية عنها فعظّموا محلها وقالوا له : ان قَتَلْتَها لم تختلف البربر بعدها عليك، فسار إليها فلما قارَبها هَدمت حصنَ باغاية ظناً منها انه يريد الحصون فلمْ يعرّج

حسان على ذلك وسار إليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان ، وأُسِرَ جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي ـ وكان شريفاً شجاعاً ـ فاتخذته ولداً ، وسار حسان حتى فارق أفريقية وأقام ، وكتب الى عبد الملك يُعلمه الحال فأمره عبد الملك بالمقام إلى أن يأتيه أمرهُ فأقام بعمل برقة خمس سنين فسُمِّي ذلك المكان قصور حسان إلى الآن ، وملكت الكاهنة أفريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعَسَفَتهم وظلمتهم ، ثم سيّر اليه عبد الملك الجنود والأموال وأمره بالمسير إلى أفريقية وقتال الكاهنة، فأرسل حسان رسولاً سراً إلى خالد بن يزيد ـ وهو عند الكاهنة ـ بكتاب يستعلم منه الأمور، فكتب إليه خالد جوابه في رقعة يعرّفه تَفرق البربر ويأمره بالسرعة، وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول : ذهب ملكهم فيما يأكل الناس، فطلب الرسول فلم يوجد فوصل إلى حسان وقد احترق الكتاب بالنار ، فعاد إلى خالد وكتب إليه بما كتب أولاً وأودَعه قربوس السرج ، فسار حسان ، فلما عَلِمت الكاهنة بمسيره إليها قالت : ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ، ونحن إنما نريد المزارع والمراعي ، ولا أرى إلا أن أخرّب أفريقية حتى ييأسوا منها وفرّقت أصحابها ليخرّبوا البلاد فخرّبوها وهدموا الحصون ونهبوا الأموال وهذا هو الخراب الأول لأفريقية ، فلما قرب حسان من البلاد لَقِيهُ جمعٌ من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسرّه ذلك ، وسار إلى قابس فلقيه أهلها بالأموال والطاعة ـ وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الأمراء ـ وجعل فيها عاملاً ؛ وسار إلى قَفْصَة ليتقرب الطريق فأَطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزلوة ، وبلغ الكاهنة قدومه ، فاحضرت ولدين لها ، وخالد بن يزيد وقالت لهم : إنني مقتولة فامضوا إلى حسان وخذوا لأنفسكم منه أماناً فساروا اليه وبقوا معه ، وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظُنَّ أنه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلاً ذريعاً وانهزمت الكاهنة ثم أُدْرِكَتْ فقُتِلَتْ ، ثم ان البربر استأمنوا إلى حسان فامنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عُدّتهم اثنا عشر ألفاً يجاهدون العدو فأجابوه إلى ذلك فجعل على هذا العسكر ابني الكاهنة ، ثم فشا الاسلام في البربر ، وعاد حسان إلى القيروان في رمضان من تلك السنة وأقام لا ينازعه أحد الى أن توفي عبد الملك ، فلما ولي الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبدالله بن مروان فعزل عنها حساناً واستعمل موسى بن نصير سنة تسع

وثمانين على ما نذكره إن شاء الله ، وقد ذكر الواقدي أن الكاهنة خرجت غضباً لقتل كسيلة وملكت أفريقية جميعها وعملت باهلها الأفاعيل القبيحةَ وظلمتهم الظلم الشنيع ونال مَنْ بالقيروان من المسلمين أذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين ، فاستعمل عبد الملك على أفريقية حسان بن النعمـان فسار في جيـوش كثيرة وقصـد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان منهزماً إلى نواحي برقة فأقام بها إلى سنة أربع وسبعين فسير إليه عبد الملك جيشاً كثيفاً وأمره بقَصْدِ الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان ، وقيل : إنه لما قَتَل الكاهنة عاد من فَوْرِه إلى عبد الملك واستخلف على أفريقية رجلاً اسمه ابو صالح إليه ينسب فحص صالح[1] .

ذكر عدة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف ، وكان على قضاء المدينة عبدالله بن قيس بن مخرمة ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وقيل : إن عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصح ، وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ أندولية .

وفيها مات جابر بن سمرة السوائي في امارة بشر بن مروان بالكوفة ، وفي إمارته أيضاً مات أبو جحيفة بالكوفة ، وفيها مات عمرو بن ميمـون الأودي ، وقيل : سنـة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين ، وفيهـا مات عبـدالله بن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر ، وقيل : مات سنة ثلاث وسبعين ، وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمي وله صحبة ، وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحي وكان مولده بأرض الحبشة وأتى به النبي ﷺ ، وفيها مات أبو سعيد بن معلى الأنصاري ، وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفي (ضمعج) بالضاد المعجمة والجيم .

---

(١) الفحص بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره صاد مهملة اسم عدة مواضع في المغرب .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

في هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش .

ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق

في هـذه السنة ولّى عبـد الملك الحجاج بن يـوسف العـراق دون خـراسـان وسجستان ؛ فأرسل إليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير إلى العراق ، فسار في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة ـ وقد كان بشر بعث المهلب ـ الى الخوارجِ فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو مُتلثِم بعمامةِ خزٍ حمراء ، فقال : علي بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهمّوا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم ، فاجتمع الناس وهو ساكتٌ قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء، وأراد أن يحصبه بها وقال : قاتله الله ما أغباه وأذمّه والله إني لأحسب خبره كروائه ، فلما تكلّم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل به ، قال: ثم كشف الحجاج عن وجهه ، وقال :

أنـا ابن جـلا وطَـلاّع الثنـايـا   متى أَضَـع العمَـامَـةَ تَعرفـوني

أما والله إني لأَحْمِلُ الشرّ مَحمَلهُ وآخذه بفعله [١] وأُجزيه بمثله وإني لأرى رؤوساً قد أَينَعتْ وقد حان قِطَافُها إني لأنظُر إلى الدماءِ بين العمَائمِ واللحى قد شمّرت عن ساقها تشميرا :

---

(١) في الطبري « وأحذوه بنعله » .

هذا أوانُ الحربِ[١] فاشتدي زِيم قـد لفّهـا الليـلُ بسـواق حـطم
لـيس بـراعـي إبـلٍ ولا غـنـم ولا بـجـزّارٍ على لـحم وَضَـمْ[٢]

(ثم قال) :

قـد لَفّهـا الليـلُ بعَصْلبيٍّ أرْوَعَ خَـرّاج من الـدّوِيِّ مُهـاجـرٍ ليس بـأعـرابيِّ
ليس أوان بكرة الخلاط[٣] جاءت به والقلص الاعلاط تهوى هُوِيَّ سائق الغطاط[٤]

إني والله يا أهل العراق ما أغمز بتغماز التين،[٥] ولا يقَعْقَعُ لي بالشنان[٦]، ولقد فررت عن ذكاء وجريت إلى الغاية القصوى ثم قرأ: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعمِ الله فأذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانو يصنعون﴾[٧] وأنتم أولئك وأشباهُ أولئك إن أمير المؤمنين عبد الملك نثَرَ كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً واصلبها مكسرا فوجهني إليكم ورمى بي في نحوركم فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فإنكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن الغي فـاستوثقـوا واستقيموا فـوالله لأذيقنّكم الهوانَ ولأُمـرينّكم بـه حتى تـدروا ولألحُونّكم لحوَ العودِ ولأَعَصُبنّكم عصب السلمة حتى تذلّوا ولأضربنّكم ضربَ غرائبَ الإبلِ حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولأقرعنّكم قرع المروة حتى تلينوا إني والله ما أَعِدُ إلا وفَيت ولا أخلق إلا فريَت فإيـاي وهذه الجمـاعات فـلا يركبن رجـل إلا وحده ، أُقسمُ بالله لتقبلن على الإنصاف ولتـدعنّ الإرجافَ وقيـلاً وقال ومـا تقول ومـا يقول وأخبـرني فلان أو لأدعن لكـل رجلٍ منكم شغـلاً في جسـدِه فيمَ أنتم وذاك ، والله لتستقيمُنّ على الحق أو لأضربنّكم بالسيفِ ضرباً يدعُ النساء أيامى والولدان يتامى حتى تذروا السمهي وتقلعوا عن هواها ، ألا إنه لو سَاغَ لأهل المعصية معصيتهم ما جيء فيء

---

(١) في الطبري « هذا أوان الشدّ » .
(٢) في الطبري « على ظهر وَضَم » .
(٣) في الطبري « يكره الخلاط » .
(٤) في الطبري « سابق الغطاط » .
(٥) في الطبري « كتغماز التين » .
(٦) الشنان جمع شنة وهي القربة البالية .
(٧) سورة النحل ١١٢ .

ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا أنهم يغزون كرهاً ما غزوا طوعاً ، وقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم على مصركم عاصين مخالفين وإني أقسم بالله لا أجد أحداً من عَسكرِه بعد ثلاثة إلا ضَربتُ عُنُقَه وأنهبت داره .

ثم أمر بكتاب عبد الملك فقُرىء على أهل الكوفة ، فلما قال القارىء : أما بعد سلام عليكم فإني أحمد الله اليكم قال له : اقطع ثم قال : يا عبيد العصا يسلّمُ عليكم أمير المؤمنين فلا يردُّ رادٌّ منكم السلام أما والله لأؤدبنّكم غيرَ هذا الأدب ، ثم قال للقارىء : اقرأ فلما قرأ سلامٌ عليكم قالوا بأجمعهم : سلام الله على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ، ثم دعا العرفاء وقال : ألحقوا الناس بالمهلب واتوني بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقَن أبوابَ الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضي هذه المدة .

تفسير هذه الخطبة قوله : (أنا ابن جلا) فابن جلا هو الصبح لأنه يجلو الظلمة ، وقوله : (فاشتدي زيم) هو اسم للحرب، والحطم الذي يحطم كل ما مر به ، والوضم ما وقي به اللحم عن الأرض ، والعصلبي الشديد ، والاعلاط من الابل التي لا أرسان عليها ، وقوله : (فعجم عيدانها) أي عضها واختبرها ، وقوله : (لأعصبنكم عصب السلمة) فالعصب القطع والسلم شجر من العضاة ، وقوله : لا أخلق إلا فريت فالخلق التقدير ، ويقال : فريت الأديم إذا أصلحته ، والسمهي الباطل وأصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان ، والغُطاط بضم الغين المعجمة وقيل بفتحها ضرب من الطير .

فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق وأهل الشقاقِ والنفاق ومساوىء الأخلاق إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به وجه الله ولكنه التكبيرُ الذي يراد به الترهيب . وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف ، يا بني اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأبناء الأيامى ألا يربع رجل منكم على ظلفه[1] ويُحسنُ حَقنَ دمه ويعرف موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع

---

(١) في الطبري « طلعه » وفسره بالضعف والوهن في شدة السير ، والقصف شدة الريح ، واللكعاء الحمقاء من الاماء .

بكم وقعة تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها ، فقام عمير بن ضابىء الحنظلي التيمي فقال : أصلح الله الأمير أنا في هذا البعث وأنا شيخٌ كبيرٌ عليلٌ وابني هذا أشبّ مني ، فقال الحجاج : هذا خير لنا من أبيه ، ثم قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عمير بن ضابىء . قال : أسمعتَ كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ، قال : ألست الذي غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى ، قال : يا عدو الله أفلا إلى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك ؟ قال : إنه حبس أبي وكان شيخاً كبيراً قال : أو لست القائل [1] :

هَمَمْتُ وَلَم أفعلْ وكِدت وليتني ... تَركتُ على عثمانَ تبكي حَلائِلُهْ ؟

إني لأحسب ان في قتلك صلاح المصرين وأمر به فضُربتْ رقبته وأنهب ماله ، وقيل : ان عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجاج : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا أحدُ قَتَلَةِ عثمان ، فقال الحجاج : إي عدو الله أفلا إلى أمير المؤمنين بعثت بديلاً ثم أمر به فضُرِبَتْ عنقه ، وأمر منادياً فنادى ألا إن عمير بن ضابىء أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا ان ذمة الله بريئة ممن لم يأت الليلة إلى جند المهلب ، فخرج الناس فازدحموا على الجسر ، وخرج العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة ، فقال المهلب : قَدِمَ العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو ، فلما قتل الحجاج عميراً لقي إبراهيم بن عامر الأسدي عبدالله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال :

أقولُ لإبراهيمَ لمّا لَقيتُهُ ... أرى الأمرَ أضحى مُنصباً متشعبا
تَجهَّزْ وأَسرعْ فالحقِ الجيشَ لا أرى ... سوَى الجيش إلا في المهالكِ مَذْهَبا
تَخَيَّرْ فإما أن تزورَ ابن ضابىءٍ ... عُميراً وإما أن تزورَ المُهلبا
هما خُطتا خسف [2] نَجاؤكَ مِنهُما ... رُكُوبُكَ حَوْليّاً من البلج [3] أشهَبا
فحال ولو كانت خُراسانُ دونه ... رآها مَكان السّوقِ أو هيَ أقْربا
فكائن ترى من مُكْرِهِ الغزو مُسمرٍ [4] ... تَحمَّمَ حِنوَ السرج حتى تَحنّبا

(١) في الطبري « أو ليس يقول » وهو الصحيح لأن القائل ضابىء لا عمير .

(٢) في الطبري « هما خطتا كره » .

(٣) في الطبري « من الثلج » .

(٤) في الطبري « من مكره العَدْوَ مسمن » والمعنى يريد سمينا يكره العَدْو ، والعَدْوَ نوعٌ من السير .

تحمم أي لزمه حتى صار كالحميم وتحنب أعوجّ ، و (الزَبير) ههنا بفتح الزاي وكسر الباء ، قيل : وكان قدوم الحجاج في شهر رمضان فوجه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميراً وأمره أن يشتد على خالد بن عبدالله ، فبلغ خالداً الخبر فخرج عن البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيّعه أهل البصرة فقسّم فيهم ألف ألف ، فكان الحجاج أول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذي يكتب اليه .

قال الشعبي : كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر ، وعثمان ، وعلي نزعت عمامته ويقام للناس ويشهر أمره ، فلما وَلِيَ مصعب قال : ما هذا بشيء وأضاف اليه حلق الرؤوس واللحى ، فلما وَلِيَ بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الأرض ويسمّر في يديه مسماران في حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلِمَ فقال شاعر :

لولا مخافةُ بِشرٍ أو عقوبتهُ وإن يُنَوّط[1] في كفي مسمارُ
إذاً لعطلت ثغري ثم زرتكم إن المحب لمن يهواه زَوارُ

فلما كان الحجاج قال : هذا لعب اضرب عنق من يخل مكانه في الثغر .

ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله

في هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ، ومحمد ابنا الحرث العلاقيان فقتلاه وغلبا على البلاد ، فأرسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمي إلى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح أماكن من قندابيل ، ومات مجاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه :

ما من مشاهدك التي شاهدتها إلا يزيدكَ ذكْرها مجاعا

ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج

في هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة واستخلفَ على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ؛ فلمّا قَدِمَ البصرة خطبهم بمثل خطبتهِ بالكوفة وتوعّد من راه

---

(١) ينوط بضم ففتح فواو مفتوحة مشددة .

منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب ؛ فأتاه شريك بن عمرو اليشكري وكان به فتقٌ وكان أَعْوَرَ يضع على عينه قطعة كُرسفة[١] فلُقِبَ ذا الكرسفة فقال : أصلح الله الأمير إن بي فتقاً وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائي مردودٌ في بيت المال فأمر به فضُرِبَتْ عنقه فلمْ يبقَ بالبصرة أحدٌ من عسكر المهلب إلا لحق به ، فقال المهلب : لقد أتى العراقَ رجل ذكر ، وتتابع الناس مزدحمين اليه حتى كَثُر جَمعه ، ثم سار الحجاج إلى رستقاباذ[٢] ـ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً وإنما أراد أن يشدّ ظهر المهلب وأصحابه بمكانه ـ فقام برستقا خطيباً حين نزلها فقال : يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنة بعد سنـة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخـوارج المطلين عليكم ، ثم إنه خطب يوماً فقال : إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها ـ وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة ـ فقال عبدالله بن الجارود : إنها ليست بزيادة ابن الزبير إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر ؛ فقال له الحجاج : ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبنّك إياه ، فقال : ولِمَ ؟ إني لك لناصحٌ وإنّ هذا لقول من ورائي ، فنزل الحجاج ومَكَثَ أشهراً لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الأول ، فقام مصقلة بن كرب العبدي أبـو رقبة بن مصقلة المُحَدّث عنه فقال : إنه ليس للرَّعِيّة أن تردّ على راعيها وقد سمعنا ما قال الأمير فسمعاً وطاعةً فيما أحببنا وكرهنا ، فقال له عبدالله بن الجارود : يا ابن الجرمقانية ما أنتَ وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا وأتى الوجوه عبدالله بن الجارود فصوّبوا رأيه وقوله .

وقال الهذيل بن عمران البـرجمي ، وعبدالله بن حكيم بن زيـاد المجاشعي ، وغيرهما : نحن معك وأعوانك إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة فهلمّ نُبايعك على إخراجه من العراق ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولّي علينا غيره فإن أبى خلعناه فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج ، فبايعه الناس سراً وأعطوه المواثيقَ على الوفاء وأخذ بعضهم على بعضهم العهودَ ، وبلغ الحجاج ما هم فيه فاحرز بيت المال

---

(١) الكرسفة : صوفة الدواة

(٢) في الطبري ومعجم البلدان « رستقباذ » .

واحتاط فيه فلمّا تم لهم أمرهم أظهروه وذلك في ربيع الآخر سنة ست وسبعين ، وأخرج عبدالله بن الجارود عبد القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتى لقي الحجاج وليس معه مالاً خاصته وأهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر ، وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه ، فأرسل الحجاج أعين صاحب حمام أعين بالكوفة إلى ابن الجارود يستدعيه إليه فقال ابن الجارود : ومن الأمير ؟ لا ولا كرامة لابن أبي رغال[1] ولكن ليخرج عنا مذموماً مدحوراً وإلا قاتلناه ، فقال أعين : فإنه يقول لك : أتطيبُ نفساً بقتلك وقتل أهل بيتكَ وعشيرتك والذي نفسي بيده لئن لم تأتني لأُدعن قومك عامة وأهلك خاصة حديثاً للغابرين ـ وكان الحجاج قد حمّل أعين هذه الرسالة ـ فقال ابن الجارود : لولا أنك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وأمر فوجىء في عنقه وأخرج ،واجتمع الناس لابن الجارود فأقبل بهم زحفاً نحو الحجاج وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه ، فلما صاروا إليه نهبوه في فسطاطِه وأخذوا ما قدروا عليه من مَتَاعِه ودوابِه .

وجاء أهل اليمن فأخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير ، وجاءت مضر فأخذوا امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن عمرو أخي سهيل بن عمرو فخافه السُفهاء ، ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه فأتاه قومٌ من أهل البصرة فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة ، فجعل الغضبان بن القبعثري الشيباني يقول لابن الجارود : تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدى بك ، أما ترى من قد أتاه منكم ، ولئن أصبح ليكثُرن ناصره وليضعُفن منكم ، فقال : قد قَرُبَ المساء ولكننا نُعاجله بالغداة ، وكان مع الحجاج عثمان بن قطن ، وزياد بن عمرو العتكي ـ وكان زياد على شرطة البصرة ـ فقال لهما : ما تَرَيان ؟ فقال زياد : أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين فقد ارفضّ أكثر الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك ؛ فقال عثمان بن قطن الحارثي : لكني لا أرى ذلك إن أمير المؤمنين قد شركك في أمره وخَلطَكَ بنفسه واستنْصَحَكَ وسلّطك ، فسرت الى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطراً فقتلته فولّاك الله شرفَ ذلك وسناه ، وولّاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعت فولّاك العراقين فحيث جريتَ إلى المدى وأُصبتَ الغرضَ الأقصى تخرج على قعود إلى الشام ، والله لئن

---

[1] أبو رغال كان دليل أبرهة إلى مكة عام الفيل .

فعلت لا نِلْتَ من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان أبداً وليتضعن شأنك ، ولكني أرى أن تمشي بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً ، فقال له الحجاج : الرأي ما رأيت وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد بن عمرو ، وجاء عامل بن مسمع إلى الحجاج فقال : إني قد أخذت لك أماناً من الناس فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول : والله لا أؤمّنهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل ، وعبدالله بن حكيم ، وأرسل إلى عبيد بن كعب النميري يقول : هلمّ إلي فامنعني فقال : قل له : إن أتيتني مَنعتُكَ فقال : لا ولا كرامة ، وبعث إلى محمد بن عمير بن عطارد كذلك فأجابه مثل الجواب الأول ، فقال : لا ناقتي في هذا ولا جملي ، وأرسل إلى عبدالله بن حكيم المجاشعي فأجابه كذلك أيضاً .

ومرَّ عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل ، وعبدالله بن حكيم وهم يتناجون فقال : أشركونا في نجواكم :فقالوا :هيهات أن يدخل في نجوانا أحدٌ من بني الحبط فغضب وسار إلى الحجاج في مائة رجل فقال له الحجاج : ما أبالي من تخلف بعدك ، وسعى قتيبة بن مسلم في قومه في يحيى[1] أعصر وقال : لا والله لا نَدعُ قيساً يقتل ولا ينهب ماله ـ يعني الحجاج ـ وأقبل إلى الحجاج ـ وكان الحجاج قد يئِسَ من الحياة فلما جاءَهُ اطمأن، ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي، وسعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فسلّم فأدناه منه ؛ وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع إن شئتَ أتيتكَ وإن شئت أقمت وثبطتُ الناس عنك فقال : أقِمْ وثبِّطِ الناس عني ، فلما اجتمع إلى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبى أصحابه وتلاحق الناس به ، فلما أصبح إذ حوله نحو ستة آلاف ؛ وقيل غير ذلك ، فقال ابن الجارود لعبيدالله بن زياد بن ظبيان : ما الرأي ؟ قال : تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان : تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدى بك ، وقد ذهب الرأي وبقي الصبر ، فدعا ابن الجارود بدرعٍ فلبِسَها مقلوبةً فتطير ، وحرّض الحجاج أصحابه وقال : لا يهولنّكم ما ترون من كثرتهم، وتزاحف القوم، وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران ، وعلى ميسرته عبدالله بن زياد بن ظبيان ، وعلى مَيمنةِ الحجاج قتيبة بن مسلم ، ويقال : عباد بن الحصين ، وعلى مَيسرتِه سعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود

---

(١) لفظ يحيى هنا لا معنى له .

في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فأصابه فوقع ميتاً ، ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل ، وعبدالله بن حكيم ، وأمر أن لا يتبع المنهزمون وقال : الاتباع من سوء الغلبة ، فانهزم عبيدالله بن زياد بن ظبيان وأتى سعيد بن عياذ بن الجلندي الأزدي بعمان فقيل لسعيد : إنه رجلٌ فاتكٌ فاحذره ، فلما جاء البطيخ بعث إليه بنصف بطيخة مسمومة وقال : هذا أول شيء جاء من البطيخ وقد أكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها فأكلها عبيدالله فأحس بالشر فقال : أردتُ أن أقتله فقتلني ، وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه إلى المهلب فنصبت ليراها الخوارج ويتأسوا الاختلاف .

وحبس الحجاج عبيد بن كعب ، ومحمد بن عمير حيث قالوا للحجاج : تأتينا لنمنعك، وحبس الغضبان بن القبعثري وقال له: أنت القائل: تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدى بك، فقال: ما نفَعَتْ من قِيلتْ له ولا ضَرَّتْ من قِيلتْ فيه، فكتب عبد الملك إلى الحجاج بإطلاقه ، وقُتِل مع ابن الجارود عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري فقال الحجاج : ولا أرى أنساً يعين عليّ فلمّا دخل البصرة أَخَذ ماله فحين دَخَلَ عليه أنس قال : لا مرحباً ولا أهلاً بك يا ابن خبيثة شيخُ ضلالة جوالٌ في الفتن مرةً مع أبي تراب ، ومرةً مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الجارود ، أما والله لأجردنّك جَرْدَ القضيب ولأعصبنّكَ عصبَ السلمة ولأقلعنّك قلع الصمغة ، فقال أنس : بمن يعني الأمير ؟ قال : إياك أعني أَصمّ الله صداك ، فرجِعَ أنس فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج وما صنع به ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج : أما بعد ، يا ابن أم الحجاج فإنك عبدٌ طَمتْ بك الأمور فعلوتَ فيها حتى عدوتَ طورك وجاوزتَ قدركَ يا ابن المستفرمة[١] بعجم الزبيب لأغمزنك غمزة كَبعضِ غمزات الليوثِ الثعالبَ ولأخبطنّك خبطةً تود لها أنك رجعت في مخرجك من بطن أمك، أما تَذْكُرَ حال آبائك في الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم ؟ أنسيت حال آبائك في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق ؟ وقد بلغ أمير المؤمنين

---

(١) المستفرمة بميم فسين مهملة فتاء مثناة من فوق ففاء فراء فميم فهاء وهي التي تجعل عجم الزبيب في خرقة وتتحمل بها لقطع رطوبة المكان .

الذي كان مِنكَ إلى أنسٍ بن مالك جرأةً وإقداماً وأظنك أردت أن تسبر ما عند أمير المؤمنين في أمره فتعلم إنكاره ذلك وإغضاءه عنك فإن سوغَكَ ما كان منك مضيت عليه قدماً فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفش العينين أصكّ الرجلين ممسوح الجاعرتين ، ولولا أن أمير المؤمنين يظن أن الكاتب كثر في الكتابة عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لارسِل من يَسحبُكَ ظهراً لبطن حتى يأتي بك أنساً فيحكم فيك فأكرم أنساً وأهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله ﷺ ولا تُقصرَّن في شيء من حوائِجه ولا يبلغن أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك مِنْ أمرِ أنس وبره وإكرامه فيبعث إليك من يضرب ظَهرَكَ ويَهْتِكُ سِتْرَكَ ويشمّت بك عدوك والقه في منزله متنصلاً إليه ، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله والسلام .

وبعث بالكتاب مع اسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم فأتى إسماعيل أنساً بكتاب أمير المؤمنين إليه فقرأه ، وأتى الحجاج بالكتاب إليه فجعل يقرؤه ووجهه يتغير ويتغبّر وجبينه يرشَحُ عرقاً ويقول : يغفر الله لأمير المؤمنين ، ثم اجتمع بأنس فرحب به الحجاج واعتذر إليه، وقال: أردت أن يَعلمَ أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان، إذ بلغت منك ما بلغت أني إليهم بالعقوبة أسرع . فقال أنس : ما شكوتُ حتى بَلغَ مني الجهد، وحتى زعمت أنّا الأشرار وقد سمانا الله الأنصار، وزعمت أنّا أهل النفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والايمان ، وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب ، وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلماً إلى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك مني ولم يكن لي عليك قوة فوكلتك إلى الله ثم إلى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظ ، فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم عيسى بن مريم يوماً واحداً لعرفوا من حقه ما لم تعرف أنت من حقي ، وقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه وأثنينا وإن رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان ، ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه .

ذكر شيرزنجي والزنج معه

اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فأفسدوا وتناولوا الثمار ، وَوَلِيَ خالد بن عبدالله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس

اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشاً فلما بلغهم ذلك ، تفرقوا ، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم ، فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج أيضاً فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلاً اسمه رباح ويلقب شيرزنجي ـ يعني أسد الزنج ـ فأفسدوا ، فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو ـ وهو على شرطة البصرة ـ أن يرسل اليهم جيشاً يقاتلهم ففعل وسير إليهم جيشاً عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، ثم أرسل إليهم جيشاً آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة .

ذكر إجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف

لما أتى كتاب الحجاج إلى المهلب ، وابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج زحفوا إليهم وقاتلوهم شيئاً من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال ، وسار الخوارج حتى نزلوا كازرون وسار المهلب ، وابن مخنف حتى نزلوا بهم ، وخَنْدَقَ المهلب على نفسه وقال لابن مخنف : إن رأيت أن تُخنْدِقَ عليك فافعل ، فقال أصحابه : نحن خندقنا سيوفنا ، فأتى الخوارج المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فمالوا نحو ابن مخنف فوجدوه ولم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فقاتل في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم :

لمن العسكر المكلّل بالصر ... عى فَهمْ بين ميتٍ وقتيلِ
فتراهم تسفي الرياح عليهم ... حاصب الرمل بعد جرِّ الذيولِ

هذا قول أهل البصرة ، فأما أهل الكوفة ، فإنهم ذكروا أنه لما وصل كتاب الحجاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلب ، وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ومالت الخوارج إلى المهلب فاضطرّوه إلى عسكره فأرسل الى عبد الرحمن يستمدّه فامدّه عبد الرحمن بالخيل والرجال ، وكان ذلك بعد الظهر لعشرٍ بقينَ من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيءُ من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف أصحابه فجعلوا بازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم إلى عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الأحوص صاحب ابن مسعود ـ وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلاً وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالاً

شديداً وانكشف الناس عنه وبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمَنْ بعثه إلى المهلب فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه فلم يتبعه إلا ناسٌ قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح ، وقاتل عبد الرحمن ومن معه على تلٍ مُشرفٍ ، حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قُتِلَ في تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذمّ أهل الكوفة ، وبعث الحجاج إلى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره أن يسمع للمهلب فساءه ذلك ولم يجد بداً من طاعته ، فجاء إلى العسكر وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب وهو يقضي أموره ولا يكاد يستشير المهلب ، فوضع عليه المهلب رجالاً اصطنعهم وأغراهم به ، منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة ، وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلامٌ أَغْلَظَ كل منهما لصاحبه ورفع المهلب القضيبَ على عتاب ، فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال: أصلح الله الأمير، شيخٌ من أشياخ العرب وشريفٌ من أشرافهم أن سمعتَ بعض ما تكره فاحتمله له فإنه لذلك أهل ففعل فافترقا ، فارسل عتاب إلى الحجاج ، يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقي أشراف الكوفة من سببه[1] فاستقدمه وأمره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيباً ، وقال سراقة بن مرداس البارقي يرثي عبد الرحمن بن مخنف :

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة ... وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات أكرم ميتة ... بأبيض صافٍ كالعقيقة باتر
وصرع حول التل تحت لوائه ... كرام المساعي من كرام المعاشر
قضى نحبهُ يوم اللقا ابن مخنف ... وأدبر عنه كل ألوث داثر
أمد ولم يمدد فراح مشمراً ... إلى الله لم يذهب بأثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة من

---

(١) في الطبري « من شبيب » .

تميم ـ وكان يرى رأي الصفرية ، وهو أول من خرج فيهم .

وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، وسويد ، والبُطين وأشباههم ، وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان فهمّ شبيب أن يَفتُكَ به فبلغه ذلك مِنْ خبرهم فكتب إلى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم ـ وكان شيخاً صالحاً يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ويعد ما يحتاج اليه ـ فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها .

وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم إلى الغنيق من ناحية مرعش ، وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة . فقال ـ بعد حمدالله والثناء عليه : أما بعد فإني لست بالخليفةالمستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا بالخليفة المُداهِنْ ـ يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعني يزيد ـ ألا واني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، وإنكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم ، وإنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضَرَبتُ عنقه ثم نزل .

وفي هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمي وهو من أهل الصفة ، وقيل : بل مات بالشام في فتنة ابن الزبير ، وفيها توفي الأسود بن يزيد النخعي وهو ابن أخي علقمة بن قيس .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر خروج صالح بن مسرح

كان صالح بن مسرح التميمي رجلاً ناسكاً مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا ، وأرض الموصل ، والجزيرة ، وله أصحاب يقرأ لهم القرآن والفقه ويقص عليهم فدعاهم إلى الخروج ، وإنكار الظلم ، وجهاد المخالفين لهم ، فأجابوه وحثهم عليهم فراسل أصحابه بذلك وتلاقوا به ، فبيناهم في ذلك إذ قدم عليه كتاب شبيب يقول له : إنك كنت تريد الخروج فإن كان ذلك من شأنك اليوم فأنت شيخُ المسلمين ولن نعدل بك أحداً وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمني فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمني المنية ولم أجاهد الظالمين ، فكتب اليه صالح انه لَمْ يمنعني من الخروج إلاّ انتظارك فأَقْبِلْ الينا فانك ممن لا يُستغنى عن رأيه ولا تُقضى دونه الأمور ، فلما قرأ شبيبٌ كتابه دعا نفراً من أصحابه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني ، والمحلل بن وائل اليشكري ، وغيرهما وخرج بهم حتى قدم على صالح بدارا ، فلما لقيه قال : اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً ، فبث صالح رسله وواعدَ أصحابه بالخروج إلى ذلك هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين ، فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتال قبل الدعاء أم بعده ؟ فقال : بل ندعوهم فإنه اقطع لحجتهم ، فقال له : كيف ترى فيمَنْ قاتلنا فظفرنا به ما تقول في دمائهم وأموالهم ؟ فقال لهم : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن عفونا فموسع علينا ، ثم وعظ أصحابه وأمرهم بأمره وقال لهم : إن أكثركم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدؤوا بها فاحملوا عليها رجالكم وتقوّوا بها على عدوكم ، فخرجوا تلك الليلة ، فأخذوا الدواب فاحتملوا عليها وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهلها وأهل نصيبين ، وسنجار ؛ وكان خروجه وهو في مائة وعشرين ، وقيل : وعشرة ، وبلغ

محمداً مخرجهم ـ وهو أمير الجزيرة ـ فأرسل عدي بن عدي الكندي إليهم في ألف فارس فسار من حرّان فنزل دوغان وكانوا أول جيش سار إلى صالح ، وسار عدي وكأنه يساق الى الموت ، وأرسل الى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد ويعلمه أنه يكره قتاله ـ وكان عدي ناسكاً فأعاد صالح : إن كنت ترى رأينا خرجنا عنك وإلا فنرى رأينا ، فأرسل إليه عدي ، إني لا أرى رأيك ولكني أكره قتالك وقتال غيرك ، فقال صالح لأصحابه : اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى بأصحابه فأتى عدياً وهو يصلي الضحى فلم يشعروا إلا والخيل طالعة عليهم فلما رأوها تنادوا ، وجعل صالح شبيباً في ميمنته ، وسويد بن سليم في ميسرته ووقف في القلب ، فأتاهم وهم على غير تعبية ، وبعضهم يجول في بعض ، فحمل عليهم شبيب ، وسويد فانهزموا ، وأتى عدي بن عدي بدابته فركبها وانهزم .

وجاء صالح ونزل في معسكره وأخذوا ما فيه ، ودخل أصحاب عدي على محمد بن مروان فغضب على عدي ، ثم دعا خالد بن جزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحرث بن جعونة العامري فبعثه في ألف وخمسمائة وقال : اخرجا إلى هذه المارقة وأغذا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا متساندين يسألان عن صالح فقيل لهما : إنه نحو آمد فقصداه ، فوجه صالح شبيباً في شطر من أصحابه الى الحرث بن جعونة وتوجه هو نحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر أشد قتال فلم تَثبتْ خيلُ محمد لخيلِ صالح ، فلما رأى أميرَاهم ذلك ترجلا وترجل معهما أكثر أصحابهما فلم يقدر أصحاب صالح حينئذ عليهم ، وكانوا إذا حملوا استقبلتهم الرجالة بالرماح ورماهم الرماة بالنبل وطاردهم خيالتهم فقاتلوهم إلى المساء فكثُرت الجراح في الفريقين ، وَقُتِلَ من أصحاب صالح نحو ثلاثين رجلاً ومن أصحاب محمد أكثر من سبعين ، فلما أمسوا تراجعوا ، فاستشار صالح أصحابه فقال شبيب : إن القوم قد اعتصموا بخندقهم فلا أرى أن نقيم عليهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا أرض الجزيرة،وأرض الموصل، وانتهوا إلى الدسكرة، فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحرث بن عميرة بن ذي العشار[1] في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فسار حتى دنا من الدسكرة ، وخرج صالح بن مسرح حتى أتى قرية ـ يقال

(١) في الطبري « الحارث بن عميرة بن ذي المشعار » .

لهامدبج ـعلى تخوم ما بين الموصل وجوخى وصالح في تسعين رجلاً ، فلقيهم الحرث لثلاث عشرة بقين من جمادي فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم في ميسرة صالح وثبت صالح فقتل وقاتل شبيب حتى صُرِعَ عن فرسه فحمل عليهم راجلاً فانكشفوا عنه فجاء إلى موقف صالح فأصابه قتيلاً فنادى : إلي يا معشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه : ليجعل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن عدوه حتى يدخل هذا الحصين[1] ونرى رأينا ففعلوا ذلك ودخلوا الحصين جميعهم وهم سبعون رجلاً ، وأحاط بهم الحرث وأحرق عليهم الباب وقال : إنهم لا يقدرون على الخروج منه (مُسَرِّح) بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة ، و (جَعْوَنة) بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره نون .

ذكر بيعة شبيب الخارجي ومحاربة الحرث بن عميرة

فلمّا أحرق الحرث الباب على شبيب ومن معه وقال : إنهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غداً فنقتلهم وانصرف إلى عسكره قال شبيب لأصحابه : ما تنتظرون ؟ فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة إنه لهلاككُمْ فقالوا : مُرنا بأمرك فقال : بايعوني أو من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم فانهم آمنونَ فبايعوا شبيباً ـ وهو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ـ وأتوا باللبود فبلوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحرث إلا وشبيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف في جوف العسكر فصرع الحرث فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم ، وكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب .

ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره

ثم إن شبيباً لقي سلامة بن سنان التيمي تيم شيبان بأرض الموصل فدعاه إلى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارساً ينطلق بهم نحو عنزة ، فيشفي نفسه منهم فإنهم كانوا قتلوا أخاه فضالة ، وذلك أن فضالة كان خرج في ثمانية عشر رجلاً حتى نزل ماء يقال له الشجرة عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة نازلون ، فلما رأوه قالوا : نقتل هؤلاء ونغدو على أميرنا فيعطينا شيئاً فقال أخواله من بني نصر : لا

---

(١) في الطبري « هذا الحصن » وكذا ما بعده .

نساعدكم على قتل ابن أختنا فنهضَتْ عنـزة فقتلوهم وأتوا بـرؤوسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيـا وفرض لهم ولم يكن لهم قبـل ذلك فـرائض إلا قليلة ، فقال سلامة أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله إياه :

ومـا خِلْتُ أخـوالِ الفتى يسلمـونـه   لـوقعِ السـلاحِ قبل مـا فعلت نصـر

وكان خروج فضالة قبل خروج صالح ، فأجابه شبيب فخرج حتى انتهى إلى عنزة فجعل يقتل محلة بعد محلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته قد أكبت على ابنٍ لها وهو غلام حين احتلم فأخرجت ثديها وقالت : أنشدك برحم هذا يا سلامة فقال : والله ما رأيت فضالة مُذْ أناخَ بأصل الشجرة ـ يعني أخاه ـ لتقومن عنه أو لأجمعنكما بالرمح فقامت عنه فقتله .

ذكر مسير شبيب إلى بني شيبان وإيقاعه بهم

ثم أقبل شبيب في خيلِهِ نحو راذان فهرب منه طائفة من بني شيبان ومعهم ناس من غيرهم قليل حتى نزلوا ديراً خرباً[١] إلى جنب حولايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشبيب في نحو سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً فنزل بهم فتحصنوا منه ، ثم إن شبيباً سرى في اثني عشر رجلاً إلى أمه وكانت في سفح جبل ساتيدما[٢] فقال : لآتين بهَا تكون في عسكري لا تفارقني حتى تموت أو أموت ، فسار بهم ساعة وإذا هو بجماعةٍ من بني شيبان في أموالهم مقيمين لا يرون أن شبيباً يمر بهم ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخاً فيهم حوثرة بن أسد ، ومضى شبيب إلى أمه فحملها، وأشرف رجل من الدير على أصحاب شبيب وكان قد استخلف شبيب عليهم أخاه مصاد بن يزيد ، وهم قد حصروا من في الدير فقال : يا قوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾[٣] فكفّوا عنا حتى نخرج اليكم على أمان وتعرضوا علينَا أمركم فإن قبلناه حَرُمَتْ عليكم دماؤنا وأموالنا وإن نحن لم نقبله

(١) في الطبري « حتى نزلوا دير خرازاد » ، ولم يذكر في معجم البلدان هذا الاسم وذكر « خرازاد اردشير » مدينة بنواحي الموصل ولعل ما في الطبري محرف عما هنا والله أعلم .

(٢) ساتيدمـا بعد السين والألف تـاء مثناة مكسـورة وياء مثنـاة من تحت ودال مهملة مفتوحـة ثم ميم وألف مقصورة ، هكذا في معجم البلدان .

(٣) التوبة ٦ .

رَدَدْتمونا إلى مأمننا ، ثم رأيتم رأيكم فأجابوهم فخرجوا إليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم فقبلوه كله ثم خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شبيب فاخبروه بـذلك فقـال : أصبتم ووفقتم .

ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي

ثم إن شبيباً ارتحل ، فخرج معه طائفة وأقامت طائفة ، وسار شبيب في أرض الموصل نحو أذربيجان ، وكتب الحجاج إلى سفيان بن أبي العـالية الخثعمي يـأمره بالقفول وكان معه ألف فارس يريد أن يدخل بها طبرستان ، فلما أتاه كتاب الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع ، فـأمره الحجـاج بنزول الـدسكرة حتى يـأتيه جيش الحرث بن عميرة الهمذاني ـ وهو الذي قتل صالحاً ـ وحتى تأتيه خيل المناظر ثم يسير إلى شبيب ، فأقام بالدسكرة ونودي في جيش الحرث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتى أتوا سفيان وأتته خيل المناظر عليهم سورة بن الحرّ التميمي [١] ، فكتب اليه سورة بالتوقف حتى يلحقه فعجل سفيان في طلب شبيب فلحقه بخـانقين ، وارتفع شبيب عنهم حتى كأنه يكره قتالهم وأكمن أخاه مصاداً في هزم [٢] من الأرض في خمسين رجلاً فارساً ومضى في سفح الجبل فقالوا : هرب عدو الله فاتبعوه ، فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني : لا تعجلوا حتى نَبصُرَ الأرض لئلا يكون قـد أكمنَ فيها كمينـاً فلم يلتفتوا فاتبعوه ، فلما جازوا الكمين رجع عليهم شبيب وخرج أخوه في الكمين فانهزم الناس بغير قتال ، وثبت سفيان في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتالاً شديداً وحمل سويد بن سليم على سفيان فطاعنه ثم تضاربا بالسيوف وآعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا إلى الأرض ثم تحاجزا ، وحمل عليهم شبيب فانكشفوا ، وأتى سفيان غلام له فنزل عن دابته وأركبه وقاتل دونه فقتل الغلام ، ونجا سفيان حتى انتهى إلى بابل مهروذ ، وكتب إلى الحجاج بالخبر ويعرفه وصول الجند إلا سورة بن الحر فإنه لم يشهد معي القتال ، فلما قرأ الحجاج الكتاب أثنى عليه .

ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر

فلما وصل كتاب سفيان إلى الحجاج كتب إلى سورة بن الحر يلومه ويتهـدده

---

(١) في الطبري « سورة بن أبجر التميمي » .

(٢) الهزم ـ بفتح الهاء وسكون الزاي ـ ما اطمأن من الأرض .

ويأمره أن ينتخب من المدائنِ خمسمائة فارس ويسير بهم وبمن معه إلى شبيب ففعل ذلك سورة وسار نحو شبيب ، وشبيب يجول في جوخى ـ وسورة في طلبه ـ حتى انتهى إلى المدائن فتحصنوا منه وأخذ منها دواب وقتل من ظهر له ، فأتى فقيل له : هذا سورة قد أقبل ، فخرج حتى أتى النهروان ، فصلوا وترحموا على أصحابهم الذين قتلهم علي وتبرؤوا من علي وأصحابه، وأخبرت سورة عيونه بمنزلة شبيب فدعا أصحابه فقال: إن شبيباً لا يزيد على مائة رجل ، وقد رأيت أن أنتخبكم فأسير في ثلاثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمِن بياتكم فإني أرجو من الله أن يصرعهم فاجابوه إلى ذلك ، فانتخب ثلاثمائة وسار بهم نحو النهروان ، وبات شبيب وقد أذكى الحرس ، فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم للحرب ، فلما انتهى إليهم سورة رآهم قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم ، وصاحَ شبيب باصحابه فحملوا عليهم حتى تركوا العرضة وشبيب يقول :

من ينك العير ينك نياكا جندلتان اصطكتا اصطكاكا

فرجع سورة إلى عسكره ، وقد هزم الفرسان وأهل القوة فتحمل بهم وأقبل نحو المدائن ، واتبعه شبيب يرجو أن يدركه فيصيب عسكره فوصل اليهم وقد دخل الناس المدائن ، وخرج ابن أبي العصيفر أمير المدائن في أهل المدائن فرموا أصحاب شبيب بالنَّبْلِ والحجارة ، فارتفع شبيب عن المدائن فمر على كَلْوَاذَى[1] فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج فأخذها ومضى إلى تكريت ؛ وأرجف الناس بالمدائن بوصول شبيب إليهم فهرب من بها من الجند نحو الكوفة وكان شبيب بتكريت ، ولام الحجاج سورة وحبسه ثم أطلقه.

ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد

فلما قدم الفل الكوفة سيّر الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندي ـ واسمه عثمان ـ نحو شبيب وأوصاه بالاحتياط وتَرْك العجلة ، فقال له : لا تبعث معي من الجند المهزوم أحداً فانهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون ، قال : قد أحسنت ،

---

(١) كلواذى : بالفتح ثم السكون ، آخره ألف مقصورة : طسوج قرب مدينة السلام بغداد .

فأخرج معه أربعة آلاف فساروا معه ، فقَدِمَ الجزل بين يديه عيـاض بن ابي لبنة[١] الكندي فساروا في طلب شبيب ، وجعل شبيب يريد الهيبة له فيخرج من رستاق إلى رستاق ولا يقيم إرادة أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية ، فجعل الجزل لا يسير إلا على تعبية ولا ينزل إلا خندق على نفسه ، فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلاً ففرقهم أربع فرق على كل أربعين رجلاً من أصحابه ، فجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وسويد بن سليم في أربعين ، والمحلل بن وائل في أربعين ، وبقي هو في أربعين ، وأتته عيونه فأخبروه ان الجزل بدَيْرِ يزدجرد ، فأمـر شبيب أصحابه فعلقوا على دوابهم ثم سار بهم ، وأمر كل رأس من أصحابه أن يأتي الجزل من جهة ذكرها له وقال : إني أريد أن أبيته وأمرهم بالجدِ في القتال فسار أخوه فانتهى إلى دَيْرِ الخرارة فرأى للجزل مسلحة مع ابن أبي لبنة[١] فحمل عليهم مصاد في أربعين رجلاً فقاتلوه ساعة ثم اندفعوا بين يديه وقد أدركهم شبيب فقال : اركبوا أكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم ، واتبعوهم ملحين فانتهوا إلى عسكرهم فمنعهم أصحابه من دخول خندقهم ، وكان للجزل مسالخ أخرى فرجعت فمنعتهم من دخول الفنـدق وقال : انضحـوا عنكم بالنبـل ، وجعل شبيب يحمـل على المسالـح حتى اضطرهم إلى الخندق ورَشقهُم أهل العسكر بالنبل ، فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليه قال لأصحابه : سيروا ودعوهم ، فمضى على الطريق ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ، ثم أقبل بهم راجعاً إلى الجزل أيضاً على التعبية الأولى وقال : أطيفوا بعسكرهم فأقبلوا وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم اليهم ، وقد أمنوا فما شعروا إلا بوقع حوافر الخيل فانتهوا إليهم قبل الصبح وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الأربع فقاتلوهم .

ثم إن شبيباً ـ أرسل إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أَقبلْ إلينا وخلِّ لهم الطريق ففعل ـ وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتى أصبحوا ، فسار شبيب وتركهم ولم يظفر بهم فنزل على ميل ونصف، ثم صلى الغداة، ثم سار إلى جرجرايا، وأقبل الجزل في طلبهم على تعبية ولا ينزل إلا في خندق وسار شبيب في أرض جوخى وغيرها يكسر الخـراج ، فطال ذلـك على الحجاج فكتب الى الجـزل ينكر عليـه إبـطاءه ويـأمـره بمناهضتهم فجد في طلبهم ، وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل وأمره

---

(١) في الطبري « عياض بن أبي لينة » .

بالجد في قتال شبيب وترك المطاولة ، فوصل سعيد إلى الجزل وهو بالنهروان قد خَنْدَقَ عليه وقام في العسكر ووبخهم وعجزهم ، ثم خرج وأخرج معه الناس وضم إليه خيول أهل العسكر ليسير بهم جريدة إلى شبيب ويترك الباقين مكانهم . فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الناس فارسهم وراجلهم وابرُزْ لهم فوالله ليقدمن عليك ولا تفرق أصحابك ، فقال : قِفْ أنت في الصف ، فقال الجزل : يا سعيد ليس لي فيما صنعت رأي أنا بريء منه ، ووقف الجزل فصف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وتقدم سعيد بن مجالد ومعه الناس ، وقد أخذ شبيب إلى قطيطيا فدخلها وأمر دهقاناً أن يصلح لهم غداء ففعل وأغلق الباب فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد في ذلك العسكر . فأقبل الدهقان فأعلم شبيباً بهم فقال : لا بأس قرب الغداء فقرّبه فأكل وتوضأ وصلّى ركعتين وركب بغلاً له، وخرج عليه وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال : لا حكم إلا للحكم أنا أبو بدلة[1] اثبتوا إن شئتم ، وجعل سعيد يقول : هؤلاء إنما هم أكلةُ رأس وجعل يجمع خيله ويرسلها في أثرِ شبيب ، فلما رأى شبيب تفرقهم جمع أصحابه وقال : استعرضوهم فوالله لأقتلن أميرهم أو ليقتلني وحمل عليهم مستعرضاً فهزمهم وثبت سعيد ونادى أصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف فقتله ، وانهزم ذلك الجيش وقفلوا حتى انتهوا الى الجزل ، فناداهم أيها الناس إليَّ إليَّ وقاتل قتالاً شديداً حتى حمل من بين القتلى جريحاً . وقدم المنهزمون الكوفة وكتب الجزل إلى الحجاج بالخبر ويخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن ، وكتب اليه الحجاج يثني عليه ويشكره وأرسل اليه حيان بن أبجر ليداوي جراحته وألفي درهم لينفقها ، وبعث اليه عبدالله بن عصيفر[2] بألف درهم فكان يعوده ويتعاهده بالهدية ، وسار شبيب نحو المدائن فعلم أنه لا سبيل إلى أهلها مع المدافعة فاقبل حتى انتهى إلى الكرخ فَعَبَرَ دجلة اليها فارسل إلى سوق بغداد فأمّنهم وكان يوم سوقهم وبلغه أنهم يخافونه واشترى أصحابه دواب وأشياء يريدونها .

---

(١) في الطبري « أنا أبو مدله » .

(٢) في الطبري « عبدالله بن عصيفير » .

ذكر مسير شبيب إلى الكوفة

ثم سار شبيب إلى الكوفة فنزل عند حمام عمير بن سعد ، فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سويد بن عبد الرحمن السعدي في ألفي رجل اليه وقال له : إلقَ شبيباً فإن استطرد لك فلا تتبعه ، فخرج وعسكر بالسبخة فبلغه أن شبيباً قد أقبل فسار نحوه فكأنما يساقون الى الموت ، فأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس في السبخة وسار سويد إلى زرارة فهو يعبىء أصحابه إذ قيل قد أتاك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه، فأخبِرَ أن شبيباً قد تركك وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم ، وبلغ من بالسبخة مع عثمان إقبال شبيب إليهم فصاح بعضهم ببعض وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم : ان سويداً في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم ، وحمل شبيب على سويد ومن معه حملة منكرة فلم يقدر منهم على شيء . وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة وذلك عند المساء وتبعه سويد إلى الحيرة فرآه قد ترك الحيرة وذهب فتركه سويد وأقام حتى أصبح ، وأرسل إلى الحجاج يعلمه بمسير شبيب .

ذكر محاربة شبيب أهل البادية

وكتب الحجاج إلى سويد يأمره باتباعه فاتبعه ، ومضى شبيب حتى أغار أسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البر وراء خفان فاصاب رجالاً من بني الورثة[١] فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً منهم حنظلة بن مالك ، ومضى شبيب حتى أتى بني أبية على اللَصَف[٢] وعلى ذلك الماء الفزر بن الأسود ـ وهو أحد بني الصلت ـ وكان ينهى شبيباً عن رأيه وكان شبيب يقول : لئِنْ ملَكْت سبعة أعنّة لأغزونّ الفزر . فلما بلغهم خبر شبيب ركب الفزر فرساً وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهل البادية فأخذ على الطقطقانة ، ثم على قصر بني مقاتل ثم على الحَصّاصة[٣] ثم على الأنبار ومضى حتى دخل دَقُوقاء[٤] ثم ارتفع إلى أداني أذربيجان ، فلما أبعد

---

(١) الورِثة : حي ينسبون إلى أمهم .
(٢) اللصف بالتحريك : اسم بركة غربي طريق مكة بين المُغيثة والعقبة .
(٣) الحصّاصة : بالفتح وتشديد ثانيه : وهي من قرى السواد قرب قصر ابن هبيرة من أعمال الكوفة .
(٤) دقوقاء : بفتح أوله وضم ثانيه وبعد الواو قاف أخرى وألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين إربل وبغداد .

سار الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة : فما شعر الناس إلا وقد أتاهم كتاب دهقان بابل مهروذ الى عروة يذكر له ان بعض جباة الخراج أخبره أن شبيباً قد نزل خانيجار وهو على قصد الكوفة . فارسل عروة الكتاب إلى الحجاج بالبصرة فاقبل مُجِداً نحو الكوفة يسابق شبيباً إليها .

ذكر دخول شبيب الكوفة

وأقبل شبيب الى قرية اسمها حربى فقال : حرب يَصلَى به عدوكم ، ثم سار فنزل عقرقوف[1] فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين لو تحولت من هذه القرية المشؤومة الاسم ؟ قال : وقد تطيّرت أيضاً والله لا أسير إلى عدوي إلا منها إنما شؤمها على عدونا والعقر لهم، إن شاء الله ، ثم سار منها يبادر الحجاج إلى الكوفة . وكانت كتب عروة ترد عليه ـ أعني الحجاج ـ يحثه على العجل إليهم ، فطوى الحجاج المنازل فنزلها الحجاج صلاة العصر ونزل شبيب بالسبخة صلاة المغرب فأكلوا شيئاً ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق ، وضرب شبيب باب القصر بعموده فأثر فيه أثراً عظيماً ثم وقف عند المصطبة وقال :

عبدٌ دعي من ثمود أصله لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

يعني الحجاج فإن بعض الناس يقول : إن ثقيفاً بقايا ثمود وبعضهم يقول : هم من نسل يقدم الأيادي ، ثم اقتحموا المسجد الأعظم ـ وكان لا يزال فيه قومٌ يصلّون ـ فقتلوا عقيل بن مصعب الوادعي ، وعدي بن عمرو الثقفي ، وأبا ليث بن أبي سليم ، ومروا بدار حوشب ـ وهو على الشرط ـ فقالوا : إن الأمير يطلبه فاراد الركوب ثم أنكرهم فلم يخرج إليهم فقتلوا غلامه ، ثم أتى الجحاف بن نبيط الشيباني فقال له : إنزل لنقضيك ثمن البكرة التي اشتريت منك بالبادية فقال الجحاف : ما ذكرتك أمانتك إلا والليل أظلم وأنت على فرسك يا سويد قبّح الله ديناً لا يصلح إلا بإراقة الدماء وقتل القرابة ، ثم مروا بمسجد ذهل فرأوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه فقتلوه ، ثم خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن قعقاع بن شور الذهلي فقال له : السلام عليك أيها الأمير فقال له سويد : أمير المؤمنين ويلك فقال : أمير المؤمنين ، فقال له شبيب :

---

[1] عقرقوف : عقر أضيف إلى قوف : قرية من نواحي دجيل .

يا نضر لا حُكم إلا لله وأراد يلعنه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون فشد أصحاب شبيب عليه فقتلوه ، وكان قد أقبل مع الحجاج مِنَ البصرة فتخلف عنه ، وكانت أم النضر ناجية بنت هانيء بن قبيصة الشيباني فأحب شبيب نجاته ، ثم خرجوا نحو المردمة[1] وأمر الحجاج منادياً فنادى يا خيل الله اركبي ـ وهو فوق باب القصر وعنده مصباح ـ فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبدالله بن الحصين ذي القصة[2] فقال : أعلموا الأمير بمكاني فقال له غلام للحجاج : قف بمكانك ، وجاء الناس من كل جانب ، ثم إن الحجاج بعث بشر بن غالب الأسدي في ألفي رجل ، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل ، وأبا الضريس مولى بني تميم في ألفي رجل ، وعبد الأعلى بن عبدالله بن عامر ، وزياد بن عمرو العتكي ، وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله على سجستان وكتب إلى الحجاج ليجهزه ويسيره سريعاً في ألف رجل[3] إلى عمله فأقام يتجهز وحدث من أمر سبيب ما حدث فقال له الحجاج : تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهدهم ويكون الظفر لك ويطير اسمك ثم تمضي إلى عملك فسيّره معهم وقال لهؤلاء الأمراء : إن كان حرب فاميركم زائدة بن قدامة ، فسار هؤلاء الأمراء فنزلوا أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذي هم فيه وأخذ نحو القادسية .

ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس

ووجه الحجاج جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس وقال له : اتبع شبيباًحتى تُواقعه أين أدركته إلا أن يكون ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو يقيم ، فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين وأقبل شبيب نحوه فالتقيا ، فجمع شبيب خيله ثم اعترض بهم الصفّ حتى انتهى إلى زحر فقاتل زحر حتى صرعَ وانهزم أصحابه وظنوا أنهم قتلوه ، فلما كان السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه وبرأسه بضع عشرة جراحة فمكث أياماً ، ثم أتى الحجاج فأجلسه معه على السرير وقال لمن حوله : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة

---

(١) المردمة : بالفتح ثم السكون ودال مفتوحة : جبل لبني مالك بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب .

(٢) في الطبري « الغصة » .

(٣) في الطبري « ألفي رجل » .

يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر إلى هذا .

ذكر محاربة الأمراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة

فلمّا هُزِم أصحاب زحر قال أصحاب شبيب لشبيب : قد هزَمنا لهم جنداً إنصرف بنا الآن وافرين فقال لهم : هذه الهزيمة قد أرعبت هؤلاء الأمراء والجنود الذين في طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم فوالله لئن قاتلناهم فما دون الحجاج مانع ونأخذ الكوفة إن شاء الله تعالى فقالوا : نحن لرأيك تبع ؛ فسار وسأل عن الأمراء فأخبر أنهم بروذبار على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة فقصدهم ، فأرسل إليهم الحجاج يعلمهم بمسيره ويقول لهم : إن امير الجماعة زائدة بن قدامة ، وانتهى إليهم شبيب وقد تعبوا للحرب ، فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عمرو العتكي ، وفي ميسرتهم بشر بن غالب الأسدي وكل أميرٍ واقفٌ في أصحابه ، وأقبل شبيب على فرسٍ كُميت أغرّ في ثلاث كتائب ، كتيبة فيها سويد بن سليم فوقف بإزاء الميمنة ، وكتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقف بإزاء الميسرة ووقف شبيب مقابل القلب ، فخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس ويحثهم على الجهاد لعدوهم والقتال ويطمعهم في عدوهم لقلته وباطله وكثرتهم وأنهم على الحق ثم إنصرف إلى موقفه ، فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشفوا وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سويد قليلاً ثم حمل عليهم ثانية فتطاعنوا ساعة ، وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالاً شديداً وقاتل سويد أيضاً قتالاً شديداً وإنه لأشجع العرب ، ثم ارتفع سويد عنهم فإذا أصحابُ زياد يتفرقون فقال لسويد أصحابه : ألا تراهم يتفرقون احمل عليهم ، فقال لهم شبيب : خلّوهم حتى يخفوا فتركهم قليلاً ثم حمل الثالثة فانهزموا ؛ وأخذت زياد بن عمرو السيوف من كل جانب فما ضرّه منها شيء للبسته التي عليه ثم إنه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء ، ثم حملوا على عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيراً ولحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين ، وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالاً شديداً وصبر لهم ، ثم إن مصاداً أخا شبيب حمل على بشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة فصبر بشر ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلاً فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم أصحابه ، وحملت الخوارج على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين

فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نادى :يا أهل الإسلام الأرض الأرض لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ، ثم إن شبيباً حمل عليه في جماعة من أصحابه فقتله ، وقتل أصحابه وتركهم ربضة حوله ، ولما قتل زائدة دخل أبو الضريس ، وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف وادعوهم إلى البيعة فدعوهم إلى البيعة عند الفجر فبايعوه ، وكان فيمَنْ بايعه أبو بردة بن أبي موسى ، فقال شبيب لأصحابه : هذا ابن أحد الحكمين فأرادوا قتله فقال شبيب: ما ذنب هذا ؟ وتركه، وسلموا على شبيب بإمرة المؤمنين وخلى سبيلهم فبقوا كذلك حتى انفجر الفجر، فلمّا ظهر الفجر أمر محمد بن موسى مؤذّنه فأذّن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الأذان فقال: ما هذا؟ قالوا: محمد بن موسى بن طلحة لم يَبْرح. فقال: قد ظننت أنّ حمقه وخيلاءه يحمله على هذا، ثم نزل شبيب فأذّن هو وصلّى بأصحابه الصبح، ثم ركبوا، فحملوا على محمد، وأصحابه فانهزمت طائفة منهم وثبتت معه طائفة فقاتل حتى قتل وأخذت الخوارج ما كان في العسكر وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيباً فلمْ يَبق منهم أحد ، ثم أتى شبيب الجوسق الذي فيه أعين ، وأبو الضريس ، فتحصنوا منه فأقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم فقال أصحابه : ما دون الكوفة أحد يمنع فنظر فإذا أصحابه قد جرحوا[١] فقال لهم : ما عليكم أكثر مما فعلتم، فخرج بهم على نفر ثم على الصراة فأتى خانيجار فأقام بها ؛ فبلغ الحجاج مسيره نحو نفر فظن أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة ومن أخذها كان في يده من السواد أكثره فهال ذلك الحجاج ، فبعث عثمان بن قطن أميراً على المدائن ، وجوخى ، والأنبار ، وعزل عنها عبدالله بن أبي عصيفر ، وكان بها الجزل يداوي جراحته فلم يتعهده عثمان كما كان ابن أبي عصيفر يفعل فقال الجزل: اللهم زد ابن أبي عصيفر[٢] جوداً وفضلاً وزد عثمان بن قطن بخلاً وشقاء .

وقد قيل في مقتل محمد بن موسى غير هذا ، والذي ذكر من ذلك أن محمد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عبيدالله بن معمر قتال أبي فديك وكان شجاعاً ذا بأس فزوّجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان ، فمر بالكوفة

(١) في الطبري « قد خرجوا » .

(٢) في الطبري « ابن أبي عصيفير » .

وفيها الحجاج فقيل له : إن صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك فجاء اليه[١] أحد ممن تطلب منعك منه فقال : وما الحيلة ؟ قال : تأتيه وتُسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وإن شبيباً في طريقه وإنه قد أعياك وترجو أن يريح الله منه على يده فيكون له ذكره وفخره ، ففعل الحجاج ذلك فأجابه محمد وعدل إلى شبيب . فأرسل اليه شبيب إنك مخدوع وأن الحجاج قد اتقى بك وأنت جار لك حق فانطلق لما أُمرت به ولك الله لا أُوذيك فأبى إلا محاربته ، فوافقه شبيب وأعاد إليه الرسول فأبى وطلب البراز ، فبرز اليه البطين بن قعنب ، وسويد بن سليم فأبى إلا شبيباً فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له : أنشدك الله في دمك فإن لك جواراً فأبى ، فحمل شبيب عليه فضربه بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلاً بالشامي فهشم البيضة ورأسه فسقط ميتاً ثم كفنه ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره فبعثه إلى أهله واعتذر إلى أصحابه وقال : هو جاري ولي أن أهب ما غنمت لأهل الردة .

ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقتل عثمان قطن

ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأَمَرهُ أن ينتخب من الناس ستة آلاف فارس ويسير في طلب شبيب أين كان ففعل ذلك وسار نحوه ، وكتب الحجاج اليه والى أصحابه يتهددهم بالقتل والتنكيد إنْ انهزموا ، فوصل عبد الرحمن إلى المدائن فأتى الجزل يعوده من جراحته فأوصاه الجزل بالاحتياط وحذره من شبيب وأصحابه وأعطاه فرساً كانت لـه تسمى الفسيفسا وكانت لا تُجارى ، ثم ودّعه عبد الرحمن وسار إلى شبيب فسار شبيب إلى دقوقاء ، وشهرزور ، فخرج عبد الرحمن في طلبه حتى إذا كان بالتخوم وقف وقال : هذه أرض الموصل فليقاتلوا عنها ، فكتب اليه الحجاج : أما بعد فاطلب شبيباً واسلك في اثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام .

فخرج عبد الرحمن في أثرِ شبيب فكان شبيب يدعه حتى يدنو منه فيبيته فيجده قد خَنْدَقَ على نفسه وحذر فيتركه ويسير ، فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغ شبيباً مسيره أتاهم وهم سائرون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منه غزة ثم جعل إذا دنا منه عبد الرحمن

---

(١) في الطبري « فلجأ إليه » .

يسير عشرين فرسخاً أو ما يقاربها فينزل في أرض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن فإذا دنا منه فعل مثل ذلك حتى عذب ذلك الجيش وشق عليه وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء ، ولمْ يَزلْ عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين ، وجلولاء ، وسامرا ثم أقبل الى البت ـ وهي من قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر حولايا وهو في راذان الأعلى من أرض جوخى ـ ونزل عبد الرحمن في عواقيل من النهر لأنها مثل الخندق ؛ فأرسل شبيب إلى عبد الرحمن يقول : إن هذه الأيام عيد لنا ولكم ـ يعني عيد النحر ـ فهل لك في الموادعة حتى تمضي هذه الأيام فأجابه إلى ذلك وكان يحب المطاولة ، وكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج أما بعد : فإن عبد الرحمن قد حفر جوخى كلها خندقاً واحداً وكسر خراجها وخلى شبيباً يأكل أهلها والسلام ، فكتب اليه الحجاج يأمره بالمسير الى الجيش وجعله أميرهم وعزل عنهم عبد الرحمن ، وبعث الحجاج الى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وسار عثمان حتى قدم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة فوصل عشية الثلاثاء يوم التروية فنادى الناس ـ وهو على بغلة ـ أيها الناس اخرجوا إلى عدوكم فوثب اليه الناس وقالوا : هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطّنوا أنفسهم على الحرب فبت الليلة ثم اخرج على تعبية وهو يقول : لأناجزنهم فلتكوننّ الفرصة لي أو لهم ، فأتاه عبد الرحمن فأنزله ، وكان شبيب قد نزل ببيعة البت فأتاه أهلها فقالوا له : أنت ترحم الضعفاء وأهل الذمة ويكلمك من تلي عليه ويشكون اليك فتنظر إليهم وإن هؤلاء جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا ليقتلننا إذا ارتحلت عنا فإن رأيت أن تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا مقالاً فافعل ، فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية ، وبات عثمان ليلته كلها يحرض أصحابه ، فلما أصبح يوم الأربعاء خرج بالناس كلهم فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له : ننشدك الله أن لا تخرج بنا والريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم ، ثم خرج بهم يوم الخميس وقد عبىء الناس ، فجعل في الميمنة خالد بن نهيك بن قيس ، وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولي ونزل هو في الرجالة ، وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلاً فوقف هو في الميمنة وجعل أخاه مصاداً في القلب وجعل سويد بن سليم في الميسرة وزحف بعضهم إلى بعض ، وقال شبيب لأصحابه : إني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه أمري ، وحمل على

ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتـل ، وقتل أيضـاً مالـك بن عبدالله الهمداني عم عياش بن عبدالله المنتوف ودخل شبيب عسكرهم .

وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد بن نهيك فقاتله قتالاً شديداً وحمل شبيب من ورائه فقتله ، وتقدم عثمان بن قطن وقد نزل معه العرفاء وأشـراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه مصاد أخو شبيب في نحوٍ من ستين رجلاً فلمّا دنا منهم عثمان شدّ عليهم فيمن معه فضاربوهم حتى فرّقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعر عثمان ومن معه إلا والرماح في أكتافهم تكبهم لوجوههم ، وعطف عليهم سويد بن سليم أيضاً في خيله ، ورجع مصاد وأصحابه ، فاضطربوا سـاعة ، وقاتل عثمان بن قطن أخس قتال[١] ، ثم إنهم أحاطوا به وضربه مصاد أخو شبيب ضربة بالسيف استدار لها وقال : وكان أمر الله مفعولاً ـ ثم إن الناس قتلوه ، ووقع عبد الرحمن فأتاه ابن ابي سبرة الجعفي ـ وهو على بغله ـ فعرفه فأركبه معه ونادى في الناس الحقوا بدَيْرِ أبي مريم ثم انطلقوا ذاهبين ، ورأى واصل السكـوني فرس عبـد الرحمن التي أعطاها له الجزل تجـول في العسكر فـأخذهـا بعض أصحاب شبيب فـظن أنه قتـل فطلبه في القتلى فلم يجده فسأل عنه فأُعطيَ خبره فاتبعه واصل على برذونه ومعه غلامه على بغل فلما دنا منهما نزل عبد الرحمن وابن أبي سبرة ليقاتلا فلمـا رآهما واصـل عرفهما وقال : إنكما تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه ، وقال لابن الأشعث : قد أتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتى نزل دير البقار[٢] ، وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ، وقُتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقُتل معظم العرفاء ، وبات عبد الرحمن بدَيْرِ البقار : فأتاه فارسان فصعدا اليه فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلاً ثم نزل فتبين أن ذلك الرجل كان شبيباً وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة ، وسار عبد الرحمن حتى أتى دَيْرَ أبي مريم فاجتمع الناس اليه وقالوا له : إن سمع شبيب بمكانك أتاك فكنت له غنيمة فخرج إلى الكوفة واختفى من الحجاج حتى أخذ له الأمان منه .

---

(١) في الطبري « فأحسن القتال » .

(٢) في الطبري « دير البعار » .

ذكر ضرب الدراهم والدنانير الإسلامية

وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها في الإسلام فانتفع الناس بذلك ؛ وكان سبب ضربها أنه كتب في صدور الكتب إلى الروم ﴿قل هو الله أحد﴾ وذكر النبي ﷺ مع التاريخ، فكتب اليه ملك الروم إنكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون فعظم ذلك عليه ؛ فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه فقال : حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ، ثم إن الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فكره الناس ذلك لمكان القرآن لأن الجنب والحائض يمسها ، ونهى أن يضرب أحد غيره فضرب سمير اليهودي فأخذه ليقتله فقال له : عيار دراهمي أجود من دراهمك فلم تقتلني ؟ فلمْ يتركه ، فوضع للناس صنج الأوزان ليتركه فلم يفعل ؛ وكان الناس لا يعرفون الوزن إنما يزنون بعضها ببعض فلما وضع لهم سمير الصنج كف بعضهم عن غبن بعض ؛ وأول من شدد في أمر الوزن وخلص الفضة أبلغ من تخليص من قبله عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وجود الدراهم وخلص العيار واشتد فيه ، ثم كان خالد بن عبدالله القسري أيام هشام بن عبد الملك فاشتد أكثر من ابن هبيرة ، ثم ولّى يوسف بن عمر فأفرط في الشدّة فامتحن يوماً العيار فوجد درهماً ينقص حبة فضرب كل صانعٍ ألف سوط وكانوا مائة صانع فضرب في حبة مائة ألف سوط ، وكانت الهبيرية ، والخالدية ، واليوسفية ، أجود نقود بني أمية ،ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها فسميت الدراهم الأولى مكروهة ، وقيل : إن المَكروهة الدراهم التي ضربها الحجاج ونقش عليها ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فكرهها العلماء لأجل مس الجنب والحائض ، وكانت دراهم الأعجام مختلفة كباراً وصغاراً وكانوا يضربون مثقالاً وهو وزن عشرين قيراطاً ومنها وزن اثني عشر قيراطاً ومنها وزن عشرة قراريط وهي أصناف المثاقيل ، فلما ضرب الدراهم في الاسلام أخذوا عشرين قيراطاً واثني عشر قيراطاً وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطاً فضربوا على الثلث من ذلك وهو أربعة عشر قيراطاً ، فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطاً فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وقيل : إن مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبدالله بن الزبير ثم كسرت بعد ذلك أيام عبد الملك والأول أصح في أنّ عبد الملك أول من ضرب الدراهم والدنانير .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وَفَدَ يحيى بن الحكم على عبد الملك ، وفيها ولّى عبد الملك المدينة أبانَ بن عثمان .

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان ، وأقام الحج للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة ، وكان على العراق الحجاج ، وعلى خراسان أمية بن عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى .

وفيها غزا محمد بن مروان الروح من ناحية ملطية ، وفيها مات حبة بن جوين العُرني صاحب علي (حبة) بالحاء المهملة وبالباء الموحدة وهو منسوب إلى عرنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما

وفي هـذه السنة قتـل شبيب عتاب بن ورقـاء الريـاحي ، وزهرة بن حـويـة ، وسبب ذلك أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان وجّهه الحجاج مع عبد الـرحمن بن محمد بن الأشعث وقتل عثمان بن قطن كان ذلك في حرٍّ شديد وأتى شبيب ماه بهراذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات ، فلما ذهب الحرّ خرج شبيب في نحو ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن ـ وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة ـ فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان ، فكتب عظيم بابل مهرون[1] إلى الحجاج بذلك ، فلمّا قرأ الكتاب قام في الناس فقال : أيها الناس لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثنّ إلى قوم هم أطوع وأصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيئكم ، فقام اليه الناس من كل جانب ومكان فقالوا : نحن نقـاتلهم ونعين الأمير[2] فلتنـدبنّ الأمير اليهم ، وقام إليه زهرة بن حوية ـ وهو شيخٌ كبير لا يستتم قائماً حتى يؤخذ بيده ـ فقال : أصلح الله الأمير إنما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس إليهم كافة وابعث اليهم رجلاً شجاعاً مجرباً ممن يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر مجداً وكرماً ، فقال الحجاج : فأنت ذلك الرجل فاخرج فقال زهرة : أصلح الله الأمير إنما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهـزّ السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيئاً وقد ضعف بصري وضعفت ولكن أخرجني مع الأمير في الناس فأكون معه وأشير عليه برأيي ، فقال الحجاج : جزاك الله خيراً عن الاسلام وأهله في أول أمرك وآخره فقد نصحت ، ثم قال : أيها الناس سيروا

---

(١) في الطبري « بابل مهروذ » .

(٢) في الطبري « ونعتب الأمير » .

بأجمعكم كافة فانصرف الناس يتجهزون ولا يدرون من أميرهم ، وكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره أن شبيباً قد شارف المدائن وأنه يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة بقتل أمرائهم وبهزم جنودهم ويطلب اليه أن يبعث إليه جنداً من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد ، فلما أتى الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين ، فبعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي وهو مع المهلب يستدعيه .

وكان عتاب قد كتب إلى الحجاج يشكو من المهلب ويسأله أن يضمه اليه لأن عتاباً طلب من المهلب أن يرزق أهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وجرت بينهما منافرة فكادت تؤدي إلى الحرب فدخل المغيرة بن المهلب بينهما فأصلح الأمر وألزم أباه برزق أهل الكوفة فأجابه الى ذلك وكتب يشكو منه ، فلما ورد كتابه سُرَّ الحجاج بذلك واستدعاه ، ثم جمع الحجاج أهل الكوفة واستشارهم فيمن يوليه أمر الجيش فقالوا: رأيك أفضل، فقال: قد بعثت إلى عتاب وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة ، فقال زهرة : أيها الأمير رميتهم بحجرهم والله لا نرجع إليك حتى نظفر أو نقتل ، وقال له قبيصة بن والق : إن الناس قد تحدثوا أن جيشاً قد وصل اليك من الشام وأن أهل الكوفة قد هزموا وهان عليهم الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم فإن رأيت أن تبعث إلى أهل الشام ليأخذوا حذرهم ولا يبيتوا إلا وهم محتاطون فإنك تحارب حوّلاً قلباً ظعاناً رحالاً وقد جهّزت اليهم أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة وإن شبيباً بينا هو في أرض إذا هو في أخرى ولا آمن أنْ يأتي أهل الشام وهم آمنون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق ، فقال له : لله أبوك ما أحسن ما أشرت به ، وأرسل إلى أهل الشام يحذرهم ويأمرهم أن يأتوا على عين التمر ففعلوا .

وقدم عتاب بن ورقاء تلك الليلة فبعثه الحجاج على ذلك الجيش فعسكر بحمام أعين ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كلواذى فقطع فيها دجلة ثم سار حتى نزل مدينة بهرشير الدنيا فصار بينه وبين مطرف دجلة ، وقطع مطرف الجسر وبعث إلى شبيب أن ابعث إلي رجالاً من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما يدعون اليه ، فبعث اليه قعنب بن سويد ، والمحلل ، وغيرهما وأخذ منه رهائن إلى أن يعودوا فأقاموا عنده أربعة أيام ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما لم يتبعه مطرف تهيأ للمسير إلى عتاب وقال

لأصحابه : إني كنت عازماً أن آتي أهل الشام جريدة وألقاهم على غرّة قبل أن يتصلوا بأمير مثل الحجاج ومصر مثل الكوفة فثبطني عنهم مطرف ، وقد جاءتني عيوني فأخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة ، وقد أخبروني أن عتاباً ومن معه بالبصرة فما أقرب ما بيننا وبينه فتيسروا للمسير الى عتاب ، وخاف مطرف بن المغيرة أن يبلغ خبره مع شبيب إلى الحجاج فخرج نحو الجبال ، فأرسل شبيب أخاه مصاداً إلى المدائن وعقد الجسر وأقبل عتاب اليه حتى نزل بسوق حكمة[1] وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفاً ومن الشباب والأتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين ألفاً ، وكان الحجاج قد قال لهم حين ساروا : إن للسائر[2] المجتهد الكرامة والأثرة، وللهارب الهوان والجفوة، والذي لا إله غيره لئن فعلتم في هذه المواطن كفعلكم في المواطن الأخر لأولينكم كنفاً خشناً ولأعركنّكم بكلكلٍ ثقيل ، فلما بلغ عتاب سوق حكمة أتاه شبيب وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل فحثهم على القتال وسار بهم فتخلف عنه بعضهم ، ثم صلّى الظهر بساباط وصلّى العصر وسار حتى أشرف على عتاب وعسكره فلما رآهم نزل فصلّى المغرب .

وكان عتاب قد عبىء أصحابه ، فجعل في الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال : يا ابن أخي إنك شريف صابر فقال : والله لأصبرنّ ما ثبت معي إنسان ؛ وقال لقبيصة بن والق الثعلبي : اكفني الميسرة فقال : أنا شيخ كبير لا أستطيع القيام إلا أن أقام فجعل عليها نعيم بن عليم ، وبعث حنظلة بن الحرث اليربوعي ـ وهو ابن عمه وشيخ أهل بيته ـ على الرجالة وصفهم ثلاثة صفوف ، صف فيهم أصحاب السيوف ، وصف فيهم أصحاب الرماح ، وصف فيهم الرماة ، ثم سار في الناس يحرّضهم على القتال ويقصّ عليهم ثم قال : أين القصاص ؟ فلم يجبه أحد ثم قال : أين من يروي شعر عنترة؟ فلم يُجبهُ أحد فقال : إنا لله كأني بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في إسته الريح ، ثم أقبل حتى جلس في القلب ومعه زهرة بن حوية جالس ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي ، وأقبل شبيب ـ وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من أصحابه أربعمائة ـ فقال :

---

(١) بفتحات نسب الى حكمة بن حذيفة بن بدر .

(٢) في الطبري « إن للصابر » .

لقد تخلف عنا من لا أحب أن يرى فينا ، فجعل سويد بن سليم في مائتين في الميسرة ، وجعل المحلل بن وائل في مائتين في القلب ، ومضى هو في مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم لمن هذه الرايات ؟ فقالوا : رايات لربيعة قال : طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل والله لأجاهدنكم محتسباً أنا شبيب لا حُكْم إلا لله للحكم اثبتوا إن شئتم، ثم حمل عليهم فغصهم[1] فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق ، وعبيد بن الحليس ، ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها ونادى الناس من بني ثعلبة قتل قبيصة ، وقال شبيب : قتلتموه ومثله كما قال الله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾[2] ثم وقف عليه وقال : ويحك لو ثبت على إسلامك الأول سعدت ، وقال لأصحابه : إن هذا أتى رسول الله ﷺ فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الفسقة .

ثم إن شبيباً حمل من الميسرة على عتاب ، وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتلهم في رجال من تميم ، وهمدان فما زالوا كذلك حتى قيل لهم : قتل عتاب فانفضوا ، ولم يزل عتاب جالساً على طنفسة في القلب ومعه زهرة بن حوية حتى غشيهم شبيب فقال عتاب : يا زهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء، والهفي على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس إلا صابر لعدوه إلا مواسٍ بنفسه فانفضّوا عنه وتركوه ، فقال زهرة : أحسنت يا عتاب فعلت فعلاً لا يفعله مثلك أبْشِر فإني أرجو أن يكون الله جل ثناؤه قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا ، فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس فقيل له : إن عبد الرحمن بن الأشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال : ما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع ، ثم قاتلهم ساعة فرماه رجل من أصحاب شبيب يقال له : عامر بن عمر التغلبي فحمل عليه فطعنه ووطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذب بسيفه لا يستطيع أن يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيباني فقتله ، فانتهى اليه شبيب فرآه صريعاً فعرفه فقال : هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرُبّ يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين هزمتها وقرية من قراهم جم أهلها قد

---

(١) في الطبري « ففضهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٧٥ .

افتتحها ثم كان في علم الله أنك تقتل ناصراً للظالمين وتوجع له ، فقال له رجل من أصحابه : إنك لتتوجع لرجل كافر فقال : إنك لستِ بأعرف بضلالتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم مالا تعرف ما لو ثبتوا عليه لكانوا إخواننا ، فاستمسك شبيب من أهل العسكر والناس فقال : ارفعوا السيف ودعاهم إلى البيعة فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه فأتاه من المدائن .

وأقام شبيب بعد الوقعة ببيت قرة يومين ثم سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتـل عاملها ، وكان سفيان بن الأبرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهر الحجـاج واستغنى به وبعسكره عن أهل الكوفة فقام على المنبر فقال : يا أهل الكوفة لا أعزّ الله من أراد بكم العزّ ولا نصر من أراد بكم النصر أخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود ، والنصارى ولا يقاتل معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب .

ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضاً وانهزامه عنها

ثم سار شبيب من سورا فنزل حمام أعين ، فدعا الحجاج الحرث بن معـاوية الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب وغيرهم فخرج في نحو ألف فنزل زرارة ، فبلغ ذلك شبيباً فعجل الى الحرث بن معاوية ، فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم أصحابه وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة ، وجاء شبيب فعسكـر بناحيـة الكوفة وأقام ثلاثاً فلم يكن في اليوم الأول غير قتل الحرث ، فلما كان اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك ، وجاء شبيب فنزل السبخة وابتنى بها مسجداً ، فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولاه عليه تجفاف ومعه غلمان له وقالوا : هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال : إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ؛ ثم أخرج الحجاج غلامه طهمان في مثل تلك العدة والحالة فقتله شبيب وقال : إن كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ، ثم إن الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلاً يركبه إلى السبخة فأُتِي ببغلٍ فركبه ومعه أهل الشام فخرج ، فلما رأى الحجاج شبيباً وأصحابه نزل ، وكان شبيب في ستمائة فارس فأقبل نحو الحجاج ، وجعل الحجاج سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك في جماعة الناس ، ودعا الحجاج بكرسي فقعد عليه ثم نادى : أهلَ الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين فلا

يغلبنَّ باطل هؤلاء الأرجاس حقكم ،غضّوا الأبصار واجثوا على الركب واستقبلوهم بأطراف الأسنة ففعلوا وأشرعوا الرماح وكأنهم حرة سوداء ، وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سويد بن سليم ، وكتيبة مع المحلل بن وائل ، وقال لسويد : آحمل عليهم في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له ووثبوا في وجهه بأطراف الرماح فطعنوه حتى انصرف هو وأصحابه ، وصاح الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ، وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به كذلك فناداهم الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلاً ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألحقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل عليهم بأصحابك على أهل هذه السكة لعلك تزيل أهلها وتأتي الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من أمامه فحمل سويد فَرُمِي من فوق البيوت وأفواه السكك فرجع .

وكان الحجاج قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة رجل من أهل الشام ردئاً لئلا يؤتوا من خلفهم، فجمع شبيب أصحابه ليحمل بهم فقال الحجاج : اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم هو الفتح ، فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فوثبوا في وجهه وما زالوا يطاعنونه ويضاربونه قدماً ويدفعونه وأصحابه حتى أجازوهم مكانهم ، وأمر شبيب أصحابه بالنزول فنزل يصفّهم ، وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال : يا أهل الشام هذا أول الفتح ،وصعد المسجد ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم إن دنوا منه فاقتتلوا عامة النهار أشدّ قتال رآه الناس حتى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه ، ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج : ائذن لي في قتالهم فإني موتور فأذن له ، فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة وقصد عسكرهم من ورائهم فقتل مصاداً أخا شبيب وقتل امرأته غزالة وحرق في عسكره ، وأتى الخبر الحجاج وشبيباً فكبر الحجاج وأصحابه ؛ وأما شبيب فركب هو وأصحابه وقال الحجاج لأهل الشام : احملوا عليهم فإنهم قد أتاهم ما أرعبهم فشدّوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب في حامية الناس فبعث الحجاج الى خيله أن دعوه فتركوه ورجعوا ودخل الحجاج الكوفة فصعد المنبر ثم قال: والله ما قوتل شبيب قبلها ،ولّى والله هارباً وترك امرأته يكسر في استها القصب ، ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في ثلاثة آلاف فارس

من أهل الشام في أثر شبيب وقال له : احذر بياته وحيث لقيته فانزل له فإن الله تعالى قد فلّ وحده وقصم نابه ، فخرج في أثره حتى نزل الأنبار وكان الحجاج قد نادى عند انهزامهم من جاءنا منكم فهو آمن فتفرق عن شبيب ناسٌ كثير من أصحابه فلما نزل حبيب الأنبار أتاهم شبيب فلما دنا منهم نزل فصلّى المغرب ، وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعاً وقال لكل ربع منهم : ليمنع كل ربع منكم جانبه فإن قاتل هذا الربع فلا يعنهم[1] الربع الآخر فإن الخوارج قريب منكم فوطّنوا أنفسكم على أنكم مبيتون ومقاتلون ، فأتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلاً فما زالت قدم إنسان عن موضعها ، ثم تركهم وأقبل إلى ربع آخر فكانوا كذلك ، ثم أتى ربعاً آخر فكانوا كذلك ، ثم الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ، ثم نازلهم راجلاً فسقطت منهم الأيدي وكثرت القتلى وفُقئت الأعين ، وقُتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلاً ومن أهل الشام نحو مائة ، واستولى التعب والإعياء على الطائفتين حتى أن الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيئاً وحتى أن الرجل ليقاتل جالساً فما يستطيع أن يقوم من التعب ، فلما يئس شبيب منهم تركهم وانصرف عنهم ثم قطع دجلة وأخذ في أرض جوخى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند واسط ثم أخذ نحو الأهواز ، ثم إلى فارس ، ثم إلى كرمان ليستريح هو ومن معه

وقيل في هزيمته غير ذلك ، وهو أن الحجاج كان قد بعث إلى شبيب أميراً فقتله ثم أميراً فقتله أحدهما أعين صاحب حمام أعين ثم جاء شبيب حتى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران واتخذ في عسكره أخصاصا ، فجمع الحجاج ليلاً بعد أن لقي من شبيب الناس ما لقوا فاستشارهم في أمر شبيب فأطرقوا وفصل قتيبة من الصف فقال : أتأذن لي في الكلام ؟ قال : نعم قال : إن الأمير ما راقب الله ولا أمير المؤمنين ولا نصح الرعية قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعاً فينهزمون ويستحي أن ينهزم فيقتل قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تخرج اليه فتحاكمه قال : فانظر لي معسكراً ؛ فخرج الناس يلعنون عنبسة بن سعيد لانه هو الذي كلم الحجاج فيه حتى جعله من صحابته ، وصلى الحجاج من الغد الصبح واجتمع الناس ، وأقبل قتيبة

---

(١) في الطبري « فلا يغثهم » .

وقد رأى معسكراً حسناً فدخل الى الحجاج ثم خرج ومعه لواء منشور ، وخرج الحجاج يتبعه حتى خرج إلى السبخة وبها شبيب وذلك يوم الأربعاء فتواقفوا ، وقيل للحجاج : لا تعرّفه مكانك فاخفى مكانه وشبّه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود فقتله ، وحمل شبيب على خالد بن عتاب ومن معه وهو على ميسرة الحجاج فبلغ بهم الرحبة ، وحمل على مطر بن ناجية وهو على ميمنة الحجاج فكشفه ، فنزل عند ذلك الحجاج ونزل أصحابه وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فإنهم على ذلك إذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لجام شبيب وقال : ما تقول في صالح بن مسرح وبِمَ تشهد عليه ؟ قال : أعلى هذه الحالة قال : نعم قال : فبريء من صالح ، فقال له مصقلة : بريء الله منك ، وفارقه إلا أربعين فارساً ، فقال الحجاج قد اختلفوا.

وأرسل إلى خالد بن عتاب فأتى بهم في عسكرهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها إلى الحجاج مع فارس فعرفه شبيب فأمر رجلاً فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ثم دفنه ، ومضى القوم على حاميتهم ؛ ورجع خالد فاخبر الحجاج بانصرافهم فأمره باتباعهم فأتبعهم يحمل عليهم : فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتى بلغوا به الرحبة ، وأُتِيَ شبيب بخوطٍ بن عمير السدوسي فقال : يا خوط لا حكم إلا لله فقال : ان خوطاً من أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه ، وأتي بعمير بن القعقاع فقال : يا عمير لا حكم إلا لله فقال : في سبيل الله شبابي فردّد عليه شبيب لا حكم إلا لله فلم يفقه ما يريد فقتله، وقتل مصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتّبعوا خالداً فأبطؤوا ، ولم يقدم أصحاب الحجاج على شبيب هيبة له ، وأتى إلى شبيب أصحابه الثمانية فساروا واتبعهم خالد وقد دخلوا إلى دير بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه نحو فرسخين فألقوا أنفسهم في دجلة منهزمين ، وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب: قاتله الله هذا أسد الناس فقيل: هو خالد بن عتاب فقال : يعرف في الشجاعة[1] ولو عرفته لاقتحمت خلفه ولو دخل النار ، ثم سار الى كرمان على ما تقدم ذكره ، وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فسيّر سفيان بن الأبرد في جيش اليه .

---

(١) في الطبري « معرق له في الشجاعة » .

ذكر مهلك شبيب

وفي هذه السنة هلك شبيب ، وكان سبب ذلك ان الحجاج أنفق في أصحاب سفيان بن الأبرد مالاً عظيماً بعد أن عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين ، وأمر سفيان وأصحابه بقصد شبيب فسار نحوه ، وكتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يأمره أن يرسل أربعة آلاف فارس من أهل البصرة إلى سفيان فسيّرهم مع زياد بن عمرو العتكي فلم يصل إلى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد أقام بكرمان فاستراح هو وأصحابه ثم أقبل راجعاً فالتقى مع سفيان بجسر دجيل الأهواز ، فعبر شبيب الجسر إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال ، وجعل مهاصر بن سيف على الخيل ، وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس فاقتتلوا أشد قتال ، ورجع شبيب إلى المكان الذي كان فيه ثم حمل عليهم هو وأصحابه أكثر من ثلاثين حملة ولا يزول أهل الشام ، وقال لهم سفيان : لا تتفرقوا وليزحف الرجال إليهم زحفاً فما زالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتى اضطروهم إلى الجسر، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتى المساء وأوقعوا بأهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله ، فلما رأى سفيان عجزه عنهم وخاف أن ينصروا عليه أمر الرماة أن يرموهم وذلك عند المساء ـ وكانوا ناحية ـ فتقدموا ورموا شبيباً ساعة فحمل هو وأصحابه على الرماة فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً ثم عطف على سفيان ومن معه فقاتلهم حتى اختلط الظلام ثم انصرف ، فقال سفيان لأصحابه : لا تتبعوهم ، فلمّا انتهى شبيب إلى الجسر قال لأصحابه : اعبروا وإذا أصْبَحنا باكرناهم إن شاء الله ، فعبروا أمامه وتخلف في آخرهم وجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس أنثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الحجر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء فلما سقط قال : ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾[1] وانغمس في الماء ثم ارتفع وقال : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾[2] وغرق.

وقيل في قتله غير ذلك ، وهو أنه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالاً فكان قد أوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بني تيم بن شيبان فلما قتل شبيب من بني تيم أغار هو على بني

---

(١) الأنفال ٤٢ .

(٢) الأنعام ٩٦.

مرة بن همام رهط شبيب فقتل منهم فقال له شبيب : ما حملك على قتلهم بغير أمري ؟ فقال له : قتلت كفار قومي فقتلت كفار قومك ومن ديننا قتل من كان على غير رأينا وما أصبت من رهطي أكثر مما أصبت من رهطك ، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد على قتل الكافرين قال : لا أجد ، وكان معه أيضاً رجال كثير قد قتل من عشائرهم ، فلما تخلف في آخر الناس قال بعضهم لبعض : هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا الجسر فمالت به السفن فنفر به الفرس فوقع في الماءِ فغرق ، والأول أصحّ وأشهر ، وكان أهل الشام يريدون الانصراف فأتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان : إن رجلاً منهم وقع في الماء فنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ، ثم إنهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبر أصحابه وأقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث إلى العسكر وإذ ليس فيه أحد وإذا هو أكثر العساكر خيراً ، ثم استخرجوا شبيباً فشقوا جوفه وأخرجوا قلبه وكان صلباً كأنه صخرة فكان يضرب به الصخرة فيشبب عنها قامة الانسان ، قيل : وكان شبيب يُنعى الى أمه فيقال قُتل فلا تقبل ذلك فلما قيل لها : غرق صدقت ذلك وقالت : إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية رومية قد اشتراها أبوه فأولدها شبيباً منه سنة خمس وعشرين يوم النحر وقالت : إني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قلبي[1] شهاب نار فذهب ساطعاً في السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك إذ وقع في ماءٍ كثير فخبا وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء وقد أولت ذلك أن ولدي يكون صاحب دماء وأن أمره سيعلو فيعظم سريعاً ، وكان أبوه يختلف به الى اللصف أرض قومه وهو من بني شيبان .

ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة

قيل : إن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء أشرافاً بأنفسهم مع شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم ، فلما قدم الحجاج ورآهم علم أنهم رجال قومهم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرفاً على المدائن ، وحمزة على همذان ، وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرة وأشدهم على المريب ، وكان مطرف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها كما سبق ، فكتب إلى الحجاج يستمدّه فأمدّه بسبرة بن

(١) في الطبري « من قبلي » .

عبد الرحمن بن مخنف وغيره ؛ وأقبل شبيب حتى نزل بهرسبر ، وكان مطرف بالمدينة العتيقة وهي التي فيها إيوان كسرى ، فقطع مطرف الجسر وبعث إلى شبيب يطلب إليه أن يرسل بعض أصحابه لينظر فيما يدعون ، فبعث إليه عدة منهم فسألهم مطرف عما يدعون اليه فقالوا : ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية ، فقال له مطرف : ما دعوتم إلا إلى حق وما نقمتم إلا جوراً ظاهراً أنا لكم متابع فبايعوني[1] على ما أدعوكم اليه ليجتمع أمري وأمركم . فقالوا : اذكره فإن يكن حقاً نجبك إليه ، قال : أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظلمة على أحداثهم وندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضون على مثل هذه الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فإن العرب إذا علمت إنما يُراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكَثُر تبعكم وأعوانكم ، فقالوا : هذا ما لا نجيبك اليه ، وقاموا من عنده وترددوا بينهم أربعة أيام فلم تجتمع كلمتهم فساروا من عنده وأحضر مطرف نصحاءه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجاج ، وعبد الملك وأنه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم وأنه يرى ذلك ديناً لو وجد عليه أعواناً ، وذكر لهم ما جرى بينه وبين أصحاب شبيب وأنهم لو تابعوه على رأيه يخلع عبد الملك ، والحجاج ، واستشارهم فيما يفعل فقالوا له : أخفِ هذا الكلام ولا تظهره لأحد ، فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة : والله لا يخفى على الحجاج مما كان بينك وبينهم كلمة واحدة وليُزادنّ على كل كلمة عشر أمثالها ولو كنت في السحاب لالتَمسَكَ الحجاج حتى يهلكك فالنجاء النجاء ، فوافقه أصحابه على ذلك فسار عن المدائن نحو الجبال ، فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي بدَيرِ يزدجرد فأحسن إليه وأعطاه نفقة وكسوة فصحبه ثم عاد عنه ، ثم ذكر مطرف لأصحابه بالدسكرة ما عزم عليه ودعاهم إليه وكان رأيه خلع عبد الملك ، والحجاج والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوه فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض .

وكان ممن رجع عنه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فجاء الى الحجاج وقاتل شبيباً مع أهل الشام ، وسار مطرف نحو حلوان وكان بها سويد بن عبد الرحمن السعدي

---

(١) في الطبري «فتابعوني» .

من قبل الحجاج، فأراد هو والأكراد منعه ليعذر عند الحجاج فجازه مطرف بمواطأة منه وأوقع مطرف بالأكراد فقتل منهم وسار ، فلما دنا من همذان وبها أخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار وقصد ماه دينار ، وأرسل إلى أخيه حمزة يستمدّه بالمال والسلاح فأرسل اليه سراً ما طلب ، وسار مطرف حتى بلغ قم ، وقاشان ، وبعث عماله على تلك النواحي وأتاه الناس ، وكان ممن أتاه سويد بن سرحان الثقفي ، وبكير بن هارون النخعي من الري في نحو مائة رجل ، وكتب البراء بن قبيصة ـ وهو عامل الحجاج على اصبهان ـ إليه يعرفه حال مطرف ويستمده فأمده بالرجال بعد الرجال على دواب البريد ، وكتب الحجاج الى عدي بن زياد عامل الري يأمره بقصد مطرف وأن يجتمع هو والبراء على محاربته؛ فسار عدي من الري فاجتمع هو والبراء بن قبيصة، وكان عدي هو الأمير فاجتمعوا في نحو ستة آلاف مقاتل ، وكان حمزة بن المغيرة قد أرسل إلى الحجاج يعتذر فأظهر قبول عذره وأراد عزله وخاف أن يمتنع عليه ، فكتب الى قيس بن سعد العجلي وهو على شرطة حمزة بهمذان بعهده على همذان ويأمره أن يقبض على حمزة بن المغيرة ، وكان بهمذان من عجل ، وربيعة جمع كثير ، فسار قيس بن سعد إلى حمزة في جماعة من عشيرته فأقرأه العهد بولاية همذان وكتاب الحجاج بالقبض عليه وقال : سمعاً وطاعة ، فقبض قيس على حمزة وجعله في السجن وتولى قيس همذان .

وتفرغ قلب الحجاج من هذه الناحية لقتال مطرف وكان يخاف مكان حمزة بهمذان لئلا يمد أخاه بالمال والسلاح ولعله ينجده بالرجال فلما قبض عليه سكن قلبه وتفرغ باله ، ولما اجتمع عدي بن زياد الايادي ، والبراء بن قبيصة ساروا نحو مطرف فخندق عليه ، فلما دنوا منه اصطفوا للحرب واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم أصحاب مطرف وقتل مطرف وجماعة كثيرة من أصحابه قتله عمير بن هبيرة الفزاري وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بني أمية ، وقاتل ابن هبيرة ذلك اليوم وأبلى بلاء حسناً ، وقتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة وكان صاحب راية مطرف ، وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبدالله بن عفيف الأزدي وكان ناسكاً صالحاً ، وبعث عدي بن زياد إلى الحجاج أهل البلاء فأكرمهم وأحسن اليهم ، وأمن عدي بكير بن هارون ، وسويد بن سرحان ، وغيرهما ، وطلب منه الأمان للحجاج بن حارثة الخثعمي فبعث إليهم كتاب الحجاج يأمرهم بإرساله إليه إن كان حياً فاختفى ابن حارثة حتى عزل عدي ثم ظهر في إمارة

خالد بن عتاب بن ورقاء ، وكان الحجاج يقول : ان مطرفاً ليس بولد للمغيرة بن شعبة ، إنما هو ولد مصقلة بن سبرة الشيباني وكان مصقلة ، والمغيرة ، يدَّعيانه فأُلحق بالمغيرة وجلد مصقلة الحد ، فلما أظهر رأي الخوارج قال الحجاج ذلك لان كثيراً من ربيعة كانوا من خوارج ولم يكن منهم أحد من قيس عيلان .

ذكر الاختلاف بين الأزارقة

قد ذكرنا مسير المهلب إلى الأزارقة ومحاربتهم إلى أن فارقه عتاب بن ورقاء الرياحي ورجع إلى الحجاج وأقام المهلب بعد مسير عتاب عنه يقاتل الخوارج فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالاً شديداً ،ثم إنه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم أشد قتال ،وكانت كرمان بيد الخوارج وفارس بيد المهلب فضاق على الخوارج مكانهم لا يأتيهم من فارس مادة فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب بالعساكر حتى نزل بجيرفت وهي مدينة كرمان فقاتلهم قتالاً شديداً ، فلما صارت فارس كلها في يد المهلب أرسل الحجاج العمال عليها ، فكتب إليه عبد الملك يأمره أن يترك بيد المهلب فسا ، ودارابجرد ، وكورة اصطخر ، تكون له بمعونة على الحرب فتركها له ، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة ليحثه على قتال الخوارج ويأمره بالجد وأنّه لا عذر له عنده ، فخرج المهلب بالعساكر فقاتل الخوارج من صلاة الغداة إلى الظهر ثم انصرفوا والبراء على مكان عالٍ يراهم فجاء إلى المهلب فقال : ما رأيت كتيبة ولا فرساناً أصبر ولا أشد من الفرسان الذين يقاتلونك ، ثم ان المهلب رجع العصر فقاتلهم كقتالهم أول مرة لا يصدّ كتيبة عن كتيبة ، وخرجت كتيبة من كتائب الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلب فاشتد بينهم القتال إلى أن حجز بينهم الليل ، فقالت إحداهما للأخرى : من أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بني تميم وقال هؤلاء : نحن من بني تميم وانصرفوا عند المساء ، فقال المهلب للبراء بن قبيصة : كيف رأيت قوماً ما يعينك عليهم إلا الله جلّ ثناؤه، فأحسن المهلب إلى البراء وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وانصرف البراء إلى الحجاج وعرفه عذر المهلب ، ثم إن المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء ، ثم إن عاملاً لقطري على ناحية كرمان يدعى المقعطر الضبي قتل رجلاً منهم فوثبت الخوارج إلى قطري وطلبوا منه أن يقيدهم من المقعطر فلم يفعل وقال : إنه تأول فأخطأ التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو في ذوي السابقة فيكم فوقع بينهم الإختلاف .

وقيل : كان سبب اختلافهم ان رجلاً كان في عسكرهم يعمل النصول المسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب فشكا أصحابه منها فقال : أكفيكموه ، فوجه رجلاً من أصحابه ومعه كتاب وأَمَرَهُ ان يلقيه في عسكر قطريّ ولا يراه أحد ، ففعل ذلك ووقع الكتاب الى قطريّ فرأى فيه : ـ أما بعد فان نِصَالكَ وصلت وقد أنفذت اليك ألف درهم ، فأحضر الصانع فسأله فجحد فقتله قطري فأنكر عليه عبد ربه الكبير قتله واختلفوا ، ثم وضع المهلب رجلاً نصرانياً وأمره أن يقصد قطرياً ويسجد له ففعل ذلك فقال له الخوارج: إن هذا قد اتخذك إلهاً ووثب بعضهم إلى النصراني فقتله فزاد إختلافهم وفارق بعضهم قطرياً ، ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا وبقي مع قطري منهم نحو من ربعهم أو خمسهم واقتتلوا فيما بينهم نحواً من أشهر ، وكتب المهلب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يأمره أن يقاتلهم على حال اختلافهم ، قبل أن يجتمعوا ، فكتب إليه المهلب إني لست أرى أن أقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضاً فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً فأناهضهم حينئذٍ وها هم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة إن شاء الله تعالى والسلام ، فسكت عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهراً لا يحركهم ، ثم إن قطرياً خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع الباقون عبد ربه الكبير .

ذكر مقتل عبد ربه الكبير

لما سار قطري إلى طبرستان وأقام عبد ربه الكبير بكرمان نهض إليهم المهلب فقاتلوه قتالاً شديداً وحصرهم بجيرفت وكرر قتالهم وهو لا ينال منهم حاجته ، ثم إن الخوارج طال عليهم الحصار فخرجوا من جيرفت بأموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب قتالاً شديداً حتى عقرت الخيل ، وتكسرت السلاح وقتل الفرسان فتركهم فساروا ودخل المهلب جيرفت ثم سار يتبعهم إلى أن لحقهم على أربعة فراسخ من جيرفت فقاتلهم من بكرة إلى نصف النهار وكفّ عنهم وأقام عليهم ، ثم إن عبد ربه جمع أصحابه وقال : يا معشر المهاجرين إن قطرياً ومن معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل إليه فالقوا عدوكم وهبوا أنفسكم لله . ثم عاد للقتال فاقتتلوا قتالاً شديداً أنساهم ما قبله فبايع جماعة من أصحاب المهلب على الموت ، ثم ترجلت الخوارج وعقروا دوابهم واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب : ما مر بي مثل هذا ، ثم إن الله تعالى أنزل نصره على المهلب وأصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم ، وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير ، وكان عدد

القتلى أربعة آلاف قتيل ولم ينج منهم إلا قليل ، وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لأنهم كانوا يَسبونَ نساء المسلمين ، وقال الطفيل بن عامر بن واثلة يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه :

لـقـد مَسّ منـا عـبـدَ ربٍّ وجنـدَهُ عقـابٌ فأمسى سَبيهُم في المقـاسمِ
سمـا لهـم بـالجيش حتى أزَاحَهُـم بكـرمانَ عن مثوىً من الأرض نـاعمِ
ومـا قَـطَريّ الكُـفـر إلا نَعـامـة طـريـدٌ يـدَوِّي لـيلهُ غـيـرَ نـائمِ
اذا فـرّ منـا هـاربـاً كـان وَجهُـهُ طـريقاً سـوى قصدِ الهـدى والمعـالمِ
فليس بمـنجيـه الفـرارُ وإن جـرتْ بـه الفُلكُ في لـجٍّ من البحـرِ دائمِ

وهي أكثر من هذا تركناها لشهرتها ، وأحسن الحجاج إلى أهل البلاء وزادهم ، وسير المهلب الى الحجاج مبشراً فلما دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم وأخبره عن بني المهلب فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدركه ، وعبد الملك سُمٌ ناقع ، وحبيب موت زُعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفاك بالمفضل نجدة قال : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله ، وكتب إلى المهلب يشكره ويأمره أن يولي كرمان من يثق إليه ويجعل فيها من يحميها ويقدم إليه ، فاستعمل على كرمان يزيد ابنه وسار إلى الحجاج ، فلما قدم عليه أكرمه وأجلسه إلى جانبه وقال : يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ، ثم قال له : أنت كما قال لقيط بن يعمر الأيادي في صفة أمراء الجيوش :

وقـلدوا أمـركـم لله دركـم رحب الـذراعِ بأمـر الحرب مضـطلعا
لا مترفـاً إنْ رخـاء العيش سـاعـده ولا إذا عضّ مكـروه بـه خشـعـا
مـسهـد النـوم تعنـيـه ثـغـوركم يـروم منهـا إلى الأعـداء مـطلعـا
مـا انفكّ يحلب هـذا الـدهـر أشطره يـكـون متبعـاً طـوراً ومتـسعـا
ولـيس يـشـغـله مـال يـثـمـره عنكم ولا ولـد يبغي لـه الـرفعـا
حتى استمـرت على شـزر مـريـرتـه مستحكم السن لا قحماً ولا ضـرعـا

وهي قصيدة طويلة هذا هو الأجود منها .

ذكر قتل قطري بن الفجاءة ، وعبيدة بن هلال

قيل : وفي هذه السنة كانت هلكة قطري ، وعبيدة بن هلال ، ومن معهم من الأزارقة ، وكان السبب في ذلك أن أمرهم لمّا تشتت بالاختلاف الذي ذكرنا وسار قطري نحو طبرستان وبلغ خبره الحجاج سيّر اليه سفيان بن الأبرد في جيش عظيم ، وسار سفيان واجتمع معه إسحاق بن محمد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان فأقبلا في طلب قطري فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه أصحابه ووقع عن دابته فتدهده إلى أسفل الشعب ، وأتاه علج من أهل البلد فقال له قطري : اسقني الماء فقال العلج : أعطني شيئاً فقال : ما معي إلا سلاحي وأنا أعطيك إذا أتيتني بالماء فانطلق العلج حتى أشرف على قطري ثم حدر عليه حجراً من فوقه فأصاب وركه فأوهنه فصاح بالناس فأقبلوا نحوه ولم يعرفه العلج غير أنه يظن أنه من أشرافهم لكمال سلاحه وحُسن هيئته ، فجاء إليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن الحر التميمي(١) ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف ، والصباح بن محمد بن الأشعث ، وباذان(٢) مولاهم ، وعمر بن أبي الصلت ، وكل هؤلاء ادعى قتله فجاء إليهم أبو الجهم بن كنانة فقال لهم : ادفعوا رأسه إلي حتى تصطلحوا فدفعوه إليه فأقبل به إلى إسحاق بن محمد وهو على الكوفة فأرسله معه إلى سفيان فسير سفيان الرأس مع أبي الجهم إلى الحجاج فسيره الحجاج إلى عبد الملك فجعل عطاءه في ألفين ، ثم إن سفيان سار إليهم فاحاط بهم ثم أمر مناديه فنادى من قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال في ذلك :

لعمري لقد قام الأصَمُّ بخطبةٍ ... لدى الشك منها في الصُّدُور غليلُ
لعمري لئن أعطيتُ سفيانَ بيعتي ... وفارقتُ ديني إنني لجَهولُ
إلى الله أشكو ما نرى بجيادِنا ... تَسارَك هزلَى مُخهُنَّ قليلُ
تعاورها القذَّاف من كل جانب ... بقومس حتى صعبهن ذلول
فإن يَكُ أفناها الحصارُ فرُبما ... تَشحَّطَ فيما بينهن قتيلُ
وقد كنَّ مما إن يُقَدْنَ على الوَجَى ... لهنَّ بأبواب القباب صهيلُ

---

(١) في الطبري « سورة بن أبجر التميمي » .

(٢) في الطبري « وبادام » .

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا إليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجاج ؛ ثم دخل سفيان دنباوند ، وطبرستان فكان هناك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم ، وقال بعض العلماء · انقرضت الأزارقة بعد مقتل قطري ، وعبيدة إنما كانوا دفعة متصلة أهل عسكر واحد وأول رؤسائهم نافع بن الأزرق وآخرهم قطري ، وعبيدة واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة إلا أني أشك في صبيح المازني التميمي مولى سوار بن الأشعر الخارج أيام هشام قيل : هو من الأزارقة أو الصفرية إلا أنه لم تطل أيامه بل قتل عُقيب خروجه .

ذكر قتل بكير بن وساج[1]

في هذه السنة قتل أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بكير بن وساج ؛ وكان سبب ذلك أن أمية بن عبدالله ـ وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ـ أمر بكيراً بالتجهيز لغزو ما وراء النهر وقد كان قبل ذلك ولّاه طخارستان فتجهز له فوشى به بحير بن ورقاء إلى أمية فمنعه عنها ، فلما أمره بغزو ما وراء النهر تجهز وأنفق نفقة كثيرة وأدان فيها فقال بحير لأمية : إن صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة ، فأرسل إليه أمية أن أقم لعلي أغزو فتكون معي فغضب بكير وقال : كأنه يضارني ، وكان عقاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير فأخذه غرماؤه فحبس حتى أدى عنه بكير ، ثم إن أمية تجهز للغزو إلى بخارى ثم يعود منها إلى موسى بن عبدالله بن خازم بترمذ وتجهز الناس معه وفيهم بكير وساروا ، فلما بلغوا النهر وأرادوا قطعه قال أمية لبكير : إني قد استخلفت ابني على خراسان وأخاف أنه لا يضبطها لأنه غلام حدث فارجع إلى مرو فاكفنيها فإني قد وليتكها فقم بامر ابني ، فانتخب بكير فرساناً كان عرفهم ووثق بهم ورجع ومضى أمية إلى بخارى للغزاة فقال عقاب اللقوة لبكير : إنا طلبنا أميراً من قريش فجاءنا أمير يلعب بنا ويحولنا من سجن إلى سجن وإني أرى أن تحرق هذه السفن ونمضي إلى مرو ونخلع أمية ونقيم بمرو ونأكلها الى يوم ما ووافقه الأحنف بن عبدالله العنبري على هذا ، قال بكير : أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي قال : إن هلك هؤلاء فأنا آتيك من

---

(١) في الطبري « وشاح » وانظر ص ٣٠ من هذا الجزء .

أهل مرو بما شئت ، قال : يهلك المسلمون قال : إنما يكفيك أن ينادي منادٍ من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً أسمع من هؤلاء وأطوع قال : فيهلك أمية ومن معه قال : ولم يهلكون ولهم عدد وعدة ونجدة وسلاح ظاهر ؟ ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين ، فحرق بكير السفن ورجع إلى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه وخلع أمية .

وبلغ أمية الخبر فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر ، وذكر للناس إحسانه الى بكير مرة بعد أخرى وأنه كافأه بالعصيان ، وسار الى مرو ، وأتاه موسى بن عبدالله بن خازم ، وأرسل أمية شماس بن دثار في ثمانمائة فسار إليه بكير وبيته فهزمه وأمر أصحابه أن لا يقتلوا منهم أحداً فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم ، وقدم أمية فتلقاه شماس فقدم أمية ثابت بن قطبة فلقيه بكير فأسر ثابتاً وفرّق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده ، وأقبل أمية وقاتله بكير فانكشف يوماً أصحابه فحماهم بكير ثم التقوا يوماً آخر فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم التقوا يوماً آخر فضرب بكير ثابت بن قطبة على رأسه فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه واتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة وناداه الى أين يا بكير ؟ فرجع فضربه حريث على رأسه فقطع المغفر وعضّ السيف رأسه فصرع واحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة وكانوا يقاتلونهم ، فكان أصحاب بكير يغدون في الثياب المصبغة من أحمر وأصفر فيجلسون يتحدثون وينادي مناديهم مَنْ رَمَى بسهم رمينا إليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد ، وخاف بكير إن طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحب ذلك أيضاً أصحاب أمية ، فاصطلحوا على أن يقضي أمية عنه أربعمائة ألف ويصل أصحابه ويوليه أي كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وإن رابه ريب فهو آمن أربعين يوماً . ودخل أمية مدينة مرو ووفى لبكير وعاد إلى ما كان من إكرامه : وأعطى أمية عقاباً عشرين ألفاً .

وقد قيل : إن بكيراً لم يصحب أمية إلى النهر بل كان أمية قد استخلفه على مرو فلما سار أمية وعبر النهر خلعه فجرى الأمر بينهما على ما ذكرناه ، وكان أمية سهلاً ليناً سخياً وكان مع ذلك ثقيلاً على أهل خراسان وكان فيه زهوٌ شديد وكان يقول : ما تكفيني خراسان لمطبخي ، وعزل أمية بحيراً عن شرطته وولاها عطاء بن أبي السائب وطالب أمية الناس بالخراج واشتد عليهم وكان يوماً بكير في المسجد وعنده الناس فذكروا شدة

أمية وذموه وبحير ، وضرار بن حصين ، وعبدالله بن جارية بن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك إلى أمية فكذّبه فادعى شهادة هؤلاء فشهد مزاحم بن أبي المجشر السلمي أنه كان يمزح فتركه أمية ، ثم ان بحيراً أتى أمية وقال له : والله إن بكيراً قد دعاني إلى خلعك وقال : لـولا مكانـك لقتلت هذا القـرشي وأكلت خراسـان فلم يصدقـه أمية فاستشهد جماعة ذكر بكير أنهم أعداؤه فقبض أمية على بكير وعلى بدل ، وشمر ودل ابني أخيه ، ثم أمر أمية بعض رؤساء من معه بقتل بكير فامتنعوا فأمر بحيراً بقتله فقتله وقتل أمية ابن أخي بكير .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عبر أمية نهر بلخ للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ورجعوا إلى مرو ، وحجّ هذه السنة بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج ، وعلى خراسان أمية .

وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك .

وفيها مات جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر عزل أمية بن عبدالله وولاية المهلب خراسان

في هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبدالله بن خالد عن خراسان ، وسجستان وضمّهما إلى أعمال الحجاج بن يوسف ففرّق عماله فيهما ، فبعث المهلب بن أبي صفرة على خراسان وقد فرغ من الأزارقة ثم قدم على الحجاج وهو بالبصرة فأجلسه معه على السرير ودعا أصحاب البلاء من أصحاب المهلب فأحسن اليهم وزادهم ، وبعث عبيدالله بن أبي بكرة على سجستان ، وكان الحجاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره إلى البصرة المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل ، فلما استعمل المهلب على خراسان سير ابنه حبيباً إليها فلما ودّع الحجاج أعطاه بغلة خضراء فسار عليها وأصحابه على البريد فسار عشرين يوماً حتى وصل خراسان ، فلما دخل باب مرو لقيه حمل حطب فنفرت البغلة فعجبوا من نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير ، فلما وصل خراسان لم يعرض لأمية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين .

ذكر عدة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة أبان بن عثمان[1] وكان أمير المدينة ، وكان أمير الكوفة ، والبصرة ، وخراسان ، وسجستان ، وكرمان الحجاج بن يوسف ، وكان نائبه بخراسان المهلب ، وبسجستان عبيدالله بن أبي بكرة ؛ وكان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس ، فيما قيل .

---

(١) ذكر الطبري أن الذي حج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك .

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبدالله القاريّ[١] وله ثمان وسبعون سنة ومسح النبي ﷺ برأسه (القاريّ بالياء المشددة)، وفيها مات زيد بن خالد الجهني، وقيل غير ذلك ، وتوفي عبد الرحمن بن غنم الأشعري أدرك الجاهلية وليست له صحبة .

---

(١) وفي طبقات ابن سعد ، وتهذيب التهذيب « عبد الرحمن بن عبد القاري».

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر غزو عبيدالله بن أبي بكرة رتبيل

لما ولّى الحجاج عبيدالله بن أبي بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغز وكان رتبيل مصالحاً وكان يؤدي الخراج وربما امتنع منه ، فبعث الحجاج إلى عبيدالله بن أبي بكرة يأمره بمناجزته وأن لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله ، فسار عبيدالله في أهل البصرة وأهل الكوفة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانىء وكان من أصحاب علي ، ومضى عبيدالله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من الغنائم ما شاء وهدم حصوناً وغلب على أرض من أراضيهم ، وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضاً بعد أرض حق أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في أيدي المسلمين فظنوا أن قد هلكوا ، فصالحهم عبيدالله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه ، فلقيه شريح فقال له : إنكم لا تصالحون على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم ، وقد بلغت من العمر طويلاً وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان وإن فاتتني اليوم الشهادة ما أدركها حتى أموت ، ثم قال شريح : يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم ، فقال له ابن أبي بكرة : إنك شيخ قد خرفت ، فقال له شريح : إنما حسبك أن يقال بستان عبيدالله ، وحمام عبيدالله يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلي ، فاتبّعه ناس من المتطوعة غير كثير ، وفرسان الناس ، وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلاً ، وجعل شريح يرتجز ويقول :

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمة أدركنا النبي المنذرا ... وبعده صديقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا والجمع في صفينهم والنهرا
وباجميرات مع المشقرا هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا منهم ، فخرجوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالأطعمة فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات ، فحذر الناس وجعلوا يطعمونهم السمن قليلاً قليلاً حتى استمرؤوا وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يعرفه ذلك ويخبره أنه قد جهز من أهل الكوفة وأهل البصرة جيشاً كثيفاً ويستأذنه في إرساله إلى بلاد رتبيل .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز تلك السنة أحد فيما قيل ، وفيها أصاب أهل الروم أهل أنطاكية وظفروا بهم .

وفيها استعفى شريح بن الحرث عن القضاء فأعفاه الحجاج واستعمل على القضاء أبا بردة بن أبي موسى ، وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وكان على المدينة ، وكان على العراق والشرق كله الحجاج بن يوسف ، وكان على قضاء البصرة موسى بن أنس ، وفيها مات محمود بن الربيع ـ وكنيته أبو ابراهيم ـ وولد على عهد رسول الله ﷺ ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود .

ثم دخلت سنة ثمانين

في هذه السنة أتى سيل بمكة فذهب بالحجاج ، وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال ما لأحد فيه حيلة وغرقت بيوت مكة وبلغ السيل الركن فسمِّي ذلك العام الجحاف ، وفي هذه السنة وقع بالبصرة طاعون الجارف .

ذكر غزوة المهلب ما وراء النهر

في هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش ، وكان على مقدمته أبو الأدهم الزماني في ثلاثة آلاف وهو في خمسة آلاف ؛ وكان أبو الأدهم يغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة فأتى المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل ، فدعاه إلى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد وكان اسم ملك الختل الشبل فنزل يزيد ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل وأخذه فقتله وحصر يزيد قلعة الشبل ، فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيباً فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً فنزل جماعة من العدو قرية فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب إلى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقيل له : لو تقدمت إلى ما وراء ذلك فقال : ليت حظي من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين ، ولما كان المهلب بكش أتاهم قوم من مضر فحبسهم بها فلما رجع أطلقهم فكتب اليه الحجاج إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت بإطلاقهم وإن كنت أصبت بإطلاقهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم ، فكتب المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنتهم خليتهم ، وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري ؛ وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه إلى الحجاج وأقام بكش .

ذكر تسيير الجنود إلى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابن أبي بكرة بلاد رتبيل ، واستأذن الحجاج عبد الملك في تسيير الجنود نحو رتبيل فأذن له عبد الملك في ذلك ، فأخذ الحجاج في تجهيز الجيش فجعل على أهل الكوفة عشرين ألفاً وعلى أهل البصرة عشرين ألفاً وجد في ذلك، وأعطى الناس أعطياتهم كملاً وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطياتهم، وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل، وأعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء، منهم عبيد بن أبي محجن[١] الثقفي وغيره. فلما فرغ من أمر الجندين بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان الحجاج يبغضه ويقول: ما رأيته قط إلا أردت قتله، وسمع الشعبي ذلك من الحجاج ذات يوم فأخبر عبد الرحمن به فقال: والله لأحاولنّ أن أزيل الحجاج عن سلطانه، فلما أراد الحجاج أن يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتاه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعةوإني أخاف خلافه، فقال الحجاج: هو أهيب لي من أن يخالف أمري وسيره على ذلك الجيش، فسار بهم حتى قدم سجستان فجمع أهلها فخطبهم ثم قال: إن الحجاج ولاّني ثغركم وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم فإياكم أن يتخلف منكم أحد فتمسه العقوبة. فعسكروا مع الناس وتجهزوا وسار بأجمعهم، وبلغ الخبر رتبيل فأرسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه، وسار إليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضاً أرضاً ورستاقاً رستاقاً وحصناً حصناً وعبد الرحمن يحوي ذلك، وكلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً، وجعل معه أعواناً وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب، ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى إذا جاز من أرض عظيمة[٢] وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول في أرض رتبيل وقال : نكتفي بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترىء المسلمون على طرقها وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها إن شاء الله تعالى حتى نقاتلهم في آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى، ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل، وقد قيل في إرسال عبد الرحمن غير ما ذكرنا، وهو أن

---

(١) في الطبري « عبيدالله بن أبي محجن » .
(٢) في الطبري « حتى إذا حاز عن أرضه أرضاً عظيمة » وهي واضحة .

الحجاج كان قد ترك بكرمان هميان بن عدي السدوسي يكون بها مسلحة إن احتاج إليه عامل سجستان، والسند فعصى هميان، فبعث إليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد فحاربه فانهزم هميان وأقام عبد الرحمن بموضعه، ثم إن عبيدالله بن أبي بكرة مات ـ وكان عاملاً على سجستان ـ فكتب الحجاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهز إليه هذا الجيش فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه .

ذكر عدة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة ، وكان على العراق والمشرق الحجاج ، وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج ، وكان على قضاء البصرة موسى بن أنس ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة .

وفي هذه السنة مات أسلم مولى عمر بن الخطاب .

وفها توفي أبو إدريس الخولاني[١] ، وفيها مات عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وقيل : سنة أربع ، وقيل سنة خمس ، وقيل سنة ست وثمانين ، وقيل سنة تسعين ، وفيها قتل معبد بن عبدالله بن عليم الجهني الذي يروي حديث الدّباغ[٢] ـ وهو أول من قال بالقدر في البصرة ـ قتله الحجاج ، وقيل : قتله عبد الملك بن مروان بدمشق . وفيها توفي محمد بن علي بن أبي طالب ـ وهو ابن الحنفية[٣]، وفيها توفي جنادة بن أبي أمية وله صحبة وكان على غزو البحر أيام معاوية كلها ، وفيها مات السائب بن يزيد ابن أخت النمر ، وقيل : سنة ست وثمانين ولد على عهد النبي ﷺ ، وفيها توفي سويد بن غفلة ـ بفتح الغين المعجمة والفاء ـ ، وفيها توفي عبدالله بن أبي أوفى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة ، وجبير بن نفير بن مالك الحضرمي أدرك الجاهلية وليس له صحبة .

---

(١) اسمه عائذ الله بن عبدالله وكان تولى القضاء بدمشق .

(٢) وهو « لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب» .

(٣) ودفن بالبقيع، والكيسانية يزعمون أنه بجبل رضوى وأنه حي يرزق وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك :

الا ان الأئمة في قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى ... تعود الخيل يقدمها لواء

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

في هذه السنة سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيدالله ففتح قاليقلا .

ذكر مقتل بَحير بن ورقاء

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي ، وكان سبب قتله أنه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما تميميان بأمر أمية بن عبدالله بن خالد إياه بذلك ـ كما تقدم ذكره ـ قال عثمان بن رجاء بن جابر أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحرض بعض آل بكير من الأبناء ـ والأبناء عدة بطون من تميم سموا بذلك :

لعَمْري لقد أغضيْتَ عَيناً على القَذَى ... وبتَّ بَطِيناً من رَحِيقٍ مُرَوَّقِ
وخَلَّيْتَ ثَاراً طُلَّ واختَرتَ نومَةً ... ومَن يشرب[1] الصهباءَ بالوتْر يُسْبَقِ
فلو كنتَ من عَوْفِ بن سعدٍ ذُؤابةً ... تَركْتَ بَحيراً في دم مُترَقرقِ
فقل لبَحِيرٍ نم ولا تخشَ ثائراً ... ببكرٍ[2] فعوفٌ أهلُ شاءٍ حَبَلَّقٍ
دعوا الضأنَ يوماً قد سُبِقتُم بوترِكم ... وصِرتُم حديثاً بين غَربٍ ومَشْرِق
وَهُبوا فلو أمسى بكَيرٌ كعهدِهِ ... لَغَادَاهم زحفاً بِجَأواءِ فَيلَقِ[3]

وقال أيضاً :

فلو كان بكر بارزاً في أداته ... وذي العرش لم يقدم عليه بحير
ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب ... وفي الله طلاب بذاك جدير

---

(١) في الطبري « ومن بشرب» .

(٢) في الطبري « بعوفٍ » .

(٣) في الطبري : « صحيحاً لغاداهم بجاواء فيلق » .

فبلغ بحيراً أن رهط بكير من الأبناء يتوعدونه فقال :

تـوعَّـدني الأبنـاءُ جـهـلاً كـأنَّمـا يَـرَون فنـائي مُقْفِـراً من بني كعبِ
رفعت لـه كـفي بـسيـفٍ[1] مُهَـنَّـدٍ حسام كلونِ الثلج[2] ذي رَونَقٍ عَضْبِ

فتعاقد سبعة عشر رجلاً من بني عوف على الطلب بدم بكير ؛ فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيراً واقفاً فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن أنه قد قتله فقال الناس : خارجي وراكضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل ، وخرج صعصعة بن حرب العوفي من البادية ، وقد باع غنيمات له ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى إلى بنى حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ، ثم قال لهم : إن لي بخراسان ميراثاً فاكتبوا لي إلى بحير كتاباً ليعينني على حقي ، فكتبوا له وسار فقدم على بحير ـ وهو مع المهلب في غزوته ـ فلقي قوماً من بني عوف فأخبرهم أمره ولقي بحيراً فـاخبره أنـه من بني حنيفة من أصحـاب ابن ابي بكرة وان لـه مالاً بسجستان وميراثاً بمرو وقدم ليبيعه ويعود إلى اليمامة فأنزله بحير وأمر له بنفقة ووعده ، فقال صعصعة : أقيم عندك حتى يرجع الناس فأقام شهراً يحضر معه باب المهلب ـ وكان بحير قد حذر ـ فلما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر أنه من حنيفة أمنه ، فجاء يوماً صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقد خلعه ودنا منه كأنه يكلمه فوجأه بخنجر معه في خاصرته فغيبه في جوفه ونادى يا لثارات بكير ، فأخذ وأُتِيَ به المهلب فقال له : بؤساً لك ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فحبسه فدخل عليه قوم من الأبناء فقبّلوا رأسه ، ومات بحير من الغد فقال صعصعة لما مات بحير : اصنعوا الآن ما شئتم أليس قد حلت نذور أبناء بني عوف وأدركت بثاري ؟ والله لقد أمكنني منه خالياً غير مرة فكرهت أن أقتله سراً ، فقال المهلب : ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل ، وقيل : إن المهلب بعثه إلى بحير قبل أن يموت فقتله ، ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والأبناء وقالوا : عَلاَم قتل صاحبنا وإنما أخذ بثأره ؟ فنازعهم مقاعس ، والبطون ـ وكلهم بطون من تميم ـ

---

(١) في الطبري « بحدّ مهنّد » .

(٢) في الطبري : « كلون الملح » .

حتى خاف الناس أن يعظم الأمر ، فقال أهل الحجى : احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير ببكير فودوا صعصعة ، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة :

لله در فـتـى تـجـاوز هـمـه دون الـعـراق مـفـاوزا وبـحـوراً
مـا زال يـدئب نفسـه وركـابـه[1] حتى تنـاول في الـحـروب بحيـراً

ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم

كانت قزوين ثغر المسلمين من ناحية ديلم ، فكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها يتحارسون ليلاً ونهاراً ، فلما كانت هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمد بن أبي سبرة الجعفي وكان فارساً شجاعاً عظيم الغناء في حروبه ، فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل فقال لهم : أتخافون أن يدخل عليكم العدو مدينتكم ؟ قالوا : نعم قال : لقد أنصفوكم إن فعلوا افتحوا الأبواب ولا بأس عليكم ، ففتحوها وبلغ ذلك الديلم فساروا إليهم وبيتوهم وهجموا إلى البلد وتصايح الناس فقال ابن أبي سبرة : أغلقوا أبواب المدينة علينا وعليهم فقد أنصفونا وقاتلوهم ؛ فأغلقوا الأبواب وقاتلوهم وأبلى ابن ابي سبرة بلاءً عظيماً وظفر بهم المسلمون فلم يفلت من الديلم أحد واشتهر اسمه بذلك ، ولم يعد الديلم بعدها يقدمون على مفارقة أرضهم ، فصار محمد فارس ذلك الثغر المشار إليه ، وكان يدمن شرب الخمر وبقي كذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز فأمر بتسييره إلى زرارة ـ وهي دار الفساق بالكوفة ـ فسير اليها فأغارت الديلم ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده ، فكتبوا إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه أن يرد عليهم ابن ابي سبرة فكتب بذلك إلى عمر فأذن له في عوده إلى الثغر فعاد إليه وحماه ، ولمحمد أخ يقال له خيثمة بن عبد الرحمن وهو اسم ابي سبرة وكان من الفقهاء .

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج

وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومن معه من جند العراق على الحجّاج وأقبلوا اليه لحربه ، وقيل : كان ذلك سنة اثنتين وثمانين ، وكان سبب ذلك أن الحجاج لما بعث عبد الرحمن بن محمد على الجيش إلى بلاد رتبيل

---

(١) في الطبري « ويكدها » .

فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون وكتب إلى الحجاج يعرفه ذلك وأن رأيه أن يتركوا التوغل في بلاد رتبيل حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها على ما سبق ذكره ، فلما اتى كتابه إلى الحجاج كتب جوابه إن كتابك كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة قد صانع عدواً قليلاً ذليلاً قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً وغناؤهم عظيماً ، وإنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وحدي تسخى النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ، ثم أردفه كتاباً آخر بنحو ذلك وفيه : أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحربوا وليقيموا بها فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ، ثم كتب إليه ثالثاً بذلك ويقول له : إن مضيت لما أمرتك وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس ، فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم : أيها الناس إني لكم ناصحُ ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط به نفعكم ناظر ، وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي بما رضيه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم ؛ وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج فأتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضي إذ مضيتم وآبى إذ أبيتم ، فثار اليه الناس وقالوا : بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع ، فكان أول من تكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وله صحبة فقال : بعد حمد الله ـ أما بعد فإن الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك وإن نجا فلك ، إن الحجاج ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلايا[1] كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم ، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن فإني أشهدكم أني أول خالع ، فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله ، وأقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي فقال : عباد الله إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث ، ولن تعاينوا الأحبة أو يموت أكثركم

---

(١) في الطبري « بلاداً » واللهوب : جمع لهب ، وهو الهوة البعيدة المهوى ، واللصوب : جمع لصب ، وهو الشق في الجبل أضيق من اللهب .

فيما أرى فبايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك ، وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيباني ، وعلى زرنج عبدالله بن عامر التميمي ، وصالح رتبيل على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي إن هزم فأراد منعه[١] ، ثم رجع إلى العراق فسار بين يديه أعشى همذان وهو يقول :

شَـطت نَـوى مَـنْ دَارُهُ بـالإيـوانْ ... إيـوانِ كِسْـرى ذي القـرى والـريحـانْ
من عـاشقٍ أمسَى بـزَابُلِسْتـانْ ... إن ثـقيـفـاً منـهُـم الـكـذّابـانْ
كـذّابُهَـا المـاضـي وكـذابٌ ثـانْ ... أمكَـنَ ربـي مـن ثَـقيـفٍ هَمْـدَانْ
يـومـاً إلى الليـلِ يُسَلّي مـا كـانْ ... إنّـا سَمَـوْنـا لـلكَفُـور الفَـتـانْ
حينَ طغى في الكفـرِ بعدَ الايمـانْ ... بـالسَّيِّـدِ الغِـطْرِيفِ عبـد الـرحمنْ
سـارَ بجمْـعٍ كـالـدَّبَىٰ من قَحـطانْ ... ومن مَعَـدٍّ قـد أتى من عـدنـانْ[٢]
بِجَحْفَـلٍ جَمٍّ شـديـدِ الأركـان[٣] ... فـقـل لـحجـاجٍ وَلـيِّ الشيـطانْ
يَثْبُت لِجَمْـعٍ مـذحِـجٍ وهَمـدانْ ... فـإنهم سـاقُـوه كـأسَ الـذُّيفَـانْ

ومُلحِقُوهُ بقُرَى ابنِ مَرْوانْ

وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبري ، وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمي ، فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا إلى عبد الرحمن ، فكان أول الناس خلع عبد الملك تيجان[٤] بن أُبْجَر من تيم الله بن ثعلبة قام فقال : أيها الناس إني خلعت أبا ذبان كخلع قميصي فخلعه الناس إلا قليلاً منهم وبايعوا عبد الرحمن ، وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين ، فلما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك بخبر

---

(١) عبارة الطبري هنا واضحة ونصبها « وان هزم فأراده ألجأه عنده » .
(٢) في الطبري « ابن عدنان » .
(٣) في الطبري « الإرنان » .
(٤) في الطبري « تيحان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة » .

عبد الرحمن ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه وسار الحجاج حتى نزل البصرة ، ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب إلى الحجاج من خراسان أما بعد فان أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس يردهم شيء حتى ينتهي إلى قراره وإن لأهل العراق شدة[1] في أول مخرجهم وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا إلى أهاليهم ويشموا أولادهم ثم واقعهم[2] عندها فإن الله ناصرك عليهم ، فلما قرأ كتابه سبّه وقال : ما إليَّ نظر وإنما النظر لابن عمه ـ يعني عبد الرحمن .

ولما وصل كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد فأقرأه الكتاب فقال : يا أمير المؤمنين إن كان الحدث من سجستان فلا تخفه فإن كان من خراسان فإني أتخوفه ، فجهز عبد الملك الجند إلى الحجاج فكانوا يصلون إلى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين وأقل وأكثر ، وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن ، فسار الحجاج من البصرة ليلقى عبد الرحمن فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة إلى دجيل فلقوا عنده خيلاً لعبد الرحمن ، فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير ، فلما أتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع إلى البصرة وتبعه أصحاب عبد الرحمن فقتلوا منهم وأصابوا بعض أثقالهم ، وأقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لأهل العراق ، ولما رجع نظر في كتاب المهلب فقال : لله دره أي صاحب حرب هو ، وفرّق في الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم ، فأقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين في قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام ، وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعته أن عمال الحجاج كتبوا اليه أن الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ، فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل من قرية فليخرج إليها ، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه ولا يدرون أين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون ، فلما قدم ابن الأشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ، وخَنْدَقَ الحجاج على نفسه وخَنْدَقَ عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة .

---

(١) في الطبري « شِرَّة » بالراء .

(٢) في الطبري « ثم واقفهم » .

ذكر عدة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان ممن حجّ أم الدرداء الصغرى ، وفيها ولد ابن أبي ذئب ، وكان العامل على المدينة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج ، وعلى خراسان المهلب ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة ، وكان سجستان ، وكرمان ، وفارس ، والبصرة بيد عبد الرحمن .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث

قيل : في المحرم من هذه السنة اقتتل عسكر الحجاج ، وعسكر عبد الرحمن بن الأشعث قتالاً شديداً فتزاحفوا في المحرم عدة دفعات ، فلما كان ذات يوم في آخر المحرم اشتد قتالهم فانهزم أصحاب الحجاج حتى انتهوا إليه وقاتلوا على خنادقهم ، ثم إنهم تزاحفوا آخر يوم من المحرم فجال أصحاب الحجاج وتقوص صفهم فجثى الحجاج على ركبتيه وقال : لله در مصعب ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل وعزم على أنه لا يفر ، فحمل سفيان بن الأبرد الكلبي على الميمنة التي لعبد الرحمن فهزمها وانهزم أهل العراق وأقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن وقتل منهم خلق كثير منهم عقبة بن عبد الغافر الأزدي وجماعة من القراء قتلوا ربضة واحدة معه ، ولما بلغ عبد الرحمن الكوفة تبعه أهل القوة وأصحاب الخيل من أهل البصرة ، واجتمع من بقي في البصرة مع عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليالٍ أشدّ قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة ، وقتل منهم طفيل بن عامر بن واثلة فقال أبوه يرثيه وهو من الصحابة :

خَلَّى طُفيلٌ عَليَّ الهَمَّ فانشَعَبا ... وَهَدَّ ذلك رُكْني هَدَّة عجَبا
مهما نَسيتُ فَلا أَنْسَاهُ إِذْ حَدَقَتْ ... بِهِ الأَسِنَّةُ مَقْتُولاً وَمُنْسَلِبا
وأَخطأَتْنِي المنايا لا تُطَالِعُني ... حتى كبِرْتُ ولم يَتْركن لِي نَسَبا[١]
وكنتُ بعد طُفَيْلٍ كالتي نَضَبتْ ... عنها السيولُ وغاضَ الماءَ آنصَبَا[٢]

---

(١) في الطبري « نشبا » .

(٢) في الطبري « نضبت عنه المياه وغاض الماء فانقضبا » .

وهي أبيات عدة ، وهذه الوقعة تسمى يوم الزاوية .

فأقام الحجاج أول صفر واستعمل على البصرة الحكم بن أيـوب[١] الثقفي ، وسار عبد الرحمن إلى الكوفة وقد كان الحجاج استعمل عليها عند مسيره إلى البصرة عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عامر الحضرمي حليف بني أميـة فقصده مطر بن ناجية اليربوعي فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطر فأخرج ابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام ، وكانوا أربعة آلاف واستولى مطر على القصر واجتمع الناس وفرق فيهم مائتي درهم ، مائتي درهم ، فلمـا وصل ابن الأشعثِ إلى الكوفة كان مطر بالقصر فخرج أهل الكوفة يستقبلونه ودخل الكوفة وقد سبق إليه همدان فكانوا حوله ، فأتى القصر فمنعه مطر بن ناجية ومعه جماعة من بني تميم ، فأصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم إلى القصر فأخذوه ، فأُتِيَ عبد الرحمن بمطر بن ناجية فحبسه ثم أطلقه وصار معه ، فلما استقر عبد الرحمن بالكوفة اجتمع إليه الناس وقصده أهل البصرة ، منهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي بعد قتاله الحجاج بالبصرة ، وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان وأمر منادياً فنادى لا أمان لفلان بن فلان فسمى رجالاً فقال العامـة : قد أمّن النـاس فحضروا عنده فأمر بهم فقتلوا .

ذكر وقعة دير الجماجم

وكانت وقعة دَير الجماجم في شعبان من هذه السنة ، وقيل : كانت سنة ثلاث وثمانين ، وكان سببها أنّ الحجاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد فنزل دير قرة : وخرج عبد الـرحمن من الكوفـة فنزل ديـر الجماجم ، فقـال الحجاج : إن عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القُرَّة ، أما تزجر الطير[٢] ، واجتمع إلى عبد الرحمن أهل الكـوفة ، وأهـل البصرة ، والقـراء ، وأهل الثغـور ، والمسالح بدَيْرِ الجماجم فاجتمعوا على حرب الحجاج لبغضه وكانوا مائة ألف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم ، وجاءت الحجاج أيضاً أمداد من الشام قبل نزوله بدير قُرَّة ،

(١) في الطبري « أيوب بن الحكَم بن أبي عقيل » .
(٢) عبارة الطبري هنا واضحة جداً وهي « أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رآني نزلت دير قَرّة ونزل دير الجماجم » .

وخَنْدَقَ كل منهما على نفسه فكان الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال أحدهما يُدني خندقه من الآخر ، ثم إن عبد الملك وأهل الشام قالوا : إن كان يرضى أهل العراق بنـزع الحجاج عنهم نزعناه فإن عزله أيسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء ، فبعث عبد الملك ابنه عبدالله وأخاه محمد بن مروان وكان محمد بأرض الموصل إلى الحجاج في جند كثيف وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج وأن يجريا عليهم أعطياتهم كما يجرى على أهل الشام وأن ينزل عبد الرحمن بن محمد أيّ بلد شاء من بلد العراق فإذا نزله كان والياً عليه ما دام حياً وعبد الملك خليفة ، فإنْ أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن أبى أهل العراق قبول ذلـك فالحجاج أمير الجماعة ووالي القتال ومحمـد بن مروان وعبـدالله بن عبد الملك في طاعته ، ولمْ يأتِ الحجاج أمرٌ قطُّ كان أشدّ عليه ولا أوجع لقلبه من ذلك فخاف أن يقبل أهل العراق عزله فيعزل عنها .

فكتب إلى عبد الملك والله لو أَعطيت أهل العراق نزعي لم يلبثوا إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك إلا جراءة عليك، ألمْ تَرَ ويبلغك وثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إلى عثمان فقتلوه وإن الحديد بالحديد يفلح ، فأبى عبد الملك إلا عرض عزله على أهل العـراق ، فلما اجتمـع عبدالله ، ومحمـد مع الحجـاج خرج عبدالله بن عبد الملك وقال : يا أهل العراق أنا ابن أمير المؤمنين وهو يعطيكم كـذا وكذا ، وخرج محمد بن مروان وقال : أنا رسول أمير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال ، فقالوا : نرجع العشية فرجعوا واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث فقال لهم : قد أعطيتم أمر انتهازكم اليوم إياه فرصة وإنكم اليوم على النصف فإن كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقضون[1] فوالله لا زلتم عليهم جرآء وعندهم أعزاء أبداً ما بقيتم ان أنتم قبلتم ، فوثب الناس من كل جانب فقالوا : إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والـذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة لا والله لا نقبل وأعادوا خلعه ثانية وكان أول

---

(١) في الطبري « منتقصون » بالصاد المهملة .

من قام بخلعه بدير الجماجم عبدالله بن ذؤاب السلمي ، وعمير بن تيجان[١] وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من خلعهم إياه بفارس ، فقال عبدالله بن عبد الملك ، ومحمد بن مروان للحجاج : شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فإنا قد أُمرنا ان نسمع لك ونُطيع : فقال : قد قلت : انه لا يراد بهذا الأمر غيركم فكانا يسلمان عليه بالأمرة ويسلم عليهما بالأمرة ، فلما اجتمع أهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن : الا إنّ بني مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسب أصح منه الا أن بني العاص[٢] أعلاج من أهل صفورية فإن يكن هذا الأمر من قريش فمني تقويت بيضة قريش[٣] وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث ومد بها صوته يسمع الناس ، وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبدالله بن خبيب الحكمي ، وجعل عبد الرحمن بن محمد على ميمنته الحجاج بن حارثة[٤] الخثعمي ، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى مجنبته[٥] عبدالله بن رزام الحارثي ، وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي ، وفيهم سعيد بن جبير ، وعامر الشعبي ، وأبو البختري الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ثم أخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم في خصب وأهل الشام في ضنك قد غلت عليهم الأسعار وفقد عندهم اللحم كأنهم في حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون ، فلما كان اليوم الذي قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون وكانوا قد عرفوا بذلك وكان فيهم كميل بن زياد ـ وكان رجلاً ركيناً ـ فخرجوا ذات يومٍ كما كانوا يخرجون وعبىء الحجاج صفوفه، وعبىء عبد الرحمن

---

(١) في الطبري « وعمير بن تيحان » بالحاء المهملة .

(٢) في الطبري « إلا ان بني أبي العاص » .

(٣) في الطبري « فعني فقعت بيضة قريش » والصواب « تقشرت » والمعنى : إني تخلصت من قريش وأمرتها كما يتخلص الفرخ من البيضة .

(٤) في الطبري « ابن جارية » بالجيم .

(٥) في الطبري « وعلى مجففته » .

أصحابه ، وعبىء الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبدالله الحكمي فأقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا .

ذكر وفاة المغيرة بن المهلب

وفي هذه السنة مات المغيرة بن المهلب بخراسان ـ وكان قد استخلفه أبوه المهلب على عمله بخراسان ـ فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأتى الخبر يزيد بن المهلب وأهل العسكر فلم يخبروا المهلب ، فأمر يزيد النساء فصرخن فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه فلامَهُ بعض خاصته ، ثم دعا يزيد ووجهه إلى مرو ووصاه بما يعمل وان دموعه تنحدر على لحيته ، فكان المهلب مقيماً بكَشّ[1] بما وراء النهر يحارب أهلها ، فسار يزيد في ستين فارساً ويقال : سبعين ، فلقيهم خمسمائة من الترك في مفازة بست[2] فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار قالوا : فأعطونا شيئاً فأبى يزيد فأعطاهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكي ثوباً وكرابيس وقوساً فانصرفوا ، ثم غدروا وعادوا اليهم فقاتلوهم فاشتد القتال بينهم ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد أخذه فقال : استبقني فاستبقاه فحمل الخارجي عليهم حتى يخالطهم وصار من ورائهم وقتل رجلاً ثم كر حتى خالطهم وقتل رجلاً ورجع إلى يزيد ، وقتل يزيد عظيماً من عظمائهم ، ورمي يزيد في ساقه فاشتدت شوكتهم وصبر يزيد حتى جاوزهم فقالوا : قد غدرنا ولا ننصرف حتى نموت أو تموتوا أو تعطونا شيئاً فلم يعطهم يزيد شيئاً . فقال مجاعة : أذكرك الله قد هلك المغيرة فانشدك الله أن تهلك فتجتمع على المهلب المصيبة فقال : إن المغيرة لم يعدُ أجله ولست أعدو أجلي ، فرمى إليهم مجاعة بعمامة صفراء فأخذوها فانصرفوا .

ذكر صلح المهلب أهل كش

وفي هذه السنة صالح المهلب أهل كش ، وكان سبب ذلك أنه اتهم قوماً من مُضر فحبسهم وصالح وقفل ، وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال : إذا استوفيت

---

(١) كشٌ : قرية علي ثلاثة فراسخ من جُرجان على جبل .

(٢) في الطبري « في مفازة نسف » .

الفدية فرد عليهم الرهن ، وسار المهلب فلما صار ببلخ كتب إلى حريث إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك فإذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم أرض بلخ ، فقال حريث لملك كش : إن المهلب كتب إلي كذا وكذا فإن عجلت الفدية سلمتُ اليك الرهن وسرت وأخبرته أن كتابه ورد وقد استوفيتها منكم ورددت عليكم الرهن ، فعجل ملك كش الفدية وأخذ الرهن ورجع حريث فعرض لهم الترك فقالوا له : إفدِ نفسك ومن معك ، فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه ، فقال حريث : ولدتني إذاً أم يزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ففدوهم فأطلقهم ورد عليهم الفداء ، وبلغ المهلب قوله فقال : يأنف العبد أن تلده أم يزيد فغضب ، فلما قدم عليه بلخ قال : أين الرهن ؟ قال : خليتهم قبل وصول كتابك وقد كفيت ما خفت قال : كذبت ولكنك تقربت إليهم ، وأمر بتجريده فجزع من ذلك حتى ظن المهلب أن به مرضاً فجرّده وضربه ثلاثين سوطاً ، فقال حريث : وددت أنه ضربني ثلاثمائة ولم يجردني أنفة وحياء وحَلفَ ليقتلنّ المهلب ، فركب يوماً مع المهلب فأمر غلامين له أن يضربا المهلب فلم يفعلا وقالا : نخاف عليك أن تقتل ، وترك حريث إتيان المهلب فأرسل إليه أخاه ثابت بن قطبة ليأتيه به وقال له : إنك كبعض ولدي أدبه كبعضهم ، فأتى ثابت أخاه وسأله أن يركب إلى المهلب فلم يفعل وحلف ليقتلَنَّه ، فقال ثابت : إن كان هذا رأيك فاخرج بنا إلى موسى بن عبدالله بن خازم وخاف ثابت أن يقتل حريث المهلب فيقتلون جميعاً فخرجا في ثلاثمائة من أصحابهما المنقطعين إليهما .

ذكر وفاة المهلب بن أبي صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان

لما صالح المهلب أهل كش رجع يريد مرو فلما كان بمرو الروذ أخذته الشوصة[1] وقيل : الشوكة فمات منها وأوصى الى ابنه حبيب فصلّى عليه وقال لهم : قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه فقال له ابنه المفضل : لو لم تقدمه لقدّمناه ، وأحضر ولده فوصّاهم وأحضر سهاماً فحزمت فقال : أتكسرونها مجتمعة؟ قالوا : لا قال : أفتكسرونها متفرقة ؟ قالوا : نعم قال : فهكذا الجماعة ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإنها تنسىء في الأجل وتثري المال وتكثر العدد ، وأنهاكُمْ عن

(١) الشوصة وجع في البطن من ريح تنعقد تحت الأضلاع ، والشوكة حمرة تعلو الوجه والجسد .

القطيعة فإنها تعقب النار والقلة والذلة، وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه منها ويزلّ لسانه فيهلك، اعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثِروا الجود على البخل وأحيوا العرف[١] واصنعوا المعروف فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف بالصنيعة عنده، عليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة فإنها أنفع من الشجاعة وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل: أتى الأمر من وجهه فظفر محمد وإن لم يظفر قيل: ما فرّط ولا ضيّع ولكن القضاء غالب؛ وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم، ثم مات رحمه الله فقال نهار بن توسعة التيمي يرثيه:

أَلَا ذَهبَ المعروفُ والعزُّ والغِنَى[٢] ... ومات النَدَى والجُودُ بعد المهلبِ
أقام بمروِ الرُّوذِ رَهنَ ضريحِهِ ... وقد غاب عنه كل شرق ومغربِ[٣]
إذا قيلَ أيّ الناس أولى بنعمةٍ ... على الناسِ قلنا هو ولم نَتَهَيبِ

فلما توفي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته فأقر يزيد على خراسان.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة عَزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في جُمادى الآخرة واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي، فعزل هشام نوفل بن مساحق عن قضاء المدينة وولى على القضاء عمرو بن خالد الزرقي.

وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزموهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبدالله فغدروا به فقتلوه، وقيل: بل قتلوه سنة ثلاث وثمانين. وفيها قُتل عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي بدجيل، وفيها مات أبو الجوزاء أوس بن

---

(١) في الطبري « واحبوا العرب ».

(٢) في الطبري « ألا ذهب الغزو المقرِّب للغنى ».

(٣) في الطبري:

« أقاما بمرو الروذ رهني ضريحه ... وقد غُيِّبا عن كل شرق ومغرب »

عبدالله الربعي ، وعطاء بن عبدالله السَلِيمي العابد (السليمي) بفتح السين المهملة وكسر اللام ، وفيها مات زاذان ، وأبو وائل ، وعمر بن عبيدالله بن معمر التيمي وعمره ستون سنة ، وفيها مات أبو إمامة الباهلي ، وقيل : سنة إحدى وتسعين .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم

فلمّا حملت كتائب الحجاج الثلاث على القراء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زَحَر نادى جبلة يا عبد الرحمن بن أبي ليلى يا معشر القراء إن الفرار ليس أحد بأقبح به منكم إني سمعت علي بن أبي طالب رفع الله درجته في الصالحين وأتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام : أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى اليه فأنكره عليه بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أجسر ، وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبل الهدى ونور قلبه باليقين ، فقاتلوا هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه ، وقال أبو البختري : أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم ، فقال الشعبي : أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم والله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور في حكم منهم ، وقال سعيد بن جبير نحو ذلك ، وقال جبلة : احملوا عليهم حملة صادقة ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم فحملوا عليهم حملة صادقة فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرّقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم فأزالوه عن مكانه ، ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زَحَر قتيلاً لا يدرون كيف قُتل .

وكان سبب قَتله أن أصحابه لمّا حملوا على أهل الشام ففرقوهم فوقف لأصحابه ليرجعوا إليه فافترقت فرقة من أهل الشام فوقفت ناحية فلمّا رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا قال بعضهم لبعض : هذا جبلة احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال فحملوا عليه فلمْ يول لكنه حمل عليهم فقتلوه وكان الذي قتله الوليد بن نحيت الكلبي وجيء برأسه

إلى الحجاج فبشر أصحابه بذلك، فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سقط في أيديهم وتنازعوه بينهم، فقال لهم أبو البختري : لا يظهرن عليكم قتل جبلة إنما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم ولا يتأخر ، وظهر الفشل في القراء وناداهم أهل الشام يا أعداء الله قد هَلَكْتُم وقُتل طاغيتكم ، وقدم عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ففرحوا به وقالوا : تقدم مقام جبلة وكان قدومه من الري ، فلما أتى عبد الرحمن جعله على ربيعة وكان شجاعاً ، فقاتل يوماً فدخل عسكر الحجاج فأخذ أصحابه ثلاثين امرأة فأطلقهن ، فقال الحجاج : منعوا نساءهم لو لم يردوهن لسبيت نساءهم إذا ظهرت عليهم ، وخرج عبد الرحمن بن عوف الرواسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة فخرج إليه رجل من أهل الشام فتضاربا فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ وإذا هما ابنا عَم فتحاجزا ، وخرج عبدالله بن رزام الحارثي فطلب المبارزة فخرج إليه رجل من عسكر الحجاج فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع خرج فقالوا : جاء لا جاء الله به ، فطلب المبارزة فقال الحجاج للجراح : أخرج اليه فخرج إليه فقال له عبدالله ـ وكان له صديقاً ـ : ويحك يا جراح ما أخرجك؟ قال: ابتليت بك، قال: فهل لك في خير؟ الجراح: ما هو؟ قال عبدالله :أنهزم لك وترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك وأما أنا فأحتمل مقالة الناس في انهزامي حسباً لسلامتك فإني لا أحب قتل مثلك من قومي قال : إفعل فحمل الجراح على عبدالله فاستطرد له عبدالله وحمل عليه الجراح بجد يريد قتله فصاح لعبدالله غلامه وكان ناحية معه ماء ليشربه وقال له : يا سيدي إن الرجل يريد قتلك فعطف عبدالله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه وقال له : يا جراح بئسما جزيتني أردت بك العافية وأردت قتلي انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة .

وكان سعيد بن جبير ، وأبو البختري الطائي يحملان على أهل الشام بعد قتل جبلة بن زحر حتى يخالطوهم ، وكانت مدة الحرب مائة يوم وثلاثة أيام لأنه كان نزولهم بالجماجم لثلاثة مضت من ربيع الأول وكانت الهزيمة لأربع عشرة مضين من جمادى الآخرة ، فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشدّ قِتال واستظهر أصحاب عبد الرحمن على أصحاب الحجاج واستعملوا عليهم وهم آمنون أن يهزموا فبيناهم كذلك إذ حمل سفيان بن الأبرد وهو في ميمنة الحجاج على الأبرد بن قرة التميمي وهو على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الأبرد بن قرة من غير قتال يذكر فظن الناس أنه قد كان صولح على

أن ينهزم بالناس ، فلما انهزم تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس بعضهم بعضاً وصعد عبد الرحمن المنبر ينادي الناس : إليَّ عباد الله فاجتمع إليه جماعة فثبت حتى دنا منه أهل الشام فقاتل من معه ، ودخل أهل الشام العسكر فأتاه عبدالله بن يزيد بن المفضل الأزدي فقال له : انزل فإني أخاف عليك أن تؤسر ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به فنزل هو ومن معه لا يلوون على شيء .

ثم رجع الحجاج إلى الكوفة وعاد محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبدالله بن عبد الملك إلى الشام ، وأخذ الحجاج يبايع الناس ، وكان لا يبايع أحداً إلا قال له : أشهد أنك كفرت فإن قال : نعم ، بايعه وإلا قتله ، فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً فسأله عن حالِهِ فأخبره باعتزاله فقال له : أنت متربص أتشهد أنك كافر ؟ قال : بئس الرجل أنا أعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر قال : إذاً أقتلك قال : وإن قتلتني فقتله ولمْ يبقَ أحد من أهل الشام والعراق إلا رحمه ، ثم دعا بكميل بن زياد فقال له : أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان قد كنت أحب إلي من أن أجد عليك سبيلاً قال: على أينا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم علي حين عفوت عنه ؟ ثم قال : أيها الرجل من ثقيف لا تصرف علي بنابك ولا تكشر علي كالذئب والله ما بقي من عمري إلا ظمء الحمار اقضِ ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب ، قال الحجاج : فإن الحجة عليك قال : ذلك إذا كان القضاء إليك فأمر به فقتل وكان خصيصاً بأمير المؤمنين ، وأتي بآخر من بعده فقال له الحجاج : أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل : أتخادعني عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذي الأوتاد فضحك منه الرجل وخلّى سبيله ، وأقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة أنزلهم الحجاج فيها مع أهلها وهو أول من أنزل الجند في بيوت غيرهم وهو إلى الآن لا سيما في بلاد العجم ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ذكر الوقعة بِمَسْكَن

ولما انهزم عبد الرحمن أتى البصرة واجتمع إليه من المنهزمين جمع كثير وكان فيهم عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي ، وكان بالمدائن محمد بن سعد بن أبي وقاص فسار اليه الحجاج فلحق ابن سعد

بعبد الرحمن ، وسار عبد الرحمن نحو الحجاج ومعه جمع كثير فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وقد بايعه خلقٌ كثير على الموت ، فاجتمعوا بمسكن وخندق عبد الرحمن على أصحابه وجعل القتال من وجه واحد، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبدالله من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أشدّ قتال فقتل زياد بن غنم[1] القيني وكان على مسالح الحجاج فهدّه ذلك وهدّ أصحابه ، وبات الحجاج يحرّض أصحابه ، ولما أصبحوا باكروا القتال فاقتتلوا أشدّ قتال كان بينهم فانكشفت خيل سفيان بن الأبرد ، فأمر الحجاج عبد الملك بن المهلب فحمل على أصحاب عبد الرحمن وحمل أصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن وأصحابه ، وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وأبو البختري الطائي ، ومشى بسطام بن مصقلة بن هبيرة في أربعة آلاف فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة فكسروا جفون سيوفهم وحث أصحابه على القتال فحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً ، فدعا الحجاج الرماة فرموهم وأحاط بهم الناس فقتلوا إلا قليلاً ومضى ابن الأشعث نحو سجستان .

وقد قيل في هزيمة عبد الرحمن بمسكن غير هذا ، والذي قيل : إنه اجتمع هو والحجاج بمسكن وكان عسكر ابن الأشعث والحجاج بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهراً ودونه فأتى شيخ فدل الحجاج على طريق من وراء الكرخ في أجمة وضحضاح من الماء فأرسل معه أربعة آلاف وقال لقائدهم : إنْ صدق فأعطه ألف درهم فإن كذب فاقتله فسار بهم ، ثم إن الحجاج قاتل أصحاب عبد الرحمن فانهزم الحجاج فعبر السيب ورجع ابن الأشعث إلى عسكره آمناً ونهب عسكر الحجاج فأمنوا وألقوا السلاح فلم يشعروا نصف الليل إلا والسيف يأخذهم من تلك السرية فغرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قتل ، ورجع الحجاج في عسكره على الصوت فقتلوا من وجدوا فكان عدة من قتل أربعة آلاف منهم عبدالله بن شداد بن الهاد ، وبسطام بن مصقلة ، وعمرو بن ضبيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم .

---

(١) في الطبري : « زياد بن غنيم » .

ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولأصحابه

ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار إلى سجستان فأتبعه الحجاج ابنه محمداً ، وعمارة بن تميم اللخمي ، وعمارة على الجيش فأدركه عمارة بالسوس فقاتله ساعة فانهزم عبد الرحمن ومن معه وساروا حتى أتوا سابور ، واجتمع إليه الأكراد فقاتلهم عمارة قتالاً شديداً على العقبة فجرح عمارة وكثير من أصحابه وانهزم عمارة وترك لهم العقبة ، وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبع أثرهم فدخل بعض أهل الشام قصراً في مفازة كرمان فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكري وهي طويلة :

أيا لَهفا ويا حَربَا[1] جميعاً ويا حَرَّ الفؤاد لِمَا لَقِينا
تركنا الدينَ والدنيا جميعاً وأسلمنا الحلائلَ والبَنِينا
فما كنا بناس[2] أهل دين فنصبرَ في البلاءِ إذا ابتلينا
وما كنا بناس[3] أهل دنيا فَنمنَعَهَا ولو لم نَرْجُ دينا
تركنا دُورَنا لطَغَامِ عُكٍّ وأنباطِ القُرَى والأشعرينا

فلما وصل عبد الرحمن كرمان أتاه عامله وقد هيأ له منزلاً فنزل ، ثم رحل إلى سجستان فأتى زرنج وفيها عامله فأغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها فأقام عليها أياماً ليفتحها فلم يصل اليها ، فسار إلى بست وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسي الشيباني فاستقبله وأنزله ، فلما غفل أصحابه قبض عليه عياض وأوثقه وأراد أن يأمن به عند الحجاج ، وقد كان رتبيل ملك الترك سمع بمقدم عبد الرحمن فسار إليه ليستقبله فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست وبعث إلى عياض يقول: والله لئن آذيته بما يقذي عينه أو ضررته ببعض الضرر أو أخذت منه ولو حبلاً من شعر لا أبرح حتى أستذلّك[4] وأقتلك وجميع من معك وأسبي ذراريكم وأغنم أموالكم ، فاستأمنه عياض فأطلق عبد الرحمن فأراد قتل عياض فمنعه رتبيل[5]، ثم

---

(١) في الطبري : « ويا حزنا » .

(٢) و (٣) في الطبري : « فما كنا أناساً » .

(٤) في الطبري : « حتى استنزلك » .

(٥) في الطبري : « فإنه طلب قتله فمنعه رتبيل فقال له عبد الرحمن : فأذن لي في دفعه ونهره والتصغير به . قال : أما هذا فنعم ، ففعل به عبد الرحمن بن محمد » .

سار عبد الرحمن مع رتبيل إلى بلاده فأنزله وأكرمه وعظّمه .

وكان ناسٌ كثير من المنهزمين من أصحاب عبد الرحمن من الرؤوس والقادة الذين لم يقبلوا أمان الحجاج ونصبوا له العداوة في كل موطن قد تبعوا عبد الرحمن فبلغوا سجستان في نحو ستين ألفاً ونزلوا على زرنج يحاصرون من بها، وكتبوا إلى عبد الرحمن يستدعونه ويخبرونه أنهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم فأتاهم ، وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب إلى أن قدم عبدِ الرحمن ، فلما أتت كتبهم عبد الرحمن سار اليهم ففتحوا زرنج ، وسار نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام فقال لعبد الرحمن أصحابه : اخرج بنا عن سجستان إلى خراسان فقال : إن بها يزيد بن المهلب وهو رجل شجاع ولا يترك لكم سلطانه ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا أهل الشام فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام ، فقالوا : لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر ممن يقاتلنا ، فسار معهم حتى بلغوا هراة فهرب من أصحابه عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي، في ألفين ، فقال لهم عبد الرحمن : إني كنت في مأمن وملجأ فجاءتني كتبكم أن أقبل فان أمرنا واحد فلعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم ، فرأيتم أن أمضي إلى خراسان وزعمتم أنكم تجتمعون إلي وأنكم لا تتفرقون وهذا عبيدالله قد صنع ما رأيتم فاصعنوا ما بدا لكم أما أنا فمنصرف إلى صاحبي الذي أتيت من عنده ، فتفرق منهم طائفة وبقي معه طائفة وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس فبايعوه ، ومضى عبد الرحمن بن الأشعث إلى رتبيل وسار عبد الرحمن بن العباس إلى هراة فلقوا بها الرقاد الأزدي فقتلوه فسار إليهم يزيد بن المهلب .

وقيل : إن عبد الرحمن بن الأشعث لمّا انهزم من مسكن أتى عبيدالله بن عبد الرحمن بن سمرة هراة وأتى عبد الرحمن بن العباس سجستان فاجتمع فل ابن الأشعث فسار إلى خرّاسان في عشرين ألفاً فنزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه ، فأرسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك في البلاد ممتنع من هو أهون مني شوكة فارتحل إلى بلد ليس لي فيه سلطان فاني أكره قتالك وإن أردت مالاً أرسلت اليك فأعاد الجواب أنّا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام ولكنّا أردنا أن نريح ثم نرحل عنك وليست بنا إلى المال حاجة ، وأقبل عبد الرحمن بن العباس على الجباية وبلغ ذلك يزيد فقال : من أراد أن يريح

نفسه ثم يرتحل لم يجب الخراج ، فسار يزيد نحوه وأعاد مراسلته إنك قد أرحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة فاخرج عني فإني أكره قتالك، فأبى إلا القتال وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم إلى نفسه فعلم يزيد فقال : جل الأمر عن العتاب ، ثم تقدم إليه فقاتله فلم يكن بينهم كثير قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر وصبرت معه طائفة ثم انهزموا ، وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان في عسكرهم وأسروا منهم أسرى وكان منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر ، وعباس[1] بن الأسود بن عوف الزهري ، والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وفيروز بن حصين ، وأبو الفلج[2] مولى عبيدالله بن معمر ، وسوار بن مروان ، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي ، وعبدالله بن فضالة الزهراني الأزدي ، ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند ، وأتى ابن سمرة مرو ، وانصرف يزيد إلى مرو وبعث الأسرى إلى الحجاج مع سبرة ، ونجدة ، فلمّا أرادتسييرهم قال له أخوه حبيب بأي وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة فقال يزيد : إنه الحجاج ولا يتعرض له قال : وطّنْ نفسك على العزل ولا ترسل به قال : فإن له عندنا يداً قال : وما هي ؟ قال : ألزم المهلب في مسجد الجماعة بمائة ألف فأداها طلحة عنه فأطلقه يزيد ، ولم يرسل يزيد أيضاً عبد الله بن فضالة لأنه من الأزد وأرسل الباقين، فلمّا قدموا على الحجاج قال لحاجبه: إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفيروز ـ وكان بواسط القصب قبل أن تبنى مدينة واسط ، فقال لحاجبه : ائتني بسيدهم ، فقال لفيروز : قُمْ ، فقام فأحضره عنده فقال له الحجاج : أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال : فتنة عمّت الناس قال : اكتب إليَّ أموالك قال : اكتب يا غلام ألف ألف وألفي ألف فذكر مالاً كثيراً ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : فأدِّها قال : وأنا آمن على دمي قال : والله لتؤدينها ثم لأقتلنك قال : والله لا يجمع بين دمي ومالي فأمر به فَنُحي .

ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال له : يا ظل الشيطان أعظم الناس

---

(١) في الطبري « عياش » .

(٢) في الطبري : « وابو العلج » .

تيهاً وكبراً تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين وبابن عمر ثم صرت مؤذناً [١] وجعل يضرب رأسه بعود في يده حتى أدماه ثم أمر به فقتل ، ثم دعا بعمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة يقوم بالعمود على رأسك ابن الحائك [٢] ـ يعني ابن الأشعث ـ وتشرب معه في الحمام فقال : أصلح الله الأمير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبجمالك وبفضلك وإن عاقبت ظلمت مذنبين ، فقال الحجاج : أما إنها شَمِلت البرّ فكذبت ، ولكنها شملت الفاجر وعوفي منها الأبرار ، وأما اعترافك فعسى أن ينفعك ورجا له الناس السلامة ثم أمر به فقتل ، ثم عاد بالهلقام بن نعيم فقال : أحببت ان ابن الأشعث طلب ما طلب ما الذي أملتَ أنت معه؟ قال : أملتُ أن يملك فيوليني العراق كما ولّاك عبد الملك فأمر به فقتل ، ثم دعا عبدالله بن عامر فلما أتاه قال له الحجاج : لا رأت عينك الجنة إن أفلت فقال : جزى الله ابن المهلب خيراً بما صنع [٣] قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاسَ في إطلاقِ أُسرَتِه ... وقادَ نحوك في أغلالها مُضَرَا
وَقَى بقومِكَ ورد الموتِ أسرَتَه ... وكان قَوْمُكَ أدنَى عندهُ خَطَرا

فأطرق الحجاج وَوَقَرَتْ في قلبه وقال : وما أنت وذاك وأمر به فقتل ، ولم تزل كلمته في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ، ثم أمر بفيروز فعذب وكان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ويجر عليه حتى يجرح به ثم ينضح عليه الخل ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أني قد قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبداً فاظهرني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فأعلم الحجاج فقال : أظهره فاخرج إلى باب المدينة فصاح في الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا فيروز بن حصين إنّ لي عند أقوام مالاً فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤد أحد منهم درهماً ليبلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل ، وأمر بقتل عمر بن أبي قرة الكندي وكان شريفاً ؛ وأمر باحضار أعشى همدان فقال إيه عدو الله أنشدني قولك : بين الأشج وبين قيس قال بل أُنشدُك ما قلت

---

(١) في الطبري : «مؤذناً لابن كناز عبد بني نصر ـ يعني عمر بن أبي الصلت ـ » .

(٢) في الطبري : « يا عبد المرأة أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك » .

(٣) في الطبري : « قال : لا رأت عيناك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع » .

لك قال بل أنشدني هذه فأنشده :

أَبَـى اللهُ إلا أن يُـتَـمـم نُـورَهُ ... ويُـطْفىء نـارَ الفـاسقين فَتَخمَدَا[١]
ويُظهِـرَ أهـلَ الحقّ في كـلّ مَـوْطِنٍ ... ويُعْـدِل وَقْـعَ السَّيْف من كـان أصيَـدَا
ويُـنْـزِلَ ذُلّاً بـالـعِـرَاقِ وأهـلِهِ ... كما نَقَضُـوا العَهْـدَ الـوَثيقَ المؤكَّـدَا
ومـا أَحْدَثـوا من بِـدعَـةٍ وعظيمـةٍ ... من القـوْلِ لم يَصْعَدْ إلى اللهِ مَصْعَـدَا
ومـا نكَثُـوا مِنْ بيعَـةٍ بَعْـدَ بَيْعَـةٍ ... إذا ضَمِنُوها اليَـوْمَ خَـاسُـوا بهـا غَـدَا
وجُبْنـا حَشَـاه رَبُّهُـمْ في قـلوبِهِـم ... فمـا يَقْـرَبُـونَ الـنـاس إلا تَهَـدُّدَا
فلا صِدْقَ في قَـوْلٍ ولا صَبْر عِنـدَهُمْ ... ولَـكِـنَّ فَـخـراً فـيـهِـم وتَـزيُّـدَا
فـكَيْـفَ رأيـتَ اللهَ فَـرَّقَ جَـمْـعَـهُـمْ ... ومَـزَّقَـهُـمْ عُـرْضَ الـبـلادِ وشَـرَّدَا
فَـقَتْـلاهُـم قـتـلَى ضَـلَال وفِـتـنـةٍ ... وجَيشُـهُمُ أمسى ذَلـيـلاً مُـطرَّدَا[٢]
ولمـا زَحَفْنـا لابنِ يُـوسُفَ غُـدْوةً ... وأَبْـرَقَ مِنهُ العَـارِضَـان وأرْعَـدَا[٣]
قَـطَعْنَـا إليـه الـخنـدقَين وإنَّـمـا ... قَـطَعْنَا وأفضَيْنا إلى المـوتِ مـرصـدا
فكـافحنـا الحجـاجُ دون صُفُـوفنـا ... كِفَـاحَـاً وَلَم يَضْـرِبْ لـذلـك مَـوْعـدا
بِصَفٍّ كـأنَّ المـوت في حجـزاتِهم[٤] ... إذا مـا تَـجَـلَّى بَـيضُـهُ وتَـوقَّـدَا
دلفَنْـا إلـيـه في صُفُـوفٍ كـأنَّهـا ... جِبَـالُ شَـرَورى أو نَعـافُ فَسَهْمَـدَا[٥]
فمـا لَبِثَ الحجـاجُ أنْ سَـلَّ سَيْفَـهُ ... عَـلينَـا فـولى جَـمْـعُـنـا وتَـبَـدَّدَا
ومـا زاحَـفَ الـحـجـاجُ إلا رأيْـتَـهُ ... مُـعَـانـاً ومُلَقـىَ لِـلفـتُـوحِ مُـعَـودَا
وإنَّ ابـن عبـاس لـفي مـرجَـحِنَّـة ... أُشبهُهَـا[٦] قِـطعـاً من الليـلِ أسـوَدَا
فمـا شَـرَعُـوا رُمْحـاً ولا جَـرَّدوا ظباً ... ألا إنَّمـا لاقى الـجَبَـانَ مُـجَـرَّدا[٧]
وكَـرَّتْ عَلَيْنَـا خَيْـلُ سُفْيَـانَ كَـرَّةً ... بفُـرْسانهـا والشمـريِّ[٨] مُقَصَّـدا

(١) في الطبري : « ويطفىء نور الفاسقين فيخمدا » .
(٢) في الطبري « وحَيُّهم » .
(٣) في الطبري : « وأبرق منا » .
(٤) في الطبري : « كأن البرق في حجراته » .
(٥) في الطبري : « لوتعان فتنهدا » .
(٦) في الطبري : « نشبهها » .
(٧) في الطبري : « ألا ربما لاقى الجبان مجردا » .
(٨) في الطبري : « والسَمْهَرِيِّ » .

وَسُفْيَان يَهْدِيها كَأَنَّ لِواءَها[١] من الطعن سِندٌ باتَ بالصبغ مُجسَدا
كُهولٌ ومردٌ مِنْ قُضاعَةَ حَوْلَهُ مَسَاعِيرُ أبطال إذا النِّكْسُ عَرِدا
إذا قال شُدُّوا شَدَّةً حَمَلوا مَعاً فَأنْهَلَ خرْصان الرِّماحِ وأورَدَا
جُنُودُ أميرِ المؤمنينَ وخَيْلُهُ وسلطانُهُ أمسى عزيزا مؤيَّدَا
لِيُهْنِ[٢] أميرَ المؤمنينَ ظُهُورُهُ على أمة كانوا سُعَاةً[٣] وحُسَّدَا
تَروا[٤] يَشتكونَ البغْيَ من أمرائِهِمْ وكانوا هُمُ ابغى البغاة وأعْنَدَا
وجَدْنا بَنِي مروَانَ خَيْرَ أئمةٍ وأفضلَ هذا الناسِ حِلماً وسُؤدَدَا
وخَيْرَ قُريشٍ في قُريشٍ أرُومَةً وأكرمَهم إلا النبيَّ مُحَمدا
إذا ما تَدَبَّرنَا عَوَاقِبَ أمره وَجَدْنا أميرَ المؤمنين مُسَدَّدَا
سيغلبُ قوماً حاربُوا[٥] الله جهْرَةً وإن كايَدُوه كانَ أقوى وأكيدَا
كذاك يضِلُّ اللهُ من كان قلبُهُ مريضاً ومن وَالى النِّفاقَ وحَشَّدَا[٦]
وقد تركوا الأهلينَ والمالَ خلفَهُمْ وبيضاً عليهنَّ الجلابيبُ خُرَّدا
ينَادينهُم مُسْتعْبِرَاتٍ إلَيهِم ويُذْرِينَ دَمعاً في الخُدود وإثمِدَا[٧]
أنكثاً وعِصْيَاناً وغَدْراً وذِلةً أهانَ الإلهُ من أهانَ وأبعَدَا
لقد شَأمَ المِصْرَيْنِ فَرْخُ مُحَمدٍ بحقٍّ وما لاقى من الطيْرِ أسْعَدَا
كما شَأمَ اللهُ النُّجَيْرَ وأهلَهُ بِجَدٍّ لهُ قد كانَ أشقى وأنجدَا[٨]

---

(١) في الطبري : « لواءها » .

(٢) في الطبري : « فيَهْنَى » .

(٣) في الطبري : « بغاة » .

(٤) في الطبري : « فزوا » .

(٥) في الطبري : « سيغلب قوم غالبوا » .

(٦) في الطبري : « وألحدا » .

(٧) وزاد الطبري في روايته هذا البيت .

فإلا تُناوِلهُنَّ مِنكَ برحمةٍ يكنَّ سَبَايَا والبُعُولَةُ أعبدَا

(٨) النُّجير : حصن باليمن قرب حضرموت ، منيع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي الله عنه فحاصره زياد بن لبيد البيافي حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه ، وأسر الأشعث بن قيس وذلك في سنة ١٢ للهجرة .

فقال أهل الشام : أحسن ـ أصلح الله الأمير ـ فقال الحجاج : لا لم يُحسن إنكم لا تدرون ما أراد بها ، ثم قال : يا عدو الله والله لا نحمدك إنما قلت : يا أسفي أن لا يكون ظهر وظفر وتحريضاً لأصحابك علينا وليس عن هذا سألناك أنشدنا قولك :

بين الأشَجِّ وبين قَيْسٍ باذِخ

فأنشده فلما قال : بَخٍ بَخٍ أي للوالدة وللمولود قال الحجاج : والله لا تبخبخ بعدها أبداً فضربت عنقه .

(قوله) في هذه الأبيات : ابن عباس ، هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وقد تقدم ذكره ، وقوله : سفيان ، هو ابن الأبرد الكلبي من قواد العساكر الشامية ، وقوله : فرخ محمد ، هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وقوله : الأشج ، هو محمد بن الأشعث وقوله : بين قيس ، هو معقل بن قيس الرياحي وهو جد عبد الرحمن بن محمد لأمه ، وقوله : كما شأم الله النُّجيْرَ وأهله بجدٍّ له ، يعني لما ارتدّ الأشعث بن قيس جد عبد الرحمن بعد وفاة النبي ﷺ وتبعه كندة ، فلما حاربهم المسلمون وحصروهم بالنجير أخذوهم وقتلوهم ، وقد تقدم ذكر ذلك في قتال أهل الردة .

قيل : وأُتي الحجاج بأسيرين فأمر بقتلهما فقال أحدهما : إنّ لي عندك يداً قال : وما هي ؟ قال : ذكر عبد الرحمن يوماً أمك بسوء فنهيته قال : ومن يعلم ذلك قال : هذا الأسير الآخر فسأله الحجاج فصدّقه ، فقال له الحجاج : فلمَ لم تفعل كما فعل؟ قال : وينفعني الصدق عندك ؟ قال نعم قال : منعني البغض لك ولقومك قال : خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه .

قيل : جاء رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز فقال : أنا فلان بن فلان قُتِل جدي يوم بدر وقتل جدي فلان يوم أحد ، وجعل يذكر مناقب سلفه ، فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد بن العاص فقال : هذه المناقب والله لا يوم مسكن ويوم الجماجم ويوم راهط وأنشد :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيباً بماء فعادا بعد أبوالا

ذكر ما جرى للشعبي مع الحجاج

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادي الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن ـ وكان قد ولاّه الري وسار إليه ـ فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبي ، فذكره الحجاج يوماً فسأل عنه فقال له يزيد بن أبي مسلم : إنه لحق بقتيبة بالري ، فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بإرسال الشعبي فأرسله ، قال الشعبي : فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم وكان صديقاً لي فاستشرته فقال : اعتذر مهما استطعت وأشار بمثل ذلك إخواني ونصحائي ، فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا لي فسلّمت عليه بالإمرة وقلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق وايمُ الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالأقوياء الفَجَرةْ ولا بالأتقياء البَرَرَةْ ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا وإن عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا ، فقال الحجاج : أنت والله أحب إلي قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلت ولا شهدت وقد أمنت يا شعبي كيف وجدت الناس بعدنا ؟ فقلت : أصلح الله الأمير اكتحلت بعدك السهر ، واستوعرت الجناب ، واستحلست الخوف ، وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفاً قال : إنصرف يا شعبي فانصرفت .

ذكر خلع عمر بن أبي الصلت بالري وما كان منه

لما ظفر الحجاج بابن الأشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت وكان قد غلب على الري في تلك الفتنة ، فلما اجتمعوا بالري أرادوا أن يحظوا عند الحجاج بأمرٍ يمحون عن أنفسهم عثرة الجماجم فأشاروا على عمر بخلع الحجاج ، وقتيبة فامتنع ، فوضعوا عليه أباه أبا الصلت وكان به باراً فأشار عليه بذلك وألزمه به وقال له : يا بني إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالي أن تقتل غداً ففعل ، فلما قارب قتيبة الري بلغه الخبر فاستعد لقتاله فالتقوا واقتتلوا ، فغدر أصحاب عمر به وأكثرهم من تميم ، فانهزم ولحق بطبرستان فآواه الأصبهبذ وأكرمه وأحسن اليه ، فقال عمر لأبيه : إنك أمرتني بخلع الحجاج ، وقتيبة فأطَعتُك وكان خلاف رأيي فلم أحمد رأيك ، وقد نزلنا بهذا العلج الأصبهبذ فدعني حتى أثب عليه فاقتله وأجلس على مملكته فقد علمت الأعاجم أني أشرف منه فقال أبوه : ما كنت لأفعل هذا الرجل آوانا

ونحن خائفون وأكرمنا وأنزلنا فقال عمر : أنت أعلم وسترى ، ودخل قتيبة الري وكتب الى الحجاج بخبر عمر وانهزامه إلى طبرستان ، فكتب الحجاج إلى أصبهبذ أن ابعث بهما أو برؤوسهما وإلّا فقد برئت منك الذمة فصنع لهم الاصبهبذ طعاماً وأحضرهما فقتل عمر وبعث أباه أسيراً ، وقيل : بل قتلهما وبعث برؤوسهما .

ذكر بناء مدينة واسط

وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطاً ، وكان سبب ذلك أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان وعسكر بحمام عمر ، وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس فانصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلاً فطرق الباب طارق ودقه دقاً شديداً فاذا سكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه : لقد لقينا من هذا الشامي شراً يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه فقال لها زوجها : ائذني له فأذِنتْ له فقتله زوجها ، فلما أذّن الفجر خرج الى العسكر وقال لابنة عمه : إذا صلّيت الفجر فابعثي إلى الشاميين ليأخذوا صاحبهم فإذا أحضروك عند الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت فأحضرت عند الحجاج فأخبرته ، فقال : صدقتني ، وقال للشاميين : خذوا صاحبكم لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله إلى النار ، ثم نادى منادٍ لا ينزلن أحدٌ على أحد ـ وكان الحجاج قد أنزل أهل الشام على أهل الكوفة ـ فخرج أهل الشام فعسكروا ، وبعث روّاداً يرتادون له منزلاً وأقبل حتى نزل موضع واسط فإذا راهب قد أقبل على حمار له فلما كان بموضع واسط بالَ الحمار فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه في دجلة والحجاج يراه فقال : عَلَيّ به فأُتِيَ به فقال : ما حملك على ما صنعته ؟ قال : نجد في الكتب أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحده ، فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في قول بعضهم واستعمل عليها هشام بن إسماعيل ، وكان العمال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدم ذكرهم في السنة قبلها ، قيل : وكان الحجاج قد سيّر نساءه وأهله إلى الشام خوفاً من

عبد الرحمن بن الأشعث وفيهن أخته زينب التي ذكرها النميري في شعره، فلما هزم ابن الأشعث أرسل البشير إلى عبد الملك بذلك وكتب كتاباً إلى أخته زينب فأخذت الكتاب وهي راكبة فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب فسقطت زينب فماتت .

وفي هذه السنة توفي وائلة بن الأسقع ، وهو ابن خمس ومائة سنة ، وقيل : مات سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة ، وفيها مات زر بن حبيش وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة ، وأبو وائل شقيق بن سلمة الأزدي الكوفي وكان مولده سنة إحدى من الهجرة .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر قتل ابن القرية

وفيها قَتل الحجاج أيوب بن القرّية وكان مع ابن الأشعث بدير الجماجم، فلما هزم ابن الأشعث التحق أيوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة فاستحضره الحجاج فقال له : أقلني عثرتي واسقني ريقي فإنه ليس جواد إلا له كبوة ، ولا شجاع إلا له هبوة ، ولا صارم إلا له نبوة ، فقال الحجاج : كلا والله لأُزيرنّك جهنم[1] قال : فأرحني فإني أجد حَرّها ، فأمر به فضربت عنقه فلما رآه قتيلاً قال : لو تركناه حتى نسمع من كلامه .

ذكر فتح قلعة نيزك بباذغيس

في هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ، وكان يزيد قد وضع على نيزك العيون فلما بلغه خروج نيزك عنها سار إليها فحاصرها فملكها وما فيها من الأموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وأمنعها ، وكان نيزك إذ رآها سَجَدَ لها تعظيماً لها ، وقال كعب بن معدان الأشقري يذكرها :

وباذغيسُ التي من حلّ ذُرْوَتها ... عزَّ الملوكَ فإن شا جار أوْ ظَلما
مَنيعةٌ لم يَكِدْها قبله ملكٌ ... إلا إذا واجهتْ[2] جيشاً له وَجَما
تخالُ نيرانها من بُعدِ منظرها ... بعضَ النجوم إذا ما ليلُها عَتما

وهي أبيات عدة[3].

---

(١) في الطبري : « لأرينّك جهنماً » .

(٢) في الطبري : « وجهت » .

(٣) أوردها الطبري كاملة فليراجع .

وقال أيضاً يذكر يزيد وفتحها :

نَفَى نيزكا عن باذَغيس ونيزك بمنزلةٍ أعيى الملوكَ اغتِصابُها
مُحلقَةٍ دونَ السماءِ كأنها غَمامةُ صَيفٍ زالَ[1] عنها سحابها
ولا تبلغُ الأروى شماريخها العلى ولا الطيرُ إلا نسرُها وعُقابُها
وما خُوِّفَتْ بالذئب ولدانُ أهلها ولا نَبَحَت إلا النجومَ كِلاَبُها

في أبيات غيرها[2] .

فلما فتحها كتب إلى الحجاج بالفتح ، وكان يكتب له يحيى بن يعمر العدواني حليف هذيل : إنّا لحقنا العدو فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤوس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار ، فقال الحجاج : من يكتب ليزيد ؟ فقيل : يحيى بن يعمر فكتب اليه يحمله على البريد فقدم اليه أفصح الناس فقال : أين ولدت ؟ قال بالأهواز قال : فهذه الفصاحة من أين ؟ قال : حفظت من كلام أبي وكان فصيحاً قال : أخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد ؟ قال : نعم كثيراً قال : ففلان قال : نعم قال : فأخبرني هل ألحن قال : نعم تلحن لحناً خفياً تزيد حرفاً وتنقص حرفاً وتجعل أن في موضع إن وإن في موضع أن قال : قد أجلتك ثلاثاً فإن وجدتك بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا عبدالله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوي البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها ، وحج بالناس هذه السنة هشام بن إسماعيل ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية ، وفيها مات عبدالله بن الحرث بن نوفل الملقب ببة بعمان وكان يسكن البصرة وكان مولده على عهد رسول الله ﷺ .

---

(١) في الطبري : « زلّ » .

(٢) أورد الطبري الأبيات بأكملها .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

لما انصرف عبد الرحمن إلى رتبيل من هراة قال له علقمة بن عمرو الأودي : ما أريد أن أدخل معك لأني أتخوف عليك وعلى من معك والله لكأني بالحجاج وقد كتب إلى رتبيل يرغبه ويرهبه فإذا هو قد بعث بك سلماً أو قتلكم ولكن معي خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة نتحصن بها حتى نعطى الأمان أو نموت كراماً ولم ندخل إلى بلاد رتبيل معه ، وخرج هؤلاء الخمسمائة وجعلوا عليهم مودوداً البصري ، وقدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصرهم فامتنعوا حتى أمنهم فخرجوا إليه فوفى لهم ، وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن أن آبْعَثْ به إلي وإلاّ والذي لا إله غيره لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل ، وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سبيع[1] التميمي وكان رسوله إلى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إني لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله ، فخافه عبيد ووشى به إلى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث وقال له : أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكفنَّ عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن فأجابه إلى ذلك ، فخرج عبيد إلى عمارة سراً فذكر له ما استقر مع رتبيل وما بذل له ، وكتب عمارة إلى الحجاج بذلك وأجابه إليه أيضاً وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن إلى الحجاج .

وقيل : إن عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات فأرسل رتبيل إليه فقطع رأسه قبل أن يدفن وأرسله إلى الحجاج ، وقد قيل : إن رتبيل لمَّا صالح عمارة بن تميم اللخمي على ابن الأشعث كتب عمارة إلى الحجاج بذلك فأطلق له خراج بلاده عشر سنين ، فأرسل رتبيل إلى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته فحضروا فقيدهم وأرسلهم

---

(١) في الطبري : عبيد بن أبي سبيع .

إلى عمارة فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر ، فمات فاحتز رأسه وسيّره إلى الحجاج ، فسيّره الحجاج إلى عبد الملك ، وسيره عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز فقال بعض الشعراء :

هيهات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرحج

وقيل : إن هلاك عبد الرحمن كان سنة أربع وثمانين .

ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل

وفي هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان ، وكان سبب عزله إياه أن الحجاج وفد إلى عبد الملك فمر في طريقه براهب فقيل له : إن عنده علماً فدعا به وسأله هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، قال : مسمى أم موصوف ؟ فقال : كل ذلك نجده موصوفاً بغير اسم ومسمى بغير صفة . قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال نجده في زماننا ملك أفرع من يقم لسبيله يصرع . قال : ثم من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قال : أفتعلم من يلي بعدي ؟ قال : نعم رجل يقال له يزيد . قال : أفتعرف صفته ؟ قال : يغدر غدرة لا أعرف غير هذا فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ثم سار وهو وجل من قول الراهب ثم عاد ، وكتب إلى عبد الملك يذم يزيداً ، وآل المهلب ويخبره أنهم زبيرية ، فكتب إليه عبد الملك : إني لا أرى طاعتهم لآل الزبير نقصاً بآل المهلب، وفاؤهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي .

فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره وبما قال الراهب ، فكتب عبد الملك إليه إنك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسمّ لي رجلاً يصلح لخراسان ، فسمى قتيبة بن مسلم فكتب إليه أن ولِّه ، وبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل بيته : من ترون الحجاج يولّي خراسان ؟ قالوا : رجلاً من ثقيف قال : كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهده فإذا قدمت عليه عزله وولّى رجلاً من قيس وأخلق بقتيبة بن مسلم ، فلما أذن عبد الملك في عزل يزيد كره أن يكتب اليه بعزله فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاه المفضل ويقبل اليه ، واستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشي فقال له : أقمْ واعتلِ واكتب الى أمير المؤمنين ليقرك فإنه حسن الحال والرأي فيك ، قال يزيد : نحن أهل بيت قد بورك لنا

في الطاعة وأنا أكره الخلاف فأخذ يتجهز فأبطأ فكتب الحجاج إلى المفضل إني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد : إن الحجاج لا يقرك بعدي وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن امتنع عليه وستعلم ، وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمسٍ وثمانين وأقر الحجاج أخاه المفضل تسعة أشهر ثم عزله ، وقد قيل : إن سبب عزله أن الحجاج لما فرغ من عبد الرحمن بن الأشعث لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان أذل أهل العراق كلهم إلا آل المهلب ومن معهم بخراسان وتخوفه على العراق ، وكان يبعث إليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو والحروب ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويخبره بطاعتهم لآل الزبير ، فكتب اليه عبد الملك بنحو ما تقدم وساق باقي الخبر كما تقدم ؛ وقال حضين ليزيد :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً
فما أنا بالباكي عليك صبابة ... وما أنا بالداعي لترجع سالماً

قال : فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين ما قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أَمَرْتكَ أمْراً حازماً فعصيتني ... فَنَفْسُكَ رد اللوْم[1] إن كنتَ لائما
فإن يَبلغ الحجاج أن قَدْ عَصَيْتَهُ ... فإنك تَلْقى أَمْرَهُ متَفَاقما

قال : فماذا أمرته به ؟ قال : أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير ؛ قال بعضهم : فوجده قتيبة قارحاً .

وقيل : كتب الحجاج إلى يزيد : اغز خوارزم ، فكتب إنها قليلة السلب شديدة الكلب ، فكتب إليه الحجاج استخلف وأقدم ، فكتب إني أريد أن اغزو خوارزم ، فكتب الحجاج لا تغزها فإنها كما ذكرت : فغزا ولم يطعه فصالحه أهلها وأصاب سبياً وقفل في الشتاء وأصاب الناس برد فأخذوا ثياب الأسرى فمات ذلك السبي ، فكتب اليه الحجاج أن أقدم فسار إليه فكان لا يمر ببلد إلا فرش أهلها الرياحين . (حُضَين بن المنذر) بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون .

---

(١) في الطبري : « فنفسك أولى باللوم » .

ذكر غزو المفضل باذَغِيس(١) وآخرون

لما وَلِيَ المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصابَ مَغنماً فقسمه فأصاب كل رجل ثمانمائة ، ثم غزا أخرون ، وشُومان(٢) فغنم وقسم ما أصاب ، ولم يكن للمفضل بيت مال، كان يعطي الناس كلما جاء شيء وان غنم شيئاً قسمه بينهم .

ذكر مقتل موسى بن عبدالله بن خازم

في هذه السنة قتل موسى بن عبدالله بن خازم بترمذ ، وكان سبب مصيره إلى ترمذ أن أباه لما قتل من قتل من بني تميم وقد تقدم ذكر ذلك تفرق عنه أكثر من كان معه منهم ، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى : خُذْ ثقلي واقطع نهر بلخ حتى تلتجىءَ إلى بعض الملوك أو إلى حصن تقيم فيه ، فرحل موسى عن مرو في عشرين ومائتي فارس واجتمع اليه تتمة أربعمائة وانضم إليه قوم من بني سليم، فأتى زم فقاتله أهلها فظفر بهم فأصاب مالا ، وقطع النهر وأتى بُخارى، فسأل صاحبها أن يلجأ اليه فأبى فخافه وقال : رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه ووصله وسار ، فلم يأتِ ملكاً يلجأ إليه إلا كره مقامه عنده .

فأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه ملكها طرخون وأذن له في المقام وأقام ما شاء الله ، ولأهل الصُّغد مائدة يوضع عليها لحمٌ وخلٌّ وخُبز وإبريق شراب وذلك كل عام يوماً يجعلون ذلك لفارس الصُّغد فلا يقربه أحد غيره فإن أكل منه أحد بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له ، فقال رجل من أصحاب موسى : ما هذه المائدة ؟ فأُخبر فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضباً وقال : يا عربي بارزني فبارزه فقتله صاحب موسى ، فقال ملك الصُّغد : أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسي لولا أني أَمنتك وأصحابك لقتلتكم اخرجوا عن بلدي فخرجوا .

فأتى كش(٣) فضعف صاحبها عنه فاستنصر طرخون فأتاه ، فخرج موسى إليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا ، وبأصحاب موسى جروح

(١) باذغيس : « ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ .

(٢) شومان : بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون وهو من الثغور الإسلامية .

(٣) في الطبري « كس » . وهنا موافق لما في معجم البلدان ، والبداية والنهاية .

كثيرة ، فقال لزرعة بن علقمة : احتل لنا على طرخون ، فأتاه فقال : أيها الملك ما حاجتك إلى أن تقتل موسى وتقتل من معه ؟ فإنك لا تصل إليه حتى يقتلوا مثل عدتهم منكم ولو قتلته وإياهم جميعاً فإنه خطأ لأن له قدراً في العرب فلا يأتي أحد خُراسان إلا طالبك بدمه ، فقال : ليس لي إلى ترك كشّ في يده سبيل . قال : فَكُفَّ عنه حتى يرتحل فكفَّ ، وسار موسى فأتى تِرمذ وبها حصن يشرف على جانب النهر فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذ شاه أن يدخله حصنه فأبى فأهدى له موسى ولاطفه حتى حصل بينهما مودة وخرج فتصيد معه ، فصنع صاحب ترمذ طعاماً وأحضر موسى ليأكل معه ولا يحضر إلا في مائة أصحابه ، فاختار موسى مائة من أصحابه فدخلوا الحصن وأكلوا ، فلما فرغوا قال له : اخرج قال : لا أخرج حتى يكون الحصن بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة وهرب الباقون واستولى موسى عليها وأخرج ترمذ شاه منها ولم يعرض له ولا إلى أصحابه، فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى فلم ينصروهم وقالوا : لا نقاتل هؤلاء وأقام موسى بترمذ فأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم فكان يخرج فيُغيرُ على ما حوله ، ثم وَلِيَ بُكير بن وساج خُراسان فلم يعرضْ له ، ثم قدم أمية فسار بنفسه يريد مخالفة بُكير فرجع على ما تقدم ذكره .

ثم إن أمية وجه إلى موسى بعد صلح بكير رجلاً من خزاعة في جمع كثير وعاد أهل ترمذ إلى الترك فاستنصروهم وأعلموهم أنه قد غزاه قوم من العرب وحصروه فسارت الترك في جمع كثير إلى الخزاعي ، فأطاف بموسى الترك والخزاعي فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة ، ثم إنه أراد أن يبيت الخزاعي وعسكره ، فقال له عمرو بن خالد بن حُصين الكلابي : ليكن البَيَات بالعجم فإن العرب أشد حذراً أو أجرأ على الليل فإذا فرغنا من العجم تفرغنا للعرب ، فأقام حتى ذهب ثلث الليل ، وخرج موسى في أربعمائة وقال لعمرو بن خالد : اخرج بعدنا فكن أنت ومن معك قريباً فإذا سمعتم تكبيرنا فكبروا، ثم سار حتى ارتفع فوق عسكر الترك ورجع إليهم وجعل أصحابه أرباعاً وأقبل إليهم فلما رآهم أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم؟ قالوا : عابرو سبيل فلما جاوزوا الرصد حملوا على الترك وكبروا فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف فيهم فساروا يقتل بعضهم بعضاً وولّوا ، فأصيب من المسلمين ستة عشر رجلاً وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحاً كثيراً ومالاً ، وأصبح الخزاعي وأصحابه وقد كسرهم ذلك فخافوا مثلها ، فقال عمرو بن خالد لموسى : إننا لا نظفر إلا بمكيدة ولهم أمداد

وهم كثيرون فدعني آتِهِ لعلي أصيب فرصة فاضربني وخلاك ذم ، فقال له موسى : تتعجل الضرب وتتعرض للقتل ؟ قال : أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرض له ، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد ، فضربه موسى خمسين سوطاً فخرج من عسكر موسى وأتى عسكر الخزاعي مستأمناً وقال : أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبدالله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فكنت معه وإنه اتهمني وقال : قد تعصبت لعدونا وأنت عين له فضربني ولم آمن القتل فهربت منه فأمنه الخزاعي وأقام معه ، فدخل يوماً وهو خالٍ ولم يرَ عنده سلاحاً فقال كأنه ينصح له : أصلح الله الأمير إن مثلك في مثل هذه الحال لا ينبغي أن يكون بغير سلاح ، قال : إن معي سلاحاً فرفع طرف فراشه فإذا سيف منتضٍ فأخذه عمرو فضربه حتى قتله وخرج فركب فرسه وأتى موسى وتفرق ذلك الجيش وأتى بعضهم موسى مستأمناً فأمنه ولم يوجه اليه أمية أحداً .

وعزل أمية وقدم المهلب أميراً فلم يتعرض لموسى وقال لبنيه : إيّاكم وموسى فإنكم لا تزالون ولاة خُراسان ما دام هذا الثبط بمكانه فإن قتل فأول طالع عليكم أمير على خراسان من قيس ، فلما مات المهلب وولّي يزيد لم يتعرض أيضاً لموسى ، وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة الخزاعي فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى ، فلمّا ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما لأمهما الحرث بن منقذ ، فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به ـ وكان ثابت محبوباً إلى الترك بعيد الصوت فيهم ـ فغضب له طرخون وجمع له نيزك ، والسبل ، وأهل بخارى ، والصغانيان فقدموا مع ثابت إلى موسى وقد اجتمع إلى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة ، وفل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل فاجتمع معه ثمانية آلاف ، فقال له ثابت وحريث : سر حتى تقطع النهر وتخرج يزيد عن خراسان ونوليك فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : إن أخرجت يزيد عن خراسان تولّى ثابت ، وأخوه خراسان ، وغلباك عليها ، فلم يسر وقال لثابت ، وحريث : إن أخرجنا يزيد قدم عامل بعبد الملك ولكننا نخرج عمال يزيد عما وراء النهر ويكون لنا ، فأخرجوا عمال يزيد عما وراء النهر وجبوا الأموال فقوي أمرهم ؛ وانصرف طرخون ومن معه واستبد ثابت وحريث بتدبير الأمر والأمير موسى ليس له غير الإسم ، فقيل لموسى : ليس لك من الأمور شيء والأمور إلى ثابت ، وحريث فاقتلهما وتولَّ الأمر فأبى ، فألحوا عليه حتى

أفسدوا قلبه عليهما وهمَّ بقتلهما فإنهم لفي ذلك إذ خرج عليهم الهياطلة ، والتبت ، والترك في سبعين ألفاً لا يعدون الحاسر ولا صاحب البيضة الجماء ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قونس ، فخرج ابن حازم وقاتلهم فيمن معه ، ووقف ملك الترك على تلٍّ في عشرة آلاف في أكمل عدة والقتال أشد ما كان ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء ، فقصدهم حُريث بن قطبة فقاتلهم وألح عليهم حتى أزالهم عن التل ، ورُمِيَ حريث بنشابة في جبهته وتحاجزوا فبيتهم موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبدالله بن خازم حتى وصل إلى شمعة ملكهم فوجأ رجلاً منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله الفرس فألقاه في نهر بلخ فغرق ، وقتل من الترك خلق كثير ونجا من نجا منهم بشر ، ومات حريث بعد يومينِ ، ورجع موسى وحمل معه الرؤوس فبنى منها جَوْسَقَيْنِ .

وقال أصحاب موسى : قد كفينا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى ، وبلغ ثابتاً بعض ما يخوضون فيه ، فدس محمد بن عبدالله الخزاعي عم نصر بن عبد الحميد عامل أبي مسلم على الري على موسى وقال : إياك أن تتكلم بالعربية وإن سألوك من أين أنت ؟ فقل : أنا من سبي الباميان ففعل ذلك واتصل بموسى وكان يخدمه وينقل إلى ثابت خبرهم فحذر ثابت وألحّ القوم على موسى فقال لهم ليلة : لقد أكثرتم علي وفيما تريدون هلاككم فعلى أي وجه تقتلونه ولا غدر به ؟ قال له أخوه نوح : إذا أتاك غداً عدلنا به إلى بعض الدور فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك فقال : والله إنه هلاككم وأنتم أعلم ، فخرج الغلام فأتى ثابتاً فأخبره فخرج من ليلته في عشرين فارساً ومضى ، وأصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام فعلموا أنه كان عيناً له ، ونزل ثابت بحوشرا[1] واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم ، فأقبل موسى إليه وقاتله ، وتحصن ثابت بالمدينة وأتاه طرخون معيناً له فرجع موسى إلى تِرْمِذ ، وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارى ، ونسف ، وكش فاجتمعوا في ثمانين ألفاً فحصروا موسى حتى جهد هو وأصحابه ، فلما اشتد عليهم قال يزيد بن هذيل[2] : والله لأقتلنّ ثابتاً أو لأموتن ، فخرج إلى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير : أنا أعرف بهذا منك ما أتاك إلا بغدره فاحذره

---

(١) الذي في الطبري « حشورا » .

(٢) في الطبري « ابن هزيل » بالزاي

فأخذا بنيه قدامة ، والضحاك رهناً فكانا في يد ظهير ، وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت فلم يقدر على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي فخرج ثابت إليه ليعزيه ـ وهو بغير سلاح وقد غابت الشمس ـ فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فوصل إلى الدماغ وهرب فسلم ؛ وأخذ طرخون قدامة ، والضحاك إبني يزيد فقتلهما ، وعاش ثابت سبعة أيام ومات .

وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون ، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياماً ضعيفاً وانتشر أمرهم، وأجمع موسى على بياتهم فأخبر طرخون بذلك فضحك وقال : موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا ؟ لا يحرس الليلة أحد ، فخرج موسى في ثمانمائة وجعلهم أرباعاً وبيتهم وكان لا يمر بشيء إلا ضربوه من رجل ودابة وغير ذلك فلبس نيزك سلاحه ووقف وأرسل طرخون إلى موسى ، أن كف أصحابك فإنّا نرحل إذا أصبحنا ، فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعاً فكان أهل خراسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ، ثم خرج يسير في بلاد خراسان ، فأتى ملكاً تغلب على مدينته وأخرجه منها ، وسار الجنود من العرب والترك إليه وكان يقاتل العرب أول النهار والترك آخر النهار ؛ وأقام موسى في الحصن خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه أحد ، فلما عزل يزيد بن المهلب وولّي المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبدالله ، فسيّر عثمان بن مسعود إليه في جيش ، وكتب إلى مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً فكتب إلى السبل وإلى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى وضيقوا عليه وعلى أصحابه فمكث شهرين في ضيق ، وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات فقال موسى لأصحابه : اخرجوا بنا حتى متى نصبر فاجعلوا يومكم معهم إما ظفرتم وإما قتلتم ، واقصدوا الترك ، فخرجوا وخلف النضر بن سليمان بن عبدالله بن خازم في المدينة وقال له : إن قتلت فلا تدفعن المدينة إلى عثمان وادفعها الى مدرك بن المهلب ، وخرج وجعل ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال : لا تقاتلوه الا أن يقاتلكم ، وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم ، وزحفت الترك والصغد فحالوا بين موسى والحصن فقاتلهم فعقروا فرسه فسقط فقال لمولى له : احملني فقال : الموت كريه ولكن ارتدف فإن نجونا نجونا جميعاً وإن هلكنا هلكنا جميعاً . قال : فارتدف ، فلما نظر إليه عثمان حين وثب قال : وثبة موسى ورب الكعبة

وقصد الى موسى ، وعقرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فقتلوه ، ونادى منادي عثمان من لقيتموه فخذوه أسيراً ولا تقتلوا أحداً ، فقتل ذلك اليوم من الأسرى خلقاً كثيراً من العرب خاصة ، فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلقه وكان فظاً غليظاً ، وكان الذي أجهز على موسى واصل بن طيسلة العنبري ، وبقيت المدينة بيد النضر بن سليمان فلم يدفعها الى عثمان وسلمها الى مدرك بن المهلب وأمنه فسلمها مدرك الى عثمان ، وكتب المفضل الى الحجاج بقتل موسى فقال : العجب منه أكتب إليه بقتل إبن سبرة فيكتب إليّ أنه قد قتل موسى بن عبدالله بن خازم ، ولم يسره قتل موسى لأنه من قيس ، وقتل موسى سنة خمس وثمانين ، وضرب رجل من الجند ساق موسى فلما وَلِيَ قتيبة قال : ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب بعد موته ؟ قال : كان قتل أخي فأمر به فقتل .

ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد لابنه الوليد بن عبد الملك ، فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال : لا تفعل فإنك تبعث على نفسك صوت عارم[١] ولعل الموت يأتيه، فكف عنه ونفسه تنازعه إلى خلعه فدخل عليه روح بن زنباع ـ وكان أجّلّ الناس عند عبد الملك ـ فقال : يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان وأنا أول من يجيبك إلى ذلك قال : نصبح إن شاء الله ، ونام روح عند عبد الملك فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان ـ وكان عبد الملك قد تقدم إلى حجابه أن لا يحجبوا قبيصة عنه ـ وكان إليه الخاتم والسكة تأتيه الأخبار قبل عبد الملك والكتب ـ فلما دخل سلم عليه قال : آجرك الله في عبد العزيز أخيك . قال : هل توفي ؟ قال : نعم ، فاسترجع ثم أقبل على روح وقال : كفانا الله ما كنا نريد وكان ذلك مخالفاً لك يا قبيصة ، فقال قبيصة : يا أمير المؤمنين إن الرأي كله في الأناة . فقال عبد الملك : وربما كان في العجلة خيرٌ كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيراً من الأناة ؟ وكانت وفاة عبد العزيز في جُمادى الأولى في مصر[٢] فضم

---

(١) في الطبري « صوت نعار » وفي بعض النسخ « صوت عامر » .

(٢) كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وثمانين وكان من خيار الأمراء كريماً جواداً ممدحاً وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز .

عبد الملك عمله إلى ابنه عبدالله بن عبد الملك وولاه مصر .

وقيل : إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين له بيعة الوليد ، وأوفد في ذلك وفداً ، فلما أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب إلى عبد العزيز إن رأيت أن يصير هذا الأمر لابن أخيك فأبى ، فكتب إليه ليجعل الأمر له ويجعله له أيضاً من بعده ، فكتب إليه عبد العزيز إني أرى في ابني أبي بكر ما ترى في الوليد ؛ فكتب اليه عبد الملك ليحمل خراج مصر ؛ فأجابه عبد العزيز إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً وإنَّا لا ندري أيُّنا يأتيه الموت أولاً فإن رأيت أن لا تفسد عليّ بقية عمري فافعل ، فرقَّ له عبد الملك وتركه ، وقال للوليد ، وسليمان : إن يرد الله أن يعطيكما الخلافة لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك ، فقال عبد الملك حيث رده عبد العزيز : اللهم إنه قطعني فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام : رد على أمير المؤمنين أمره ، فلما أتى خبر موته إلى عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان ، فبايعوا وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان ، وكان على المدينة هشام بن إسماعيل فدعا الناس إلى البيعة فأجابوا إلا سعيد بن المسيب فإنه أبى وقال : لا أبايع وعبد الملك حي فضربه هشام ضرباً مبرحاً وطاف به وهو في تبان شعر حتى بلغ رأس الثنية التي يقتلون ويصلبون عندها ، ثم ردوه وحبسوه، فقال سعيد: لو ظننت أنهم لا يصلبونني ما لبست ثياب مسوح ولكنني قلت: يصلبونني فيسترني فبلغ عبد الملك الخبر فقال : قبح الله هشاماً إنما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة فإن أبى أن يبايع فيضرب عنقه أو يكف عنه ، وكتب إليه يلومه ويقول له : إن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزبير وقال : لا أبايع حتى يجتمع الناس فضربه جابر بن الأسود عامل ابن الزبير ستين سوطاً فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه وقال : ما لنا ولسعيد دعه لا تعرض له .

وقيل : إن بيعة الوليد ، وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والأول أصح قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر ، فلما فارقه وصَّاه عبد الملك فقال : ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ بك ، وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك ، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتعلم أنت الذي تأذن له أو ترده ، فإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت في

قلوبهم محبتك ، وإذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المهمة ، واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه وان يهلك أمرؤ عن مشورة ، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد امضائها والسلام .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج بن يوسف ، وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فصاف فيها وشتّى .

وفي هذه السنة مات عمرو بن حريث المخزومي .

وفيها مات عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي ، وقيل : سنة سبع ، وقيل : سنة ثمانٍ وثمانين ، وفيها مات عبدالله بن عامر بن ربيعة حليف بني عدي وكان له لما توفي النبي ﷺ أربع سنين .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر وفاة عبد الملك

في هذه السنة توفي عبد الملك بن مروان منتصف شوال وكان يقول : أخاف الموت في شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لي الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت في نفسه ، وكان عمره ستين سنة ، وقيل : ثلاثاً وستين سنة ، وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال ، وقيل : وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً ، ولما اشتدّ مرضه قال بعض الأطباء : إن شرب الماء مات فاشتد عطشه فقال يا وليد : اسقني ماء . قال : لا أعين عليك ، فقال لابنته فاطمة اسقني ماء فمنعها الوليد . فقال : لتدعنَّها أو لأخلعنَّك فقال : لم يبقَ بعد هذا شيء فسقته فمات ، ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي فقال : كيف أمير المؤمنين ؟ قال : هو أصلح فلما خرج قال عبد الملك :

ومستخبر عنا يريد لنا الردى ومستخبرات والدموع سواجم

وأوصى بنيه فقال : أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير ، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه نابكم الذي عنه تفترون ومجنُّكم الذي عنه ترمون ، وأكرموا الحجَّاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل الأعداء ، وكونوا بني أم بررة لا تدب بينكم العقارب ، وكونوا في الحرب أحراراً فإن القتال لا يقرب ميتة ، وكونوا للمعروف مناراً فإن المعروف يبقى أجره وذكره ، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب فإنهم أصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه ، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فأقيلوا وإن عادوا فانتقموا ، ولما توفي دفن خارج باب الجابية وصلى عليه الوليد فتمثل هشام :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال الوليد : اسكت فإنك تتكلم بلسان شيطان ألا قلت كما قال أوس بن حجر :

إذا مقرم منا ذرى حد نابه تخمط منا ناب آخر مقرم

وقيل : إن سليمان تمثل بالبيت الأول وهو الصحيح لأن هشاماً كان صغيراً له أربع عشرة سنة ، وقد رثى الشعراء عبد الملك، كثير عزة وغيره، فمما قيل فيه :

سقاك ابن مروان من الغيث مسبل أجش شمالي يجود ويهطل
فما في حياة بعد موتك رغبة لحر وان كنا الوليد نؤمل

ذكر نسبه وأولاده وأزواجه

أما نسبه فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، وأما أولاده وأزواجه ، فمنهم الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر درج ، وعائشة أمهم ولَّادة بنت العباس بن جزء بن الحرث بن زهير بن جذيمة العبسية ، ومنهم يزيد ، ومروان ، ومعاوية درج ، وأم كلثوم وأمهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ومنهم هشام وأمه أم هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومية واسمها عائشة ، ومنهم أبو بكر وهو بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيدالله ، ومنهم الحكم درج أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ؛ ومنهم فاطمة بنت عبد الملك ، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، ومنهم عبد الملك[١] ، ومسلمة ، والمنذر ، وعنبسة ، ومحمد ، وسعيد الخير ، والحجاج لأمهات الأولاد ، وكان له من النساء شقراء بنت مسلم[٢] بن حلبس الطائي ، وأم أبيها ابنة عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وقيل : كان عنده ابنة لعلي بن أبي طالب ولا يصح .

---

(١) في الطبري « وعبدالله » .
(٢) في الطبري « شقراء بنت سلمة » .

ذكر بعض أخباره

كان عبد الملك عاقلاً حازماً أديباً لبيباً عالماً ، قال أبو الزياد : كان فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، وقال الشعبي :ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإني ماذاكرته حديثاً إلا زادني فيه ولا شعراً إلا زادني فيه ، وقال جعفر بن عقبة الخطائي : قيل لعبد الملك : أسرع اليك الشّيب . فقال : شيَّبني ارتقاء المنابر وخوف اللحن . وقال عبد الملك : ما أعلم أحداً أقوى على هذا الأمر مني ، إن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائساً . قال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرضه كيف تجدك ؟ قال : أجدني كما قال الله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾ الآية .

وقال المفضل بن فضالة عن أبيه : استأذن قوم على عبد الملك بن مروان ـ وهو شديد المرض ـ فدخلوا عليه وقد أسنده خصي إلى صدره فقال لهم : إنكم دخلتم علي عند إقبال آخرتي وإدبار دنياي وإني تذكرت أرجى عمل لي فوجدتها غزوة غزوتها في سبيل الله وأنا خلو من هذه الأشياء فإياكم وأيّا أبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها . وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخي : لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر بفتح باب قصره فإذا قصَّار يقصر ثوباً فقال : يا ليتني كنت قصَّاراً يا ليتني كنت قصَّاراً مرتين ، فقال سعيد بن عبد العزيز : الحمد لله الذي جعلهم يفزعون إلينا ولا نفزع إليهم ، وقال سعيد بن بشير : إن عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه وقال : وددت أني كنت أكتسب يوماً بيوم ما يقوتني وأشتغل بطاعة الله ؛ فذكر ذلك لابن خازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه ، وقال مسعود بن خلف : قال عبد الملك بن مروان في مرضه : والله وددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنماً في جبالها وأني لم أكُ شيئاً ، وقال عمران بن موسى المؤدب : يُروى أن عبد الملك بن مروان لما اشتدّ مرضه قال : ارفعوني على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال : يا دنيا ما أطيبك إن طويلك لقصير وإن كبيرك لحقير وإن كنا منك لفي غرور وتمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن نقاشك يارب عذاباً لا طوق لي بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب

ويروى أن هذه الأبيات تمثل بها معاوية ، ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف فإن من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أي شيء يقدم عليه ، قال عبد الملك لسعيد بن المسيب : يا أبا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به ، فقال :الآن تكامل فيك موت القلب،وكان عبد الملك أول من غدر في الإسلام وقد تقدم فعله بعمرو بن سعيد ، وكان أول من نقل الديوان من الفارسية الى العربية ، وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء وكان الناس قبله يراجعونهم ، وأول خليفة بخل وكان يقال له رشح الحجارة لبخله ، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف فانه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه .

ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك

فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع إليه الناس فخطبهم وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا لموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا ، وكان أول من عزّى نفسه وهنّاها ، وكان أول من قام لبيعته عبدالله بن همام السلولي وهو يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها اليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم قام الناس لبيعته ، وقد قيل : إن الوليد لما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس لا مقدم لما أخّر الله ولا مؤخر لما قدّم ، وقد كان من قضاء الله وسابق عليه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار ولي هذه الأمة بالذي يحق لله عليه في الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام واعلامه من حج البيت ، وغزو الثغور ، وشن الغارة على اعداء الله فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الفرد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبّاراً عنيداً .

ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة

وفي هذه السنة قدم قتيبة خراسان أميراً عليها للحجاج فقدمها والمفضل يعرض الجند للغزاة ، فخطب قتيبة الناس وحثهم على الجهاد ثم عرضهم وسار ، وجعل بمروٍ على حربها اياس بن عبدالله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان السعيدي[1] ، فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر ، فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ، ودعاه إلى بلاده فمضى معه فسلمها اليه لأن ملك أخرون ، وشومان كان يسيء جواره ، ثم سار قتيبة منها إلى أخرون ، وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها إليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان ، وأورشت وهي من فرغانة وفتح اخشيكت وهي مدينة فرغانة القديمة ، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ بلاءً حسناً ، وقيل : إن قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا أخرون ، وشومان ثم رجع إلى مرو ، وقيل : إنه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ فإن بعضها كان منتقضاً عليه فحاربهم ، وكان ممن سُبِيَ امرأة برمك أبي خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار، صارت لعبد الله بن مسلم أخي قتيبة فوقع عليها، ثم إن أهل بلخ صالحوه وأمر قتيبة برد السبي فقالت امرأة برمك لعبد الله : إني قد علقت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى أن يلحق به ما في بطنها وردت الى برمك ، فذكر أن ولد عبدالله بن مسلم جاؤوا أيام المهدي حين قدم الري إلى خالد فادعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة : أنه لا بد لكم ان استلحقتموه ففعل من ان تزوجوه فتركوه ، وكان برمك طبيباً .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .

وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته ، وحج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان الأمير على العراق والمشرق كله الحجَّاج بن يوسف ، وفي أيام عبد الملك مات أُسيد بن

(١) في الطبري « عثمان بن السعدي » .

ظُهير الأنصاري (أُسيد) بضم الهمزة و (ظهير) بضم الظاء المعجمة ، وفيها مات عمر بن أبي سلمة وهو ابن أم سلمة ، وفي أيامه مات علقمة بن وقاص الليثي وله صحبة .

وفي هذه السنة مات قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وولد أول سنة من الهجرة وحنكه النبي ﷺ وكان على خاتم عبدالملك بن مروان وكان فقيهاً، وفي أيامه مات سعد بن زيد الأنصاري وولد على عهد النبي ﷺ، وفي أيامه مات سلمة ابن أم سلمة ربيب النبي ﷺ ، وفي هذه السنة مات عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي ، وقيل سنة سبع وثمانين شهد الحديبية وخيبر ، وفي آخر أيامه مات الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري ، وولد في آخر زمن النبي ﷺ ، وفي هذه السنة توفي لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسي .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة

وفي هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسماعيل عن المدينة لسبع ليال خلونَ من ربيع الأول، وكانت أمارته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه، وولّي عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها والياً في ربيع الأول وثقله على ثلاثين بعيراً ، فنزل دار مروان وجعل يدخل عليه الناس فيسلمون، فلما صلّى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة ، عروة بن الزبير ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله بن عمرو ، وعبدالله بن عبيدالله بن عمر ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ، فدخلوا عليه فجلسوا فقال لهم : إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلكَ إلاَّ بلغني ، فخرجوا يجزونه خيراً وافترقوا ، وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن إسماعيل للناس وكان سيء الرأي فيه ، وكان هشام بن إسماعيل يسيء جوار علي بن الحسين فخافه هشام فتقدم علي بن الحسين إلى خاصته أن لا يعرض له أحد بكلمة ، ومر به علي وقد وقف للناس ولم يعرض له فناداه هشام (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) .

ذكر صلح قتيبة ونيزك

ولما صالح قتيبة ملك شومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس في إطلاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فاطلق الأسرى وبعث بهم اليه ، وكتب إليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيدالله بن أبي بكرة يدعوه إلى الصلح

وإلى أن يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك ـ وكان يستنصحه ـ : يا سليم ما أظن عند صاحبك خيراً كتب إلي كتاباً لا يكتب إلى مثلي ، فقال له سليم : إنه رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سوهل ، صعب إذا عوسر ، فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك ، فأحسن حالك عنده ، فقام نيزك مع سليم فصالحه أهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة .

ذكر غزو الروم

قيل : وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عدداً كثيراً بسوستة من ناحية المصيصة وفتح حصوناً ، وقيل : إن الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وحصن بولس ، وقمقم ، وقتل من المستعربة نحواً من الف مقاتل وسبى ذريتهم ونساءهم .

ذكر غزوة قتيبة بيكند

ولما صالح قتيبة نيزك أقام إلى وقت الغزو فغزا بيكند سنة سبع وثمانين وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر ، فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم ، فأتوهم في جمع كثير وأخذوا الطرق على قتيبة ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين ، وأبطأ خبره على الحجاج فأشفق على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وهم يقتتلون كل يوم ، وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فأعطاه أهل بخارى مالاً ليرد عنهم قتيبة فأتاه فقال له سراً من الناس : إن الحجّاج قد عزل وقد أتى عامل إلى خراسان فلو رجعت بالناس كان أصلح ، فأمر به فقتل خوفاً من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ، ثم أمر أصحابه بالجد في القتال فقاتلهم قتالاً شديداً فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً كيف شاؤوا وتحصّن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها ، فسألوه الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم عاملاً وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار عنهم خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه ، فرجع قتيبة فنقّب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ، ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل أعور ، هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة : أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف ، فاستشار قتيبة الناس فقالوا : هذه زيادة في الغنائم وما عسى أن يبلغ كيد

هذا . قال : لا والله لا يروع بك مسلم أبداً فأمر به فقتل ؛ وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصى ولا أصابوا بخراسان مثله فقوي المسلمون ، وَوَلِيَ قسم الغنائم عبدالله بن وألان العدوي أحد بني ملكان وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين فإنه كان أميناً ، وكان من حديث أمانة أبيه أن مسلماً الباهلي أبا قتيبة قال لوألان : إن عندي مالاً أحب أن استودعكه ولا يعلم به أحد ، قال وألان : ابعث به مع رجل تثق اليه إلى موضع كذا وكذا ، ومره إذا رأى في ذلك الموضع رجلاً أن يضع المال وينصرف فجعل مسلم المال في خرج وحمله على بغل وقال لمولى له : انطلق بهذا المال إلى موضع كذا وكذا فإذا رأيت رجلاً جالساً فخل البغل وانصرف . ففعل المولى ما أمره وأتى المكان وكان وألان قد سبقه إليه وانتظر وابطأ عليه رسول مسلم فظن أنه قد بدا له فانصرف ، وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك المكان ، وجاء مولى مسلم فرآه فسلم إليه البغل ورجع ، فأخذ التغلبي البغل والمال ورجع إلى منزله ، وظن مسلم أن المال قد أخذه وألان فلم يسأله حتى احتاج اليه فلقيه . فقال : مالي . فقال : ما قبضت شيئاً ولا لك عندي مال ، فكان مسلم يشكوه إلى الناس فشكاه يوماً والتغلبي جالس فخلا به التغلبي وسأله عن المال فأخبره فانطلق به الى منزله وسلم المال اليه وأخبره الخبر ، فكان مسلم يأتي الناس والقبائل التي كان يشكو اليهم فيذكر لهم عذر وألان ويخبرهم الخبر قال : فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، وكان على قضاء المدينة أبو بكر بن عمرو بن حزم ، وكان على العراق ، وخراسان الحجـاج ، وكان خليفته على البصرة هذه السنة الجراح بن عبدالله الحكمي ، وعلى قضائها عبدالله بن أذينة ، وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى الأشعري .

وفيها مات عبيدالله بن عباس بالمدينة ، وقيل : باليمن وكان أصغر من عبدالله بسنة . وفيها مات مطرف بن عبدالله بن الشخير في طاعون الجارف بالبصرة ، وفيها مات المقدام بن معد يكرب الكندي له صحبة ، وقيل : مات سنة إحدى وتسعين ، وفيها مات أمية بن عبدالله بن أَسيد ـ بفتح الهمزة ـ (الشِّخِّير) بكسر الشين والخاء المعجمتين وتشديد الخاء وبعدها ياء .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

ذكر فتح طوانة من بلد الروم

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم ، وكان الوليد قد كتب إلى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب الى ملك الروم يعرفه أن الخزر ، وغيرهم من ملوك جبال أرمينية قد أجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك ، وقطع الوليد البعث على أهل الشام إلى أرمينية وأكثر وأعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ، ثم عطفوا منها إلى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون ، فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الحجمي فقال له العباس : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن محيريز : نادهم يأتوك . فنادى العباس : يا أهل القرآن . فاقبلوا جميعاً فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة ، وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الأولى . قيل : وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

ذكر عمارة مسجد النبي ﷺ

قيل : وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في ربيع الأول يأمره بإدخال حجر أزواج النبي ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ ، وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع . ويقول له : قدم القبلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك وأنهم لا يخالفونك ، فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل واهدم عليهم وادفع الأثمان إليهم فإن لك في عمر، وعثمان أسوة، فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب فأجابوه إلى الثمن ، فاعطاهم إياه وأخذوا في هدم بيوت أزواج رسول الله ﷺ وبنى المسجد ، وقدم عليهم الفعلة من الشام أرسلهم الوليد ، وبعث الوليد إلى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد النبي ﷺ ليعمره فبعث إليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل

وبعث اليه من الفسيفساء باربعين جملاً ، فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز ، وحضر عمر ومعه الناس فوضعوا أساسه وابتدأوا بعمارته . قيل : وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضاً ففتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين ، وغزالة ، وحصن الأخرم وقتل من المستعربة نحواً من ألف وأخذ الأموال .

ذكر غزوة نومشكث ورامثنة[1]

قيل : وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث، واستخلف على مرو أخاه يسار بن مسلم[2] ، فتلقاه أهلها فصالحهم ، ثم سار إلى رامثنة فصالحه أهلها وانصرف عنهم ، وزحف إليه الترك ومعهم الصُّغد ، وأهل فرغانة في مائتي ألف وملكهم كورنغابون[3] ابن أخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين ، فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل إلى قتيبة بخبره وأدركه الترك فقاتلوه ، ورجع قتيبة فانتهى إلى عبد الرحمن ، وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون ، فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا إلى الظهر ، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة ، فانهزم الترك ، ورجع قتيبة فقطع النهر عند تِرمِذ وأتى مرو .

ذكر ما عمل الوليد من المعروف

وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن العزيز ، في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان وأمره أن يعمل الفوارة بالمدينة ، فعملها ، وأجرى ماءها ، فلما حج الوليد ورآها أعجبته ، فأمر لها بقوَّام يقومون عليها وأمر أهل المسجد أن يستقوا منها ، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذمين من الخروج على الناس وأجرى لهم الأرزاق .

ذكر عدة حوادث

وحجَّ بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز ، ووصل جماعة من قريش وساق معه

(١) في الطبري « راميثنة » وفي معجم البلدان لياقوت الحموي : راميثن : قرية ببخارى.

(٢) في الطبري : « بشار بن مسلم » .

(٣) في الطبري : « كوربغانون » .

بدنا وأحرم من ذي الحليفة ، فلما كان بالتنعيم أخبر أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاج العطش فقال عمر : تعالوا ندعُ الله تعالى فدعا ودعا معه الناس فما وصلوا البيت إلا مع المطر وسال الوادي فخاف أهل مكة من شدّته ومطرت عرفة ومكة وكثر الخصب ، وقيل : إنما حج هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك ، وكان العمال من تقدم ذكرهم .

وفيها مات سهل بن سعد الساعدي ، وقيل : بل سنة إحدى وتسعين وله مائة سنة ، وعبدالله بن بُسر المازني من مازن بن منصور وكان ممن صلى إلى القبلتين وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (بُسر) بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر غزو الروم

قيل : في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية[١] وفتح العباس أذرولية[٢] ولقي من الروم جمعاً فهزمهم ، وقيل : إن مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعاً من الروم كثيراً فهزمهم وافتتح هرقلة ، وقمونية ، وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون .

ذكر غزو قتيبة بُخارى

في هذه السنة أتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقي الصغد ، وأهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى إلى بخارى فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم ، وغزا وردان خذاه ملك بخارى فلم يظفر بشيء فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج يخبره ، فكتب اليه الحجاج أن صوّرها لي فبعث إليه بصورتها ، فكتب اليه الحجاج أن تُب الى الله جلَّ ثناؤه مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا ، وكتب اليه أن كس بكش وانسف نسف ورد وردان وإياك والتحويط ودعني من ثنيات الطريق ، وقيل : إنما كان فتح بخارى سنة تسعين على ما نذكره .

ذكر ولاية خالد بن عبدالله القسري مكة

قيل : وفي هذه السنة ولّي خالد بن عبدالله القسري مكة فخطب أهلها فقال :

---

(١) في الطبري : « حصن سورية » . وفي البداية والنهاية ٩/ ٨١ ط . دار الكتب العلمية ببيروت : « حصن سورية وعمورية » .

(٢) في الطبري ومعجم ياقوت وفتوح البلدان : دَرَولِيَّة : مدينة بأرض الروم .

أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم ؟ والله لم تعلموا فضل الخليفة ، ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً واستسقى الخليفة فسقاه عذباً فراتاً - يعني بالملح زمزم وبالماء الفرات بئراً حفرها الوليد بثنية طوى في ثنية الحجون[١] وكان ماؤها عذباً - وكان ينقل ماءها ويضعه في حوض إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها فلا يدرى أين هو اليوم، وقيل : وليها سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة أربع وتسعين وقد ذكرناه هناك .

ذكر قتل ذاهر ملك السند

في هذه السنة قتل محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي - يجتمع هو والحجاج في الحكم - ذاهر بن صصة ملك السند وملك بلاده ، وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسيّر معه ستة آلاف مقاتل ، وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسّال والإبر والخيوط ، فسار محمد إلى مكران فأقام بها أياماً ثم أتى قنزبور ففتحها ، ثم سار إلى أرمائيل ففتحها ، ثم سار إلى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقاً يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل ، وكان بالديبل بَدّ عظيم عليه دقل[٢] وعلى الدقل راية حمراء إذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور ، والبد صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم بد ، فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ، ثم ان محمداً أتى وناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم إلى البلد وأمر بالسلاليم فنصبت وصعد عليها الرجال ، وكان أولهم صعوداً رجل من مراد من أهل الكوفة ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة أيام ، وهرب عامل ذاهر عنها وأنزلها محمد أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها إلى البيرون ، وكان أهلها بعثوا إلى الحجاج فصالحوه فلقوا محمداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها ، وجعل لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبر نهراً دون مهران فأتاه أهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج ، وسار عنهم إلى سهبان ففتحها ، ثم سار إلى نهر مهران فنزل

---

(١) في الطبري « بئراً حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنيتين ثنية طوى وثنية الحجون » .

(٢) الدقل الخشبة العظيمة يرفع عليها القلع الذي تجري به السفينة وهو السارية العظيمة .

في وسطه وبلغ خبره ذاهر فاستعد لمحاربته ، وبعث جيشاً إلى سدوستان فطلب أهلها الأمان والصلح فأمنهم ووظف عليهم الخراج ، ثم عبر محمد مهران مما يلي بلاد راسل الملك على جسر عقده ـ وذاهر مستخف به ـ فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، وترجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ، وقال قاتله :

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد
اني فرجت الجمع غير معرد حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلاً متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة ، وكان بها إمرأة لذاهر فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواريها[1] وجميع مالها ، ثم سار إلى برهمناباذ العتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ كان موضعها غيضة وكان المنهزمون من الكفار بها فقاتلوه ، ففتحها محمد عنوة وقتل بها بشراً كثيراً وخربت ، وسار يريد الرور ، وبغرور ، فلقيه أهل ساوندرى فطلبوا الأمان فأعطاهم إياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم أسلم أهلها بعد ذلك ، ثم تقدم إلى بسمد وصالح أهلها ، ووصل إلى الرور ـ وهي من مدائن السند على جبل ـ فحصرهم شهوراً فصالحوه ، وسار الى السكة ففتحها ، ثم قطع نهر بياس إلى الملتان فقاتله أهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه إنسان ودله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه فعطشوا فألقوا بأيديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البدّ وهم ستة آلاف ، وأصابوا ذهباً كثيراً فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقى إليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر ، وكان بد الملتان تهدى اليه الأموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبي ﷺ ؛ وعظمت فتوحه ، ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين ألف ألف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف ألف

(١) كانت عادة أهل الهند أن الرجل إذا مات يحرقون جثته وتحرق معها زوجه وجواريه ، والتي ترفض أن تحرق تكون نجسة مدّة حياتها .

وعشرين ألف ألف فقال : ربحنا ستين ألفاً وأدركنا ثارنا ورأس ذاهر ، ثم مات الحجاج ونذكر أمر محمد عند موت الحجاج إن شاء الله تعالى .

ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية

في هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية ، وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية إلى صفين لم يسر معه فقال له : ما يمنعك من المسير معي إلى قتال علي ويدي عندك معروفة ، فقال : لا أشركك بكفر من هو أولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية ، فوصل موسى إلى أفريقية وبها صالح الذي استخلفه حسان على افريقية ، وكان البربر قد طمعوا في البلاد بعد مسير حسان ، فلما وصل موسى عزل صالحاً وبلغه أنّ باطراف البلاد قوماً خارجين عن الطاعة فوجه إليهم ابنه عبدالله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس ، وسيره في البحر إلى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالماً ، فوجه ابنه هارون إلى طائفة أخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك ، وتوجه هو بنفسه إلى طائفة أخرى فغنم نحو ذلك ، فبلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي ـ ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم من هذا ـ ثم إنّ افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد ، وقيل له في ذلك فقال : هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ولا يذكر إلا الله عز وجل فَسُقِيَ الناس ورخصت الأسعار ، ثم خرج غازياً إلى طنجة يريد من بقي من البربر ، وقد هربوا خوفاً منه فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه ، واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد ويقال : إنه صدفي ، وجعل معه جيشاً كثيفاً جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض ، وعاد إلى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر إلى الآن وحينئذ لمْ يبقَ له في افريقية من ينازعه ، وقيل : كانت ولاية موسى ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لأخيه عبد الملك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصوناً ومدائن هناك ؛ وحجَّ بالناس عمر بن عبد العزيز ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وفي

هذه السنة مات عبدالله بن ثعلبة بن صُعَير العذري حليف بني زهرة وكان مولده قبل الهجرة بأربع سنين ، وقيل : ولد سنة ست من الهجرة (صُعَير) بضم الصاد وفتح العين المهملتين .

وفيها مات ظَلِيم مولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح بافريقية (ظَلِيم) بفتح الظاء المعجمة وكسر اللام .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر فتح بخارى

قد ذكرنا ورود كتاب الحجاج إلى قتيبة يأمره بالتوبة عن انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى ويعرفه الموضع الذي يأتي بلده منه ، فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازياً إلى بخارى سنة تسعين فاستجاش وردان خذاه بالصغد ، والترك من حوله فأتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها ، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إلى المسلمين يقاتلونهم فقالت الأزد : اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتلاهم فقال قتيبة : تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالاً شديداً ، ثم إن الأزد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى أدخلوهم عسكرهم وجاوزه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكينَ فكروا راجعين ، فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقفهم ؛ فوقف الترك على نشز فقال قتيبة : من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من العرب ، فأتى بني تميم فقال لهم : يوماً كأيامكم ، فأخذ وكيع اللواء وقال : يا بني تميم أتسلمونني اليوم ؟ قالوا : لا يا أبا مطرف ، وكان هريم بن أبي طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم ، فقال وكيع : يا هريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم إلى نهر بينهم وبين الترك فوقف ، فقال وكيع : تقدم يا هريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال : أأقتحم الخيل هذا النهر فإن انكشفت كان هلاكها يا أحمق ، فقال وكيع : يا ابن اللخناء أترد أمري ؟ فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم في الخيل ، وانتهى وكيع إلى النهر فعمل عليه جسراً من خشب وقال لأصحابه : من وطن نفسه على الموت فليعبر ، وإلا فليثبت مكانه ، فما عبر معه إلا ثمانمائة رجل ، فلما عبر بهم ودنا من العدو وقال لهريم : إني مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل ، فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم في الخيل فطاعنوهم

ولم يزالوا يقاتلونهم حتى حدروهم من التل ، ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر أحد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ، ونادى قتيبة من أتى برأس فله مائة ، فأتي برؤوس كثيرة ، فجاء يومئذٍ أحد عشر رجلاً من بني قريع كل رجل برأس فيقال له : من أنت؟ فيقول: قريعي ، فجاء رجل من الأزد برأس فقيل له : من أنت ؟ فقال : قريعي ، فعرفه جهم بن زحر فقال : كذب والله إنه أزدي فقال له قتيبة : ما دعاك إلى هذا ؟ فقال : رأيت كل من جاء يقول : قريعي فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقوله فضحك قتيبة ، وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح إلى الحجاج .

ذكر صلح قتيبة مع الصغد

لما وقع قتيبة بأهل بخارى هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان ؛ فدنا من عسكر قتيبة فطلب رجلاً يكلمه فارسل إليه قتيبة حيان النبطي ، فطلب الصلح على فدية يؤديها إليهم فأجابه قتيبة إلى ما طلب ، وصالح ورجع طرخون إلى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (حيّان) بالحاء المهملة والياء المشددة تحتها نقطتان وآخره نون .

ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان

قيل : لما رجع قتيبة من بخارى ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لأصحابه : أنا مع هذا ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأي قالوا : افعل فاستأذن قتيبة فأذن له وهو بآمل فرجع يريد طخارستان ، وأسرع السير حتى أتى النوبهار فنزل يصلي فيه ويتبرك به وقال لأصحابه : لا أشك أن قتيبة قد ندم على إذنه لي وسيبعث إلى المغيرة بن عبدالله يأمره بحبسي ، وندم قتيبة على إذنه له فأرسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك ، وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب إلى أصبهبذ بلخ والي باذان[1] ملك مرو الروذ ، والى ملك الطالقان ، والى ملك الفرياب ، والى ملك الجوزجان ، يدعوهم إلى خلع قتيبة فأجابوه ، فواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة ، وكتب إلى كابل شاه

---

(١) في الطبري « باذام » بالميم .

يستظهر به وبعث إليه بثقله وماله وسأله أن يأذن له إنْ اضطر إليه أن يأتيه فأجابه الى ذلك .

وكان جبغويه[١] ملك طخارستان ضعيفاً فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه ـ وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده ـ فاستوثق منه وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء ـ وقد تفرق الجند ـ فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم في اثني عشر ألفاً إلى البروقان وقال : أقم بها ولا تحدث شيئاً فإذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم أني قريب منك فسار ، فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة إلى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل أوانهم نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فأتاه قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في نظام واحد ، ثم انقضت السنة قبل محاربة نيزك وسنذكر تمام خبره سنة إحدى وتسعين إن شاء الله تعالى .

ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج

قيل : وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في سجن الحجاج ، وكان الحجاج قد خرج الى رستقباذ للبعث لان الأكراد كانوا قد غلبوا على فارس وخرج معه يزيد بن المهلب وإخوته عبد الملك ، والمفضل في عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من أهل الشام وطلب منهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم ، فكان يزيد يصبر صبراً حسناً وكان ذلك مما يغيظ الحجاج منه ، فقيل للحجاج : إنه رُمِيَ في ساقه بنشابة فثبت نصلها فيه فهو لا يمسّها إلا صاح فأمر أن يعذب في ساقه فلما فعلوا به ذلك صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ، ثم إنه كفَّ عنهم وأقبل يستأديهم وهم يعملون في التخلص ، فبعثوا إلى أخيهم مروان ـ وكان بالبصرة ـ أن يضمر لهم خيلاً ويُرى الناس أنه يريد بيعها لتكون عدة ففعل ذلك ـ وكان أخوه حبيب يعذب بالبصرة أيضاً ـ فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به ولبس يزيد ثياب طباخه ، وخرج وقد جعل له لحية بيضاء فرآه بعض

---

(٢) في الطبري « جيغويه » بالياء المثناة من تحت .

الحرس فقال : كانت هذه مشية يزيد فجاء اليه فرأى لحيته بيضاء في الليل فتركه وعاد ، فخرج المفضل ولم يفطن له فجاؤا إلى سفن معدة فركبها يزيد ، والمفضل ، وعبد الملك ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا علم بهم الحرس فرفعوا خبرهم الى الحجاج ففزع وظن أنهم يفسدون خراسان ليفتنوا بها ، فبعث البريد إلى قتيبة بخبرهم ويأمره بالحذر ، ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فأخذوا طريق الشام على طريق السماوة ، وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له : إنهم أخذوا طريق الشام فبعث إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه .

ثم سار يزيد فقدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي ـ وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك ـ فجاء وهيب إلى سليمان فأعلمه بحال يزيد وإخوته وأنهم قد استعاذوا به من الحجاج قال : فأتني بهم فهم آمنون لا يتوصل إليهم أبداً وأنا حي فجاء بهم إليه وكانوا في مكان آمن ، وكتب الحجاج الى الوليد إنّ آل المهلب خانوا أمان الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان ـ وكان الوليد قد حذرهم وظن أنهم يأتون خُراسان للفتنة بها ـ فلما علم أنهم عند أخيه سليمان سكن بعض ما به وطار غضباً للمال الذي ذهب به ، فكتب سليمان إلى الوليد ان يزيد عندي وقد آمنته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف لأن الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدى ثلاثة آلاف الف والذي بقي عليه أنا أؤديه ، فكتب الوليد والله لا أؤمنه حتى تبعث به إليّ فكتب لئن أنا بعثت به اليك لأجيئن معه ، فكتب الوليد والله لئن جئتني لا أؤمنه فقال يزيد : أرسلني اليه فوالله ما أحب أن أوقع بينه وبينك عداوة ولا أن يتشاءم الناس بي لكما واكتب معي بألطف ما قدرت عليه ، فارسله وأرسل معه ابنه أيوب ـ وكان الوليد قد أمره أن يبعث به مقيداً ـ فقال سليمان لابنه : إذا دخلت على أمير المؤمنين فادخل أنت ويزيد في سلسلة ففعل ذلك ، فلما رأى الوليد ابن اخيه في سلسلة قال : لقد بلغنا من سليمان ، ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال له : يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك ولا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تذل من رجا العز في الإنقطاع إلينا لعز بابك ؛ فقرأ الوليد كتاب سليمان فإذا هو يستعطفه ويشفع اليه ويضمن إيصال المال ، فلما قرأ الكتاب قال : لقد شققنا على سليمان ، وتكلم يزيد واعتذر فآمنه الوليد فرجع إلى سليمان ، وكتب الوليد إلى الحجاج إني لم أصل إلى يزيد وأهله مع سليمان فاكفف عنهم فكف عنهم ، وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف

ألف فتركها وكف عن حبيب بن المهلب ، وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدي إليه الهدايا ويصنع له الأطعمة ، وكان لا يأتي يزيد هدية إلا بعث بها إلى سليمان ولا يأتي سليمان هدية إلا بعث بنصفها إلى يزيد وكان لا تعجبه جارية إلا بعث بها إلى يزيد .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح الحصون الخمس التي بسورية ، وغزا عباس بن الوليد حتى بلغ ارزن وبلغ سورية ، وفيها استعمل الوليد بن عبد الملك قرة بن شريك على مصر وعزل أخاه عبد الملك بن عبد الملك .

وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فأهداه ملكهم إلى الوليد ، وحجّ بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وكان أميراً على مكة ، والمدينة ، والطائف ، وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف ، وعامله على البصرة الجراح بن عبدالله الحكمي ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن شريك ، وفيها مات أنس بن مالك الأنصاري ؛ وقيل : سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين وكان عمره ستاً وتسعين سنة ، وقيل : مائة وست سنين وقيل وسبع ، وقيل وثلاث ، وفيها مات أبو العالية الرياحي في شوال ، وفيها توفي نصر بن عاصم الليثي النحوي أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، وقيل : مات سنة تسعين .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر تتمة خبر قتيبة مع نيزك

قد ذكرنا مسير قتيبة إلى نيزك وما جرى له بالطالقان وقتل من قتل بها ، فلما فتح الطالقان استعمل أخاه عمر بن مسلم ، وقيل : إنّ ملكها لم يحارب قتيبة فكفّ عنه وكان بها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم ، ثم سار قتيبة إلى الفارياب ، فخرج إليه ملكها مقراً مذعناً فقبل منه ولم يقتل بها أحداً ـ واستعمل عليها رجلاً من أهله[١] ، وبلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب إلى الجبال وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها أحداً واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ، ثم أتى بلخ فلقيه أهلها فلم يقم بها إلا يوماً واحداً وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب خُلم[٢] ، ومضى نيزك إلى بُغْلان[٣] وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه ليمنعوه ، ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء الشعب فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقاً يسلكه إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحتملها العساكر فبقي متحيراً ، فقدم انسان[٤] فاستأمنه على أن يدله على مدخل القلعة التي من وراء الشعب فأمنه قتيبة وبعث معه رجالاً فانتهى بهم إلى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة الشعب فأتى القلعة ، ومضى إلى سمنجان فأقام بها أياماً ثم سار إلى نيزك ، وقدم أخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة ووجه ثقله وأمواله إلى كابل

---

(١) في الطبري : « رجلاً من باهلة » .

(٢) خُلْمُ : بلدة بنواحي بلخ .

(٣) بُغلان : بلدة بنواحي بلخ .

(٤) عيّنه الطبري أنه : الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان .

شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن يتبعه ، فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل بينه وبين عبد الرحمن فرسخان ، فتحصن نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدري وجدر جبغويه .

وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال : انطلق إلى نيزك واحتل لتأتيني به بغير أمان فإن احتال وأبى فأمنه ، واعلم أني إن عاينتك وليس هو معك صلبتك ، قال : فاكتب إلى عبد الرحمن لا يخالفني فكتب اليه ، فقدم عليه فقال لـه : ابعث رجالاً ليكونوا على فم الشعب فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب ، ببعث عبد الرحمن خيلاً فكانت هناك وحمل سليم معه أطعمة وأخبصة أوقاراً وأتى نيزك فقال له : إنك أسأت إلى قتيبة وغدرت قال نيزك : فما الرأي ؟ قال : أرى أن تأتيه فإنه ليس يبارح وقد عزم على أن يشتو مكانه هلك أو سلم ، قال نيزك : فكيف آتيه على غير أمان ؟ قال : ما أظنه يؤمنك لما في نفسه عليك لأنك قد ملأته غيظاً ولكني أرى أن لا يعلم حتى تضع يدك في يده فإني أرجو أن يستحي ويعفو ، قال : إني أرى نفسي تأبى هذا وهو إن رآني قتلني ، فقال سليم : ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وتعود حالك عنده فإذا أبيت فاني منصرف ، وقدّم سليم الطعام الذي معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه أصحاب نيزك فساءه ذلك ، فقال له سليم : إني لك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وإن طال بهم الحصار لم آمنهم أن يستأمنوا بك فائت قتيبة ، فقال : لا آمنه على نفسي ولا آتيه إلا بامان وإن ظني أن يقتلني وإن أمنّني ولكن الأمان اعذر إلي ، فقال سليم : قد امنك أفتتهمني ؟ قال : لا وقـال له أصحابه : اقبل قول سليم فلا يقول إلا حقاً ، فخرج معه ، ومع جبغـويه ، وصـول طرخان خليفة جبغويه ، وحبس طرخان صاحب شرطته ، وشقران ابن أخي نيزك ، فلما خرجوا من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم فحالوا بين الأتراك أصحاب نيزك والخروج ، فقال نيزك : هذا أول الغدر ، قال سليم : تخلف هؤلاء عنك خير لك ، وأقبل سليم ، ونيزك ، ومن معه حتى دخلوا إلى قتيبة فحبسهم وكتب إلى الحجـاج يستأذنه في قتل نيزك ، واستخرج قتيبة ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الحجاج فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك ، فدعا قتيبة الناس واستشارهم في قتله واختلفوا ، فقال ضرار بن حصين : إني

سمعتك تقول : أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله فإن لم تفعل فلا ينصرك الله عليه أبداً فدعا نيزك فضرب رقبته بيده وأمر بقتل صول ، وابن أخي نيزك ؛ وقتل من أصحابه سبعمائة ، وقيل : اثني عشر ألفاً ، وصلب نيزك ، وابن أخيه وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقال نهار بن توسعة في قتل نيزك :

لَعَمْري نعمتْ غَزْوَةُ الجُنـد غزوةً   قَضَتْ نَحبَهـا من نيـزَكٍ وتَعلَّتِ

وأخذ الزبير مولى عباس الباهلي حقاً لنيزك فيه جوهر وكان أكثر من في بلاده مالاً وعقاراً من ذلك الجوهر ، وأطلق قتيبة جبغويه ومنّ عليه وبعث به إلى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد ، وكان الناس يقولون : غدر قتيبة بنيزك فقال بعضهم(١) :

فـلا تَحْسَبَنَّ الغَدْرَ حـرماً(٢) فـربّمـا   تَـرقَّتْ بـك(٣) الأَقـدَامُ يـومـاً فَـزَلتِ

فلما قتل قتيبة نيزك رجع إلى مرو وأرسل ملك الجوزجان يطلب الأمان فأمّنه على أن يأتيه فطلب رهناً ويعطى رهائن ، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبدالله بن حبيب الباهلي وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان ، فقال أهل الجوزجان : إنهم سمّوه فقتلوا حبيباً وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده .

ذكر غزوة شُومان وكش ونسف

وفي هذه السنة سار قتيبة إلى شومان فحصرها ، وكان سبب ذلك أن ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فأرسل إليه قتيبة رسولين ، أحدهما من العرب اسمه عياش ، والآخر من أهل خراسان ، يدعوان ملك شومان أن يؤدي ما كان صالح عليه ، فقدما شومان فخرج أهلها إليهما فرموهما فانصرف الخراساني وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة ، وبلغ قتله قتيبة فسار إليهم بنفسه فلما أتاها أرسل صالح بن مسلم أخا قتيبة إلى ملكها ـ وكان صديقاً له ـ يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح فأبى وقال لرسول صالح : أتخوفني من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصناً ؟ فأتاه قتيبة وقد تحصن

---

(١) عينه الطبري وهو ثابت قطنة .

(٢) في الطبري « حزما » .

(٣) في الطبري « به » .

ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه ، وقتل رجلاً في مجلس الملك بحجر ، فلما خاف أن يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم حتى قتل ؛ وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار إلى كش، ونسف ففتحهما؛ وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة ، وسير من كش ، ونسف أخاه عبد الرحمن إلى الصغد وملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع إليه رهناً كان معه ورجع إلى قتيبة ببخارى وكان قد سار إليها من كش ، ونسف فرجعوا إلى مرو ، ولما كان قتيبة ببخارى ملك بخارى خذاه وكان غلاماً حدثاً وقتل من يخاف أن يضاده ، وقيل : إن قتيبة سار بنفسه إلى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون : إنك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه .

ذكر عدة حوادث

قيل : في هذه السنة استعمل الوليد خالد بن عبدالله القسري على مكة فلم يزل والياً عليها حتى مات الوليد ، وكان قد تقدم سنة تسع وثمانين ذكره أيضاً ، فلما وَلِيَ مكة خطبهم وعظم أمر الخلافة وحثهم على الطاعة فقال : لو أني أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها منه فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإني والله لا أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم ، إني لا أرى فيما كتبَ به الخليفة أو رآه إلا امضاءه واشتد عليهم ، وحج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد بن المسيب لم يجرأ أحد من الحرس يخرجه فقيل له : لو قمت قال : لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه فقيل : لو سلمت على أمير المؤمنين قال : لا والله لا أقوم إليه ، قال عمر بن عبد العزيز : فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد لئلا يراه ، فالتفت الوليد إلى القبلة فقال : من ذلك الشيخ أهو سعيد ؟ قال عمر : نعم ومن حاله كذا وكذا فلو علم بمكانك لقام فسلّم عليك وهو ضعيف البصر ، قال الوليد : قد علمت حاله ونحن نأتيه فدار في المسجد حتى أتاه فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرك سعيد ، بل قال : بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف

حاله ؟ فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس ، وقسم بالمدينة دقيقاً كثيراً(١) وآنية من ذهب ، وفضة ، وأموالاً وصلى بالمدينة الجمعة فخطب الناس الأولى جالساً ، ثم قام فخطب الخطبة الثانية قائماً ، قال إسحاق بن يحيى : فقلت لرجاء بن حيوة وهو معه : أهكذا تصنعون ؟ قال : نعم مكرراً وهكذا صنع معاوية وهلم جرا قال : فقلت له : هلا تكلمه ؟ قال : أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كلّم عبد الملك ولم يترك القعود وقال : هكذا خطب عثمان قال : فقلت والله ما خطب إلا قائماً ، قال رجاء : رُوِيَ لهم شيء فاقتدوا به ، قال إسحاق : ولم نرَ منهم أشد تجبراً منه ، وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم غير مكة فإن خالداً كان عاملها ، وقيل : إن عاملها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان .

وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة ، وأرمينية واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك ، فغزا مسلمة الترك من ناحية أذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصوناً ونصب عليها المجانيق(٢) .

---

(١) في الطبري « رقيقاً كثيراً عجماً بين الناس » .

(٢) مات في هذه السنة على ما حكاه ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٨٨ طـ . دار الكتب العلمية ببيروت : «السائب بن يزيد بن سعد بن تمامة » .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصوناً ثلاثة وجلا أهل سوسنة إلى بلاد الروم .

ذكر فتح الأندلس

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً ، فلقي ملك الأندلس واسمه أذرينوق[١] ـ وكان من أهل أصبهان وهم ملوك عجم الأندلس ـ فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الأذرينوق في سرير الملك وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الأذرينوق وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين ، هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الأندلس ، وبمثل ذلك الأقليم العظيم والفتح المبين ، لا يقتصر فيه على هذا القدر ، وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا إن شاء الله تعالى من تصانيف أهلها إذ هم أعلم ببلادهم ، قالوا : أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلش[٢] ـ بشين معجمة ـ فسمّي البلد بهم ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة ، والنصارى يسمون الأندلس إشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له : إشبانس ، وقيل : باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه إشبان بن طيطس ، وهذا هو اسمها عند بطليموس ، وقيل : سميت بأندلس بن يافث بن نوح وهو أوّل من عمرها .

قيل : أوّل من سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يُعرفون بالأندلس فعمّروها وتداولوا ملكها دهراً طويلاً وكانوا مجوساً ، ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى

---

(١) في الطبري « أدرينوق » بالدال المهملة .

(٢) هم الوندال .

عليهم القحط فهلك أكثرهم وفر منها من أطاق الفرار فخلت الأندلس مائة سنة ، ثم ابتعث الله لعمارتها الأفارقة فدخل إليها قوم منهم أجلاهم ملك افريقية تخففاً منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفنى أهله فحملهم في السفن مع أمير من عنده فأرسوا بجزيرة قادس ورأوا الأندلس قد أخصبت بلادها وجرت أنهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكاً يضبطون أمرهم وهم على دين من قبلهم ، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من أرض إشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها أحد عشر ملكاً ، ثم أرسل الله عليهم عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطس فغزاهم ومزقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة ، وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم إشبانية وهي إشبيلية واتخذها دار مملكته وكثرت جموعه وعتا وتجبر ، وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف ونقل المرمر منه إلى اشبيلية وغيرها ، وغنم أيضاً مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها ، وغنم أيضاً قليلة الذهب والحجر الذي لقي بماردة ، وكان هذا اشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الأرض فقال له : يا أشبان سوف تحظى وتملك وتعلو فإذا ملكت إيلياء فارفق بذرية الأنبياء فقال : أتسخر مني كيف ينال مثلي الملك ؟ فقال : قد جعله فيك من جعل عصاك هذه كما ترى فنظر إليها فإذا هي قد أورقت فارتاع وذهب عنه الخضر ، وقد وثق اشبان بقوله فداخل الناس فارتقى حتى ملك ملكاً عظيماً وكان ملكه عشرين سنة .

ودام ملك الإشبانيين بعده إلى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكاً ، ثم دخل عليهم من عجم رومة أمة يدعون البشنوليات وملكهم طويش بن نيطة وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليهم واستولوا على ملكها وكانت مدينة ماردَة دار مملكتهم وملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ، ثم دخلت عليهم أمة القُوط مع ملك لهم فغلبوا على الأندلس فاقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة ، وكان ابتداء ظهورهم من ناحية إيطالية شرق الأندلس فأغارت على بلاد مَجْدُونية[1] من تلك الناحية وذلك في أيام قليوذيوس قيصر ثالث القياصرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها إلى أيام قسطنطين الأكبر وأعادوا الغارة فسير إليهم جيشاً فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم إلى دولة

---

(١) مجدونية : بفتح أول وسكون ثانيه ودال معجمة ونون وياء مشددة ، عن العمراني .

ثالث قيصر فإنهم قدموا على أنفسهم أميراً اسمه لذريق وكان يعبد الأوثان فسار إلى رومة ليحمل النصارى على السجود لأوثانِه فظهر منه سوء سيرته فتخاذل أصحابه عنه ومالوا إلى أخيه وحاربوه فاستعان بصاحب رومة فبعث إليه جيشاً فهزم أخاه ودان بدين النصارى وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة ، ثم وَلِيَ بعده أقريط ، وبعده أماريق ، وبعده وغديش وكانوا قد عادوا إلى عبادة الأوثان فجمع من أصحابه مائة ألف وسار إلى رومة فسيّر اليه ملك الروم جيشاً فهزموه وقتلوه . ثم بعده الريق وكان زنديقاً شجاعاً فسار ليأخذ بثأر وغديش ومن قتل معه ونازل رومية وحاصرها وضيق على أهلها ودخلها عنوة وغنم أموالهم ، ثم جمع أسطول البحر وسار إلى صقلية ليفتحها ويغنم ما فيها فغرق أكثر أصحابه في البحر وهو فيمن غرق ، ثم ملك بعده أطلوف ست سنين ، وخرج عن بلد إيطالية وأقام ببلد غاليس مجاوراً أقصى الأندلس ثم انتقل منها إلى برشلونه ، ثم بعده أخوه ثلاث سنين ، ثم بعده والياً ثم بوردزاريش ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم ابنه طرشمند ، ثم بعده أخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ، ثم بعده أوريق سبع عشرة سنة ، ثم بعده الريق بطلوشة ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم عشليق ، ثم أمليق سنتين ، ثم تـوذيـوش سبع عشرة سنة وخمسة أشهر ثم بعده طود تقليس سنة وثلاثة أشهر ، ثم بعده أثله خمس سنين ، ثم بعده أطلنجة خمس عشرة سنة ، ثم بعده ليوبا ثلاث سنين .

ثم بعده أخوه لويلد وهو أول من اتخذ طليطلة دار ملك ونزلها ليكون متوسطاً لملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب ، فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى احتوى على جميع الأندلس ، وبنى مدينة رقويل وأتقنها وأكثر بساتينها ـ وهو على القرب من طليطلة ـ وسماها باسم ولده ، وغزا بلد البشقنس حتى أذلهم وخطب إلى ملك الفرنج ابنته لولده أرمنجلد فزوّجه وأسكنه اشبيلية فحسنت له عصيان والده ففعل فسار إليه أبوه وحصرهما وضيق عليه وطال مقامه إلى أن أخذه عنوة وسجنه إلى أن مات ، ثم ملك بعد لويلد ابنه ركرد وكان حسن السيرة فجمع الأساقفة وغيّر سيرة أبيه وسلّم البلاد إليهم وكانوا نحو ثمانين أسقفاً وكان تقياً عفيفاً قد لبس ثياب الرهبان ، وهو الذي بنى الكنيسة المعروفة بالوزقة بازاء مدينة وادي اش ، ثم بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه فاغتاله رجل من القوط يقال له : بتريق فقتله وملك بعده بتريق هذا بغير رضا أهل الأندلس وكان مجرماً طاغياً فاسقاً فثار عليه رجل من خاصته فقتله ، ثم ملك من

بعده غندمار سنتين ، ثم ملك بعده سيسيفوط وكانت ولايته تسع سنين وكـان حسن السيرة ، ثم بعده ابنه ركريد وكان صغيراً عمره ثلاثة أشهر ومات ، ثم ملك شنتله وكان ملكه عند البعث وكان مشكوراً ، ثم بعده شنند خمس سنين ، ثم بعده خنتلة ستة أعوام ثم بعده خندس أربعة أعوام ثم بعده بنبان ثمانية أعوام، ثم بعده أروى سبع سنين، وكان في دولته قحط شديد حتى كادت بلاد الأندلس تخرب لشدة الجوع ، ثم بعده ابقه خمس عشرة سنة وكان جائراً مذموماً ؛ ثم ملك بعده ابنه غيطشة وكانت ولايته سنة سبع وسبعين للهجرة ؛ وكان حسن السيرة لين العريكة وأطلق كل محبوس كان في سجن أبيه وأدى الأموال إلى أربابها ثم توفي وخلف، ولدين فلم يرض بهما أهل الأندلس وتراضوا برجل يقال له : رذريق وكان شجاعاً وليس من بيت الملك .

وكانت عادة ملوك الأندلس أنهم يبعثون أولادهم الـذكور والإنـاث إلى مدينـة طليطلة يكونون في خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فإذا بلغوا الحكم أنكح بعضهم بعضاً وتولى تجهيزهم ، فلما ولي رذريق أرسـل إليه يـوليان ـ وهـو صاحب الجزيرة الخضراء ، وسبتة ، وغيرهما ـ ابنة له فاستحسنها رذريق وافتضها ، فكتبت إلى أبيها فأغضبه ذلك ، فكتب إلى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على افريقية بالطاعة واستدعاه إليه فسار إليه فأدخله يوليان مدائنه وأخذ عليه العهود له ولأصحابه بما يرضى به ، ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها وذلك آخر سنة تسعين ، فكتب موسى إلى الوليد بما فتح الله عليه وما دعاه إليه يوليان ، فكتب إليه الوليد خُضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحرٍ شديد الأهوال ، فكتب إليه موسى إنه ليس ببحر متسع وإنما هو خليج يبين ما وراءه ، فكتب إليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وإن كـان الأمر على مـا حكيت ، فبعث رجلاً من مواليه يقال لهطريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فسار في أربع سفائن فخرج في جزيرة بالأندلس فسميت جزيرة طريق لنزوله فيها .

ثم أغار على الجزيرة الخضراء فأصاب غنيمة كثيرة ورجع سالماً في رمضان سنة إحدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الغزو ، ثم ان موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له : طـارق بن زياد فبعثـه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر ، والموالي وأقلهم العرب فساروا في البحر وقصد إلى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسُمِّي الجبل جبل طارق إلى اليوم ، ولما ملك عبد المؤمن البلاد أمر

ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الألسنة على الأول، وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة، ولما ركب طارق البحر غلبته عينه فرأى النبي ﷺ ومعه المهاجرين والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فقال له النبي ﷺ : يا طارق تقدم لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ، فنظر طارق فرأى النبي ﷺ وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه فاستيقظ من نومه مستبشراً وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر ، فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل إلى الصحراء وفتح الجزيرة الخضراء فأصاب بها عجوزاً فقالت له : إنّي كان لي زوج وكان عالماً بالحوادث وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه ووصف من نعته أنه ضخم الهامة وأنّ في كتفه الأيسر شامة عليها شعر فكشف طارق ثوبه فإذا الشامة كما ذكرت فاستبشر طارق أيضاً هو ومن معه ونزل من الجبل إلى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل ؛ ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه وكان غائباً في غزاته فرجع منها وطارق قد دخل بلاده فجمع له جمعاً يقال : بلغ مائة ألف .

فلما بلغ طارقاً الخبر كتب إلى موسى يستمده ويخبره بما فتح وأنه زحف إليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به فبعث إليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون اثني عشر ألفاً ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الأخبار ، فأتاهم رذريق في جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضاً لرذريق وقالوا : إن المسلمين إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم وبقي الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر ، وسار طارق إلى مدينة استجة متبعاً لهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالاً شديداً ثم انهزم أهل الأندلس ولمْ يلقَ المسلمون بعدها حرباً مثلها ، ونزل طارق على عينٍ بينها وبين مدينة استجة أربعة أميال فسميت عين طارق إلى الآن ، ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين قذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا يظنون أنه يفعل فعل طريف فهربوا إلى طليطلة ، وكان طريف قد أوهمهم أنه يأكلهم هو ومن معه فلما دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الأندلس قال له

يوليان : قد فرغت من الأندلس ففرق جيوشك وسر أنت إلى طليطلة ، ففرق جيوشه من مدينة استجة ، وبعث جيشاً إلى قرطبة ، وجيشاً إلى غرناطة ، وجيشاً إلى مالقة ، وجيشا إلى تدمير ، وسار هو ومعظم الجيش إلى جيان يريد طليطلة ، فلمّا بلغ طليطلة وجدها خالية وقد لحق من كان بها بمدينة خلف الجبل يقال لها مائة ، فأما الجيش الذي سار إلى قرطبة فإنهم دلهم راعٍ على ثغرة في سورها فدخلوا منها البلد وملكوه ، وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها ـ واسمه تدمير وبه سميت وكان اسمها أرويولة ـ وكان معه جيش كثيف فقاتلهم قتالاً شديداً ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير فأمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها ، وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد .

وأما طارق فلما رأى طليطلة فارغة ضم إليها اليهود وترك معهم رجالاً من أصحابه وسار هو إلى وادي الحجارة فقطع الجبل من فج فيه فُسمّي بفج طارق إلى اليوم ، وانتهى إلى مدينة خلف الجبل تُسمى مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهي من زبرجد أخضر حافاتها وأرجلها منها مُكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت وغير ذلك وكان لها ثلاثمائة وستون رجلاً ، ثم مضى إلى مدينةماية فغنم منها ورجع إلى طليطلة في سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : اقتحم أرض جليقية فخرقها حتى انتهى إلى مدينة أسترقة وانصرف إلى طليطلة ووافته جيوشه التي وجهها من استجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التي سيرهم اليها ودخل موسى بن نصير الأندلس في رمضان سنة ثلاث وتسعين في جمع كثير وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده ، فلما عبر إلى الأندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له : تسلك طريق طارق فأبى فقال له الأدلاء : نحن ندلك على طريق أشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد ووعده يوليان بفتح عظيم فسر بذلك وكان قد غمه ، فساروا به إلى مدينة ابن السليم فافتتحها عنوة ، ثم سار إلى مدينة قرمونة وهي أحصن مدن الأندلس فقدم إليها يوليان وخاصته فأتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح ، فأدخلوهم مدينتهم فأرسل موسى إليهم الخيل ففتحوها لهم ليلاً فدخلها المسلمون وملكوها ، ثم سار موسى إلى اشبيلية وهي من أعظم مدائن الأندلس بنياناً وأعزها آثاراً فحصرها أشهراً وفتحها وهرب من بها فأنزلها موسى اليهود ، وسار إلى مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا إليه فقاتلوه قتالاً شديداً فكمن لهم موسى ليلاً في مقاطع الصخر فلم يرهم الكفار فلما أصبحوا زحف

إليهم فخرجوا إلى المسلمين على عادتهم فخرجوا عليهم من الكمين وأحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلاً ذريعاً ونجا من نجا منهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهراً وقاتلهم وزحف إليهم بدبابة عملها ونقبوا سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمِّي برج الشهداء إلى اليوم ، ثم افتتحها آخر رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر صلحاً ، على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ، ثم إن أهل اشبيلية اجتمعوا وقصدوها فقتلوا من بها من المسلمين ، فسير موسى إليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عنوة وقتل من بها من أهلها وسار عنها إلى لبلة وباجة فملكهما وعاد إلى أشبيلية .

وسار موسى من مدينة ماردة في شوال يريد طليطلة فخرج طارق إليه فلقيه فلما أبصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ، ثم سار به إلى مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم والمائدة أيضاً فأتاه بها وقد انتزع رِجلاً من أرجلها فسأله عنها فقال : لا علم لي كذلك وجدتها فعمل عوضها من ذهب ، وسار موسى إلى سرقسطة ومدائنها فافتتحها وأوغل في بلاد الفرنج فانتهى إلى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنماً قائماً فيه مكتوب بالنقر يا بني إسماعيل إلى ههنا منتهاكم فارجعوا وإن سألتم إلى ماذا ترجعون ؟ أخبرتكم أنكم ترجعون إلى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم أعناق بعض وقد فعلتم فرجع ، ووافاه رسول الوليد في أثناء ذلك يأمره بالخروج عن الأندلس والقفول إليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو في غير ناحية الصنم ويقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاي على البحر الأخضر وهو في قوة وظهور ، فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه وأخذ بعنان بغلته وأخرجه ، وكان موافاة الرسول بمدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من الثغر الأعلى فأقفله معه ومضيا جميعاً .

واستخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، فلما عبر البحر إلى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك ، واستخلف على افريقية وأعمالها ابنه الكبير عبدالله ، وسار إلى الشام وحمل الأموال التي غنمت من الأندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم ومن نفيس

الجوهر والأمتعة ما لا يحصى ، فورد الشام وقد مات الوليد بن عبد الملك واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان منحرفاً عن موسى بن نصير فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأغرمه حتى احتاج أن يسأل العرب في معونته ، وقيل : إنه قدم الشام والوليد حي وكان قد كتب اليه وادعى أنه هو الذي فتح الأندلس وأخبره خبر المائدة ، فلمّا حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق : أنا غنمتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد : سله عن رجلها المعدومة فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فأظهرها طارق وذكر أنه أخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق ، وإنما فعل هذا لأنه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فأخرجه ، وقيل : لم يحبسه ، قالوا : ولما دخلت الروم بلاد الأندلس كان في مملكتهم بيت إذا وُلّي ملك منهم أقفل عليه قفلاً فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم فلما ملك رذريق أراد فتح الأقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الأقفال فرأى في البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب وفيه كتاب إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتحت الأندلس تلك السنة ، فهذا القدر كافٍ في فتح الأندلس ، ونذكر باقي أخبار الأندلس عند أوقات حدوثها على ما شرطنا ان شاء الله تعالى .

ذكر غزوة جزيرة سردانية

هذا الجزيرة في بحر الروم وهي من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية ، واقريطش وهي كثيرة الفواكه ، ولما فتح موسى بلاد الأندلس سير طائفة من عسكره في البحر إلى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها وعمد النصارى إلى ما لهم من آنية ذهب وفضة فألقوا الجميع في المينا الذي لهم وجعلوا أموالهم في سقف بنوه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الأول وغنم المسلمون فيها ما لا يحد ولا يوصف وأكثروا الغلول ، فاتفق أن رجلاً من المسلمين اغتسل في المينا فعلقت رجله في شيء فأخرجه فاذا صحفة من فضة وأخذ المسلمون جميع ما فيه ، ثم دخل رجل من المسلمين إلى تلك الكنيسة فنظر إلى حمام فرماه بسهم فاخطأه ووقع في السقف وانكسر لوح فنزل منه شيء من الدنانير وأخذوا الجميع وازداد المسلمون غلولاً ، فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمي ما في جوفها فيلمؤه دنانير ويخيط عليها ويلقيها في الطريق فإذا خرج أخذها ، وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهباً ، فلما ركبوا في البحر

سمعوا قائلاً يقول : اللهم غرّقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا أكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم ، وفي سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري فقتل من بها قتلاً ذريعاً ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد فعمرها الروم ، فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة أخرج إليها المنصور بن القائم العلوي صاحب افريقية اسطولاً من المهدية فمروا بجنوة ففتحوا المدينة وأوقعوا بأهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا جنوة وغنموا ما فيها ، وفي سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامري من دانية وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مركباً ففتحها وقتل فأكثر وسبى النساء والذرية، فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا إليه وساروا إليه من البر الكبير في جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وأخرجوا من جزيرة سردانية وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد ، وابنه علي بن مجاهد ورجع بمن بقي إلى دانية ولم تغز بعد ذلك ، وإنما ذكرنا جميع أخبارها ههنا لقلتها وإذا تفرقت لم تعرف كما يجب .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصوناً ثلاثة وجلا أهل سوسنة إلى بلاد الروم ، وفي هذه السنة غزا قتيبة سجستان في قول بعضهم وأراد قصد رتبيل الأعظم ، فلما نزل قتيبة سجستان أرسل رتبيل إليه رسلاً بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبدالله الليثي .

وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم .

وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان البصري من ولد نصر بن معاوية بالمدينة وله أربع وتسعون سنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد

وفي هذه السنة صالح قتيبة خوارزمشاه ، وكان سبب ذلك أن ملك خوارزم كان ضعيفاً فغلبه أخوه خرزاد[١] على أمره وكان أصغر منه ، وكان إذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو مالاً أو دابة أو بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فإذا قيل للملك، قال: لا أقوى به وهو مغتاظ عليه، فلما طال ذلك عليه كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحد من مرازبته على ذلك ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهز للغزو وأظهر قتيبة أنه يريد الصغد وسار من مرو ، وجمع خوار زمشاه أجناده ودهاقنته وقال: إن قتيبة يريد الصُّغد وليس يغازيكم فهلموا نتنعم في ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب فقال خوارزمشاه لأصحابه : ما ترون؟ قالوا: نرى أن نقاتله قال: لكني لا أرى ذلك لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكن أصرفه بشيء أؤديه إليه فأجابوه إلى ذلك ، فسار خوارزمشاه فنزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهي أحصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فأرسل إليه خوارزمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ، ومتاع ، على أن يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك ، وقيل : صالحه على مائة ألف رأس ، ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وكان يغازي خوارزمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم بأربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة ، وسلم قتيبة إلى خوارزمشاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة .

---

(١) في الطبري «خرزاذ» بذال معجمة .

ذكر فتح سمرقند

فلما قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام إليه المجشر[١] بن مزاحم السلمي فقال له سراً: إن أردت الصغد يوماً من الدهر فالآن فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا وإنما بينك وبينهم عشرة أيام، فقال: أشار عليك بهذا أحد؟ قال: لا، قال: فسمعه منك أحد؟ قال: لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك، فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الأثقال إلى مرو فسار يومه، فلما أمسى كتب إليه قتيبة إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد وأكتم الأخبار فاني في الأثر، ففعل عبد الرحمن ما أمره، وخطب قتيبة الناس وقال لهم: إن الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم وإني أرجو أن يكون خوارزم، والصغد كقريظة والنضير، ثم سار فأتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع وقدم معه أهل خوارزم، وبخارى، فقاتلوه شهراً من وجه واحد وهم محصورون؛ وخاف أهل الصغد طول الحصار فكتبوا إلى ملك الشاش، وخاقان، واخشاد فرغانة أن العرب إن ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها، فنظروا وقالوا: إنما نؤتى من سفلتنا فإنهم لا يجدون كوجدنا فانتخبوا من أولاد الملوك: وأهل النجدة من أبناء المرازبة، والأساورة، والأبطال وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فإنه مشغول عنه بحصار سمرقند وولّوا عليهم ابنا لخاقان فساروا، وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة، وقيل: ستمائة من أهل النجدة والشجاعة وأعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير إلى عدوهم، فساروا وعليهم صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين، فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم، فلما رأوا صالحاً حملوا عليه فلما اقتتلوا شدّ الكمينان عن يمين وشمال فلم يرَ قوم كانوا أشدّ من أولئك، قال بعضهم: إنّا لنقاتلهم إذا رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سراً فضربت ضربة أعجبتني فقلت: كيف ترى بامي وأبي؟ قال: اسكت فَضَّ الله فاك قال: فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد وحوينا أسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤوسهم، وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا: ما قتلتم إلا ابن ملك أو عظيماً أو بطلاً.

---

(١) في الطبري «المجسر» بالسين المهملة.

كان الرجل يعد بمائة رجل وكتبنا أسماءهم على آذانهم ، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأتِ أحد بمثلٍ ما جئنا به من القتلى والأسرى ، والخيل ، ومناطق الذهب ، والسلاح، قال : واكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة وظننت أنه رأى منهم مثل الذي رأى مني ، ولما رأى الصغد ذلك انكسروا ، ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فأعطاه قتيبة عشرة آلاف ، وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كأنما يناجي نفسه : حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان ؟ أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية ، فانصرف ذلك الرجل فقال لأصحابه : كم من نفس تموت غداً وأخبر الخبر ، فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجدِّ في القتال فقاتلوهم واشتد القتال ، وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثلمة المدينة فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا ، فأرسل الصغد إلى قتيبة فقالوا له : انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً فقال قتيبة : لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثلمة ، وقيل : بل قال قتيبة : جزع العبيد انصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس وأن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم مقاتل فيبني فيها مسجداً ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج ، فلما تم الصلح وأخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاماً ، ثم أرسل إلى الصغد من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجاً منها ولست آخذ منكم إلا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها .

وقيل : إنه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس ، وبيوت النيران ، وحلية الأصنام فقبض ذلك ، وأُتِيَ بالأصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت ، فجاءه غوزك فقال : إن شكرك على واجب لا تتعرض لهذه الأصنام فإن منها أصناماً من أحرقها هلك فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت ، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال ، وأصاب بالصغد جارية من ولد يزجرد فأرسلها إلى الحجاج فأرسلها الحجاج إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل .

وقيل : إن أهل سمرقند خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها ، وقد أمر قتيبة يومئذ بسرير فابرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جازوا قتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته ، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم إلى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاماً ودعا قتيبة فأتاه في عدة من أصحابه ، فلما بعد استوهب منه سمرقند وقال للملك : انتقل عنها فلم نجد بداً من طاعته ، وتلا قتيبة قوله تعالى : ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى﴾[1] وحكى عن الذي أرسله قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند قال: فأرسلني الحجاج إلى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت المسجد فإذا إلى جنبي رجل ضرير فسألني من أين أنت ؟ فقلت : من خراسان وأخبرته خبر سمرقند فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحتموها إلا غدراً وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلبون بني أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجراً حجراً ، فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا لأعدى العيرين لأنه فتح سمرقند، وخوارزم في عام واحد ؛ وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل عادي عيرين ؛ فلما فتحها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال : يا نهار أين قولك :

أَلا ذَهَبَ الغَزْوُ المُقَرِّبُ لِلغِنَى ... ومات النَّدَى والجودُ بَعْدَ المهلبِ
أَقَامَا بِمَرْوَ الرودِ رَهْنَ ضَرِيحِهِ ... فقد غُيِّبَا عن كل شَرْقٍ ومغربِ

أفغزْوٌ هذا يا نهار ؟ قال : لا هذا أحسن وأنا الذي أقول :

ومَا كانَ مُذْ كنا ولا كَان قَبله ... ولا هو فيما بَعدَنَا كابنِ مُسلمِ
أعَم لأهل الشرْكِ[2] قَتْلاً بِسيفِهِ ... وأكثرَ فينا مَقْسماً بَعدَ مَقسمِ

قال : وقال الشعراء في ذلك ، فقال الكميت من قصيدة :

كانت سمرقند أحقابا يمانية ... فاليوم تنسبها قيسية مضر

وقال كعب الأشقري ، وقيل : رجل من جعفى[3] :

---

(١) النجم ٥٠ .
(٢) في الطبري « لأهل الترك » .
(٣) جعفى بن سعد العشيرة أبو حي باليمن .

كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِي قتيبةُ نَهباً ... ويَزِيدُ الأموالَ مَالاً جَدِيدَا
باهِليٌّ قد ألبسَ التاجَ حتى ... شابَ منهُ مَفَارِقٌ كُنَّ سُودَا
دَوَّخَ الصُّغْدَ بالكَتائِبِ حتَّى ... تركَ الصغدَ بالعَراء قُعُودا
فوَلِيدٌ يبكي لفَقدِ أبيهِ ... وأبٌ موجَعٌ يُبَكِّي الوليدا(١)

ثم رجع قتيبة إلى مرو وكان أهل خراسان يقولون : إن قتيبة غدر بأهل سمرقند فملكها غدراً ، وكان عامله على خوارزم إياس بن عبدالله على حربها وكان ضعيفاً ؛ وكان على خراجها عبيدالله بن أبي عبيدالله مولى مسلم ، فاستضعف أهل خوارزم إياساً فجمعوا له ، فكتب عبيدالله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة أخاه عبدالله عاملاً وأمره أن يضرب إياساً ، وحيان النبطي مائة مائة ويحلقهما ، فلما قرب عبدالله من خوارزم أرسل إلى إياس فأنذره فتنحى وقدم عبدالله وأخذ حيان فضربه وحلقه ، ثم وجه قتيبة الجنود إلى خوارزم مع المغيرة بن عبدالله فبلغهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزمشاه وقالوا : لا يغنيك(٢) فهرب إلى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية ، وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور .

ذكر فتح طليطلة من الأندلس

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار إليه في رجب منها واستخلف على أفريقية ابنه عبدالله بن موسى ، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضي عنه وقبل عذره وسيره إلى طليطلة ـ وهي من عظام بلاد الأندلس وهي من قرطبة على عشرين يوماً ـ ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام ، وفيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به ، قلت : لم يزد على هذا ، وقد ذكرت في سنة اثنتين وتسعين من فتح الأندلس ودخول موسى بن نصير إلى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة إلى إعادته إلا أن أبا جعفر قد ذكر أن موسى هو الذي سير طارقاً وهو بالأندلس ففتح مدينة طليطلة ، والذي ذكره أهل الأندلس في تواريخهم ما تقدم ذكره .

---

(١) ذكر الطبري بعد هذه الأبيات بيتا وهو :
كلما حَلَّ بلدَةً أو أتاهَا ... تركتْ خيلُهُ بها أخدُودَا
(٢) في الطبري : « لا نعينك » .

ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

قيل: وفي هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة، وكان سبب ذلك أن عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق؛ فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى الوليد إن من عندي من المراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة، ومكة وإن ذلك وهن، فكتب إليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة، ومكة، فأشار عليه بخالد بن عبدالله، وعثمان بن حيان، فولى خالداً مكة، وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما. فلما خرج عمر من المدينة قال: إني أخاف أن أكون ممن نفته المدينة يعني بذلك قول رسول الله ﷺ «تنفي خبثها» وكان عزله عنها في شعبان، ولما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرهاً وتهدد من أنزل عراقياً أو اجره داراً واشتد على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من إنزال عراقي، وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ إلى مكة، والمدينة، وقيل: إنما استعمل على المدينة عثمان بن حيان، وقد تقدم سنة إحدى وتسعين ولاية خالد مكة في قول بعضهم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سَبَسْطِية[١]، والمرزبانين، وطرسوس، وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة، وفيها غزا مسلمة الروم أيضاً ففتح ماسيسة[٢] وحصن الحديد، وغزالة من ناحية ملطية، وفيها أجدب أهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا.

وفيها كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز قبل أن يعزله يأمره بضرب خُبيب بن عبدالله بن الزبير ويصب على رأسه ماء بارداً فضربه خمسين سوطاً وصب عليه ماءً بارداً في يوم شاتٍ ووقفه على باب المسجد فمات من يومه.

---

(١) سَبَسْطِيَة: مدينة قرب سُمَيْساط محسوبة من أعمالها على أعلَى الفرات ذات سور، والمشهور أنها بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان وبها قبر زكرياء ويحيى بن زكرياء عليهما السلام. وهي من أعمال نابلس.

(٢) في الطبري: «ماسة».

(خبيب) بضم الخاء المعجمة وباءين موحدتين بينهما ياء تحتها نقطتان .

وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد ، وكـان على الأمصار من تقـدم ذكرهم إلا المدينة فإن عاملها عثمان بن حيان قدمها في شوال لليلتين بقيتا منه ، وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبدالله في سنة تسع وثمانين وفي سنة إحدى وتسعين قد ذكرنا أنه وليها هذه السنة .

وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وابو العالية البراء ـ واسمه زياد بن فيروز ـ وكان مولى لأعرابية من بني رياح وليس بأبي العالية الرياحي ذاك كان موته سنة تسعين ، وفيها مات بلال بن أبي الدرداء الأنصاري قاضي دمشق .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر قتل سعيد بن جبير

قيل : وفي هذه السنة قتل سعيد بن جبير ، وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله ، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع ، فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد إلى أصبهان فكتب الحجاج إلى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك ، فأرسل إلى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بمفارقته ، فسار عنه فأتى أذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج إلى مكة فكان بها هو وأُناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحداً أسماءهم ، فلما ولِّيَ خالد بن عبدالله مكة قيل لسعيد : إنه رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال : والله لقد فررت حتى استحييت من الله ويستجيئني ما كتب الله لي ، فلما قدم خالد مكة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ، ومجاهدا وطلق بن حبيب فأرسلهم إليه فمات طلق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج ، وكان سيرهم مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الآخر فقال لسعيد ـ وقد استيقظ من نومه ليلاً ـ : يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك إني رأيت في منامي فقيل لي : ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فإني لا أطلبك فأبى سعيد ، فرأى ذلك الحرسي مثل تلك الرؤيا ثلاثاً ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل ، فقدموا به الكوفة فأنزل في داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدّثهم وهو يضحك وبنية له في حجره ، فلما نَظرت إلى القيد في رجله بكت .

ثم أدخلوه على الحجاج فلما أتي به قال : لعن الله ابن النصرانية ـ يعني خالداً وكان هو أرسله ـ أما كنت أعرف مكانه بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد أَلَمْ أشركك في إمامتي ؟ ألم أفعل ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى

قال : فما أخرجك علي؟ قال : إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطىء مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ، ثم عاوده في شيء فقال : إنما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وانتفخ وقال : يا سعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك قال : بلى ؟ قال : ثم قدمت الكوفة والياً فجددت البيعة فأخذت بيعتك لأمير المؤمنين ثانية ؟ قال : بلى قال : فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين وتُوفي بواحدة للحائك بن الحائك والله لأقتلنَّك قال : إني إذاً لسعيد كما سمَّتني أمي فأمر به فضربت رقبته فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطئة ، فلما سقط رأسه هلّل ثلاثاً أفصح بمرة ولم يفصح بمرتين ، فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول : قيودنا قيودنا فظنوا أنه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود ، وكان الحجاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدو الله فيم قتلتني ؟ فيقول : مالي ولسعيد بن جبير مالي ولسعيد بن جبير .

ذكر غزوة الشاش وفرغانة

في هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم إلى الشاش وتوجه هو إلى فرغانة فأتى خُجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مراراً كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ، ثم ان قتيبة أتى كاشان مدينة فَرغَانة وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها وانصرف إلى مرو ، وقال سحبان يذكر قتالهم بخجندة :

فَسَلِ الفَوارِسَ في خُجَندَةَ ... تَحْتَ مرهَفَة العَوَالي
هل كُنتُ أجْمَعُهُمْ إذا ... هُزِموا وأقدِمُ في القِتَال[1]
أم كُنْتُ أضرِبُ هامَةَ ... العافي[2] وأصبِرُ للعَوَالي
هذا وأنت قريعُ قَيْسٍ ... كُلهَا ضَخْمُ النَّوَالِ
وفَضَلتَ قيساً في النَّدَى ... وأبوك في الحِجَجِ الخَوالي
ولقد تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكمِكَ ... فيهم في كلِّ حالِ
تمَّتْ مروءَتُكُم ونا ... غَىْ عِزكُمْ غُلبَ الجِبَالِ

---

(١) في الطبري « قتالي » .

(٢) في الطبري « العاتي » .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية ، وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة ، وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام ، ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية ، وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوماً فخربت البلاد وكان عظم ذلكْ في أنطاكية .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند ، وتوفي في هذه السنة علي بن الحسين في أولها ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، واستقضى الوليد على الشام سليمان بن حبيب ، وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك ، وقيل : عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله ، وبالمدينة عثمان بن حيان ، وبمصر قرّة بن شريك ، وبخراسان قتيبة من قبل الحجاج .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر غزوة الشاش

قيل : وفي هذه السنة بعث الحجاج جيشاً من العراق إلى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال منها فغمّه ذلك وتمثل يقول :

لَعَمْــري لنْعمَ المْــرءُ من آلِ جَعْفَــر بحَــوْرَان أمسى أَعَلقَتْــهُ الحَبَــائــلُ

فإن تَحْيَىٰ لي أملك[١] حياتي وان تَمُتْ فمـا في حَيَـاةٍ بَعـدَ مَـوتِـكَ طَـائــلُ

ورجع إلى مرو وتفرّق الناس ، فأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك فأتم مغازيك[٢] وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر إلى بلائك والثغر الذي أنت فيه .

ذكر وفاة الحجاج بن يوسف

قيل : إن عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك فقال : الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرة بمصر ، وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأَرِح الناس فلم يمض غير قليل حتى توفي الحجاج ، وقرة بن شـريك في شهـر واحد ثم تبعهم الـوليد وعـزل عثمان ، وخالد واستجاب الله لعمر ، وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد ابن أبيه حيث كتب إلى معاوية يقول له : قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة ـ يعرض بامارة الحجاز ـ فقال ابن عمر لما بلغه ذلك : اللهم أَرِحْنَا من يمين زياد وأَرِح أهل العراق من شماله ، فكان أول خبر جاءه موت زياد وكانت وفاة الحجاج في شوال سنة

---

(١) في الطبري : « فإن تحيىٰ لا أملل حياتي » .

(٢) في الطبري « فالمم مغازيك » .

خمس وتسعين ، وقيل : كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة ، وقيل : ثلاث وخمسون سنة ، وكانت ولايته العراق عشرين سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبدالله بن الحجاج ، واستخلف على حرب الكوفة ، والبصرة يزيد بن أبي كبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن مسلم فأقرّهما الوليد بعد موته ولم يغير أحداً من عمال الحجاج .

ذكر نسبه وشيء من سيرته

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي ، قال قتيبة بن مسلم : خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، إنه بيت الغربة ، وبيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى من حوله ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول في خطبته خطبنا عثمان فقال في خطبته : ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبرٍ أو ذكره إلا بكى ، وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس ، وأنس ، وقال ابن عوف : كنت إذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن أفصح ، وقال عبد الملك بن عمير : قال الحجاج يوماً : من كان له بلاء فليقم فلنُعطِه على بلائه ، فقام رجل فقال : أعطني على بلائي قال : وما بلاؤك ؟ قال : قتلت الحسين قال : فكيف قتلته ؟ قال : دسرته بالرمح دسراً وهبرته بالسيف هبراً وما أشركت معي في قتله أحداً قال : فإنك لا تجتمع أنت وهو في مكان واحد ثم قال : اخرج ولم يعطه شيئاً .

قيل : وكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بقتل أسلم بن عبد البكري بشيء بلغه عنه فأحضره الحجاج فقال: أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا﴾[1] الآية والذي بلغه عني باطل فاكتب إلى أمير المؤمنين أني أعول أربعاً وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه ، وهذه عمته ، وزوجته ، وابنته ، وكان في آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها : من أنت منه ؟ قالت : ابنته أصلح الله الأمير ثم أنشأت تقول :

أحجاجُ لم تشهدْ مقامَ بناتِهِ وعماتِه يَنْدُبْنَهُ الليلَ أجمعا

---

(١) الحجرات ٦ .

أحجاجُ لم تقتلْ به إن قَتَلْتَهُ ثماناً وعشراً واثنتين وأربعا
أحجاجُ من هذا يقومُ مقامَهُ علينا فمهلاً ان تزدنا نضعضعا
أحجاجُ إما أن تجودَ بنعمةٍ علينا وإما أنْ تَقْتُلنا معا

فبكى الحجاج وقال : والله لا أُعَنْتُ الدهرَ عليكُنَّ ولازدْتُكُنَّ تضعضعاً ، وكتب إلى عبد الملك بخبر الرجل والجارية ، فكتب إليه عبد الملك إن كان الأمر كما ذكرت فأحسن صلته وتفقد الجارية ففعل .

وقال عاصم بن بهدلة : سمعت الحجاج يقول : اتقوا الله ما استطعتم هذا والله مثنوية واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ليس فيه مثنوية ، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلَّت لي دماؤكم ، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد ـ يعني ابن مسعود ـ إلا ضربت عنقه ولا حكنها من المصحف ولو بضلع خنزير ، وقد ذكر ذلك عند الأعمش فقال : وأنا سمعته يقول فقلت في نفسي : لأقرأنها على رغم أنفك ، قال الأوزاعي : قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، قال منصور : سألنا إبراهيم الشجاعي عن الحجاج فقال : ألم يقل الله ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين﴾[1] .

قال الشافعي : بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج : ما من أحد إلا وهو عارف بعيوب نفسه فَعِبْ نفسك ولا تخبّأ منها شيئاً قال : يا أمير المؤمنين أنا لجوج حقود فقال له عبد الملك : إذاً بينك وبين إبليس نسب فقال : إن الشيطان إذا رآني سَالَمني ، قال الحسن : سمعت عليّاً على المنبر يقول: اللهم ائتمنتهم فخانوني ونصحتهم فغشّوني ، اللهم فسلِّط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول : الزبال مفجر الأنهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها ، قال الحسن : هذه والله صفة الحجاج، قال حبيب بن أبي ثابت: قال علي لرجل: لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف قيل له: يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف؟ قال: ليقالن له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنم، رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه ، وقيل : أحصِيَ من قتله الحجاج صبراً فكانوا مائة ألف وعشرين

(١) هود ١٨ .

ألفاً ، وقيل : إن الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في مشيته فقال رجل لخالد : من هذا ؟ قال خالد : بَخٍ بَخٍ هذا عمرو بن العاص فسمعهما الحجاج فرجع وقال : والله ما يسرني أن العاص ولدني ولكني ابن الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش ، وأنا الذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهد أن أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر ثم ولّى وهو يقول : بخ بخ عمرو بن العاص فهو قد اعترف في بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد .

ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور ، والبغرور وكان قد فتحهما فأعطى الناس ، ووجه إلى البيلمان جيشاً فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة ، وسأله أهل سرشت وهي مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر ، ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر ، فقاتله فانهزم دوهر وهرب ، وقيل : بل قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى ، قال الشاعر :

نحن قتلنا ذاهراً ودوهراً   والخيل تردى منسراً فمنسرا

ومات الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فأخذ محمداً وقيده وحمله إلى العراق فقال محمد متمثلاً :

أضاعُوني وأيُّ فتىً أضاعوا   لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وسَدَادِ ثَغْرِ

فبكى أهل السند على محمد ، فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال :

فلئن ثَوَيْتُ بواسطٍ وبأرضِها   رهنَ الحديدِ مُكَبَّلاً مَغْلولا
فلرُبَّ قَينةَ فارسٍ قَدْ رَعْتُها   ولَربَّ قِرنٍ قَدْ تَرَكْتُ قتيلا

وقال :

ولو كنتُ أجمعَتُ الفِرارَ لوطئتْ   إناثٌ أُعدت للوغى وذكورُ
وما دخلتْ خيلُ السكاسِكِ أرضَنا   ولا كان من عُكّ عليَّ أميرُ
وما كنتُ للعبدِ المزوني تابعاً   فيا لكَ دهرٌ بالكرام عَثُورُ

فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم ، وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح وكان يرى رأي الخوارج ، وقال حمزة بن بيض الحنفي يرثي محمداً :

ان المروءَةَ والسماحةَ والندىٰ   لمحمدِ بنِ القاسمِ بن محمدِ
ساسَ الجيوشَ لسبعَ عشرةَ حجةً   يا قُرْبَ ذلك سودَداً من مَوْلِدِ

وقال آخر :

ساس الرجالَ لسبعَ عشرَ حجةً   ولداته إذ ذاك في أشغال

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً ، واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند إلى ممالكهم ورجع جيشبة بن ذاهر إلى برهمناباذ فنزل حبيب على شاطىء مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوماً فظفر بهم ، ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الاسلام والطاعة على أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فأسلم جيشبة والملوك وتسموا بأسماء العرب ، وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ، ثم إن الجنيد بن عبد الرحمن ولي السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة بن ذاهر العبور وأرسل إليه أني قد أسلمت وولاني الرجل الصالح بلادي ولست آمنك فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً على خراج بلاده ثم ترادا وكفر جيشبة وحارب ، وقيل : انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعاً وأعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا في بطيحة فأخذ جيشبة أسيراً وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد ، وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله ، وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذ كشباً وصكَّ بها سور المدينة فثلمه ودخلها فقتل وسبى ، ووجه العمال إلى المرمذ ، والمندل ، ودهنج وبرونج ، وكان الجنيد يقول : القتل في الجزع اكبر منه في الصبر .

ووجه جيشاً إلى أزين فأغاروا عليها وحرقوا ربضها ، وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل مثلها ، وولى الجنيد تميم بن زيد القيني فضعف ووهن ومات قريباً من الديبل ، وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا

مراكزهم ، ثم ولى الحكم بن عوام الكلبي وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين ، وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض إليه عظيم الأمور فأغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهي التي ينزلها الأمراء ، واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته ، وكان خالد القسري يقول : واعجباً وليت فتى العرب ـ يعني تميماً ـ فرفض وترك ووليت أبخل العرب فرضي بـه ، ثم قتل الحكم وكـان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية بعد ذلك إلى أن جاءت الدولة المباركة العباسية ، ونحن نذكر إن شاء الله أيام المأمون بقية أخبار السند .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها .

وفيها فتح آخر الهند إلا الكيرج ، والمندل .

وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين .

وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ونحو ألف رجل معـه ، وفيها ولـد المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، وحج بالناس هذه السنـة بشير بن الوليد بن عبد الملك ، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم ، وفيهـا مات أبو عثمان النهدي ـ اسمه عبد الرحمن بن مل ـ وكان عمره مائة وثلاثين سنة ، وقيل في موته غير ذلك ، وفيها مات سعد بن أياس أبو عمرو الشيباني وله مائة وعشرون سنة .

وفي امارة الحجاج مات سفينة مـولى رسول الله ﷺ ، وفي هـذه السنة مـات سالم بن أبي الجعد ، وفيها مات جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ـ وهو أخو عبدالله بن مروان من الرضاعة ، وفي امارة الحجاج قتل أبو الأحوص عوف بن مـالك بن نضلة الجشمي الكوفي قتله الخوارج .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر

وفي هذه السنة غـزا قتيبة كـاشغر فسـار وحمل مـع الناس عيـالاتهم ليضعهم بسمرقند ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه ومضى إلى فرغانة ، وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى كاشغر ـ وهي أدنى مدائن الصين ـ وبعث جيشاً مع كثير بن فـلان إلى كاشغـر ، فغنم وسبى سبياً فختم أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين ، فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إليَّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم ، فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال ، وألسن ، وبأس وعقل ، وصلاح ، فأمر لهم بعدّة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم : إذا دخلتم عليه فاعلموه أني قد حلفت أني لا أنصـرف حتى أطأ بـلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم ، فسـاروا وعليهم هبيرة فلما قدموا عليهم دعاهم ملك الصين فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه . فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : رأينا قوماً ما هم إلا نساء ما بقي منا أحد إلا انتشر ما عنده . فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشي والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه ، فلمّا دخلوا قيل لهم : ارجعوا ، وقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك .

فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض ، والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا ، فنظر اليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة . فلما دنوا ركزوا رماحهم وأقبلوا مشمّرين فقيل لهم : ارجعوا فركبوا خيولهم وأخـذوا

رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء . فلما أمسى بعث اليهم أن ابعثوا إليّ زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة بن مُشَمْرَج فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في يدي بمنزلة البيضة في كفي وإني سائلكم عن أمر فإن لم تصدقوني قتلتكم قال : سَلْ قال : لِمَ صنعتم بزيكم الأول اليوم الأول والثاني والثالث ما صنعتم ؟ قال : أما زينا اليوم الأول فلباسنا في أهلنا ، وأما اليوم الثاني فزينا إذا أممنا أمراءنا ، وأما الثالث فزينا لعدونا قال : ما أحسن ما دبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فإني قد عرفت قلة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يهلككم ، قالوا : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأما تخويفك إيّانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه . وقد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية ، فقال : فإنا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطؤه ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها ، فبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن ، فقدموا على قتيبة فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمان وردهم ووطىء التراب فقال سوادة بن عبد الملك السلولي :

لا عَيبَ في الوفدِ الذينَ بَعَثْتَهُمْ ... للصّينِ إنْ سَلكوا طريقَ المَنْهَجِ
كسرُوا الجفونَ على القَذىٰ خوفَ الردَىٰ ... حَاشَىٰ الكريمَ هبيرةَ بن مُشَمْرَجِ[1]
أدّى رسالتَكَ التي استَدْعَيْتَهُ[2] ... فأتاك[3] من حنث اليمين بمخرج

فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد فمات بقرية من فارس فرثاه سوادة فقال :

للهِ درُّ[4] هبيرة بنِ مُشمرجِ ... ماذا تَضَمَّنَ من ندىً وجَمَالِ
وبُديهةٍ تعنىٰ[5] بها أبناؤُها ... عند احتفالِ مَشَاهدِ الأقوالِ

---

(١) أورد الطبري بعد هذين البيتين بيتاً وهو :

لَمْ يَرْضَ غيرَ الختم في أعناقِهم ... ورهائنٍ دُفِعَتْ بحملِ سَمَرَّجِ

(٢) في الطبري « استرعيته » .

(٣) في الطبري « وأتاك » .

(٤) في الطبري « للّه قبرٌ »

(٥) في الطبري « يعيا بها » .

كـان الـربيــع إذا السنـونُ تَتَــابَعَتْ والـليثَ عـنــد تَكَـعْكُــع الأبــطالِ
فَسَقَى[١] بقــريــة حيثُ أمسى قبــرُهُ غُـــرٌّ يَــرُحْـنَ بـمُــسـبـلٍ هَــطَّالِ
بكَتِ الجيــادُ الصــافنــاتُ لفَقــدِه وبَــكــاه كــلُّ مُـثَـقَّـفٍ عَــسَّــال
وبكتْــهُ شُعْثٌ لم يَجِــدْنَ مُــواسِيــاً في العــام ذي السَّنَـواتِ والامْحَــال

ووصل الخبر إلى قتيبة في هذه الغزاة بموت الوليد وكان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثني عشر فرساً من جياد الخيل واثني عشر هجيناً فتحـدر إلى وقت الغزو[٢] فإذا تأهب للغزو ضمرها وحمل عليها الطلائع ، وكان يجعل الطلائع فرسان الناس وأشرافهم ومعهم من العجم من يستنصحه ، وإذا بعث طليعة أمر بلوحٍ فنُقِشَ ثم شَقَّهُ بنصفين وجعل شِقَّهُ عنده ويعطي نصفه الطليعة ويأمرهم أن يدفنوه في موضع يصفه لهم من شجرة أو مخاضة أو غيرهما ثم يبعث بعد الطليعة من يستخرجه ليعلم أصدقت الطليعة أم لا .

وفيها غزا بشر بن الوليد الشاتية ورجع وقد مات الوليد .

ذكر موت الوليد بن عبد الملك

وفي النصف من جُمادىٰ الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك في قول جميعهم ، وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر ، وقيل : تسع سنين وثمانية أشهر ، وقيل : وأحدَ عشر شهراً ، وكانت وفاته بِدير مُرَان ودفن خارج الباب الصغير وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر ، وقيل : كان عمره خمساً وأربعين سنة ، وقيل : ستاً وأربعين سنة وأشهراً ، وقيل : تسعاً وأربعين وخلّف تسعة عشر ابناً[٣] ، وكان دميماً يتبختر في مشيته ، وكان سائل الأنف جداً فقيل فيه :

---

(١) في الطبري « فسقت بقرية » .
(٢) في الطبري فيقام عليها الى وقت الغزو » .
(٣) وهم على ما ذكرهم الطبري . عبد العزيز . ومحمد . والعباس . وابراهيم . وتمام . وخالد . وعبد الرحمن . ومبشر . ومسرور . وأبو عبيدة . وصدقة . ومنصور . ومروان . وعنبسة ، وعمر . وروح . وبشر . ويزيد . ويحيى . أم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية وسائـرهم لأمهات شتى .

فقدت الوليد وأنفاً له كمثل الفصيل بدا أن يبولا

ولما دُليَ في جنازته جمعت ركبتاه إلى عنقه فقال ابنه : أعاش أبي ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز ـ وكان فيمن دفنه ـ : عوجل والله أبوك واتعظ به عمر .

ذكر بعض سيرة الوليد

كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم ، بنى المساجد مسجد دمشق ، ومسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى ، ووضع المنابر ، وأعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً ، وفتح في ولايته فتوحاً عظاماً منها الأندلس ، وكاشغر ، والهند ، وكان يمر بالبقالِ فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقلٍ فيقول : بِكَمْ هذه ؟ فيقول : بفلس فيقول : زد فيها .

وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع فكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء ، وكان سليمان صاحب طعام ونكاح فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن النكاح والطعام ، وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن الخير ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ ومرض الوليد مرضه قبل وفاته وأغمي عليه فبقي يومه ذلك كأنه ميت فبكوا عليه ، وسارت البرد بموته فاسترجع الحجاج وشد في يده حبلاً إلى اسطوانة وقال : اللهم لا تسلّط علي من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبله ، فبينما هو كذلك يدعو إذ قدم عليه البريد بإفاقته ، ولما أفاق الوليد قال : ما أحد أشد سروراً بعافيتي من الحجاج ثم لم يمت حتى قفل الحجاج عليه ، وكان الوليد أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز فأبى سليمان فكتب إلى عماله ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلا الحجاج ، وقتيبة ، وخواص من الناس ، فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه فأبطأ فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه وأخرج خيمه فمات قبل أن يسير اليه ، ولما أراد أن يبني مسجد دمشق كان فيه كنيسة فهدمها وبناها مسجداً فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا اليه ذلك فقال لهم عمر : إنّ ما كان خارج المدينة فتح عنوة ونحن نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة ونبنيها مسجداً ، فقالوا : بل ندع لكم هذا ودعوا كنيسة توما ، وكان الوليد لحاناً لا يحسن النحو دخل

عليه إعرابي فمت اليه بصهر بينه وبين قرابته فقال له الوليد : من ختنَك ؟ ـ بفتح النون ـ وظن الاعرابي أنه يريد الختان فقال : بعض الأطباء فقال له سليمان : إنما يريد أمير المؤمنين من ختنُك ؟ وضم النون فقال الأعرابي : نعم فلان وذكر ختنه ، وعاتبه أبوه على ذلك وقال : انه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ودخل بيتاً فلم يخرج منه ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل منه يوم دخل فقال عبد الملك : قد أعذر ، قيل : إنه لما ولي الخلافة كان يختم القرآن في كل ثلاث ، وكان يقرأ في رمضان كل يوم ختمة ، وخطب يوماً فقال : يا ليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز : عليك وأراحتنا منك .

ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبيعته

وفي هذه السنة بويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه الوليد وهو بالرملة .

وفيها عزل سليمان بن الملك عثمان بن حيان عن المدينة لسبع بقين من رمضان واستعمل عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . وكان عثمان قد عزم على أن يجلد أبا بكر ويحلق لحيته من الغد ، فلما كان الليل جاء البريد إلى أبي بكر بتأميره وعزل عثمان وحده وأن يقيده ، وفيها عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق واستعمل يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره بقتل بني عقيل وبسط العذاب عليهم ـ وهم أهل الحجاج ـ فكان يعذبهم ويلي عذابهم عبد الملك بن المهلب ، وكان يزيد بن المهلب قد استعمل أخاه زياداً على حرب عثمان .

ذكر مقتل قتيبة

قيل : وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان ، وكان سبب قتله ان الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان من ولاية العهد ويجعل بدله ابنه عبد العزيز فأجابه إلى ذلك الحجاج ، وقتيبة على ما تقدم ، فلما مات الوليد وولي سليمان خافه قتيبة وخاف أن يولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان فكتب قتيبة إلى سليمان كتاباً يهنئه بالخلافة ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك ، والوليد وانه له على مثل ذلك ان لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتاباً آخر يعلمه فيه بفتوحه ونكايته وعظم

قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم وعظم صولته فيهم ويذم أهل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه وبعث الكتب مع رجل من باهلة فقال له : ادفع الكتاب الأول إليه فإن كان يزيد حاضراً فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد فادفع اليه هذا الثاني فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع اليه هذا الثالث ، فان قرأ الكتاب الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين ، فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب فقرأه وألقاه إلى يزيد فدفع اليه الكتاب الآخر فقرأه وألقاه إلى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه وختمه وأمسك بيده .

وقيل : كان في الكتاب الثالث لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنّي لأخلعنّك ولأملأنها عليك رجالاً وخيلاً ، ثم أمر سليمان برسول قتيبة فأنزل ثم أحضره ليلاً فأعطاه دنانير جائزته وأعطاه عهد قتيبة على خراسان وسيّر معه رسولاً بذلك ، فلما كانا بحلوان بلغهما خلع قتيبة فرجع رسول سليمان ، وكان قتيبة لما هم بخلع سليمان استشار اخوته فقال له أخوه عبد الرحمن : أقطع بعثاً فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوماً إلى مرو وسر حتى تنزل سمرقند وقل لمن معك : من أحب المقام فله المراسلة ومن أراد الانصراف فغير مستكره فلا يقيم عندك إلا مناصح ولا يختلف عليك ، وقال له أخوه عبدالله : اخلعه مكانك فلا يختلف عليك رجلان ، فخلع سليمان مكانه ودعا الناس إلى خلعه وذكر أثره فيهم وسوء أثر من تقدمه فلم يجبه أحد فغضب وقال : لا أعز الله من نصرتم ثم والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها ، يا أهل السافلة ، ولا أقول يا أهل العالية ، أو باش الصدقة جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب ، يا معشر بكر بن وائل يا أهل النفخ والكذب والبخل بأي يوميكم تفخرون بيوم حربكم أو بيوم سلمكم ، يا أصحاب مسيلمة يا بني ذميم ولا أقول : تميم يا أهل الجور[1] والقصف كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح يا معشر عبد القيس الفساة تبدلتم بتأبير النخل أعنّة الخيل ، يا معشر الأزد تبدلتم بقلوس السفن أعنّة الخيل ، إنّ هذا بدعة في الاسلام الأعراب وما الأعراب لعنة الله عليهم ، يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيح ، والقيصوم ومنابت الفلفل تركبون البقر ، والحُمُر ، فلما جمعتكم قلتم : كيت

---

(١) في الطبري « يا أهل الخور » .

وكيت ، أما والله إني لابن أبيه وأخو أخيه والله لأعضبنَّكم عضب السلم[١] إن حول الصليان[٢] لزمزمة ، يا أهل خراسان تغدرون مِن وليكم يزيد بن مروان كـأني بأميـر جاءكم فغلبكم على فيئكم وظلالكم ارموا غرضكم القصي حتى متى يتبطح أهل الشام بأفنيتكم ؟ يا أهـل خراسـان انسبوني تجـدوني عراقي الام ، والمـولد ، والـرأي ، والهوى ، والدين وقد أصبحتم فيما ترون من الأمن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وامن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز فاحمدوا الله على العافية واسألوه الشكر والمزيد ، ثم نزل فدخل بيته فأتاه أهله وقالوا : ما رأيناك كاليوم قط ولاموه ، فقال : لما تكلمت فلم يُجبني أحد غضبت فلم أدرِ ما قلت ، وغضب الناس وكرهوا خلع سليمـان فأجمعـوا على خلع قتيبة وخـلافه ، وكـان أول من تكلم الأزد فـأتـوا حضين بن المنذر ـ بضاد معجمة ـ فقالوا : إن هذا قد دعا إلى خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا وقد شتمنا فما ترى ؟ فقال : إن مضر بخراسان كثيرة وتميم أكثرها وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضر فإن أخرجتموهم منه أعانوا قتيبة فأجابوه إلى ذلك وقالوا : من ترى من تميم ؟ قال : لا أرى غير وكيع فقال حيان النبطي مولى بني شيبان : إن أحداً يتولى هذا غير وكيع ليصلى بحرّه ويبذل دمه ويتعرض للقتل فإن قدم أمير أخذه بما جنى فانه لا ينظر في عاقبة وله عشيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسته إذ صرفها عنه وصيّرها لضرار بن حصين الضبي فمشى الناس بعضهم إلى بعض سراً ، وقيل لقتيبة : ليس يفسد أمر الناس الاحيان فأراد أن يغتاله ـ وكان حيان يلاطف خدم الولاة[٣] فدعا قتيبة رجلاً فأمره بقتل حيان ، وسمع بعض الخدم فأتى حيان فأخبره فلما جاء رسوله يـدعوه تمـارض ، وأتى الناس وكيعـاً وسألـوه أن يلي أمرهم ففعـل وبخراسان يومئذ من أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف ورئيسهم حضين بن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضرار بن حصين ، ومن عبـد القيس أربعة آلاف وعليهم عبـدالله بن علوان ، ومن الأزد عشرة الاف وعليهم عبدالله بن حوذان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم جهم بن زحـر ، والموالي

---

(١) في الطبري « لأعصبنكم عصب السلمة » .

(٢) الصليان بصاد مشددة مكسورة فلام مشددة مكسورة فياء مثناة من تحت فألف فنون نبت تحب الخيل أكله .

(٣) في الطبري « حشم الولاة » وحشم الرجل خاصته الذين يغضبون له أو يغضب هو لهم من أهل وعبيد .

سبعة آلاف عليهم حيان ـ وهو من الديلم ، وقيل : من خراسان وإنما قيل له : نبطي للكنته ، فأرسل حيان إلى وكيع إن أنا كففت عنك وأعنتك أتجعل لي الجانب الشرقي من نهر بلخ خراجه ما دمت حياً وما دمت أميراً ؟ قال : نعم ، فقال حيان للعجم : هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ففعلوا فبايعوا وكيعاً سراً .

وقيل لقتيبة ، إن الناس يبايعون وكيعاً فدس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سراً فظهر لقتيبة أمره ، فأرسل يدعوه فوجده قد طلى رجليه بمغرة وعلق على رأسه حرزاً وعنده رجلان يرقيان رجله فقال للرسول : قد ترى ما برجلي ، فرجع فأخبر قتيبة فأعاده إليه يقول له : لتأتيني محمولاً قال : لا أستطيع ، فقال قتيبة لصاحب شرطته : انطلق إلى وكيع فأتني به فإن أبى فاضرب عنقه ووجه معه خيلاً ، وقيل : أرسل اليه شعبة بن ظهير التميمي فقال له وكيع : يا ابن ظهير البث قليلاً تلحق الكتائب ولبس سلاحه ونادى في الناس فأتوه وركب فرسه وخرج فتلقاه رجل فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد قال : ما اسمك ؟ قال : ضرغامة قال : أين من ؟ قال : ابن ليث فأعطاه رايته ، وقيل : كانت مع عقبة بن شهاب المازني وأتاه الناس ارسالاً من كل وجه فتقدم بهم وهو يقول :

قَرْمٌ إذا حُمّلَ مَكْروهَةً   شَدَّ الشَّراسِيفَ[1] لها والحَزيمُ

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواص أصحابه وثقاته منهم إياس بن بيهس بن عمرو ـ وهو ابن عم قتيبة فأمر قتيبة رجلاً فنادى أين بنو عامر ؟ فقال له محقر بن جَزء العلائي[2] ـ وهو قيسي أيضاً وكان قتيبة قد جفاهم ـ نادهم حيث وضعتهم قال قتيبة : نادِ أذكركم الله والرحم قال : محقر أنت قطعتها قال : ناد لكم العقبى[3] قال : محقر لا أفاء لنا الله إذن[4] فقال قتيبة عند ذلك :

يا نَفْس صبراً على مَا كان من ألمٍ   إذ لم أجدْ لفضولِ العيشِ[5] أقرانا

---

(١) الشراسيف جمع شرسوف وهو غضروف معلق بكل ضلع .

(٢) في الطبري : « محفن بن جزء الكلابي » .

(٣) في الطبري : « ناد لكم العتبي » .

(٤) في الطبري : « لا أقالنا الله إذا » .

(٥) في الطبري : « القوم » .

ودعا ببرذون له مدرب ليركبه فجعل يمنعه حتى أعيا فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فجلس عليه وقال : دعوه إن هذا أمرٌ يُراد .

وجاء حيان النبطي في العجم وقتيبة واجدٌ عليه فقال عبدالله أخو قتيبة لحيان : احمل عليهم فقال حيان : لم يَأْنِ بعدُ . فقال عبدالله : ناولني قوسي فقال حيان : ليس هذا بيوم قوس ، وقال حيان لابنه : إذا رأيتني قد حولت قلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع فملْ بمن معك من العجم إليّ فلما حول حيان قلنسوته مالت الأعاجم إلى عسكر وكيع وكبّروا ، فبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجل من بني ضبة ، وقيل : من بلعم فأصاب رأسه فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل فوضع في مصلاه وجلس قتيبة عنده ساعة ، وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن أخو قتيبة نحوهم فرماه أهل السوق والغوغاء فقتلوه ؛ وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة فقال له قتيبة : أنج بنفسك فقال : بئس ما جزيتك إذاً وقد أطعمتني الجردق وألبستني النرمق[1] ، وجاء الناس حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه وجرح قتيبة جراحات كثيرة ، فقال جهم بن زَحر بن قيس لسعد : انزل فحز رأسه فنزل سعد فشق الفسطاط واحتز رأسه، وقتل معه من أهله إخوته عبد الرحمن ، وعبدالله ، وصالح ، وحصين ، وعبد الكريم بنو مسلم ، وقتل كثير ابنه ، وقيل : قتل عبد الكريم بقزوين ، وكان عدة من قتل مع قتيبة من أهل بيته أحد عشر رجلاً ، ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة نجاه أخواله وكانت أمه الغبراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة القيسية ، فلما قتل قتيبة صعد وكيع المنبر فقال : مثلي ومثل قتيبة كما قال الأول : من يَنِكِ العيرَ يَنِكْ نيَّاكَا ، أراد قتيبة قتلي وأنا قتال :

قد جرَّبوني ثم جَربوني   من غلوتَيْنِ ومن المِئتينِ
حتى إذا شِبْتُ وشَيَّبوني   خلُّوْا عِناني وتَنكَّبُوني

أنا أبو مطرف ثم قال :

أنا ابن خِنْدِفَ تنْمِينيْ قَبائِلُها   بالصالحاتِ وعمّي قَيْسُ عَيْلَانا

---

(١) الجردق : الرغيف (معرب) والزمق : اللبن.

ثم أخذ بلحيته فقال :

شـيـخٌ إذا حُـمّـلَ مـكـروهـةً   شـدَّ الشَّـراسِيفَ لهـا والـحَـزيمْ

والله لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن، إن مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أعلى أسعاركم، والله ليصيرن القفيز بأربعة دراهم أو لأصلبنّه، صلوا على نبيكم، ثم نزل وطلب رأس قتيبة وخاتمه فقيل له: إن الأزد أخذته فخرج وكيع مشهراً وقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسي معه، فقال له حضين: أسكن يا أبا مطرف فإنك تؤتى به وذهب حضين إلى الأزد وهو سيدهم فأمرهم بتسليم الرأس إلى وكيع فسلموه إليه فسيره إلى سليمان مع نفر ليس فيهم تميمي، ووَفىٰ وكيع لحيان النبطي بما كان ضمن له، فلما أُتي سليمان برأس قتيبة ورؤوس أهله كان عنده الهذيل بن زفر بن الحرث فقال له: هل ساءك هذا يا هذيل؟ فقال: لو ساءني لساء قوماً كثيراً، فقال سليمان: ما أردت هذا كله، وإنما قال سليمان هذا للهذيل لأنه هو وقتيبة من قيسَ عيلان، ثم أمر بالرؤوس فدفنت، ولما قتل قتيبة قال رجل من أهل خراسان: يا معشر العربْ قتلتم قتيبة والله لو كان منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح به إذا غزونا وما صنع أحد بخراسان قط ما صنع قتيبة إلا أنه غدر، وذلك أن الحجاج كتب اليه أن اختلهم واقتلهم في الله، وقال الأصبهبذ: قتلتم قتيبة، ويزيد بن المهلب، وهما سيدا العرب فقيل له: أيهما كان أعظم عندكم وأهيَبْ؟ فقال: لو كان قتيبة بأقصى جحر في الغرب مكبلاً ويزيد معنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد؛ وقال الفرزدق في ذلك:

أتـاني ورَحْلي في المـدينـة وقعـة   لآلِ تـميـم أقعـدت كـلَّ قـائـمِ

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة:

كـأن أبـا حفص قتـيبـة لـم يَسِـرْ   بجيشٍ إلى جيش ولم يَعْـلُ منبـرَا
ولم تخفِق الراياتُ والجيشُ[١] حولَه   وقـوفٌ ولم يشَهدْ لـه الناسُ عسكـرَا
دَعَتـهُ المَنـايـا فـاستجـابَ لـربـه   وراح إلى الجَنَّـاتِ عفـواً[٢] مُـطَهَّـرَا

---

(١) في الطبري «والقوم».

(٢) في الطبري «عفا».

فمـا رزِىءَ الإسـلامُ بَعـدَ محمـدٍ   بمثـلِ أبي حَفْص فَبكيـهِ عَبْهَـرَا

وعبهر أم ولد له ، قيل : وقال شيوخ من غسان : كنا بثنية العقاب إذا نحن برجل معه عصا وجراب فقلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خراسان قلنا : هل كان بها من خبر ؟ قال : نعم قتل بها قتيبة بن مسلم أمس فعجبنا لقوله فلما رأى إنكارنا قال أين تروني الليلة من افريقية وتركنا ومضى فاتبعناه على خيولنا فإذا هو يسبق الطرف .

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة مات قرة بن شريك العبسي أمير مصر في صفر ، وقيل : مات سنة خمس وتسعين في الشهر الذي مات فيه الحجاج ، وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو أمير المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد ـ بفتح الهمزة وكسر السين ـ وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن ، وعلى البصرة سفيان بن عبدالله الكندي من قبل يزيد بن المهلب ، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود .

وفيها مات شريح القاضي ، وقيل : سنة سبع وتسعين وله مائة وعشرون سنة ، وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكرة ، ومحمود بن لبيد الأنصاري وله صحبة ، وفي ولاية الوليد مات عبدالله بن محيريز ، قيل : له صحبة ، وأبو سعيد المقبري كان يسكن المقابر فنسب اليها ، وفيها توفي ابراهيم بن يزيد النخعي الفقيه ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وله خمس وسبعون سنة ، وفيها توفي عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان في أيام الوليد بن عبد الملك ، وفيها توفي محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة ، وعباس بن سهل بن سعد الساعدي .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير

وكان سبب قتله أن أباه استعمله على الأندلس كما ذكرنا عند عوده إلى الشام فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه ـ وكان خيراً فاضلاً ـ وتزوج امرأة رذريق فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها رذريق فقال لها : إن ذلك ليس في ديننا فلم تزل به حتى أمر ففتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع فرضيت به وصار كالسجود عندها فقالت له : الآن لحقت بالملوك وبقي أن أعمل لك تاجاً مما عندي من الذهب واللؤلؤ فأبى فلم تزل به حتى فعل فانكشف ذلك للمسلمين فقيل : تنصَّر وفطنوا للباب فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين ، وقيل : إن سليمان بن عبد الملك بعث إلى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نصير فدخلوا عليه وهو في المحراب فصلى الصبح وقد قرأ الفاتحة ،وسورة الواقعة فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا رأسه فسيَّروه إلى سليمان فعرضه سليمان على أبيه فتجلد للمصيبة وقال : هنيئاً له الشهادة وقد قتلتموه والله صواماً قواماً ، وكانوا يعدونها من زلات سليمان ، وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها ، ثم إن سليمان ولّى الأندلس الحرث بن عبد الرحمن الثقفي فأقام والياً عليها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله ، هذا آخر ما أردنا ذكره من قتل عبد العزيز على سبيل الاختصار .

وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عبدالله بن موسى بن نصير عن افريقية واستعمل عليها محمد بن يزيد القرشي فلم يزل عليها حتى مات سليمان فعزل فاستعمل عمر بن عبد العزيز مكانه إسماعيل بن عبيدالله سنة مائة ، وكان حسن السيرة

فأسلم البربر في أيامه جميعهم .

ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان

كان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما ولّى يزيد العراق فوّض اليه حربها والصلاة بها وخراجها فنظر يزيد لنفسه وقال : إن العراق قد أخربها الحجاج وأنا اليوم رجل أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك صرت مثل الحجاج وأعدت عليهم السجون وما عافاهم الله منه ومتى لم آت سليمان بمثل ما كان الحجاج أتى به لم يقبل مني ، فأتى يزيد سليمان وقال : أدلّك على رجل بصير بالخراج توليه إياه قال : نعم قال : صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فولاه الخراج وسيره قبل يزيد فنزل واسطاً ، وأقبل يزيد فخرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد فخرج صالح في الدراعة بين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقي يزيد وسايره ، فنزل يزيد وضيق عليه صالح فلم يمكنه من شيء ؛ واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال يزيد : اكتب ثمنها علي ، واشترى يزيد متاعاً وكتب صكاً بثمنه إلى صالح فلم يقبله وقال ليزيد : إن الخراج لا يقوم بما تريد ولا يرضى بهذا أمير المؤمنين وتؤخذ به فضاحكه يزيد وقال : أجرِ هذا المال هذه المرة ولا أعود ، ففعل صالح .

وكان سليمان لم يجعل خراسان إلى يزيد فضجر يزيد من العراق لتضييق صالح عليه فدعا عبدالله بن الأهيم فقال له : إني أريدك لأمر قد أهمني فأحب أن تكفينيه قال : أفعل قال : أنا فيما ترى من الضيق وقد ضجرت منه وخراسان شاغرة برجلها فهل من حيلة ؟ قال : نعم سرحني إلى أمير المؤمنين قال : فاكتُمْ ما أخبرتك ، وكتب إلى سليمان يخبره بحال العراق وأثنى على ابن الأهيم[1] وذكر علمه بها وسير ابن الأهيم على البريد فأتى سليمان واجتمع به ، فقال له سليمان : إن يزيد كتب إلي يذكر علمك بالعراق ، وخراسان فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها ، بها ولدت وبها نشأت ولي بها وبأهلها خبر وعلم ، قال : فاشر علي برجل أوليه خراسان قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأيي فيه فسمى رجلاً من قريش

---

(١) في الطبري « بن الاهتم » بتاء مثناة من فوق في كل موضع .

فقال : ليس من رجال خراسان قال : فعبد الملك بن المهلب قال : لا يصلح فإنه يصبو عن هذا فليس له مكر أبيه ولا شجاعة أخيه حتى عدّد رجالاً ، وكان آخر من ذكر وكيع بن أبي سود فقال : يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدام وما أحد أوجب شكراً ولا أعظم عندي يداً من وكيع لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوي ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقاً والنصيحة له تلزمني ان وكيعاً لم تجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدره خامل في الجماعة ثابت في الفتنة قال : ما هو ممن نستعين به فمن لها ويحك ؟ قال : رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين قال : فمن هو ؟ قال : لا أذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك وأن يجيرني منه إن علم قال : نعم قال : يزيد بن المهلب قال : العراق أحب اليه من خراسان قال ابن الأهيم : قد علمت ولكن تكرهه فيستخلف على العراق ويسير قال : أصبنا الرأي [١] .

فكتب عهد يزيد على خراسان وسيره مع ابن الأهيم ، فأتى يزيد به فأمر بالجهاز للمسير ساعته ، وقدم ابنه مخلداً إلى خراسان من يومه ، ثم سار يزيد بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبدالله الحكمي ، واستعمل على البصرة عبدالله بن هلال الكلابي ، وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة ـ وكان أوثق إخوته عنده ـ ؛ واستخلف بالكوفة حرملة بن عمير اللخمي أشهراً ثم عزله وولى بشير بن حيان النهدي ، وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع ، فلما سار يزيد إلى خراسان أمره سليمان أن يسأل عن قتيبة فإن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع قيد وكيعاً به ؛ ولما وصل مخلد بن يزيد مرو أخذه وكيع فحبسه وعذبه وأخذ أصحابه وعذبهم قبل قدوم أبيه ، وكانت ولاية وكيع خراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد في هذه السنة خراسان فآذى[٢] أهل الشام وقوماً من أهل خراسان فقال نهار بن توسعة في ذلك :

وما كنا نُؤمّلُ من أمِير	كما كُنَّا نؤمّلُ من يزيدِ
فأخطأ ظَنُّنَا فيه وقدماً	زَهدنا في معاشَرَةِ الزَّهيد

---

(١) في الطبري « أصبت الرأي » .

(٢) في الطبري : « فادني » .

إذا لـم يـعْـطنـا نَـصَـفـاً أمـيـرُ ... مَـشَيْـنَـا نحـوَهُ مَـشي[١] الأسُـودِ
فـمهْـلاً يـا يَـزيـدُ أنِـبْ إلـينـا ... ودَعـنَـا مـن مُـعَـاشَـرةِ الـعَـبيـدِ
نـجيـب[٢] ولا نـرى إلا صـدُوداً ... عـلى أنـا نُـسَـلّم مـن بَـعـيـدِ
ونَـرجـعُ خـائبيـنَ بـلا نـوالٍ ... فـمـا بَـالُ الـتَجـهـمِ والـصُّـدُودِ

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة .

وفيها غزا مسلمة أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح صاحب الوضاحية ، وفيها غزا عمر بن هبيرة أرض الروم في البحر فشتى فيها ، وفيها حج سليمان بن عبد الملك بالناس ، وفيها عزل داود بن طلحة الحضرمي[٣] عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز بن عبدالله بن خالد ، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم ، وفيها مات عطاء بن يسار .

وقيل : سنة ثلاث ومائة .

وفيها مات موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ، وكان موته بطريق مكة مع سليمان بن عبد الملك ، وفيها توفي قيس بن أبي حازم البجلي وقد جاوز مائة سنة ، وجاء إلى النبي ﷺ ليسلم فرآه قد توفي ، وروى عن العشرة ، وقيل : لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف وذهب عقله في آخر عمره (حازم) بالحاء المهملة والزاي المعجمة . وفيها توفي سالم بن أبي الجعد مولى أشجع ، واسم أبي الجعد رافع .

---

(١) في الطبري « مثل » .
(٢) في الطبري « نجيء » .
(٣) في الطبري : « طلحة بن داود الحضرمي » .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر محاصرة القسطنطينية

في هذه السنة سار سليمان بن عبد الملك إلى دابق وجهز جيشاً مع أخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير إلى القسطنطينية ، ومات ملك الروم فأتاه اليون من اذربيجان فأخبره فضمن له فتح الروم فوجه مسلمة معه ، فسارا إلى القسطنطينية فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل معه مِدَّين من طعام على عجز فرسه إلى القسطنطينية ففعلوا ، فلما أتاها أمر بالطعام فألقي أمثال الجبال وقال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً وأغيروا في أرضهم وازرعوا ، وعمل بيوتاً من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس وبقي الطعام في الصحراء والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزرع ، وأقام مسلمة قاهراً للروم معه أعيان الناس ، خالد بن معدان ، ومجاهد بن جبر ، وعبدالله بن أبي زكرياء الخزاعي ، وغيرهم ، فأرسل الروم إلى مسلمة يعطونه عن كل رأس ديناراً فلم يقبل ، فقالت الروم لاليون : ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فأتى مسلمة فقال له : ان الروم قد علموا أنك لا تصدقهم القتال وأنك تطاولهم ما دام الطعام عندك فلو أحرقته أعطوا الطاعة بأيديهم فأمر به فأحرق ، فقوي الروم وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان .

وقيل : إنما خدع اليون مسلمة بأن سأله أن يدخل من الطعام إلى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا أن امره وأمر مسلمة واحد وأنهم في أمان من السبي والخروج من بلادهم فأذن له ، وكان اليون قد أعدَّ السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر ، وأصبح أليون محارباً وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ، ولقي الجند ما لم يلقه جيش آخر حتى أن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر

والورق وكل شيء غير التراب وسليمان مقيم بدابق ، ودخل الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات ، وفي هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد فمات أيوب قبل أبيه .

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد أغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فكتب إلى سليمان يستمدُّه فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا ، وفيها غزا الوليد بن هشام ، وعمرو بن قيس فأصيب ناس من أهل انطاكية وأصاب الوليد ناساً من ضواحي الروم وأسر منهم بشراً كثيراً .

ذكر فتح جرجان وطبرستان

في هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان ، وطبرستان لما قدم خراسان ، وسبب غزوهما واهتمامه بهما انه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام فكان سليمان كلما فتح قتيبة فتحاً يقول ليزيد : ألا ترى إلى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ، ونيسابور ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان ، فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار إليها في مائة الف من أهل الشام ، والعراق ، وخراسان سوى الموالي والمتطوعة ، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ، ومخارم ، وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد، فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك وأقام عليها وكان أهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون في كل ذلك فإذا هزموا دخلوا الحصن ، فخرجوا ذات يوم وخرج إليهم الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة وضربه ابن ابي سبرة فقتله ورجع وسيفه يقطر دماً وسيف التركي في بيضته فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه ، وخرج يزيد بعد ذلك يوماً ينظر مكاناً يدخل منه عليهم وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف فقاتلوهم ساعة وقاتل يزيد قتالاً شديداً فسلموا وانصرفوا وكانوا قد عطشوا فانتهوا إلى الماء فشربوا ورجع عنهم العدو.

ثم إن يزيد ألح عليهم في القتال وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا فأرسل صول دهقان قهستان إلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه ، وأهله ، وماله

ليدفع إليه المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ، ودخل المدينة فأخذ مما كان فيها من الأموال ، والكنوز ، والسبي ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر الف تركي صبراً ، وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ، ثم خرج حتى أتى جرجان ، وكان أهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون أحياناً مائة الف ، وأحياناً مائتي الف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ، وربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً ، ولم يأتِ جرجان بعد سعيد أحد ؛ ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على فارس ، وكرمان ، وأول من صيَّر الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان ، وبقي أمر جرجان كذلك حتى ولي يزيد وأتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فأجابهم إلى ذلك وصالحهم ، فلما فتح قهستان ، وجرجان طمع في طبرستان أن يفتحها فعزم على أن يسير اليها ، فاستعمل عبدالله بن المعمر اليشكري على الساسان ، وقهستان[١] وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على إيزوسا راشد بن عمرو[٢] وجعله في أربعة آلاف ، ودخل بلاد طبرستان فأرسل إليه الأصبهبذ صاحبها يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتتحها، ووجه أخاه أبا عيينة من وجه، وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم الكلبي من وجه وقال : إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس ، فسار أبو عيينة وأقام يزيد معسكراً واستجاش الأصبهبذ أهل جيلان ، والديلم فأتوه فالتقوا في سفح جبل[٣] فانهزم المشركون في الجبل فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى فم الشعب فدخله المسلمون وصعد المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون يرومون الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضاً يتساقطون في الجبل حتى انتهوا إلى عسكر يزيد ، وكف عدوهم عن اتباعهم وخافهم الأصبهبذ فكاتب أهل جرجان ومقدمهم المرزبان يسألهم أن يبيتوا من عندهم من المسلمين وأن يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الاسلام ويَعِدَهُم أن يكافئهم على ذلك فثاروا بالمسلمين فقتلوهم أجمعين وهم غارون في ليلة ، وقتل عبدالله بن المعمر وجميع من معه فلم ينج منهم أحد .

---

(١) في الطبري « البياسان ودهستان » .

(٢) في الطبري « على اندرستان » أسد بن عمرو .

(٣) في الطبري « في سند جبل » .

وكتبوا إلى الأصبهبذ ، بأخذ المضايق والطرق ، وبلغ ذلك يزيد ، وأصحابه فعظم عليهم وهالهم ، وفزع يزيد إلى حيان النبطي وقال له : لا يمنعك ما كان مني إليك عن نصيحة المسلمين وقد جاءنا عن جرجان ما جاءنا فاعمل في الصلح فقال : نعم ، فأتى حيان الأصبهبذ فقال : أنا رجل منكم وإن كان الدين فرق بيني وبينكم فأنا لكم ناصح فأنت أحب إليَّ من يزيد وقد بعث يستمد وامداده منه قريبة وإنما أصابوا منه طرفاً ولست آمن أن يأتيك من لا تقوم له فارح نفسك وصالحه فإن صالحته صير حده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه ، فصالحه على سبعمائة ألف ، وقيل : خمسمائة ألف ، وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين ، وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ، ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير[1] وكسوة ، ثم رجع حيان إلى يزيد فقال : ابعث من يحمل صلحهم فقال : من عندهم أو من عندنا قال : من عندهم ـ وكان يزيد قد طابت نفسه أن يعطيهم ما سألوا أو يرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف إلى جرجان وكان يزيد قد أغرم حيان مائتي ألف درهم ، وسبب ذلك أن حيان كتب إلى مخلد بن يزيد فبدأ بنفسه فقال له ابنه مقاتل بن حيان : تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك قال : نعم وإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة ، فبعث مخلد الكتاب إلى أبيه يزيد فأغرمه مائتي الف درهم .

وقيل : إن سبب مسير يزيد إلى جرجان ان صولاً التركي كان ينزل قهستان ، والبحيرة وهي جزيرة في البحر بينها وبين قهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلي خوارزم وكان يغير على فيروز قول مرزبان جرجان فيصيب من بلاده فخافه فيروز فسار إلى يزيد بخراسان وقدم عليه فسأله عن سبب قدومه فقال : خفت صولاً فهربت منه ، وأخذ صول جرجان فقال يزيد لفيروز : هل من حيلة لقتاله ؟ قال : نعم شيء واحد إن ظفرت به قتلته وأعطى بيده قال : ما هو ؟ قال : تكتب إلى الأصبهبذ كتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلاً فإنه يبعث كتابك إلى صول يتقرب اليه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة وان تحول عن جرجان وحاصرته ظفرت به ، ففعل يزيد ذلك وضمن للأصبهبذ خمسين الف دينار إن هو حبس صولاً عن البحيرة ليحاصره بجرجان فأرسل الأصبهبذ الكتاب إلى صول ، فلما أتاه

---

(١) في الطبري « وسرقة خز » .

الكتاب رحل الى البحيرة ليتحصن بها ، وبلغ يزيد مسيره فخرج إلى جرجان ومعه فيروز ، واستعمل على خراسان إبنه مخلداً ، وعلى سمرقند ، وكش ، ونسف وبخارى ابنه معاوية ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب وأقبل حتى أتى جرجان فدخلها ولم يمنعه منها أحد ، وسار منها إلى البحيرة فحصر صولاً بها فكان يخرج إليه صول فيقاتله ثم يرجع فمكثوا بذلك ستة أشهر فأصابهم مرض وموت ؛ فأرسل صول يطلب الصلح على نفسه ، وماله وثلاثمائة من أهله ، وخاصته ويسلم إليه البحيرة فأجابه يزيد فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب ، وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألف صبراً وأطلق الباقين ، وطلب الجند أرزاقهم فقال لادريس بن حنظلة العمي : احص لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند ؛ فدخلها إدريس فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد : أأستطيع ذلك وهو في ظروف فتحصى الجواليق ويعلم ما فيها ويعطى الجند فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة ، والشعير ، والأرز ، والسمسم ، والعسل ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً ، وكان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا اليه أنه أخذ خريطة فسأله يزيد عنها فأتاه بهافاعطاها شهراً فقال بعضهم :

لقد بَاع شَهرٌ دينَهُ بِخَريطَةٍ ... فمن يأمَنُ القرَّاء بَعدكَ يا شَهْرُ

وقال مرة الحنفي :

يا ابن المُهلبِ ما أردَتَ إلى امرِىء ... لولاكَ كان كصالح القُرَّاءِ

وأصاب يزيد بجرجان تاجاً فيه جوهر فقال : أترون أحداً يزهد في هذا ؟ قالوا : لا فدعا محمد بن واسع الأزدي فقال : خذ هذا التاج قال : لا حاجة لي فيه قال عزمت عليك فأخذه ، فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به فلقي سائلاً فدفعه اليه فأخذ الرجل السائل وأتى به يزيد فأخبره فأخذ يزيد التاج وعوض السائل مالاً كثيراً .

ذكر فتح جرجان الفتح الثاني

قد ذكرنا فتح جرجان ، وقهستان وغدر أهل جرجان ، فلما صالح يزيد اصبهبذ طبرستان إلى جرجان ،وعاهد الله تعالى لئن ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين ، فأتاها وحصر أهلها بحصن فجاة[1] ومن يكون بها لا يحتاج

(١) في الطبري « وجاه » .

إلى عدة من طعام وشراب فحصرهم يزيد فيها سبعة أشهر وهم يخرجون إليه في الأيام فيقاتلونه ويرجعون، فبينا هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد؛ وقيل: رجل من طيىء فأبصر وعلا في الجبل فتبعه ولم يشعر حتى هجم على عسكرهم فرجع كأنه يريد أصحابه وجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات، فأتى يزيد فأخبره فضمن له يزيد دية إن دلهم على الحصن، فانتخب معه ثلاثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال له: إنْ غلبت على الحياة فلا تغلبن عن الموت وإياك أن أراك عندي مهزوماً، وضم إليه جهم بن زحر وقال للرجل: متى تصلون؟ قال غداً العصر قال يزيد: نناجد[1] على مناهضتهم عند الظهر، فساروا فلما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب كان عندهم فصار مثل الجبال من النيران فنظر العدو إلى النيران فهالهم ذلك فخرجوا إليهم وتقدم يزيد إليهم فاقتتلوا، وهجم أصحاب يزيد الذين ساروا على عسكر الترك قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين إلى يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان وقال: من طلبهم بثأر فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة، وأجرى الماء على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز وأكل. وقيل: قتل منهم أربعين ألفاً، وبنى مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان، واستعمل على جرجان جهم بن زَحر الجعفي.

وقيل: بل قال يزيد لأصحابه لما ساروا: إذا وصلتم إلى الحصن انتظروا فإذا كان السحر كبروا واقصدوا الباب فستجدونني قد نهضت بالناس إليه، فلما دخل ابن زَحر امهل حتى كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها فكبر ففزع أهل الحصن وكان أصحاب يزيد لا يلقون أحداً إلا قتلوه ودهش الترك فبقوا لا يدرون أين يتوجهون وسمع يزيد التكبير فسار في الناس إلى الباب فلم يجد عنده أحداً يمنع وهم مشغولون بالمسلمين فدخل الحصن من ساعته وأخرج من فيه وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ وسبى أهلها وغنم ما فيها.

---

(١) في الطبري «سأجهد».

وكتب إلى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره أنه قد حصل عنده من الخمس ستمائة ألف ألف ، فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرة مولى بني سدوس : لا تكتب تسمية المال فإنك من ذلك بين أمرين إما استكثره فأمرك بحمله وإما سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله فكأني بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعاً ويبقى المال الذي سميت مخلداً في دواوينهم فإن ولي وال بعده أخذك به وإن ولي من يتحامل عليك لم يرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما أحببت فهو أسلم فلم يقبل منه وأمضى الكتاب وقيل : كان المبلغ أربعة آلاف ألف .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد . وفيها فتحت مدينة الصقالبة ، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ، وفيها غزا داود بن سليمان أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية .

وفيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرة ودامت ستة أشهر ، وفيها مات عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود وأبو عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف ـ ويعرف بمولى ابن أزهر ـ وعبد الرحمن بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وسعيد بن مرجانة مولى قريش ، وهي أمه واسم أبيه عبدالله ، وحج بالناس عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد وهو أمير على مكة ، وكان العمال من تقدم ذكرهم إلا البصرة فإن يزيد استعمل عليها سفيان بن عبدالله الكندي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر موت سليمان بن عبد الملك

في هذه السنة توفي سليمان بن عبد الملك بن مروان يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وقيل : توفي فيها لعشر مضين من صفر فتكون ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج وولي سليمان فأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز وكان موته بدابق من أرض قنسرين ، لبس يوماً حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرآة فقال : أنا الملك الفتى فما عاش جمعة ، ونظرت اليه جارية فقال : ما تنظرين ؟ فقالت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

قيل : وشهد سليمان جنازة بدابق فدفنت في حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة ويقول : ما أحسن هذه التربة وأطيبها فما أتى عليه جمعة حتى دفن إلى جنب ذلك القبر ، قيل : حج سليمان وحج الشعراء فلما كان بالمدينة قافلاً تلقوه بنحو اربعمائة أسير من الروم فقعد سليمان وأقربهم منه مجلساً عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقدم بطريقهم فقال : يا عبدالله اضرب عنقه فأخذ سيفاً من حرسي فضربه فأبان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل[1] ودفع البقية إلى الوجوه يقتلونهم ، ودفع إلى جرير رجلاً منهم فأعطاه بنو عبس سيفاً جيداً فضربه فابان رأسه ؛ ودفع إلى

---

(١) في الطبري : « فقال سليمان : أما والله ما من جودة السيف جادت الضربة ولكن لحسبه » .

الفرزدق أسيراً فأعطوه سيفاً رديئاً لا يقطع فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً فضحك سليمان والقوم وشمتت به[١] بنو عبس أخوال سليمان فألقى السيف وأنشأ يقول :

وإن يــكُ سيفٌ خــانَ أو قَــدرٌ أتى بتـأخيـرِ نفس ٍ حتْفَهـا غيـرُ شــاهـدِ
فسيفُ بني عبس ٍ وقـد ضـربـوا بـه نَبـا بيَـدَيْ ورقـاءَ عن رأس ِ خـالـدِ
كـذاك سُيُـوفُ الهنـدِ تَنْبُـو ظُبَـاتُها وتَقـطَعُ أحيانـاً مَنـاط القَـلائـد

(ورقاء) هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ضرب خالد بن جعفر بن كلاب وخالد قد أكب على زهير[٢] وضربه بالسيف فصرعه فأقبل ورقاء فضرب خالداً ضربات فلم يصنع شيئاً فقال ورقاء بن زهير :

رأيتُ زهيـراً تحت كَلْكَـل خـالـدٍ فـأقبلتُ أسعى كـالعَجُـول أبـادِرُ
فشُلَّت يميني يـوم أضـربُ خـالـداً ويَمْنَعـهُ[٣] مني الحـديـدُ المُـظاهَـرُ

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز

في هـذه السنة استخلف عمـر بن عبد العـزيز ، وسبب ذلـك أن سليمـان بن عبد الملك كان بدابق ومرض على ما وصفنا فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ فقال له رجاء بن حيوة : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ ان مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على الناس الرجل الصالح فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر ولم أعزم فمكث سليمان يوماً أو يومين ثم خرقه ودعا رجاء فقال : ما ترى في ولدي داود ؟ فقال رجاء : هو غائب عند القسطنطينية ولا تدري أحي أم لا قال : فمن ترى ؟ قال رجاء : رأيك يا أمير المؤمنين قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ قال رجاء : فقلت: أعلمه والله خيراً فاضلاً سليماً قال سليمان: هو والله على ذلك، ولئن وليته ولم أولِّ أحداً سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلاّ أن يجعل أحدهم بعده .

---

(١) في الطبري « وشمت بالفرزدق » .
(٢) في الطبري « على أبيه زهير » .
(٣) في الطبري «ويحصنه».

وكان عبد الملك قد عهد إلى الوليد ، وسليمان أن يجعلا أخاهما يزيد ولي عهد فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر ـ وكان يزيد غائباً في الموسم ـ قال رجاء : قلت رأيك ، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز إني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم ، وختم الكتاب ثم أرسل إلى كعب بن جابر[1] العبسي صاحب شرطته فقال : ادع أهل بيتي فجمعهم كعب ، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي إليهم وأخبرهم بكتابي ومُرْهُم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فقالوا : ندخل ونسلم على أمير المؤمنين قال : نعم فدخلوا فقال لهم سليمان : في هذا الكتاب الذي في يد رجاء بن حيوة عهدي فاسمعوا وأطيعوا لمن سميت فيه فبايعوه رجلاً رجلاً وتفرقوا قال رجاء : فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسند إليَّ شيئاً من هذا الأمر فأنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك ، قال رجاء : ما أنا بمخبرك حرفا قال : فذهب عمر عني غضبانَ .

قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك فقال : إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فأعلمني بهذا الأمر فإن كان إلى غيري تكلمت ولله عليَّ أن لا أذكر شيئاً من ذلك أبداً . قال رجاء : فأبيتُ أن أخبره حرفاً ، فانصرف هشام وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول : فإلى من إذا نحيت عني أُتخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء :ودخلت على سليمان فإذا هو يموت فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته إلى القبلة فيقول حين يفيق : لم يأن بعد ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فحرفته فمات ، فلما غمّضته وسجّيته وأغلقت الباب أرسلت إلى زوجته فقالت : كيف أصبح ؟ فقلت : هو نائم قد تغطى ونظر إليه الرسول متغطياً فرجع فأخبرها فظنت أنه نائم قال : فأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يبرح ولا يترك أحداً يدخل على الخليفة قال : فخرجت فأرسلت إلى كعب بن جابر فجمع أهل بيت سليمان فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت : بايعوا فقالوا : قد بايعنا مرة قلت :

---

(١) في الطبري « كعب بن حامد » .

وأخرى هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا الثانية ؛ فلما بايعوا بعد موته رأيت أني قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام : لا نبايعه والله أبداً قلت : أضرب والله عنقك قُمْ فبايع فقام يجر رجليه قال رجاء : فأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه فبايعوه ، وغُسل سليمان وكُفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودُفن ، فلما دُفن أُتِيَ عمر بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس فقال : ما هذا ؟ فقيل مراكب الخلافة قال : دابتي أوفق لي وركب دابته وصرفت تلك الدواب ، ثم أقبل سائراً فقيل له : أمنزل الخلافة ؟ فقال : فيه عيال أبي أيوب ـ يعني سليمان ـ وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فأقام في منزله حتى فرغوه .

قال رجاء : فأعجبني ما صنع في الدواب ، ومنزل سليمان ، ثم دعا كاتباً فأملى عليه كتاباً واحداً وأمره أن ينسخه ويسيره إلى كل بلد ، وبلغ عبد العزيز بن الوليد ـ وكان غائباً ـ موت سليمان ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا إلى نفسه فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فأقبل حتى دخل عليه فقال له عمر : بلغني أنك بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق فقال : قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغني أن سليمان لم يكن عهد لأحد فخفت على الأموال أن تُنهب ، فقال عمر : لو بايعت وقمت بالأمر لم أنازعك فيه ولقعدت في بيتي ، فقال عبد العزيز : ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايعه ، وكان يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده ، فلما استقرت البيعة لعمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك : إن أردت صحبتي فردي ما معك من مال وحلي وجوهر إلي بيت المسلمين فإنه لهم وإني لا أجتمع أنا ، وأنت ، وهو في بيت واحد فردته جميعه ؛ فلما توفي عمر وولي أخوها يزيد رده عليها وقال : أنا أعلم أن عمر ظلمك قالت : كلا والله وامتنعت من أخذه وقالت : ما كنت أطيعه حياً وأعصيه ميتاً فأخذه يزيد وفرقه على أهله .

ذكر ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام

كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن وليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه ، وكان سبب

محبته علياً أنه قال : كنت بالمدينة أتعلّم العلم وكنت ألزم عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك ، فأتيته يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه ، فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال لي : متى علمت أن الله غضب على أهل بدر ، وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟ قلت : لم أسمع ذلك قال : فما الذي بلغني عنك في عليّ ؟ فقلت : معذرة إلى الله وإليك وتركت ما كنت عليه .

وكان أبي إذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيراً قال : أو فطنت لذلك؟ قلت : نعم فقال : يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده ، فلما وُلِّي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجله فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى﴾[1] الآية ، فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسناً وأكثروا مدحه بسببه ، فمن ذلك قول كثير عزة :

وليتَ فَلَمْ تَشْتُم علياً ولم تُخِفْ ... برياً ولم تَتبعْ مقالةَ مجرمِ
تكلمتَ بالحق المبينِ وإنَّما ... تُبين آيات الهدىٰ بالتكلمِ
وصدقتَ معروفَ الذي قلتَ بالذي ... فعلتَ فأضْحَى رَاضياً كلُّ مسلمِ
ألا إنَّما يَكْفِي الفتى بَعْدَ زَيْغِهِ ... من الأودِ البادي ثقافُ المقومِ

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر : أفلحنا إذاً .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه له خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً وحث الناس على معونتهم ، وفيها أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة فوجه عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ولم يفلت منهم إلا اليسير وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً .

---

(١) سورة النحل ٩٠.

وفيها عزل يزيد بن المهلب عن العراق ووجه إلى البصرة عدي بن أرطأة الفزاري ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي وضم اليه أبا الزناد وكان كاتبه ، وبعث عدي في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري .

وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة ، وكان العامل على مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد ، وعلى الكوفة عبد الحميد ، وعلى القضاء بها عامر الشعبي ، وكان على البصرة عدي بن أرطأة ، وعلى القضاء الحسن بن أبي الحسن البصري ، ثم استعفى عدياً فأعفاه واستقضى اياس بن معاوية ، وقيل : بل شكا الحسن فعزله عدي واستقضى إياساً .

واستعمل عمر بن عبد العزيز على خراسان الجراح بن عبدالله الحكمي .

وفي هذه السنة مات نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بالمدينة ، ومحمود بن الربيع ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وأبو ظبيان بن حصين بن جندب الجنبي والد قابوس (ظبيان) بالظاء المعجمة .

وفيها توفي أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب من سم سقيه عند عوده من الشام ، وضع عليه سليمان بن عبد الملك من سقاه فلما أحس بذلك عاد إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهو بالحميمة فعرّفه حاله وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده وأعلمه كيف يصنع ثم مات عنده ، وفي أيام سليمان توفي عبيدالله بن سريج المغني المشهور وعبد الرحمن بن كعب بن مالك أبو الخطاب .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر خروج شوذب الخارجي

في هذه السنة خرج شوذب ـ واسمه بسطام ـ من بني يشكر في جوخى وكان في ثمانين رجلًا ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة أن لا يحركهم حتى يسفكوا دماً ويفسدوا في الأرض فإن فعلوا وجه إليهم رجلاً صليباً حازماً في جند ، فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبدالله البجلي في ألفين وأمره بما كتب به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بازائه لا يتحرك فكان في كتاب عمر : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ولست أولى بذلك مني فهلم إليّ أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وإن كان في يدك نظرنا في أمرك . فكتب بسطام إلى عمر:قدأنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشياً اسمه عاصم ، ورجلاً من بني يشكر ، فقدما على عمر بخُناصِرَة[1] فدخلا إليه فقال لهما : ما أخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصم : ما نقمنا سيرتك إنك لتتحرى العدل والإحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر أَعَنْ رضاً من الناس ومشورة أم ابتززتم أمرهم ؟ فقال عمر : ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها ، وعهد إلي رجل كان قبلي فقمت ولم يُنْكِرْهُ عليَّ أحدٌ ولم يكرهْهُ غيركمْ وأنتم تَرونَ الرضا بكل من عَدلَ وأنصف من كان من الناس فاتركوني ذلك الرجل فإن خالفتُ الحقَّ ورغِبْتُ عنه فلا طاعة لي عليكم ، فقالا : بيننا وبينك أمر واحد قال : ما هو؟ قالا : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فإن كنت على هدى وهم على الضلالة فالعنهم وابرأ منهم ، فقال عمر: قد علمت أنكم لم تخرجوا طلباً للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها

---

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذي قنّسرين نحو البادية .

إن الله عز وجل لم يبعث رسوله ﷺ لعاناً ، وقال ابراهيم : ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾[١] وقال الله عز وجل ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[٢] وقد سميت أعمالهم ظلماً وكفى بذلك ذماً ونقصاً ، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها فإن قلتم : إنها فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنته قال أفيسعك أن لا تعلن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟ قال : أما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا لأن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى الإيمان فكان من أقر به وبشرائعه قبل منه فإن أحدث حدثاً أقيم عليه الحدُّ ، فقال الخارجي : إن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده ، قال عمر : فليس أحد منهم يقول : لا أعمل بسنة رسول الله ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على علم منهم أنه محرمٌ عليهم ولكن غلب عليهم الشقاء ، قال عاصم : فابرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم . قال عمر : أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا على حق ؟ قالا : بلى قال : أتعلمان أن أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذراري وأخذ الأموال ؟ قالا : بلى قال : أتعلمون أن عمر رد السبايا بعده إلى عشائرهم بفدية ؟ قالا : نعم قال : فهل بريء عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا قال : أفتبرؤن أنتم من واحد منهما ؟ قالا : لا قال : فأخبراني عن أهل النهروان وهم أسلافكم هل تعلمان أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً وأن من خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبدالله بن خباب وجاريته وهي حامل ؟ قالا : نعم قال : فهل بريء من لم يقتل ممن قتل واستعرض ؟ قالا : لا قال : أفتبرؤن أنتم من أحد من الطائفتين؟ قالا : لا . قال : أفيسعكم أن تتولوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم ولا يسعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد ؟ فاتقوا الله فإنكم جهّال تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله ﷺ وتردون عليهم ما قبل ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده ، فإنكم يخاف عندكم من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان من فعل ذلك عند رسول الله آمناً وحقن دمه وماله وأنتم تقتلونه ، ويأمن عندكم سائر أهل الأديان

---

(١) سورة ابراهيم ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام ٩٠.

فتحرمون دماءهم وأموالهم ، فقال اليشكري : أرأيت رجلاً ولي قوماً وأموالهم فعدَّل فيها ثم صيّرها بعده إلى رجل غير مأموم أتراه أدى الحق الذي يلزمه لله عز وجل أو تراه قد سلم ؟ قال عمر : لا . قال : أفتسلم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاه غيري والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي ، قال : أفترى ذلك من صنع من ولاه حقاً فبكى عمر وقال : أنظراني ثلاثاً ، فخرجا من عنده ثم عادا إليه فقال عاصم : أشهد أنك على حق فقال عمر لليشكري : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسن ما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر أعرض عليهم ما قلت وأعلم ما حجتهم ، فأما عاصم فأقام عند عمر فأمر له عمر بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يوماً فكان عمر بن عبد العزيز يقول : أهلكني أمر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله ، فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم من الأموال وأن يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاه سماً فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى مرض ومات ، ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض إليهم ولا يتعرضون إليه كل منهم ينتظر عود الرسل من عند عمر بن عبد العزيز فتوفي والأمر على ذلك .

ذكر القبض على يزيد بن المهلب واستعمال الجراح على خراسان

قيل : وفي هذه السنة كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة يأمره بإنفاذ يزيد بن المهلب اليه موثوقاً ، وكان عمر قد كتب إليه أن يستخلف على عمله ويقبل إليه فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من خراسان ونزل واسطاً ثم ركب السفن يريد البصرة ، فبعث عدي بن أرطأة موسى بن الوجيه الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فدعا به عمر وكان يبغض يزيد ، وأهل بيته ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، وكان يزيد يبغض عمر ويقول : إنه مراء ، فلما ولي عمر عرف يزيد أنه بعيد من الرياء ، ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان فقال: كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به ؛ فقال له : لا أجد في أمرك إلا حبسك فاتق الله وأدِّ ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه بحصن حلب ، وبعث الجراح بن عبدالله الحكمي فسرحه إلى خراسان أميراً عليها ، وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ففرق أموالاً عظيمة ، ثم قدم على عمر فقال

له : يا أمير المؤمنين ان الله منع هذه الأمة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمل ما عليه فصالحني على ما تسأل فقال عمر : لا إلا ان تحمل الجميع فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت لك بينة فخذبها وإلا فصدق مقالة يزيد واستحلفه فإن لم يفعل فصالحه ، فقال عمر : ما آخذه إلا بجميع المال ، فخرج مخلد من عنده فقال عمر : هذا خير من أبيه ثم لم يلبث مخلداً إلا قليلاً حتى مات فصلى عليه عمر بن عبد العزيز وقال : اليوم مات فتى العرب وأنشد :

بكوا حذيفة لم يبكوا مثله حتى تبيد خلائق لم تخلق

فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً ألبسه جبة صوفية وحمله على جمل وقال : سيروا به إلى دهلك، فلما خرج ومروا به على الناس أخذ يقول: أما لي عشيرة إنما يذهب إلى دهلك الفاسق ، واللص ،فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمرفقال: يا أمير المؤمنين اردد يزيد إلى محبسه فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه فإنهم قد غضبوا له فرده إلى محبسه فبقي فيه حتى بلغه مرض عمر .

ذكر عزل الجراح واستعمال عبد الرحمن بن نعيم القشيري وعبد الرحمن بن عبد الله

قيل : في هذه السنة عزل عمر الجراح بن عبدالله الحكمي عن خراسان واستعمل عليها عبد الرحمن بن نعيم القشيري ، وكان عزل الجراح في رمضان ؛ وكان سبب ذلك أن يزيد لما عزل عن خراسان أرسل عامل العراق عاملاً على جرجان فأخذه جهم بن زحر الجعفي ـ وكان على جرجان عاملاً ليزيد بن المهلب ـ فحبسه وقيده وحبس رهطاً قدموا معه ، ثم خرج إلى الجراح بخراسان فأطلق أهل جرجان عاملهم ، وقال الجراح لجهم : لولا أنك ابن عمي لم اسوغك هذا فقال جهم : لولا انك ابن عمي لما أمنتك ، وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي الحصين بن الحرث ، وأما كونه ابن عمه فلأن الحكم وجعفة ابنا سعد العشيرة ، فقال له الجراح : خالفت إمامك فاغز لعلك تظفر فيصلح أمرك عنده ، فوجهه إلى الختل فغنم منهم ورجع .

وأوفد الجراح إلى عمر وفداً رجلين من العرب ورجلاً من الموالي يكنى أبا الصيد[١] فتكلم العربيان والمولى ساكت فقال عمر : ما أنت من الوفد ؟ قال : بلى قال: فما يمنعك من الكلام؟ فقال: يا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من الذمة يؤخذون بالخراج فأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول: أتيتكم خفياً وأنا اليوم عصبي والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان قال عمر : أحر بمثلك أن يوفد ، فكتب عمر إلى الجراح انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الاسلام فقيل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الاسلام نفوراً من الجزية فامتحنهم بالختان ، فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إليه ان الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتناً وقال : ائتوني رجل صدوق أسأله عن خراسان فقيل له : عليك بأبي مجلز ، فكتب إلى الجراح أن أقبل وأحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القشيري[٢] ؛ فخطب الجراح وقال : يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي علي وعلى فرسي لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي ـ ولم يكن عنده إلا فرس وبغلة ـ فسار عنهم ، فلما قدم على عمر قال : متى خرجت؟ قال: في شهر رمضان قال: صدق من وصفك بالجفاء هلاَّ أقمت حتى تفطر ثم تخرج .

وكان الجراح كتب إلى عمر: إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم منبثون فيها فأحب الأمور إليهم أن يعودوا ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم إلا السيف والسوط فكرهت الاقدام على ذلك إلا بإذنك ، فكتب إليه عمر يا ابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضرب مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في الحق واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلما قدم الجراح على عمر وقدم أبو مجلز قال له عمر : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبدالله فقال : يكافىء الأكفّاء ويعادي الأعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم إن وجد من يساعده ، قال : فعبد الرحمن بن نعيم قال : يحب العافية والتأني قال : هو أحب إلي فولاه الصلاة والحرب ، وولى عبد الرحمن القشيري

(١) في الطبري « أبا الصيداء » .

(٢) في الطبري « الغامدي » .

الخراج ، وكتب إلى أهل خراسان : إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن محمد على خراجكم ، وكتب إليهما يأمرهما بالمعروف والاحسان، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة بن عبد العزيز الحرث بن الحكم(١) فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف .

ذكر ابتداء الدعوة العباسية

في هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الدعاة في الآفاق ، وكان سبب ذلك أن محمداً كان ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام فسار أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية إلى الشام إلى سليمان بن عبد الملك فاجتمع به محمد بن علي فأحسن صحبته ، واجتمع أبو هاشم بسليمان فأكرمه وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه في لبن ؛ فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد الحُميمة من أرض الشراة وبها محمد فنزل عليه وأعلمه أن هذا الأمر صائر إلى ولده وعرفه ما يعمل ، وكان أبو هاشم قد أعلم شيعته من أهل خراسان ، والعراق عند ترددهم اليه أن الأمر صائر إلى ولد محمد بن علي وأمرهم بقصده بعده ، فلما مات أبو هاشم قصدوا محمداً وبايعوه وعادوا فدعوا الناس إليه فأجابوهم ، وكان الذين سيّرهم إلى الآفاق جماعة ، فوجه ميسرة إلى العراق ، ووجه محمد بن خنيس ، وأبا عكرمة السراج ـ وهو أبو محمد الصادق ـ وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة إلى خراسان وعليها الجراح الحكمي وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي فدفعوها إلى ميسرة فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، فاختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلاً نقباء، منهم سليمان بن كثير الخزاعي ،ولاهز ابن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم أبو داود من بني شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن اسماعيل أبو النجم مولى آل ابي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زريق

---

(١) في الطبري : « ووجه مسلمة سعد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم » .

الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، واختار سبعين رجلاً وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها .

(الحميمة) بضم الحاء المهملة، و (الشراة) بالشين المعجمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها إلى ملطية - وطرندة واغلة في البلاد الرومية من ملطية بثلاث مراحل - وكان عبدالله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين - وملطية يومئذٍ خراب - وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم ، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر فأمرهم بالعود إلى ملطية وأخلى طرندة خوفاً على المسلمين من العدو وأخرب طرندة ، واستعمل على ملطية جعونة بن الحرث أحد بني عامر بن صعصعة .

وفيها كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين - وقد كانت سيرته بلغتهم - فأسلم جيشبة بن زاهر والملوك تسموا له باسماء العرب ، وكان عمر قد استعمل على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة بن مسلم فغزا بعض الهند فظفر وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ، ويزيد بن عبد الملك ، فلما كان أيام هشام ارتدوا عن الاسلام وكان سببه ما نذكره ان شاء الله تعالى .

وفيها أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي الصائفة ، وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزاري على الجزيرة عاملاً عليها .

وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو ، وكان العمال من تقدم ذكرهم إلا عامل خراسان ، وكان على حربها عبد الرحمن بن نعيم ، وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبدالله في آخرها ، وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز اسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم على افريقية ، واستعمل السمح بن مالك

الخولاني على الأندلس ـ وكان قد رأى منه أمانة وديانـة عند الـوليد بن عبـد الملك فاستعمله .

وفي هذه السنة مات أبو الطفيل عـامر بن واثلة بمكـة وهو آخـر من مات من الصحابة ، وفيها مات شهر بن حوشب ، وقيل : سنة اثنتي عشرة ومائة .

وفيها توفي القاسم بن مخيمرة الهمداني ، وفيها توفي مسلم بن يسار الفقيه ، وقيل : سنة احدى ومائة ، وفيها توفي أبو امامة أسعد بن سهل بن حنيف ـ وكان ولد على عهد النبي ﷺ فسماه وكناه بجده لأمه أبي أمامة أسعد بن زرارة وكان قد مات قبل بدر ، وفيها توفي بسر بن سعد مولى الحضرميين .

(بسر) بضم الباء الموحدة وبـالسين المهملة ، وعيسى بن طلحة بن عبـدالله التيمي ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وربعي بن حِراش الكـوفي (حراش) بكسـر الحاء المهملة وبالراء المهملة ، وقيل : سنة أربع ومائة ، وحَنَش بن عبدالله الصنعاني كان من أصحاب علي فلما قتل انتقل إلى مصر وهو أول من اختط جامـع سرقسـطة بالأندلس (حَنَش) بالحاء المهملة والنون المفتوحتين والشين المعجمة .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر هرب إبن المهلب

قد ذكرنا حبس يزيد بن المهلب وأنه لم يزل محبوساً حتى اشتد مرض عمر بن عبد العزيز فعمل في الهرب فخاف يزيد بن عبد الملك لأنه قد عذب أصهاره آل أبي عقيل ، وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف وهي ابنة أخي الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وكان سبب تعذيبهم أن سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة طلب آل أبي عقيل فأخذهم وسلمهم إلى يزيد بن المهلب ليخلص أموالهم ويعذبهم ، وبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم إليه ؛ وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك ، وقيل : بل أخت لها فعذبها يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب في منزله فشفع فيها فلم يشفعه ، فقال : الذي قررتم عليها أنا أحمله فلم يقبل منه ، فقال لابن المهلب : أما والله لئن وليت من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً ، فقال ابن المهلب : وأنا والله لئن كان ذلك لأرمينَّك بمائة ألف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان عليها وكان مائة ألف دينار ، وقيل : أكثر من ذلك ، فلما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز خاف ابن المهلب من يزيد بن عبد الملك فأرسل إلى مواليه فأعدوا له إبلاً وخيلاً وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه، فأرسل إلى عامل حلب مالاً وإلى الحرس الذين يحفظونه وقال: إن أمير المؤمنين قد ثقل وليس برجاء وإن وليَ يزيد يسفك دمي فأخرجوه فهرب إلى المكان الذي واعد أصحابه فيه فركب الدواب وقصد البصرة ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول : إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكني خفت أن يلي يزيد فيقتلني شر قتلة، فورد الكتاب وبه رمق فقال: اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه وهضه

فقد هاضني[١] ، ومر يزيد في طريقه بالهذيل بن زفر بن الحرث ـ وكان يخافه ـ فلم يشعر الهذيل إلا وقد دخل يزيد منزله ودعا بلبن فشربه فاستحيا منه الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يـأخذ منـه شيئاً ، وقيـل في سبب خوف ابن المهلب من يـزيد بن عبد الملك : ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

قيل : توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة[٢] احدى ومائة ، وكانت شكواه عشرين يوماً ، ولما مرض قيل له : لو تداويت قال : لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها نِعمَ المذهوب إليه ربي ، وكان موته بدير سمعان ، وقيل : بخناصرة ودفن بدير سمعان ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً ، وقيل : كان عمره أربعين سنة وأشهراً ، وكانت كنيته أبا حفص ، وكان يقال له : أشج بني أمية ، وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته ، وهو غلام فدخل على أمه فضمته إليها وعذلت أباه ولامته حيث لم يجعل معه حاضناً ، فقال لها عبد العزيز : اسكتي يا أم عاصم فطوبى لكِ ان كان أشج بني أمية .

قال ميمون بن مهران : قال عمر بن عبد العزيز : لما وضعت الوليد في حفرته نظرت فإذا وجهه قد اسودَّ فإذا متُّ ودفنت فاكشف عن وجهي ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه ، وقيل : كان ابن عمر يقول : يا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً ، وكانت أم عمر بن عبد العـزيز أم عـاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو عمر بن عبد العـزيز بن مـروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، ورثاه الشعراء فأكثروا فقال كثير عزة :

أقـولُ لمَّـا أتـاني ثَـم مَهْلكَـهُ ... لا تبعـدَنَّ قـوام الحقِّ والـديـنِ
قد غادروا في ضريحِ اللحد منجدلاً ... بدَيرِ سَمعَانَ قِسطاسَ الموازينِ

ورثاه جرير والفرزدق وغيرهما .

---

(١) عبارة الطبري « ان كان يزيد يريد بهذه الامة شراً فاكفهم شره وارْدُدْ كيده في نحره » .

(٢) في الطبري « لعشر ليال بقين من رجب » .

ذكر بعض سيرته

قيل : لما ولي الخلافة كتب إلى يزيد بن المهلب أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عباد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعـدي ان كان ، وان الذي ولاني الله من ذلك وقدر لي ليس عليّ بهين ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج أو اعتقال أموال لكان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلافة(٢) وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً ومسألة غليظة الا ما عفا الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك ، فلما قرأ الكتاب قيل له : لست من عماله لأن كلامه ليس ككلام من مضى من أهله ، فدعا يزيد الناس إلى البيعة فبايعوا ، قال مقاتل بن حيان : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أما بعد فاعمل عمل من يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين ؛ قال طفيل بن مرداس : كتب عمر إلى سليمان بن ابي السري أن اعمل خانات في بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين وإن كان منقطعاً به فأبلغه بلده ، فلما أتاه كتاب عمر قال له أهل سمرقند : قتيبة ظلمنا وغدر بنا فأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والانصاف فأذن لنا فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين فأذن لهم فوجهوا وفداً الى عمر ، فكتب لهم إلى سليمان : إن اهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة قال : فأجلس لهم سليمان جميع من حاضر القـاضي فقضى أن يخرج عـرب سمرقنـد الى معسكرهم وينابذهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة ، فقال أهل الصغد : بل نرضى بما كان ولا نحدث حرباً وتراضوا بذلك .

قال داود بن سليمان الجعفي ، كتب عمر إلى عبد الحميد : أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسُنَّة خبيثة سنّها عليهم عمال السوء ، وإن قِوام الدين والعدل والاحسان فلا يكون شيء أهم إليك من نفسك فلا تحملها قليلاً من الإثم ، ولا تحمل خراباً على عامر وخذ منه ما أطاق واصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذن من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض ، ولا تأخذن أجور

---

(١) في الطبري « من خلقه » .

الضرابين . ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح[١] ولا أجور البيوت ، ولا درهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض فاتبع في ذلك أمري فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ، ولا تتعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه ، وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له مائة ليحج بها والسلام .

قال عثمان بن عبد الحميد : حدثني أبي قال : قالت فاطمة بنت عبد الملك - رحمها الله - امرأة عمر: لما مرض اشتد قلقه ليلة فسهرنا معه فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ليكون عنده ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه ثم نمنا فلما انتفخ النهار استيقظت فوجهت إليه فرأيت مرثداً خارجاً من البيت نائماً فقلت له : ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني وقال لي : إني أرى شيئاً ما هو بأنس ولا جن فخرجت فسمعته يتلو ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[٢] قالت : فدخلت فوجدته بعد ما دخلت قد وجه نفسه للقبلة وهو ميت ، قال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر أعوده فإذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت أخت مسلمة : اغسلوا ثياب أمير المسلمين فقالت : نفعل ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت : ألم آمركم أن تغسلوا قميصه فقالت : والله ماله غيره ، قيل : وكانت نفقته كل يوم درهمين ، قيل : وكان عبد العزيز قد بعث ابنه إلى المدينة للتأدب بها فكتب إلى صالح بن كيسان أن يتعاهده فأبطأ عمر يوماً عن الصلاة فقال : ما حبسك ؟ فقال : كانت مرجلتي تصلح شعري فكتب إلى أبيه بذلك فأرسل أبوه رسولاً فلم يزل حتى حلق شعره .

وقال محمد بن علي الباقر : إن لكل قوم نجيبة وإن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فلم نبرح حتى تعلمنا منه ، وقال ميمون : كانت العلماء عند عمر تلامذة ، وقيل لعمر : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي فقال : اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة ، وقال عمر : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله ، وقال رياح بن عبيدة : خرج عمر بن عبد العزيز وشيخ متوكىء على يده فلما فرغ ودخل قلت : أصلح الله الأمير من الشيخ

(١) في الطبري « ولا أجور الفيوج ».
(٢) سورة القصص ٨٣.

الذي كان متوكئاً على يدك ؟ قال : أرأيته ؟ قلت : نعم قال : ذاك أخي الخضر أعلمني أني سأَلي أمر هذه الأمة وأنِّي سأعدل فيها قال : وأتاه أصحاب مراكب الخلافة يطلبون علفها فأمر بها فبيعت وجعل أثمانها في بيت المال وقال : تكفيني بغلتي هذه قال : ولما رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مغتماً فسأله فقال : ليس أحد من أمة محمد في شرق الأرض ولا غربها إلا وأنا أريد أن أؤدي اليه حقه من غير طلب منه ، قال : ولما ولي الخلافة قال لامرأته وجواريه : إنه قد شغل بما في عنقه عن النساء وخيَّرهن بين أن يقمن عنده أو يفارقنه فبكين واخترن المقام معه ، قال : ولما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ـ وكانت أول خطبة خطبها ـ ثم قال : أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه ولا يغتابن أحداً ، ولا يعترض فيما لا يعنيه فانقشع الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد وقالوا : ما يسعنا نفارق هذا الرجل حتى يخالف قوله فعله ، قال : فلما ولي الخلافة أحضر قريشاً ووجوه الناس فقال لهم : إن فدك كانت بيد رسول الله ﷺ فكان يضعها حيث أراه الله ثم وليها أبو بكر كذلك وعمر كذلك ثم أقطعها مروان ثم إنها صارت إلي ولم تكن من مالي أعود منها علي وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ . قال : فانقطعت ظهور الناس ويئسوا من الظلم ، قال : وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم : إن أهلي أقطعوني مالم يكن لي أن آخذه ولا لهم أن يعطونيه واني قد هممت برده على أربابه قال : فكيف تصنع بولدك ؟ فجرت دموعه وقال : اكلهم الى الله ، قال : وجد لولده ما يجد الناس فخرج مزاحم حتى دخل على عبد الملك بن عمر فقال له : إن أمير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا وهذا أمر يضركم وقد نهيته عنه فقال عبد الملك : بئس وزير الخليفة أنت . ثم قام فدخل على أبيه وقال له : إن مزاحماً أخبرني بكذا وكذا فما رأيك ؟ قال : إني أريد أن أقوم به العشية قال : عجله فما يؤمنك أن يحدث لك حدث أو يحدث بقلبك حدث فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على ديني ثم قام به من ساعته في الناس وردها .

قال : ولما ولي عمر الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم وسمى ذلك مظالم ففزع بنو

أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان فأتته فقالت له : تكلم أنت يا أمير المؤمنين فقال : إن الله بعث محمداً ﷺ رحمة ولم يبعثه عذاباً الى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهراً شربهم سواء ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولي عمر فعمل عملهما ، ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ، ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت : حسبك قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئاً أبداً فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه ، وقد قيل : إنها قالت له إن بني أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له : إنهم يحذرونك يوماً من أيامهم فغضب وقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا .

قال : وقال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما كان سواهم فهم منتزون ، قال : وقال الشافعي مثله ، قال : وكان يكتب إلى عماله بخلال فهي تدور بينهم ، باحياء سنة أو إطفاء بدعة ، أو قسم في مسكنة أو رد مظلمة ، قال : وكانت فاطمة بنت الحسين بن علي تثني عليه وتقول : لو كان بقي لنا عمر بن عبد العزيز ما احتجنا بعده إلى أحد ، قالت فاطمة امرأته : دخلت عليه وهو في مصلاه ودموعه تجري على لحيته فقلت : أحدث شيء ؟ فقال : إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والغازي والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وان خصمي دونهم محمد ﷺ إلى الله فخشيت أن لا تثبت حجتي عند الخصومة فرحمت نفسي فبكيت ، قيل : ولما مرض ابنه عبد الملك مرض موته وكان من أشد أعوانه على العدل دخل عليه عمر فقال له : يا بني كيف تجدك ؟ قال أجدني في الحق قال : يا بني أن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك فقال ابنه : يا أبتاه لأن يكون ما تحب أحب الي من أن يكون ما أحب فمات في مرضه وله سبع عشرة سنة .

قيل : وقال عبد الملك لأبيه عمر : يا أمير المؤمنين ما تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقاً لم تحيه وباطلاً لم تمته ؟ فقال : يا بني إن أجدادك قد دعوا الناس عن الحق

فانتهت الأمور إلي وقد أقبل شرها وأدبر خيرها ولكن أليس حسناً وجميلاً أن لا تطلع الشمس علي في يوم إلا أحييت فيه حقاً وأمتُّ فيه باطلاً حتى يأتيني الموت فأنا على ذلك ، وقال له أيضاً : يا أمير المؤمنين انقد لأمر الله وإن جاشت بي وبك القدور فقال : يا بني إن بادهت الناس بما تقول أحوجوني إلى السيف ولا خير في خير لا يحيا إلا بالسيف فكرر ذلك .

قيل : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله نسخة واحدة أما بعد ـ فإن الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله وشرفهم وأعزهم وضرب الذلة والصغار على من خالفهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فلا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم فتتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم فإن الله عز وجل يقول : ﴿ لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكـم خبالاً ودُّوا ما عَنِتُّم ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾[1] والسلام ، فهذا القدر كاف في التنبيه على فضله وعدله .

وفي هذه السنة مات محمد بن مروان في قول : وأبو صالح ذكوان .

ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك

وفيها تولى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة ـ وكنيته أبو خالد ـ بعهد من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز ، ولما احتضر عمر قيل له : اكتب إلى يزيد فأوصِه بالأمة قال : بماذا أوصيه ؟ إنه من بني عبد الملك ثم كتب إليه أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام ، فلما ولي يزيد نزع أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة واستعمل عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عليها ، واستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبدالله بن عبد الأسد المخزومي وأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلاً حتى شكا عثمان بن حيان إلى يزيد بن عبد الملك من ابن حزم وانه ضربه حدين وطلب منه أن يقيده منه ، فكتب يزيد إلى

---

(١) سورة آل عمران ١١٨ .

عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً ـ أما بعد ـ فانظر فيما ضرب ابن حزم بن حيان فإن كان ضربه في أمرين أو أمر يختلف فيه فلا تلتفت اليه ، فأرسل ابن الضحاك فأحضر ابن حزم وضربه حدين في مقام واحد ولم يسأله عن شيء ، وعمد يزيد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجلة ولا إثماً عاجلاً ، فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان على اليمن فجعل عليهم خراجاً مجدّداً فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بالاقتصار على العشر ونصف العشر وترك ما جدّده محمد بن يوسف وقال : لأن يأتيني من اليمن حفنة ذرة أحب إليَّ من تقرير هذه الوضيعة ، فلما ولي يزيد بعد عمر أمر بردها وقال لعامله : خذها منهم ولو صاروا حرضاً والسلام .

ذكر مقتل شوذب الخارجي

قد ذكرنا خروجه ومراسلته عمر بن عبد العزيز لمناظرته فلما مات عمر أحب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ـ وهو الأمير على الكوفة ـ أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمناجزة[1] شوذب ـ واسمه بسطام ـ ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر ، فلما رأوا محمداً يستعد للحرب أرسل اليه شوذب ما أعجلكم قبل انقضاء المدة أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع الرسولان ؟ فارسل محمد انه لا يسعنا ترككم على هذه الحال ، فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح فاقتتلوا فأصيب من الخوارج نفر وقتل الكثير من أهل الكوفة وانهزموا ، وجرح محمد بن جرير في إسته فدخل الكوفة وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ثم رجعوا إلى مكانهم ، وأقام شوذب ينتظر صاحبيه فقدما عليه وأخبراه بموت عمر ، ووجه يزيد من عنده تميم بن الحباب في ألفين قد أرسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد معه وحاربوه فقتلوه وقتلوا أصحابه ولجأ بعضهم إلى الكوفة وبعضهم إلى يزيد ، فارسل اليهم يزيد نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه وهزموا أصحابه ، فوجه إليهم يزيد الشحاج بن وداع في ألفين فراسلهم وراسلوه فقتلوه وهزموا أصحابه ، وقتل منهم نفر منهم هدبة بن عم شوذب فقال أيوب بن خولي يرثيهم :

---

(١) في الطبري « بمحاربة »

تَـركنـا تميمـاً في الغُبَـارِ مُلَحَّبَـاً ... تَبْكي عليه عِـرْسُـهُ وقَـرَائبُـهْ
وقـد أسلَمتْ قيسٌ تميماً ومـالكاً ... كمـا أسلَمَ الشحاج أمس أقـاربُـهْ
وأقبـلَ مِنْ حَـرّانَ يَحْمِـلُ رَايَـة ... يـغـالِـبُ أمـرَ اللهِ واللهُ غَـالِـبُـهْ
فيـا هُدْبَ للهَيْجَا ويا هُـدْبَ للنَـدى ... ويَـا هـدب للخَصْمِ الأَلَـدِّ يُحَارِبُـهْ
ويا هدب كم من مُلجم[1] قد أجبْتَهُ ... وقـد أسلَمتـهُ لـلرِّمـاحِ جَـوَالِبُـهْ
وكـان أبـو شَيْبَـان خيـرَ مُقـاتِـلٍ ... يرجى ويخشى حربـه[2] من يُحاربُـهْ
ففَـازَ ولاقى اللهَ فـي الخيـرِ كُـلِّهِ ... وخَـذَّمَه[3] بـالسيف في اللهِ ضـاربُـهْ
تَـزَوَّدَ مِـن دُنيَـاه دِرْعـاً ومِـغْـفـراً ... وعَضْبـاً حسـامـاً لم تَخُنْـهُ مَضَـارِبُـهْ
وأجـرَدَ مَـحبُـوكَ الـسـراة كـأنَّـهُ ... إذا انقَضَّ وَافي الرِّيش حِجْنٌ مَخالِبُهْ

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة فشكا إليه أهل أهل الكوفة مكان شوذب وخوفوه منه ، فأرسل إليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي ـ وكان فارساً ـ في عشرة آلاف فأتاه وهو بمكانه فرأى شوذب ، وأصحابه ما لا قبل لهم به فقال لأصحابه : من كان يريد الشهادة فقد جاءته ومن كان يريد الدنيا فقد ذهبت فكسروا أغماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيدا وأصحابه مراراً حتى خاف سعيد الفضيحة فوبخ أصحابه وقال : من هذه الشرذمة ـ لا أب لكم ـ تفرون يا أهل الشام يوماً كأيامكم فحملوا عليهم فطحنوهم طحناً وقتلوا بسطاماً وهو شوذب وأصحابه .

ذكر موت محمد بن مروان

وفي هذه السنة توفي محمد بن مروان بن الحكم أخو عبد الملك وكان قد ولي الجزيرة وارمينية واذربيجان ، وغزا الروم وأهل أرمينية عدة دفعات وكان شجاعاً قوياً وكان عبد الملك يحسده لذلك ، فلما انتظمت الأمور لعبد الملك أظهر ما في نفسه له فتجهز محمد ليسير إلى أرمينية ، فلما ودع عبد الملك سأله عن سبب مسيره فقال :

وإنـك لا تـرى طـرداً لـحـر ... كـالـصـاق بـه بـعض الـهـوان

---

(١) في الطبري : « ويا هدب كم من ملحم ».
(٢) في الطبري « بأسه ».
(٣) خَذَّمَهُ : أي قطَّعَهُ .

فلو كنا بمنزلة جميعاً جريت وأنت مضطرب العنان

فقال له عبد الملك : أقسمت عليك لتقيمن فوالله لا رأيت مني ما تكره وصلح له ، ولما أراد الوليد عزله طلب من يسد مكانه فلم يقدم أحد عليه الا مسلمة بن عبد الملك .

ذكر دخول يزيد بن المهلب البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك

قيل : وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز على ما تقدم ، فلما مات عمر وبويع يزيد بن عبد الملك كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والى عدي بن أرطأة يأمرهما بالتحرز من يزيد ويعرفهما هربه ، وأمر عدياً أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب فأخذهم وحبسهم فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد حتى ارتفع على القطقطانة وبعث عبد الحميد جنداً إليهم عليهم هشام بن مساحق العامري عامر بن لؤي فساروا حتى نزلوا العذيب ، ومر يزيد قريباً منهم فلم يقدموا عليه ومضى يزيد نحو البصرة وقد جمع عدي بن أرطأة أهل البصرة وخَندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي ، وجاء يزيد في أصحابه الذين معه فالتقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع اليه من أهله وقومه ومواليه ، فبعث عدي على كل خمس من أخماس البصرة رجلاً ، فبعث على الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي ، وبعث على تميم محرز بن حمران السعدي ، وعلى خمس بكر مفرج بن شيبان بن مالك بن مسمع وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى أهل العالية عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر ، وأهل العالية قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة ، وأهل العالية والكوفة يقال لهم : ربع أهل المدينة ، فاقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره فاختلف الناس إليه ، فأرسل إلى عدي أن ابعث إلى اخوتي وإني أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي من يزيد ما أحب فلم يقبل منه ، فسار حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالداً القسري ، وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهله ، وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أتاه قطع الذهب والفضة فمال الناس إليه ، وكان عدي لا يعطي إلا درهمين درهمين

ويقول : لا يحل لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذه حتى يأتي الأمر في ذلك ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

أظُنُّ رِجالَ الدرهَمَين تقودُهُم[1] إلى الموتِ آجالٌ لَهُم ومَصارعُ
وأكيسُهُم من قَرَّ في قعر بَيتِهِ[2] وأيقَنَ أن الموت لا بُدَّ[3] واقع

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي فنزلوا المربد ، وبعث إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له : دارس ، فحمل عليهم فهزمهم ، وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بني يشكر وهي النصف فيما بينه وبين القصر فلقيه قيس وتميم وأهل الشام واقتتلوا هنيهة وحمل عليهم أصحاب يزيد فانهزموا وتبعهم ابن المهلب حتى دنا من القصر ، فخرج إليهم عديٌّ بنفسه فقتل من أصحابه موسى بن الوجيه الحميري والحرث بن المصرف الأودي وكان من فرسان الحجاج وأشراف أهل الشام وانهزم أصحاب عدي ، وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عديٍّ الأصوات تدنو والنشاب تقع في القصر فقال لهم عبد الملك : إني أرى أن يزيد قد ظهر ولا آمن من مع عدي من مُضر ، وأهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد فأغلقوا الباب وألقوا عليه الرحل ففعلوا فلم يلبثوا أن جاءهم عبدالله بن دينار مولى بني عامر وكان على حرس عديّ ، فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه وأخذوا يعالجون الباب فلم يطيقوا قلعه وأعجلهم الناس فخلوا عنهم ، وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل داراً لسليمان بن زياد ابن أبيه الى جنب القصر وأتى بالسلالم وفتح القصر وأتى بعدي بن أرطأة فحبسه وقال له : لولا حبسك إخوتي لما حبستك ، فلما ظهر يزيد هرب رؤوس أهل البصرة من تميم، وقيس ، ومالك بن المنذر فلحقوا بالكوفة ولحق بعضهم بالشام ، وخرج المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي نحو الشام فلقي خالداً القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا بأمان يزيد بن المهلب وكل شيء أراده فسألاه عن الخبر فخلا بهما سراً من حميد وأخبرهما وقال : أين تريدان ؟ فأخبراه بأمان يزيد فقال : إن يزيد قد ظهر على البصرة وقتل القتلى وحبس عدياً فارجعا

---

(١) في الطبري : « يسوقهم ».
(٢) في الطبري : « فأحزمهم من كان في قعر بيته ».
(٣) في الطبري : « وأيقن أن الامر لا شكّ واقع » .

فرجعا وأخذا حميداً معهما ، فقال لهما حميد : انشدكما الله أن تخالفا ما بعثتما به فإن ابن المهلب قابل منكماوإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء فلا تسمعا مقالته فلم يقبلا قوله ورجعا به ، وأخذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة خالد بن يزيد بن المهلب وجمال بن زَحر ولم يكونا في شيء من الأمر فأوثقهما وسيرهما إلى الشام فحبسهما يزيد بن عبد الملك فلم يفارقا السجن حتى هلكا فيه ، وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى الكوفة شيئاً يفرق على أهلها ويمنيهم الزيادة وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام ، والجزيرة ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً فساروا إلى العراق وكان مسلمة يعيب العباس ويذمه فوقع بينهما اختلاف فكتب إليه العباس :

ألا نفسي فدَاك أبا سعيد ... وتقصر عن ملاحاتي وعذلي
فلولا أن أصلَك حين يَنْمى ... وفرعَك مُنتهى فرعي وأصلي
وإني إن رمَيْتُكِ هِضْتُ عظمي ... ونالتني إذا نالتْك نَبْلي
لقد أنْكَرْتَني إنكارَ خوفٍ ... يقصرُ منك عن شتمي وأكلي
كقولِ المرءِ عمرو في القوافي ... أريدُ حياتَهُ ويريدُ قتْلي

قيل : ان هذه الأبيات للعباس ، وقيل : إنما تمثل بها فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فأرسل إليهما وأصلح بينهما ، وقدما الكوفة ونزلا بالنخيلة فقال مسلمة : ليت هذا المزوني ـ يعني ابن المهلب ـ لا كلفنا اتباعه في هذا البرد ، فقال حيان النبطي مولى لشيبان : أنا أضمن لك أنه لا يبرِهِ الأرَضَة ـ يريد واضمن انه لا يبرح العَرَصَة ـ فقال له العباس : لا أم لك أنت بالنبطية ابصر منك بهذا ، فقال حيان : انبط الله وجهك أسقر أهمر ليس إليه طابىء الخلافة ـ يريد أشقر أحمر ليس عليه طابع الخلافة ـ قال مسلمة : يا أبا سفيان لا يهولنك كلام العباس ، فقال : إنه أهمق ـ يريد أحمق ـ .

ولما سمع اصحاب ابن المهلب وصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فبلغ ابن المهلب فخطب الناس وقال : قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون : جاء أهل الشام ومسلمة وما أهل الشام ؟ هل هم إلا تسعة أسياف سبعة منها إلي وسيفان علي ؟ وما مسلمة إلا جرادة صفراء أتاكم في برابره وجرامقته وجراجمه وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش وأخلاط أو ليسوا بشراً يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون أعيروني

سواعدكم تصفقون بها وجوههم وقد ولوا الادبار ، واستوثقوا أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان ، وبعث إلى خُراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم فقال لأهلها : هذا مدرك قد أتاكم ليلقى بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة فسار بنو تميم ليمنعوه ، وبلغ الأزد بخُراسان ذلك فخرج منهم نحو ألفي فارس فلقوا مدركاً على رأس المفازة فقالوا له : إنك أحب الناس إلينا وقد خرج أخوك فإن يظهر فإنما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وأحقهم بذلك وإن تكن الأخرى فمالك في أن تغشينا البلاء راحة فانصرف عنهم . فلما استجمع أهل البصرة ليزيد خطبهم وأخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ويحثهم على الجهاد ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ، وكان الحسن البصري يسمع فرفع صوته يقول : والله لقد رأيناك والياً ومواليا عليك فما ينبغي لك ذلك ، ووثب أصحابه فأخذوا بفمه وأجلسوه ، ثم خرجوا من المسجد وعلى باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول : يا عباد الله ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه فوالله ما رأينا مذ ولوا عليّاً الا أيام عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن والنضر أيضاً قد شهد .

ومر الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون : تدعونا إلى سنة العمرين فقال الحسن : كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يرسلها إلى بني مروان يريد رضاهم فلما غضب نصب قصباً ثم وضع عليها خرقا ثم قال : إني قد خالفتهم فخالفوهم ، فقال هؤلاء : نعم . ثم قال : إني أدعوهم الى سنة العمرين وإن من سنة العمرين ان يوضع في رجله قيد ثم يرد الى محبسه فقال ناس من اصحابه : لكأنك راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راضٍ عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله ﷺ يقتلون أهله ثلاثاً قد أباحوها لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمة ؟ ثم خرجوا إلى مال بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها واستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار ، ثم إن يزيد سار من البصرة واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلب وأتى واسطاً ، وكان قد استشار من أصحابه حين توجه نحو واسط فقال له اخوه خبيب وغيره : نرى أن نخرج وننزل بفارس فنأخذ بالشعاب والعقاب وندنو من خراسان ونطاول أهل الشام فإن أهل الجبال يأتون اليك وفي يدك القلاع والحصون ، فقال :

ليس هذا برأيي تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل ، فقال خبيب : إن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها بعض أهلك الى الكوفة وإنما بها عبد الحميد مررت به في سبعين رجلاً فعجز عنك فهو من خيلك أعجز فسبق إليها أهل الشام وأكثر أهلها يرون رأيك ولأن تلي عليهم أحب اليهم من أن يلي عليهم أهل الشام فلم تطعني ، وأنا أشير الآن برأي سرح مع بعض أهلك خيلاً كثيرة من خيلك فتأتي الجزيرة ويسيروا اليها حتى ينزلوا حصناً من حصونهم وتسير في أثرهم فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوهم جندك بالجزيرة يقبلون إليك فيقيموا عليهم فيحبسوهم عنك حتى تأتيهم ويأتيك من بالموصل من قومك وينفض اليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم في أرض رخيصة السعر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك قال : أكره أن أقطع جيشي ، فلما نزل واسطاً أقام بها أياماً يسيرة وخرجت السنة .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس وكان عامل المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بني أسيد ، وكان على الكوفة عبد الحميد وعلى قضائها الشعبي ، وكانت البصرة قد غلب عليها ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

وفيها عزل اسماعيل بن عبيدالله عن افريقية واستعمل مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فبقي عليها إلى أن قتل على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وفيها توفي مجاهد بن جبر ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : سنة أربع ، وقيل : سبع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة ، وفيها توفي عمار بن جبر ، قيل : وفيها توفي أبو صالح ذكوان ، وفيها توفي عامر بن أكثمة الليثي ، وأبو صالح السمان ـ وقيل له الزيات ايضاً لأنه كان يبيعهما ـ وأبو عمرو سعيد بن إياس الشيباني وكان عمره سبعاً وعشرين ومائة سنة وليست له صحبة ، وفي خلافة عمر توفي عبيدة بن أبي لبابة أبو القاسم العامري .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

ذكر مقتل يزيد بن المهلب

ثم إن يزيد بن المهلب سار عن واسط واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والأسراء وسار على فم النيل حتى نزل العقر ، وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد بسورا فاقتتلوا فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم فيها ومعهم ناس من تميم ، وقيس من أهل البصرة ممن انهزم من يزيد فنادوا يا أهل الشام الله الله أن تسلمونا وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك إلى النهر ، فقال أهل الشام : لا بأس عليكم إن لنا جولة في أول القتال ثم كروا عليهم فانكشف أصحاب عبد الملك فانهزموا وعادوا إلى يزيد ، وأقبل مسلمة يسير على شاطىء الفرات إلى الأنبار وعقد عليها الجسر فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب ، وأتى الى ابن المهلب ناس من أهل الكوفة كثير ومن الثغور، فبعث على من خرج اليه من أهل الكوفة وربع أهل المدينة عبدالله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وعلى ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الأشتر ، وعلى كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن الأشعث ، وعلى تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً المفضل بن المهلب وأحصى ديوان ابن المهلب مائة الف وعشرين ألفاً فقال : لوددت أن لي بهم من بخراسان من قومي ، ثم قام في أصحابه فحرضهم على القتال ، وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وشق المياه وجعل على أهل الكوفة الأرصاد لئلا يخرجوا إلى ابن المهلب ، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف .

وبعث مسلمة فعزل عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة ، فجمع يزيد رؤوس أصحابه فقال : قد رأيت أن أجمع

اثني عشر ألفاً فأبعثهم مع أخي محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحمل معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم بقية ليلته وأمدّه بالرجال حتى أصبح فإذا أصبحت نهضت إليهم في الناس فأناجزهم فإني أرجو عند ذلك أن ينصرني الله عليهم . فقال السُّميدع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا وقال أبو رؤبة ـ وهو رأس الطائفة المرجئة ومعه أصحاب له : صدق هكذا ينبغي ، فقال يزيد : ويْحَكم أتصدقون بني أمية أنهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا إنهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم اليه ، إني لقيت بني مروان فما لقيت منهم أمكر ولا أبعد غدراً من هذه الجرادة الصفراء ـ يعني مسلمة ـ قالوا : لا نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا ، وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى يزيد والحسن البصري يثبطهم ، فلما بلغ ذلك مروان قام في الناس يأمرهم بالجدّ والاحتشاد ، ثم قال : بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي ، ولم يسمِّهِ ، يثبط الناس ، والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه وايم الله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إليه سقاط الابلة ، وعلوج فرات البصرة أو لأنحين عليه مربداً خشناً . فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما اكره ان يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك فقال لهم : فقد خالفتكم إذ ذاك إلى ما نهيتكم عنه آمركم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري وآمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دوني فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقوا وكف عن الحسن ، وكان اجتماع يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيام فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلمة فعبىء جنود أهل الشام ثم قرب من ابن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي ، وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي وجعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانىء الهمداني . وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي وكان مسلمة على الناس .

وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى ميسرته المفضل بن المهلب ، فخرج رجل من أهل الشام فدعا إلى المبارزة فبرز إليه محمد بن

المهلب فضربه محمد فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع الكف الحديد وأسرع السيف في كفه واعتنق فرسه فانهزم ، فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار فسطع دخانه وقد أقبل الناس ونشبت الحرب ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا فقيل ليزيد : قد انهزم الناس فقال مم انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله ؟ فقيل له : قالوا احرق الجسر فلم يثبت أحد فقال : قبحهم الله بق دخن عليه فطار ، ثم خرج ومعه أصحابه فقال : اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه واستقبله أمثال الجبال فقال : دعوهم فوالله إني لأرجو أن لا يجمعني واياهم مكان أبداً دعوهم يرحمهم الله غنم عدا في نواحيها الذئب ، وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وكان قد أتاه يزيد بن الحكم بن ابي العاص الثقفي ـ وهو ابن اخي عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ليس بينه وبين الحكم بن أبي العاص والد مروان نسب وهو بواسط ـ فقال له : إن بني مروان قد باد ملكهم والله فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر فقال : ما شعرت فقال ابن الحكم :

فعِشْ ملكاً أو مُتْ كريماً فإن تَمُتْ ... وَسيفُـكَ مشهـورٌ بكفـك تُعْـذَرِ

فقال أما هذا فعسى ، فلما رأى يزيد انهزام أصحابه قال : يا سميدع أرأيي أجود أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم ؟ قال : بلى فنزل سميدع ونزل يزيد في أصحابهما ، وقيل : كان على فرس أشهب فأتاه آت فقال : ان أخاك حبيباً قد قتل فقال : لا خير في العيش بعده قد كنت والله أبغض للحياة بعد الهزيمة وقد ازددت لها بغضاً امضوا قدماً ، فعلموا انه قد استقتل فتسلل عنه من يكره القتال وبقي معه جماعة جنسه[1] وهو يتقدم . فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه ، وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ، فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد والسميدع ومحمد بن المهلب ، وكان رجل من كلب يقال له : القحل بن عياش فلما نظر إلى يزيد قال : هذا والله يزيد والله لأقتلنّه أو ليقتلني فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه ؟ فحمل معه ناس فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً وعن القحل بآخر رمقه فأومأ إلى أصحابه يريهم مكان يزيد وأنه هو قاتله وان يزيد قتله .

---

(١) في الطبري « جماعة حسنة »

وأتى برأس يزيد مولى لبني مرة فقيل له :أنت قتلته؟ قال: لا ، فلما أتى مسلمة سيره إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقيل : بل قتله الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي ولم ينزل يأخذ رأسه أنفة ، ولما قتل يزيد كان المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام وما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس ، وكان كلما حمل على الناس انكشفوا ثم يحمل حتى يخالطهم ، وكان معه عامر بن العميثل الأزدي يضرب بسيفه ويقول :

قـد عَلِمتْ أُمُّ الصبيِّ المـولـودِ   أني بنصـلِ السَّيفِ غَيْـرُ رِعْـدِيـدْ

فاقتتلوا ساعة فانهزمت ربيعة ، فاستقبلهم المفضل يناديهم يا معشر ربيعة الكرة الكرة والله ما كنتم بكشف ولا لئام ولا لكـم هذه بعادة فلا يؤتين أهل العراق من قبلكم فدتكم نفسي فرجعوا إليه يريدون الحملة ، فأتى وقيل له : ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس منذ طويل ؟ فتفرق الناس عنه ومضى المفضل إلى واسط ، فما كان من العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبية للحرب ولا أغشى للناس منه، وقيل: بل أتاه أخوه عبدالملك وكره أن يخبره بقتل يزيد فيستقتل فقال له: ان الأمير قد انحدر إلى واسط فانحدر المفضل بمن بقي من ولد المهلب الى واسط ، فلما علم بقتل يزيد حلف أنه لا يكلم عبد الملك أبداً فما كلمه حتى قتل بقندا بيل ، وكانت عينه أصيبت في الحرب فقال : فضحني عبد الملك ما عذري إذا رآني الناس فقالوا : شيخ أعور مهزوم ألا صدقني فقتلت ، ثم قال :

ولا خير في طعن الصناديد بالقنـا   ولا في لقـاء الحـرب بعـد يـزيـد

فلما فارق المفضل المعركة جاء عسكر الشام إلى عسكر يزيد فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجئة ساعة من النهار ؛ وأسر مسلمة نحو ثلاثمائة أسير فسرحهم إلى الكوفة فحبسوا بها ، فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو بن الوليـد يأمـره بضرب رقاب الأسرى فأمر العريان بن الهيثم ـ وكان على شرطته ـ أن يخرجهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين فقام نحو ثلاثين رجلاً من تميم فقالوا : نحن انهزمنا بالنـاس فابدأوا بنا قبل الناس فاخرجهم العريان فضرب رقابهم وهم يقولون : انهزمنا بالناس فكان هذا جزاءنا ، فلما فرغوا منهم جاء رسول بكتاب من عند مسلمة يأمره بترك قتل الأسرى وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، ولما أتت هزيمة يزيد إلى واسط أخرج ابنه

معاوية اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده فضرب أعناقهم منهم عدي بن أرطأة ومحمد بن عدي بن ارطأة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وغيرهم ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا للركوب في البحر ، وكان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنداببيل أميراً وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العَرَصَة حتى يكون لي أولهم فإن ظفرت أكرمتك وإن كانت الأخرى كنت بقنداببيل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لانفسهم أماناً وقد اخترتك لهم من بين قومي فكن عند أحسن ظني ، وأخذ عليه العهود ليناصحن أهل بيته إن هم لجأوا اليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ثم لججوا في البحر حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان المقدم عليهم المفضل بن المهلب ، وكان بكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلبهم وفي أثر الفل فأدرك مدرك المفضل ومعه الفلول في عقبة فعطفوا عليه فقاتلوه واشتدّ قتالهم اياه فقتل من أصحاب المفضل النعمان بن ابراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الأشعث ؛ وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً .

وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة وهرب حتى انتهى إلى حلوان فدل عليه فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب ابن المهلب فطلبوا الأمان فأمنوا ، منهم مالك بن ابراهيم بن الأشتر والورد بن عبدالله بن حبيب السعدي التميمي ، ومضى آل المهلب ومن معهم إلى قنداببيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب فرده وسيَّر في أثرهم هلال بن أحوز التميمي فلحقهم بقنداببيل فأراد أهل المهلب دخولها فمنعهم وداع بن حميد وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب ، فلما التقوا كان وداع على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدي ، فرفع هلال بن أحوز راية أمان فمال اليه وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وتفرَّق الناس عن آل المهلب .

فلما رأى ذلك مروان بن المهلب أراد أن ينصرف إلى النساء فيقتلهن لئلا يصرن إلى أولئك فنهاه المفضل عن ذلك وقال : إنّا لا نخاف عليهن من هؤلاء فتركهن ،

وتقدموا بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم ، وهم المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤوسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه إلا أبا عيينة بن المهلب وعمرو بن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل ، وبعث هلال بن أحوز بنسائهم ، ورؤوسهم والأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بالحيرة فبعثهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك فسيرهم يزيد إلى العباس بن الوليد ـ وهو على حلب ـ فنصب الرؤوس وأراد مسلمة أن يبيع الذرية فاشتراهم منه الجراح بن عبدالله الحكمي بمائة ألف وخلَّى سبيلهم ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً ؛ ولما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر بقتل يزيد سرَّه لانتصاره ولما في نفسه منه قبل الخلافة ، وكان سبب العداوة بينهما أن ابن المهلب خرج من الحمام أيام سليمان بن عبد الملك وقد تضمخ بالغالية فاجتاز بيزيد بن عبد الملك ـ وهو إلى جانب عمر بن عبد العزيز ـ فقال : قبح الله الدنيا لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلا ينالها إلا كل شريف ، فسمع ابن المهلب فقال له : بل وددت أن الغالية لو كانت في جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلي ، فقال له يزيد بن عبد الملك : والله لئن وليت يوماً لأقتلنّك ، فقال له ابن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حي لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف ، فهذا كان سبب البغض بينهما ، وقيل : غير ذلك وقد تقدم ذكره ، وأما الأسرى فكانوا ثلاثة عشر رجلاً فلما قدم بهم على يزيد بن عبد الملك وعنده كثير عزة أنشد :

حَلِيمٌ إذا ما نَالَ عاقَبَ مجملاً ... أشد العِقَابِ أو عَفَا لم يُثَرِّبِ
فعفواً أمير المؤمنين وحسبة ... فما تأتِهِ من صالح لكَ يكتبِ
أساؤوا فإن تصفحْ فإنك قادرٌ ... وأفضلُ حلمٍ حسبة حلم مغضبِ

فقال يزيد بن عبد الملك : هيهات يا أبا صخر طف بك الرحم لا سبيل إلى ذلك ان الله عز وجل أفادنيهم باعمالهم الخبيثة ثم أمر بهم فقتلوا ، وبقي غلام صغير فقال : اقتلوني فما أنا بصغير فقال : انظروا أنبت فقال : أنا أعلم بنفسي قد احتلمت ووطئت النساء فأمر به يزيد فقتل ، وأسماء الأسرى الذين قتلوا المعارك وعبدالله والمغيرة والمفضل ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل أولاد المفضل بن المهلب والمفضل بن قبيصة بن المهلب ، وقال ثابت قطنة يرثي

يزيد بن المهلب :

أَبَى طُـول هـذا اللَّيْـل أن يَتَصـرَّمـا وَهَـاجَ لـك الـهَمُّ الـفؤاد الـمُتَـيَّمـا
أرِقتُ ولم تـأرَقْ معـي أُمُّ خـالـد وقـد أرِقَتْ عينـايَ حَـوْلاً مُحَـرَّمَـا[١]
على هَـالِـك هَـدَّ العشيـرة فَقْـدُهُ دعتـه المنـايـا فـاستجـاب وَسَلَّمَـا
على مَلِكٍ بـالعقر يـا صَـاحِ[٢] جُبِّنَتْ كتـائبـهُ واستَـورَدَ المـوت مُعلمـا
أصيبَ ولم أشهـدْ ولـو كنتُ شـاهـداً تَسلَّيْتُ إن لم يَجْمَـع الحي مـأتَمَـا
وفي غيـر الأيـام يـا هِنْـدُ فـاعلمي لِـطالِـب وِتـر نـظرة ان تـلوَّمَـا
فـعَلِّي ان مـالـت بيَ الـريـح مَيْلَةً على ابن أبـي ذِبَّـانَ[٣] أن يَتَـنَـدَّمَـا
أَمَسْلَمَ ان تَـقْـدِر عليـك رِمَـاحُـنـا نُـذِقكَ بهـا قيء الأَسَـاوِد مسلَمَـا
وان نلقَ للعبـاس في الـدهـر عثـرةً نُكـافئـه[٤] بـاليـوم الـذي كـان قَـدَّمـا
قصـاصاً ولم نَعْـد الذي كـانَ قـد أتى إلينـا وان كـان ابنُ مـروان أظـلمـا
سَتعـلمُ إن زلت بـك الـنَّعـلُ زلَّـة وأظْهَـرَ أقـوام حيـاء مـجمـجمـا
مَنْ الـظالم الجَاني على أهـلِ بيتِهِ اذا أُحْصِـرَت أسبـاب أمـرٍ وَأَبْهَمَـا
وإنـا لَعَطافُـونَ بـالحلم بعـدمَـا نـرَى الجهـلَ من فـرط اللئيم تكـرُّما
وإنـا لَحـلالـون بـالثَّغـرِ لا نـرى بـه سَاكِنـاً إلا الخميس العَـرَمْـرَمَا
نـرى أَنَ لِلجِيـرانَ حـقـاً وذمـة[٥] إذا النَّاسُ لم يَرْعَوْا لذي الجارِ محرَما[٦]
وإنَّا لنَقْرِي الضيفَ من قَمَعِ الذرَىٰ[٧] إذا كـان رفـدُ[٨] الـرافـدين تجَشَّمـا

وله فيه مرثيات كثيرة .

وأما أبو عيينة بن المهلب فارسلت هند بنت المهلب إلى يزيد بن عبد الملك في

---

(١) في الطبري : « محرما » .
(٢) في الطبري : « على ملك يا صاح بالعقر » .
(٣) أبو ذبان : عبد الملك بن مروان .
(٤) في الطبري : « نكافه » .
(٥) في الطبري : « حاجاً وحرمة » .
(٦) محرما : أي حرمة .
(٧) القمع : رأس السنام .
(٨) رفد الرافدين : أي عطاء المعطين .

أمانه فأمنه ، وبقي عمر ، وعثمان حتى وَلِيَ أسد بن عبدالله القسري خراسان فكتب إليه بأمانهما فقدما خراسان (قطنة) بالنون ، وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي أصيبت عينه بخراسان فجعل عليها قطنة فعرف بذلك ، وهو يشتبه بثابت بن قطبة بالباء الموحدة وهو خزاعي وذاك عتكي .

ذكر استعمال مسلمة على العراق وخراسان

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب جمع له اخوه يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فأقر محمد بن عمرو بن الوليد على الكوفة ، وكان قد قام بامر البصرة بعد آل المهلب شبيب بن الحرث التميمي فبعث عليها مسلمة بن عبد الرحمن بن سليمان[1] الكلبي ، وعلى شرطتها وأحداثها عمرو بن يزيد التميمي ، فاراد عبد الرحمن أن يستعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام وكتب الى مسلمة بالخبر فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرطة والأحداث .

ذكر استعمال سعيد خذينة على خراسان لمسلمة

استعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ـ وهو الذي يقال له سعيد خذينة ـ وإنما لقب بذلك لأنه كان رجلاً ليناً متنعماً فدخل عليه ملك أبغر وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة فلما خرج من عنده قالوا : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خذينة فلقب خذينة ، وخذينة هي الدهقانة ربة البيت ، وكان سعيد تزوج ابنة مسلمة فلهذا استعمله على خراسان .

فلما استعمل مسلمة سعيداً على خراسان سار إليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند ، فسار اليها فقدم الصغد وكان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم ثم عادوا إلى الصلح ، فخطب شعبة أهل الصغد ووبخ سكانها من العرب وغيرهم بالجبن وقال : ما أرى فيكم جريحاً ولا أسمع أنة ، فاعتذروا إليه بانهم جبنهم أميرهم علباء بن حبيب العبدي ؛ وأخذ سعيد عمال عبد الرحمن بن

---

(١) في الطبري « عبد الرحمن بن سليم .

عبدالله الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ثم اطلقهم ، ثم رفع الى سعيد أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي ولوا ليزيد بن المهلب في ثمانية نفر وعندهم أموال قد أخفوها فحبسهم بقهندزمرو ، وحمل جهم بن زحر على حمار وأطاف به فضربه مائتي سوط وأمر به وبالثمانية الذين حبسوا معه فسلموا إلى ورقاء بن نصر الباهلي فاستعفاه فأعفاه ؛ فسلمهم إلى عبد الحميد بن دثار وعبد الملك بن دثار ، والزبير بن نشيط مولى باهلة فقتلوا في العذاب جهم بن زحر وعبد العزيز والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشفوا على الموت فلم يزالوا في السجن حتى غزاهم الترك والصغد فأمر سعيد باخراجهم وكان يقول : قبح الله الزبير فانه قتل جهماً .

ذكر البيعة بولاية العهد لهشام والوليد

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب على ما ذكرناه واستعمل على الجيش مسلمة بن عبد الملك أخاه والعباس بن الوليد بن عبد الملك ـ وهو ابن أخيه ـ قالوا له : يا أمير المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وأرجاف وقد توجهنا محاربين والحوادث تحدث ولا نأمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين فيفت ذلك في أعضادنا فلو عهدت إلى عبد العزيز بن الوليد لكان رأياً صواباً ، فبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى أخاه يزيد فقال : يا أمير المؤمنين أيما أحب إليك أخوك أم ابن أخيك ؟ فقال : بل أخي فقال : فأخوك أحق بالخلافة فقال يزيد : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن اخي كما ذكرت قال : فابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ثم بعده لابنك الوليد ـ وكان الوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه وبعده لابنه الوليد بن يزيد ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنه الوليد فكان إذا رآه يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

ذكر غزوة الترك

لما ولي سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خذينة ، وكان قد استعمل شعبة على سمرقند ثم عزله فطمعت الترك ، فجمعهم خاقان ووجههم إلى الصغد وعلى الترك كورصول فاقبلوا حتى نزلوا بقصر الباهلي ، وقيل : أراد عظيم من عظماء

الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة كانت في ذلك القصر فأبت فاستجاش ورجوا أن يسبوا من في القصر ؛ فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، وكان على سمرقند عثمان بن عبدالله بن مطرف بن الشخير قد استعمله سعيد بعد شعبة فكتبوا إليه وخافوا أن يبطىء عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة .

وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل وفيهم شعبة بن ظهير وثابت قطنة وغيرهما من الفرسان فلما عسكروا قال لهم المسيب : انكم تقدمون على حلبة الترك عليهم خاقان والعوض ان صبرتم الجنة والعقاب ان فررتم النار فمن أراد الغزو والصبر فليقدم فرجع عنه ألف وثلاثمائة . فلما سار فرسخاً رجع بمثل مقالته الأولى فاعتزله ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف ثم سار فلما كان على فرسخين منهم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قيّ فقال : لم يَبْقَ ههنا دهقان إلا وقد بايع الترك غيري وأنا في ثلاثمائة مقاتل فهم معك وعندي الخبر قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً يكونون رهينة في أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم إليهم قتلوا الرهائن وميعادهم أن يقاتلوا غداً ويفتحوا لهم القصر ، فبعث المسيب رجلين رجلاً من العرب ورجلاً من العجم ليعلما علم القوم فأقبلا في ليلة مظلمة وقد أخذت الترك الماء في نواحي القصر فليس يصل إليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة ، فقالا له : اسكت وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فاعلماه بقرب المسيب منهم وقالا : هل عندكم امتناع الليلة وغداً ؟ قالوا : قد اجمعنا على تقديم نسائنا للموت أمامنا حتى نموت جميعاً غداً ، فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه : إني سائر الى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه أحد وبايعوه على الموت ، فأصبح وسار وقد ازداد القصر تحصيناً بالماء الذي أجراه الترك ، فلما صار بينه وبين الترك نصف فرسخ نزل وقد أجمع على بياتهم ، فلما أمسى أمر أصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال : ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا مولياً وعليكم بالدواب فاعقروها فإنها إذا عقرت كانت اشد عليهم منكم وليست بكم قلة فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنوه وان كثر أهله ، وجعل على ميمنته كثيراً الدبوسي ، وعلى ميسرته ثابت قطنة ، وهو من الأزد فلما دنوا منهم كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا

الدواب وترجل المسيب في رجال معه فقاتلوا قتالاً شديداً ، وانقطعت يمين البختري المرائي فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد ، وضرب ثابت قطنة عظيماً من عظماء الترك فقتله وانهزمت الترك ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم فإنهم لا يدرون من الرعب اتبعتوهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا الا الماء ولا تحملوا إلا من يقدر على المشي ، ومن حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبة فأجره على الله ومن أبى فله اربعون درهماً ، وان كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه فحملوا من في القصر ، وأتى ترك خاقان فانزلهم قصره وأتاهم بطعام ثم ساروا الى سمرقند ، ورجعت الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً ورأوا قتلاهم فقالوا : لم يكن الذي جاءنا من الأنس ، فقال ثابت قطنة :

فدت نفسي فوارس من تميم ... غداة الروع في ضنك المقام
فدت نفسي فوارس أكنَفَوني ... على الأعداء في رَهَج القَتام
بقَصرِ الباهليِّ وقد رأوْني ... أحَامِي حيثُ ضربه[1] المحامي
بسَيفي بَعد حَطْمِ الرُّمحِ قدْماً ... أذُودُهُمُ بذي شطبٍ حُسَامِ
أكُرُّ عليهمُ اليَحْمُوم كَرَّاً ... ككرِّ الشَّرْبِ آنيَةَ المُدَامِ
أكُرُّ به لدى الغمراتِ حتى ... تَجَلَّتْ لا يَضِيقُ به مقامي
فلولا اللّهُ ليسَ له شَريكٌ ... وضَرْبي قَوْنَسَ الملكِ الهمامِ
إذاً لَسَعَتْ نساءُ بني دِثارِ ... أمامَ التركِ باديةَ الخِدَامِ
فمن مِثْل المُسيبِ في تميمٍ ... أبي بِشْرٍ كَقادِمَةِ الحمامِ[2]

وعور تلك الليلة معاوية بن الحجاج الطائي وشلت يده ، وكان قد ولي ولاية من قبل سعيد فأخذه سعيد بشيء بقي عليه فدفعه إلى شداد بن خليد الباهلي ليستأديه فضيق عليه شداد فقال معاوية : يا معشر قيس سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش

---

(١) في الطبري « حيث ضنَّ به ».

(٢) وقال جرير يذكر المسيب :

لولا حماية يربوع نساءكم ... كانت لغيركم منهن اطهار
حامى المسيب والخيلان في رهج ... اذ مازن ثم لا يحمى لها جار
اذ لا عقال يحامي عن ذماركم ... ولا زرارة يحميها وزرار

حديد البصر فعورت وشُلت يدي وقاتلت حتى استنقذناهم بعدما أشرفوا على القتل ، والأسر ، والسبي وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع فكفوه عني فخلاه ، قال بعض من كان بالقصر : لما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ، ووقع الحديد ، وصهيل الخيل.

ذكر غزو الصُّغد

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصُّغد ، وكانوا قد نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين فقال الناس لسعيد ، انك وقد تركت الغزو وقد أغار الترك وأعانهم أهل الصُّغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقيه الترك وطائفة من الصُّغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد : لا تتبعوهم فإن الصُّغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم ؟ وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أبادوكم[1] ، وقال سورة بن الحر ، لحيان النبطي ارجع عنهم يا حيان قال : عقيرة الله لا أدعها قال : انصرف يا نبطي قال : أنبط الله وجهك ، وسار المسلمون فانتهوا إلى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعضهم وقد أكمن لهم الترك ، فلما جاءهم المسلمون خرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي فصبروا حتى انكشفوا لهم ، وقيل : بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين فما شعروا إلا والترك قد خرجوا عليهم من غيضة ، وعلى الخيل شعبة بن ظهير فاعجلهم الترك عن الركوب فقاتلهم شعبة فقتل وقتل نحو من خمسين رجلاً وانهزم أهل المسلحة ، وأتى المسلمين الخبر فركب الخليل بن أوس العبشمي أحد بني ظالم ونادى يا بني تميم إليَّ أنا الخليل فاجتمع معه جماعة فحمل بهم على العدو فكفوهم حتى جاء الأمير ، والناس فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم حتى ولي نصر بن سيار ثم صارت رياستهم لأخيه الحكم بن أوس ، فلما كان العام المقبل بعث رجالاً من تميم إلى وَرَغْسَر[2] فقالوا : ليتنا نلقى العدو فنطاردهم ، وكان سعيد إذا بعث سرية ـ فاصابوا وغنموا وسبوا ـ رد السبي وعاقب السرية فقال الهجري الشاعر :

---

(١) في الطبري : « أباروكم ».
(٢) وَرَغْسَر : من قرى سمرقند عندها مقاسم مياه الصُّغد.

سَرَيتَ إلى الأعداءِ تلهُو بلعبةٍ ... وايرُكَ مَسْلولٌ وسَيْفُكَ مُغْمَد
وأنتَ لمن غادَيتَ عِرسُ خَفِيَّةٍ ... وأنت علينا كالحُسَامِ المهند

فثقل سعيد على الناس وضعفوه ، وكان رجل من بني أسد يقال له اسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد فذكر اسماعيل عند خذينة ومودته لمروان فقال خذينة : وما ذاك السلط ؟[1] فقال اسماعيل :

زَعمت خُذَينَةُ أنني سلطٌ[2] ... لِخُذينَةَ المرآة والمُشطُ
وَمَجَامِرٌ ومكاحِلٌ جُعِلَتْ ... ومَعَازف وبخدّها نقطُ
أفذاكَ أم زَغفٌ مُضاعَفَةٌ ... ومُهَنَّدٌ من شأنِهِ القَطُّ
لمُقَرّسٍ ذكرٍ أخي ثِقَة ... لم يَغذُهُ التّأنيث واللقطُ

في أبيات غيرها .

ذكر موت حيان النبطي

وقد ذكرنا من أمر حيان فيما تقدم عند قتل قتيبة وانه ساد وتقدّم بخراسان ، فلما قال له سورة بن الحر : يا نبطي وأجابه حيان فقال : أنبط الله وجهك على ما تقدم آنفاً حقدها عليه سورة فقال لسعيد خذينة : إن هذا العبد أعدى الناس للعرب ، والوالي وهو أفسد خراسان على قتيبة وهو واثب بك يفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه القلاع فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحداً، ثم دعا في مجلسه بلبن وقد أمر بذهب فسحق وألقي في اللبن الذي في إناء حيان فشربه حيان ثم ركض سعيد والناس معه أربعة فراسخ ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام ومات ، وقيل : إنه لم يمت هذه السنة ؛ وسيرد ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر عزل مسلمة عن العراق، وخراسان وولاية ابن هبيرة

وكان سبب ذلك انه ولي العراق، وخراسان فلم يدفع من الخراج شيئاً واستحيا يزيد بن عبد الملك ان يعزله فكتب إليه استخلف على عملك واقبل، وقيل: ان مسلمة

---

(١) في الطبري : « الملط » .
(٢) في الطبري : « ملط » .

شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص إلى يزيد ليزوره قال: أمن شوق إليه ان عهدك منه لقريب قال: لا بد من ذلك قال: إذن لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه، فسار مسلمة فلقيه عمر بن هبيرة الفزاري بالعراق على دواب البريد فسأله عن مقدمه فقال عمر: وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب، فلما خرج من عنده أحضر مسلمة عبد العزيز بن حاتم وأخبره خبر ابن هبيرة فقال: قد قلت لك قال مسلمة: فانه جاء لحيازة أموال آل المهلب قال: هذا أعجب من الاول يكون ابن هبيرة على الجزيرة فيعزل عنها ويبعث لحيازة أموال بني المهلب ولم يكتب معه اليك كتاب، فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق:

راحت بمسلمة البغال عشية[1] فارعَىْ فَزارَةَ لاهنـاكِ المرتَـعُ
عُـزِلَ ابن بِشـر وابن عمـرو قبلَهُ وأخـو هَـراةَ لِمثلها يتَـوقَّـعُ

يعني بابن بشر: عبدَ الملكِ بن بشر بن مروان، وبابن عمرو: محمداً ذا الشامة، وبأخي هراة: سعيد خذينة.

وأما ابتداء أمر ابن هبيرة حتى ولي العراق فإنه قدم من البادية من بني فزارة فافترض مع بعض ولاة الحرب وكان يقول: لأرجو أن لا تنقضي الايام حتى ألي العراق، وسار مع عمرو بن معاوية العقيلي إلى غزو الروم فأُتي بفرس رائع إلا أنه لا يستطاع ركوبه فقال: من ركبه فهو له فقام عمر بن هبيرة وتنحى عن الفرس وأقبل حتى إذا كان بحيث تناله رجلا الفرس إذا رمحه وثب فصار على سرجه فأخذ الفرس، فلما خلع مطرف بن المغيرة بن شعبة الحجاج سار عمر بن هبيرة في الجيش الذين حاربوه من الريّ، فلما التقى العسكران التحق ابن هبيرة بمطرف مظهراً أنه معه، فلما جال الناس كان ممن قتله وأخذ رأسه، وقيل: قتله غيره وأخذ هو رأسه وأتى به عدياً فأعطاه مالاً وأوفده إلى الحجاج بالرأس فسيره الحجاج إلى عبد الملك فاقطعه بيرزة وهي قرية بدمشق، وعاد الى الحجاج فوجهه إلى كردم بن مرثد الفزاري ليخلص منه مالاً فأخذه منه وهرب إلى عبد الملك وقال: أنا عائذ بالله وبأمير المؤمنين من الحجاج فإنني قتلت ابن عمه مطرف بن المغيرة وأتيت أمير المؤمنين برأسه ثم رجعت فأراد قتلي

---

(١) في الطبري «راحت بمسلمة الركاب مودعا».

ولست آمن أن ينسبني إلى أمر يكون فيه هلاكي فقال : أنت في جواري فأقام عنده، فكتب فيه الحجاج إلى عبد الملك يذكر أخذه المال وهربه فقال له: أمسك عنه ، وتزوج بعض ولد عبد الملك بنتاً للحجاج فكان ابن هبيرة يهدي لها ويبرها وييسر عليها فكتبت إلى أبيها تثني عليه، فكتب إليه الحجاج يأمره أن ينزل به حاجاته ، وعظم شأنه بالشام فلما استخلف عمر بن عبد العزيز استعمله على الجزيرة، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هبيرة تحكم حبابة عليه تابع هداياه إليها وإلى يزيد بن عبد الملك فعملت له في ولاية العراق فولاه يزيد، وكان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خليد العبسي تحاسد فقال القعقاع : من يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار، فلما ماتت حبابة قال القعقاع :

هلمَّ فقد ماتتْ حبابة سلمني بنفسك يقدمك الذرا والكواهل
أغرك أن كانت حبابة مرة تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

في أبيات ، وكان بينه وبين القعقاع يوماً كلام فقال له القعقاع : يا ابن اللخناء من قدمك؟ فقال: قدمك أنت وأهلك اعجاز الغواني وقدمني صدور العوالي فسكت القعقاع ـ يعني ان عبد الملك قدمهم لما تزوج إليهم فإن ام الوليد، وسليمان ابني عبد الملك بن مروان عبسية ـ .

ذكر بعض الدعاة للدولة العباسية

وفي هذه السنة وجه ميسرة رسله من العراق الى خراسان فظهر أمر الدعاة بها، فجاء عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة فقال له: ان ههنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح وأعلمه حالهم، فبعث سعيد إليهم فأُتي بهم فقال: من أنتم ؟ قالوا: أناس من التجار قال: فما هذا الذي يحكى عنكم ؟ قالوا : لا ندري قال: جئتم دعاة قالوا : إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا فقال: من يعرف هؤلاء فجاء ناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة ، واليمن فقالوا: نحن نعرفهم وهم علينا ان أتاك منهم شيء تكرهه فخلى سبيلهم .

ذكر قتل يزيد بن أبي مسلم

قيل: كان يزيد بن عبد الملك قد استعمل يزيد بن أبي مسلم بافريقية سنة احدى

ومائة ، وقيل : هذه السنة ؛ وكان سبب قتله أنه عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج في أهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق فإنه ردهم إلى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار ، فلما عزم يزيد على ذلك اجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ـ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار وكان عندهم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك أنا لم نخلع أيدينا من طاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا مالا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك ، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم واقر محمد بن يزيد على عمله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية ـ وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق ـ فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً وقتل[١] سبعمائة أسير . وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح دلسة[٢] وحج بالناس هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك وهو عامل المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد، وكان على الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة، وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى البصرة عبد الله[٣] بن بشر بن مروان إلى أن عزله عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد خذينة ، وعلى مصر أسامة بن زيد[٤] .

---

(١) في الطبري « وقيل » بالياء المثناة من تحت .

(٢) في الطبري « رسلة » وما هنا موافق لما في النجوم الزاهرة ولم أجدهما في المعجم .

(٣) في الطبري « عبد الملك بن بشر » .

(٤) وممن مات في هذه السنة ـ على ما حكاه ابن تغري بردى ـ يزيد أبو مسلم كاتب الحجاج وكنيته ابو العلاء وكان على نمط الحجاج في الجبروت وسفك الدماء أقره الوليد بن عبد الملك على العراق أربعة أشهر لما مات الحجاج قتل في افريقية ، وعدي بن زيد بن الخمار ـ بخاء معجمة مضمومة كذا ضبط ـ العبادي التميمي الشاعر المشهور وهو جاهلي نصراني من فحول الشعراء، ومن شعره :

أين أهل الديار من قوم نوح	ثم عاد من بعدهم وثمود
أين آباؤنا وأين بنوهم	أين آباؤهم وأين الجدود
سلكوا منهج المنايا فبادوا	وأرانا قد كان منا ورود
بينما هم على الأسرة والانـ	ـماط أفضت إلى التراب الخدود
ثم لم ينقص الحديث ولكن	بعد ذاك الوعيد والموعود

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

ذكر استعمال سعيد الحرشي على خراسان

في هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان، وكان سبب عزله أن المجشر بن مزاحم السلمي، وعبد الله بن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة فشكوه فعزله واستعمل سعيد بن عمرو الحرشي - بالحاء المهملة والشين المعجمة - من بني الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكان خذينة بباب سمرقند فبلغه عزله فقفل خذينة وخلف بسمرقند ألف رجل، وقيل: ان عمر بن هبيرة كتب إلى يزيد بن عبد الملك باسماء من أبلى يوم العقر ولم يذكر سعيداً الحرشي فقال يزيد: لم لم يذكر الحرشي؟ وكتب إلى عمر بن هبيرة أن ولِّ الحرشي خراسان فولاه فقدم بين يديه المجشر بن مزاحم السلمي فقال نهار بن توسعة:

فهل من مبلغ فتيان قومي ... بأن النبل ريشت كل ريش
وان الله أبدل من سعيد ... سعيداً لا المخنث من قريش

وقدم سعيد الحرشي خراسان فلم يعرض لعمال خذينة، وقرأ رجل عهده فلحن فيه فقال: صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والأمير منه بريء؛ ولما قدم الحرشي خراسان كان الناس بازاء العدو وكانوا قد نكبوا فخطبهم وحثهم على الجهاد وقال: انكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الإسلام فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقال:

فلستُ لعامر إن لم تروني ... أمامَ الخيلِ نطعن بالعوالي
وأضربُ هامة الجبارِ منهم ... بعضب الحدِّ حودث بالصّقال
فما أنا في الحروب بمُستَكِين ... ولا أخشىٰ مصاولةَ الرجال

أبى لي والدي من كلِّ ذم   وخالي في الحوادث خيرُ خال

فلما سمع أهل الصغد بقدوم الحرشي خافوا على نفوسهم لأنهم كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة فاجتمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا أقيموا واحملوا خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يأتي وعمارة الأرض والغزو معه ان أراد ذلك واعتذروا مما كان منكم وأعطوه رهائن ، قالوا : نخاف أن لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتي خجنده فنستجير ملكها ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق أنه لا يرى أمراً يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم والذي أشرت به عليكم خير لكم ، فابوا ،خرجوا إلى خجندة وأرسلوا إلى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته فأراد ان يفعل ، فقالت أمه : لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه فأرسل إليهم سموا رستاقاً تكونون فيه حتى أفرغه لكم وأجلوني أربعين يوماً . وقيل : عشرين يوماً فاختاروا شعب عصام بن عبد الله الباهلي ـ وكان قتيبة قد خلفه فيهم ـ فقال : نعم ولا أنا على عقد وجوار حتى تدخلوه وإن أتتكم قبل أن تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب .

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة أغارت الترك على اللان ، وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة[1]، وفيها جمعت مكة ، والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك . وفيها ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عنه ، وعن مكة، وحج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك وكان عامل مكة ، والمدينة ، وكان على العراق عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان الحرشي ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن ، وعلى قضاء عبد الملك بن يعلى .

وفي هذه السنة مات الشعبي ، وقيل: سنة أربع ، وقيل: خمس. وقيل : سبع ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة . وفيها مات يزيد بن الأصم ـ وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، وقيل : مات سنة أربع ومائة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، وفيها مات أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، ويزيد بن الحصين بن نمير السكوني ، وفيها توفي

---

(١) في الطبري « رسلة » .

عطاء بن يسار ـ وهو أخو سليمان ـ (يسار) بالياء المثناة من تحت والسين المهملة .
وفيها توفيت عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة الأنصارية وهي ابنة سبع وسبعين سنة ، وفيها توفي مصعب بن سعد بن أبي وقاص ؛ ويحيى بن وثاب الأسدي المنقري ، وعبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة .

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد

قيل : وفي هذه السنة غزا الحرشي فقطع النهر وسار فنزل في قصر الريح على فرسخين من الدبوسية ولم يجتمع إليه جنده فأمر بالرحيل فقال له هلال بن عليم الحنظلي : يا هناه إنك وزيراً خير منك أميراً لم يجتمع إليك جندك وقد أمرت بالرحيل فعاد وأمر بالنزول، وأتاه ابن عمر ملك فرغانة فقال له: ان أهل الصغد بخجندة وأخبره بخبرهم وقال: عاجلهم قبل أن يصلوا إلى الشعب فليس لهم جوار علينا حتى يمضي الأجل فوجه معه عبد الرحمن القشيري ، وزياد بن عبد الرحمن في جماعة ، ثم ندم بعدما فصلوا[١] وقال : جاءني علج لا أعلم أصدق أم كذب فغررت بجند من المسلمين فارتحل في أثرهم حتى نزل أُشْرُوسَنة[٢] فصالحهم بشيء يسير : فبينا هو يتعشى إذ قيل له : هذا عطاء الدبوسي ـ وكان مع بعد الرحمن ـ فسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فقال: ويلك قاتلتم أحداً قال: لا قال : لله الحمد وتعشى ، وأخبره بما قدم له فسار مسرعاً حتى لحق القشيري بعد ثلاثة ، وسار فلما انتهى إلى خجندة قال له بعض أصحابه : ما ترى ؟ قال: أرى العاجلة[٣] قال : لا أرى ذلك ان جرح رجل فإلى أين يرجع أو قتل قتيل فإلى من يحمل ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب . فنزل فأخذ في التأهب فلم يخرج أحد من العدو فجبن الناس الحرشي وقالوا : كان يذكر بشجاعة ، وديانة صار بالعراق ماق فحمل رجل من العرب فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب ، وكانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقاً وغطوه بقصب

---

(١) في الطبري « ثم ندم على ما فعل » .

(٢) بضم أوله وسكون ثانيه وضم الراء وواو ساكنة وسين مهملة مفتوحة ونون وهاء .

(٣) في الطبري « أرى المعاجلة ».

(٤) في الطبري « وقالوا كان هذا يذكر بأسه بالعراق ورأيه فلما صار بخراسان ماق »، وماق : تأخر .

وتراب مكيدة وأرادوا إذا التقوا أن انهزموا كانوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين ويسقطون في الخندق ، فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا وأخطأهم الطريق فسقطوا في الخندق وأخرج منهم المسلمون أربعين رجلاً وحصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فأرسلوا إلى ملك فرغانة أنك غدرت بنا وسألوه أن ينصرهم فقال : قد أتوكم قبل انقضاء الأجل ولستم في جواري ، فطلبوا الصلح وسألوا الأمان وان يردهم إلى الصغد ، واشترط عليهم أن يردوا ما في أيديهم من نساء العرب وذراريهم وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا أحداً ولا يتخلف منهم بخجندة أحد فإن أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم ، فخرج إليهم الملوك والتجار من الصغد وترك أهل خجندة على حالهم ونزل عظماء الصغد على الجند الذين يعرفونهم، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان وبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة ممن كان في أيديهم فقال لهم : بلغني أن ثابتاً قتل امرأة ودفنها فجحدوا فسأل فاذا الخبر صحيح فدعا بثابت إلى خيمته فقتله، فلما سمع كارزنج بقتله خاف أن يقتل وأرسل إلى ابن أخيه ليأتيه بسراويل وكان قد قال لابن أخيه : إذا طلبت سراويل فاعلم أنه القتل ، فبعث به إليه وخرج واعترض الناس فقتل ناساً وتضعضع العسكر ولقوا منه شراً وانتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت ، وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلاً فأخبر الحرشي بذلك فسأل فرأى الخبر صحيحاً فأمر بقتلهم وعزل التجار عنهم ، فقاتلهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف، وقيل: سبعة آلاف ، واصطفى أموال الصغد وذراريهم وأخذ منه ما أعجبه ، ثم دعا مسلم بن بديل العدوي عدي الرباب وقال : وليتك المقسم فقال : بعدما عمل فيه عمالك ليلة وله غيري فولاه غيره ، وكتب الحرشي إلى يزيد بن عبدالملك ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة فكان هذا مما أوغر صدره عليه ، وقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم :

أَقَرَّ العَيْنَ مَصْرَعُ كارَزَنج ... وكشكير وما لاقى يباذُ
وديوشتي وما لاقى خلنجٌ ... بحصنِ خُجَنداذ دَمَروا فبادوا[1]

---

(١) في الطبري :

أَقَرَّ العين مصرعُ كارزَنج ... وكَشين وما لاقى بيارُ
ودَيواشني وما لا قى جلنجٌ ... بحِصنِ خُجَند إذ دَمَروا فبارُوا

ويروى : أقر العين مصرع كارزنج وكشكيش.

يقال: ان ديوشتي[١] دهقان سمرقند واسمه دواشتج فأعربوه. وقيل: كان على أقباض خجندة علباء بن أحمر اليشكري فاشترى رجل منهم جونة بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع وقد وضع يده على وجهه[٢] كأنه رمد فرد الجونة فأخذ الدرهمين فطلب فلم يعرف، وسرح الحرشي سليمان بن أبي السري الى حصن لا يطيف به وادي الصغد الا عن وجه واحد ومعه خوارزمشاه ، وصاحب أجرون[٣] وشومان ، فسير سليمان على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي فتلقوه على فرسخ فهزمهم حتى ردهم الى حصنهم فحصرهم ، فطلب الديوشتي أن ينزل على حكم الحرشي فسيره إليه فاكرمه ، وطلب أهل القلعة الصلح على أن لا يتعرض لنسائهم وذراريهم ويسلموا القلعة ، فبعث سليمان إلى الحرشي ليبعث الأمناء لقبض ما في القلعة فبعث من قبضه وباعوه وقسموه ، وسار الحرشي إلى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس ، وقيل: ستة آلاف رأس ، وسار إلى زرنج[٤] فوافاه كتاب ابن هبيرة باطلاق ديوشنج فقتله وصلبه ، وولى نصر بن سيار قبض صلح كش ، واستعمل سليمان بن أبي السري على كشر ، ونسف حربها وخراجها ـ وكانت خزائن منيعة ـ فقال المجشر للحرشي : ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال ؟ قال: بلى قال: المسربل بن الخريت بن راشد الناجي ، فوجهه اليها ـ وكان صديقاً لملكها واسم الملك سبغري[٥] ـ فأخبر الملك بما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه قال: فما ترى؟ قال: أن تنزل بأمان قال: فما أصنع بمن لحق بي؟ قال: تجعلهم في أمانك فصالحهم فأمنوه وبلاده ، ورجع الحرشي إلى بلاده ومعه سبغري فقتل سبغري وصلب معه الأمان .

ذكر ظفر الخزر بالمسلمين

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبيت النهراني ، فاجتمعت الخزر في جمع كثير وأعانهم قفجاق، وغيرهم من أنواع الترك ،

---

(١) في الطبري « ان ديواشني ».
(٢) في الطبري « على لحيته ».
(٣) في الطبري « أخرون ».
(٤) في الطبري « إلى ربنجن ».
(٥) في الطبري « سبقري » بالقاف.

فلقوا المسلمين في مكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هنالك قتالاً شديدةً ، فقتل من المسلمين بشر كثير واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع ما فيه وأقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال: يا أمير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى انقطع سيفي غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد.

ذكر ولاية الجراح أرمينية وفتح بلنجر ، وغيرها

لما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا واستعمل يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبدالله الحكمي حينئذ على أرمينية وأمده بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء وبقصد بلادهم ، فسار الجراح وتسامع الخزر به فعاد حتى نزلوا بالباب والأبواب ، ووصل الجراح إلى برذعة فأقام حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر ، فعبر نهر الكرّ فسمع بان بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجراح إليه ، فحينئذ أمر الجراح مناديه فنادى في الناس إن الأمير مقيم ههنا عدة أيام فاستكثروا من الميرة ، فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه ، فلما كان الليل أمر الجراح بالرحيل فسار مجداً حتى انتهى إلى مدينة الباب والأبواب فلم ير الخزر فدخل البلد فبث سراياه في النهب والغارة على ما يجاوره فغنموا وعادوا من الغد. وسار الخزر إليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحرض الجراح أصحابه واشتد القتال فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع ما معهم ، وساروا حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل أهله بالأمان على مال يحملونه فأجابهم ونقلهم عنها . ثم سار إلى مدينة يقال لها يرغوا فأقام عليها ستة أيام وهو مجد في قتالهم فطلبوا الأمان فأمنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه .

ثم سار الجراح إلى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله ، وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فشدوا بعضها إلى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول إلى الحصن وكانت تلك العجل أشد شيء على

المسلمين في قتالهم ، فلما رأوا الضرر الذي عليهم منها انتدب جماعة منهم نحـو ثلاثين رجـلاً وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل ، وجد الكفار في قتالهم ورموا من النشاب ما كان يحجب الشمس فلم يرجع أولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذي يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدوداً الى بعض، وانحدر الجميـع إلى المسلمين والتحم القتال واشتـد وعظم الأمـر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ، ثم ان الخـزر انهزمـوا واستولى المسلمـون على الحصن عنوة ، وغنموا جميع ما فيه في ربيع الأول ، فاصاب الفارس ثلاثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً .

ثم ان الجراح أخذ أولاد صاحب بلنجر ، وأهله وأرسل إليه أحضـره ورد إليه أمواله وأهله وحصنه وجعله عيناً لهم يخبرهم بمايفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو أربعين الف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مالٍ يـؤدونه ثم ان أهل تلك البلاد تجمعوا وأخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمـه بذلك فعاد مجداً حتى وصل إلى رستـاق ملى وأدركهم الشتاء فـأقام المسلمون به ، وكتب الجراح إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد، فوعده إنفاذ العساكر إليه فأدركه أجله قبل انفاذ الجيش فارسل هشام بن عبد الملك إلى الجراح أقره على عمله ووعده المدد.

ذكر عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ، ومكة وكان عامله عليهما ثلاث سنين وولى عبد الواحد النضري ، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن علي فقالت: مالك ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنيَّ هؤلاء فألح عليها وقال : لئن لم تفعلي لاجلدن أكبر بنيك في الخمر ـ يعني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ـ وكان على الديوان بالمدينةابن هرمز رجل من أهل الشام وقد رفع حسابه ويريد ان يسير إلى يزيد فدخل على فاطمة يودعها فقال لها : هل من حاجة؟ فقالت : تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك ومـا يتعرض مني ، وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد يخبره بذلك ، وقدم ابن هرمز على يزيد فاستخبره

عن المدينة وقال: هل من مغربة خبر؟ فلم يذكر شأن فاطمة فقال الحاجب ليزيد: بالباب رسول من فاطمة بنت الحسين؛ فقال ابن هرمز: انها حملتني رسالة وأخبره بالخبر فنزل من فراشه وقال: لا أم لك عندك هذا ولا تخبرنيه فاعتذر بالنسيان، وأذن لرسولها فأدخله وأخذ الكتاب فقرأه وجعل يضرب بخيزران في يده ويقول: لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعني صوته في العذاب؟ وأنا على فراشي قيل له: عبد الواحد بن عبد الله النضري، فدعا بقرطاس فكتب بيده إلى عبد الواحد قد وليتك المدينة فاهبط إليها واعزل عنها ابن الضحاك وغرمه أربعين الف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي، وسار البريد بالكتاب ولم يدخل على ابن الضحاك فاخبر ابن الضحاك فأحضر البريد وأعطاه الف دينار ليخبره خبره فأخبر فسار ابن الضحاك مجداً فنزل على مسلمة بن عبد الملك فاستجاره، فحضر مسلمة عند يزيد فطلب إليه حاجة حالة فقال: كل حاجة فهي لك إلا ابن الضحاك فقال: هي والله ابن الضحاك فقال: والله لا أعفيه أبداً ورده الى المدينة إلى عبد الواحد فعذبه ولقي شراً، ثم لبس جبة صوف يسأل الناس وكان قدوم النضري في شوال سنة أربع ومائة، وكان ابن الضحاك قد آذى الانصار طراً فهجاه الشعراء وذمه الصالحون، ولما وليهم النضري أحسن السيرة فأحبوه وكان خيراً يستشير ـ فيما يريد فعله ـ القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر.

ذكر ولادة أبي العباس السفاح

قيل: وفيها ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي في ربيع الآخر وهو السفاح ووصل الى أبيه محمد بن علي أبو محمد الصادق من خراسان في عدة من أصحابه، فأخرج اليهم أبا العباس في خرقة ـ وله خمسة عشر يوماً ـ وقال له: هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده فقبلوا أطرافه، وقال لهم: والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم.

ذكر عزل سعيد الحرشي

وفي هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيداً الحرشي عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، وكان السبب في ذلك ما كان كتبه ابن هبيرة إلى

الحرشي بإطلاق الديوشتي فقتله ، وكان يستخف بابن هبيرة ويذكره بأبي المثنى فيقول : قال أبو المثنى ، وفعل أبو المثنى فبلغ ذلك ابن هبيرة فأرسل جميل بن عمران ليعلم حال الحرشي وأظهر أنه ينظر في الدواوين ، فلما قدم على الحرشي قال : كيف أبو المثنى ؟ فقيل له : ان جميلاً لم يقدم إلا ليعلم عملك فسمَّ بطيخة وبعث بها إليه فأكلها ومرض وسقط شعره ورجع إلى ابن هبيرة وقد عولج فصح فقال له : الأمر أعظم مما بلغك ما يرى الحرشي إلا أنك عامل له فغضب وعزله ونفخ في بطنه النمل وعذبه حتى أدى الأموال ، وسمر ليلة ابن هبيرة فقال : من سيد قيس ؟ فقالوا : الأمير قال : دعوا هذا سيد قيس الكوثر بن زفر لوثور[1] بليل لوافاه عشرون ألفاً لا يقولون : لم دعوتنا؟ وفارسها هذا الحمار الذي في الحبس وقد أمرت بقتله ـ يعني الحرشي ـ فأما خير قيس لها فعسى أن أكونه، فقال له اعرابي من بني فزارة : لو كنت كما تقول ما أمرت بقتل فارسها فأرسل إلى معقل بن عروة أن كف عن قتله وكان قد سلمه إليه ليقتله؛ وكان ابن هبيرة لما ولي مسلم بن سعيد خراسان أمره بأخذ الحرشي وتقييده وإنفاذه إليه ، فقدم مسلم دار الامارة فرأى الباب مغلقاً فقيل للحرشي : قدم مسلم فأرسل إليه أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً فقال : مثلي لا يقدم زائراً ولا وزيراً فأتاه الحرشي فشتمه وقيده وأمر بحبسه ، ثم أمر صاحب الحبس أن يزيده قيداً فأخبر الحرشي بذلك فقال لكاتبه : اكتب إليه أن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدني قيداً فإن كان أمراً ممن فوقك فسمعاً وطاعة وإن كان رأياً رأيته فسيرك الحقحقة ـ وهي أشد السير ـ وتمثل :

فإما تثقفوني فاقتلوني ... ومن يثقف فليس له خلود[2]

هم الأعداء إن شهدوا وغابوا ... أولو الأحقاد والاكباد سود

فلما هرب ابن هبيرة عن العراق أرسل خالد القسري في طلب الحرشي فأدركه على الفرات فقال : ما ظنك بي ؟ قال : ظني بك أنك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قيس فقال : هو ذاك .

---

(١) في الطبري « لوبوق ».

(٢) في الطبري : « فمن أثقف فليس إلى خلود ».

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وعلى العراق، والمشرق عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى ، وفيها مات أبو قلابة الجرمي[١] ، وقيل : سنة سبع ومائة ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ، وفيها توفي يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة ، وفيها مات عامر بن سعد بن أبي وقاص، وفيها توفي موسى بن طلحة بن عبيد الله ، وعمير مولى ابن عباس ـ يكنى أبا عبد الله ـ وخالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي سكن الشام .

(١) واسمه عبد الله بن زيد بن عمر وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، البداية والنهاية ٩/ ٢٤٠ ط. دار الكتب العلمية ببيروت .

ثم دخلت سنة خمس ومائة

ذكر خروج عقفان

في أيام يزيد بن عبد الملك خرج حروري اسمه عقفان في ثمانين رجلاً فاراد يزيد أن يرسل إليه جنداً يقاتلونه فقيل له : ان قتل بهذه البلاد اتخذهـا الخوارج دار هجرة ، والرأي أن تبعث إلى كل رجل من أصحابه رجلاً من قومه يكلمه ويرده ففعل ذلك فقال لهم أهلوهم : إنَّا نخاف أن نؤخذ بكم ، وأمنوا وبقي عقفان وحده فبعث إليه يزيد أخاه فاستعطفه فرده ، فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة فقدم ابنه من خراسان عاصياً فشدّه وثاقاً وبعث به إلى هشام فأطلقه لأبيه وقال : لو خاننا عقفان لكتم أمر ابنه، واستعمل عقفان على الصدقة فبقي عليها إلى أن توفي هشام .

ذكر خروج مسعود العبدي

وخـرج مسعود بن أبي زينب العبـدي بالبحـرين على الأشعث بن عبد الله بن الجارود ففارق الأشعث البحرين وسار مسعـود إلى اليمامـة وعليها سفيـان بن عمرو العقيلي ولاه إياها عمر بن هبيرة فخرج إليه سفيان فاقتتلوا بالخِضْرِمة قتالاً شديداً فقتل مسعود وأقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مدلج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج وقتلت زينب أخت مسعود، فلما أمسى هلال تفرق عنه أصحابه وبقي في نفر يسير فدخل قصراً فتحصن به فنصبوا عليه السلاليم وصعدوا إليه فقتلوه ، واستأمن أصحابه فأمنهم وقال الفرزدق في هذا اليوم :

لعمـري لقـد سلت حنيفـة سلة ... سيـوفاً أبت يـوم الـوغى أن تغيـرا
تـركن لمسعـود وزينـب أختـه ... رداء وسـربالا من المـوت أحمـرا
أرين الحـروريين يـوم لقـائهـم ... ببرقان يـوماً يجعـل الموت أشقـرا

وقيل : أن مسعوداً غلب على البحرين ، واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي (الخضْرِمة) بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء .

ذكر مصعب بن محمد الوالبي

كان مصعب من رؤساء الخوارج وطلبه عمر بن هبيرة وطلب معه مالك بن الصعب ، وجابر بن سعد فخرجوا واجتمعوا بالخورنق وأمروا عليهم مصعباً ومعه أخته آمنة وساروا عنه ، فلما ولي هشام بن عبد الملك واستعمل على العراق خالداً القسري سيّر اليهم جيشاً وكانوا قدصاروا بحزة من أعمال الموصل فالتقوا واقتتلوا فقتل الخوارج وقيل : كان قتلهم آخر أيام يزيد بن عبد الملك فقال فيهم بعض الشعراء :

فتيةٌ تعرفُ التخشعَ فيهم كلهم أحكمَ القرآنَ إماما
قد برىٰ لحمَهُ التهجدُ حتى عادَ جِلداً مصْفَراً وعِظاما
غادَرُوهم بقاعِ حَزةَ صَرْعَىٰ فَسَقَىٰ الغيثُ أرضَهُمْ يا إماما

ذكر موت يزيد بن عبد الملك

في هذه السنة توفي يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان وله أربعون سنة ، وقيل : خمس وثلاثون سنة ، وقيل : غير ذلك ، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً وأياماً، وكنيته أبو خالد وكان مرضه السل، وقيل: كان سبب موته أنّ حبابة لما ماتت وجد عليها وجدا شديداً على ما نذكره إن شاء الله تعالى فخرج مشيعاً لجنازتها ومعه أخوه مسلمة بن عبد الملك ليسليه ويعزيه فلم يجبه بكلمة ، وقيل : إن يزيد لم يطق الركوب من الجزع وعجز عن المشي فأمر مسلمة فصلى عليها ، وقيل : منعه مسلمة عن ذلك لئلا يرى الناس منه ما يعيبونه به ، فلما دفنت بقي بعدها خمسة عشر يوماً ومات ودفن إلى جانبها ، وقيل : بقي بعدها اربعين يوماً لم يدخل عليه أحد إلا مرة واحدة ، ولما مات صلى عليه أخوه مسلمة ، وقيل : ابنه الوليد، وكان هشام بن عبد الملك بحمص .

ذكر بعض سيرته

كان يزيد من فتيانهم[١] فقال يوماً وقد طرب وعنده حبابة ، وسلامة القس: دعوني أطير فقالت حبابة : على من تدع الامة ؟ قال: عليك ، قيل : وغنته يوماً :

وبين التراقي واللهاةِ حَرارةٌ   وما ظمئت ماء يسُوغُ فَتَبردا[٢]

فاهوى ليطير فقالت : يا أمير المؤمنين إن لنا فيك حاجة فقال : والله لاطيرنَّ فقالت : على من تخلف الامة والملك ؟ قال: عليك والله وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنت عينك فما أسخفك ، وخرجت معه إلى ناحية الأردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويقبلها وينظر إليها ويبكي فكُلم في أمرها حتى أذن في دفنها وعاد إلى قصره كئيباً حزيناً ، وسمع جارية له تتمثل بعدها :

كَفَىٰ حَزناً بالهائم الصَّبِّ أن يرى   منازلَ مَنْ يَهْوَى مُعَطَّلَة قَفرا

فبكى ، وبقي يزيد بعد موتها سبعة أيام لا يظهر للناس أشار عليه مسلمة بذلك خاف أن يظهر منه ما يسفهه عندهم ، وكان يزيد قد حج أيام أخيه سليمان فاشترى حبابة بأربعة آلاف دينار ـ وكان اسمها العالية ـ وقال سليمان : لقد هممت أن أحجر على يزيد فردها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصر ، فلما أفضت الخلافة إلى يزيد قالت امرأته سعدة: هل بقي من الدنيا شيء تتمناه؟ قال: نعم حبابة فأرسلت فاشترتها ثم صيغتها وأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر وقالت : يا أمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شيء تتمناه ؟ قال : قد أعلمتك فرفعت الستر وقالت : هذه حبابة وقامت وتركتها عنده فحظيت سعدة عنده وأكرمها ، وسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ ولما مات يزيد لم يعلم بموته حتى ناحت سلامة فقالت :

لا تَلمْنا إن خَشَعْنَا   أو هَمَمْنَا بخشوع[٣]

---

(١) كان يزيد هذا يُكثر مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأسىٰ بعمر بن عبد العزيز فما تركه قرناء السوء وحسّنوا له الظلم . البداية والنهاية ٢٤١/٩ ط. دار الكتب العلمية ببيروت .

(٢) في الطبري : « ما تطمئن وما تسوغ فتبرد » .

(٣) في الطبري : « بالخشوع » .

قد لَعَمْري بِتُّ لَيلِي   كأخي الدَّاءِ الوَجِيع
ثم باتَ الهمُّ مني   دونَ مَن لي بضَجِيع[1]
للذي حلَّ بنا اليو   مَ من الأمر الفظيعِ
كلما أبْصَرتُ رَبعاً   خالياً فاضَتْ دُمُوعي
قد خلا من سيد كا   ن لنا غير مضيع

ثم نادت وا أمير المؤمنيناه فعلموا بموته ، والشعر لبعض الأنصار ، وأخبار يزيد مع سلامة ، وحبابة كثيرة ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما قيل لسلامة القس : لأن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار أحد بني جشم بن معاوية بن بكير كان فقيهاً عابداً مجتهداً في العبادة وكان يسمى القس لعبادته، مر يوماً بمنزل مولاها فسمع غناءها فوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له، هل لك أن تنظر وتسمع؟ فأبى وقال: أنا أقعدها بمكان لا تراها وتسمع غناءها فدخل معه فغنته فاعجبه غناؤها ثم أخرجها مولاها إليه فشغف بها وأحبها وأحبته هي أيضاً ـ وكان شاباً جميلاً ـ فقالت له يوماً على خلوة : أنا والله أحبك قال : وأنا والله أحبك قالت : وأحب أن أقبلك قال : وأنا والله قالت : وأحب أن أضع بطني على بطنك قال : وأنا والله قالت : فما يمنعك؟ قال: قول الله تعالى : ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ وأنا أكره أن تؤل خلتنا إلى عداوة ثم قام وانصرف عنها وعاد إلى عبادته، وله فيها أشعار منها :

ألم ترها لا يبعد الله دارها   إذا طربت في صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم تردّه   إلى صلصل من صوتها يترجع

وله فيها:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر   وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر
ألا ليت أني حيث صارت بها النوى   جليس لسلمى كلما عج مزهر
إذا أخذت في الصوت كاد جليسها   يطير إليها قلبه حين ينظر

فقيل لها : سلامة القس لذلك . (سلامة) بتشديد اللام . (وحبابة) بتخفيف الباء الموحدة .

---

(١) في الطبري : « من لي بضجيع ».

ذكر خلافة هشام بن عبد الملك

في هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان ، وكان عمره يوم استخلف أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً ، وكانت ولادته عام قتل مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين ، فسماه عبد الملك منصوراً وسمته أمه باسم أبيها هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلم ينكر عبد الملك ذلك ، وكانت أمه عائشة بنت هشام حمقاء فطلقها عبد الملك ، وكانت كنية هشام أبا الوليد ، وأتته الخلافة وهو بالرصافة[1] أتاه البريد بالخاتم والقضيب وسلم عليه بالخلافة فركب منها حتى أتى دمشق .

ذكر ولاية خالد القسري العراق

فيها عزل هشام عمر بن هبيرة عن العراق واستعمل خالد بن عبد الله القسري في شوال ، قال عمر بن يزيد بن عمير الأسيّدي : دخلت على هشام وخالد عنده وهو يذكر طاعة أهل اليمن فقلت : والله ما رأيت هكذا خطأ وخطلاً والله ما فتحت فتنة في الاسلام إلا بأهل اليمن هم قتلوا عثمان وهم خلعوا عبد الملك وان سيوفنا لتقطر من دماء أهل المهلب ، قال : فلما قمت تبعني رجل من آل مروان فقال : يا أخا بني تميم ورت بك زنادي قد سمعت مقالتك وأمير المؤمنين قد ولى خالداً العراق وليست لك بدار فسار خالد إلى العراق من يومه . (الأُسيّدي) بضم الهمزة وتشديد الياء هكذا يقوله المحدثون ؛ وأما النحاة فانهم يخففون الياء ؛ وهي عند الجميع نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء .

ذكر دعاة بني العباس

قيل : وفي هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السند كان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له فلما عزل الجنيد قدم بكير الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب ، فلقي أبا عكرمة الصادق ، وميسرة ، ومحمد بن خنيس ، وسالماً الأعين ، وأبا يحيى مولى بني سلمة فذكروا له أمر دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه وأنفق ما معه عليهم ودخل إلى محمد بن علي ، ومات ميسرة فأقامه مقامه .

---

(١) في الطبري « أن الخلافة أتت هشاماً وهو بالزيتونة في منزله في دويرة له هناك » .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا الجراح الحكمي اللان حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون وراء بلنجر ففتح بعض ذلك وأصاب غنائم كثيرة ، وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية في نحو الف مقاتل فاصيبوا جميعاً ، وفيها غزا مسلم بن سعيد الكلابي أمير خراسان الترك بما وراء النهر فلم يفتح شيئاً وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون وعلى الساقة عبيد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم فحاموا حتى عبر الناس ، وغزا مسلم افشين فصالح أهلها على ستة آلاف رأس ودفع إليه القلعة وذلك لتمام خمس ومائة بعد موت يزيد بن عبد الملك ، وفيها غزا مروان بن محمد الصائفة اليمني فافتتح قونية من أرض الروم، وكمخ، وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك فأرسل إلى عطاء متى أخطب ؟ قال : بعد الظهر قبل التروية بيوم ، فخطب قبل الظهر وقال : أخبرني رسولي عن عطاء فقال عطاء : ما أمرته إلا بعد الظهر فاستحيا ، وكان هذه السنة على المدينة ، ومكة، والطائف عبد الواحد النضري ، وكان على العراق ، وخراسان عمر بن هبيرة ، وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس ، وفي هذه السنة مات كثير عزة ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وكان عكرمة زوج أم سعيد بن جبير ، وفيها مات حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وفيها توفي الضحاك بن مزاحم ، وفيها توفي عبيد بن حسين وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وأبو رجاء العطاردي وأبو عبد الرحمن السلمي وله تسعون سنة ـ واسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة ـ، وفيها توفي عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ أمه صفية أخت المختار ـ وأوصى إليه أبوه، وفيها توفي أخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ـ وهو أخو سالم لأمه أمهما أم ولد ـ، وفي أيام يزيد بن عبد الملك توفي أبان بن عثمان بن عفان وكان قد فلج ، وفيها توفي عمارة بن خزيمة بن ثابت الأنصاري وله خمس وسبعون سنة ، وفي أيام يزيد بن عبد الملك مات المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي ، وعطاء بن يزيد الجُندعي الليثي ومولده سنة خمس وعشرين سكن الشام. (الجُندَعي) بضم الجيم والدال المهملة المفتوحة والنون ، وعراك بن مالك الغفاري ، والدخيشم بن عراك ، ومورق العجلي .

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الوقعة بين مُضر واليمن بخراسان

قيل : وفي هذه السنة كانت الوقعة بين المضرية ، واليمانية بالبروقان من أرض بلخ ، وكان سبب ذلك ان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة غزا فتبطأ الناس عنه وكان ممن تبطأ عنه البختري بن درهم فرد مسلم نصر بن سيار ، وبلعاء بن مجاهد ، وغيرهما إلى بلخ فأمرهم أن يخرجوا الناس إليه ، فأحرق نصر باب البختري ، وزياد بن طريف الباهلي . فمنعهم عمرو بن مسلم أخو قتيبة دخول بلخ وكان عليها ، وقطع مسلم بن سعيد النهر ، ونزل نصر بن سيار البروقان وأتاه أهل الصغانيان ، ومسلمة التميمي ، وحسان بن خالد الأسدي ، وغيرهما . وتجمعت ربيعة ، والازد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر ، وخرجت مضر إلى نصر وخرجت ربيعة ، والازد إلى عمرو بن مسلم بن عمرو .

وأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم إنك منا وانشدوه شعراً قاله رجل من باهلة إلى تغلب[1] وكان بنو قتيبة من باهلة فلم يقبل عمرو ذلك ، وسفر الضحاك بن مزاحم ، ويزيد بن المفضل الحداني في الصلح وكلما نصراً فانصرف، فحمل اصحاب عمرو بن مسلم ، والبختري على نصر وكر نصر عليهم فكان أول قتيل رجل من باهلة من أصحاب عمرو بن مسلم في ثمانية عشر رجلاً ، وانهزم عمرو وأرسل يطلب الامان من نصر فأمنه ، وقيل : أصابوا عمراً في طاحونة فاتوا به نصراً وفي عنقه حبل فأمنه وضربه مائة وضرب البختري وزياد بن طريف مائة مائة وحلق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم المسموح ،وقيل :إن الهزيمة كانت أولاً على نصر ومن معه من مضر فقال عمرو بن

---

(١) في الطبري « رجل عزا باهلة إلى تغلب ».

مسلم لرجل معه من تميم : كيف ترى استاه قومك يا أخا تميم : يعيره بذلك ، ثم كرت تميم فهزمت أصحاب عمرو فقال التميمي لعمرو : هذه استاه قومي ، وقيل : كان سبب انهزام عمرو أن ربيعة كانت مع عمرو فقتل منهم ومن الأزد جماعة فقالت ربيعة : علام نقاتل اخواننا وأميرنا ، وقد تقربنا إلى عمرو فانكر قرابتنا ؟ فاعتزلوا فانهزمت الازد، وعمرو ، ثم أمنهم نصر وأمرهم أن يلحقوا مسلم بن سعيد .

ذكر غزوة مسلم الترك

ثم قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من أصحابه ؛ فلما بلغ بخارى أتاه كتاب خالد بن عبد الله بولايته العراق ويأمر باتمام غزاته ، فسار إلى فرغانة فلما وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل إليه وأنه في موضع ذكروه ، فارتحل فسار ثلاث مراحل في يوم واقبل إليهم خاقان فلقي طائفة من المسلمين وأصاب دواب لمسلم وقتل جماعة من المسلمين وقتل المسيب بن بشر الرياحي ، والبراء ـ وكان من فرسان المهلب ـ وقتل أخو غوزك وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر ، ورحل مسلم بالناس فسار ثمانية أيام وهم مطيفون بهم ، فلما كان التاسعة ارادوا النزول فشاوروا الناس فأشاروا به وقالوا : اذا اصبحنا وردنا الماء والماء منا غير بعيد، فنزلوا ولم يرفعوا بناء في العسكر وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة فحرقوا ما قيمته ألف ألف ، وأصبح الناس فساروا فوردوا النهر وأهل فرغانة ، والشاش دونه ، فقال مسلم بن سعيد أعزم على كل رجل الا اخترط سيفه ففعلوا وصارت الدنيا كلها سيوفاً ، فتركوا الماء وعبروا فأقام يوماً ثم قطع من غد وأتبعهم ابن لخاقان فأرسل إليه حميد بن عبد الله وهو على الساقة قف لي فان خلفي مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم ـ وهو مثقل جراحة ـ فوقف الناس وعطف على الترك فقاتلهم وأسر أهل الصغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة ومضى البقية ، ورجع حميد فرمي بنشابة في ركبته فمات ، وعطش الناس وكان عبد الرحمن العامري حمل عشرين قربة على ابله فسقاها الناس جرعاً جرعاً ، واستسقى مسلم بن سعيد فأتوه بإناء فأخذه جابر ، وحارثة بن كثير ـ أخو سليمان بن كثير ـ من فيه فقال مسلم : دعوه فما نازعني شربتي إلا من حر دخله ، وأتوا خجندة وقد أصابهم مجاعة وجهد فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم فأتياه بعهده على خراسان من أسد بن عبد الله أخي خالد، فأقرأه عبد الرحمن مسلماً فقال : سمعا وطاعة، وكان عبد الرحمن

أول من اتخذ الخيام في مفازة آمل ، قال الخزرج التغلبي : قاتلنا الترك فأحاطوا بنا حتى أيقنا بالهلاك فحمل حوثرة بن يزيد بن الحر بن الحنيف على الترك في أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم فحمل عليهم الناس فانهزم الترك ، ـ وحوثرة هذا هو ابن أخي رقبة بن الحر ـ ، قيل : وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاه : ليكن حاجبك من صالح مواليك فإنه لسانك والمعبر عنك وعليك بعمال العذر قال : وما عمال العذر؟ قال : تأمر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فان كان خيراً كان لك وإن كان شراً كان لهم دونك وكنت معذوراً ، وكان على خاتم مسلم بن سعيد توبة بن أبي سعيد[1] ، فلما ولي أسد بن عبد الله خراسان جعله على خاتمه أيضاً .

ذكر حج هشام بن عبد الملك

وحج بالناس هذه السنة هشام بن عبد الملك ، وكتب له أبو الزناد سنن الحج ، قال أبو الزناد : لقيت هشاماً فاني لفي الموكب إذ لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان فسار إلى جنبه فسمعه يقول : يا أمير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن أبا تراب فانها مواطن صالحة وأمير المؤمنين ينبغي له أن يلعنه فيها ، فشق على هشام قوله وقال : ما قدمنا لشتم أحد ولا للعنه قدمنا حجاجاً ، ثم قطع كلامه وأقبل علي فسألني عن الحج فأخبرته بما كتبت له قال : وشق على سعيد اني سمعته تكلم بذلك ـ وكان منكسراً ـ كلما رآني .

ذكر ولاية أسد خراسان

قيل : وفي هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله أخاه أسداً على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة ، فلما أتى أسد النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عبيد التميمي وكان على السفن بآمل وقال : قد نهيت عن ذلك فأعطاه ولاطفه فأبى ، قال : فإني أمير فأذن له فقال أسد : اعرفوا هذا حتى نشكره في أمانتنا ، وأتى الصغد فنزل بالمرج وعلى سمرقند هانيء بن هانيء فخرج في الناس يلقى أسداً فرآه على حجر

---

(١) في الطبري « توبة بن أبي أسيد » .

فتفاءل الناس وقالوا : ما عند هذا خير أسد على حجر ، ودخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبدالرحمن بن نعيم على الجند فقدما وسألا عنه وسلما إليه العهد ـ فأتى به مسلماً فقال : سمعاً وطاعة ، وقفل عبد الرحمن بالناس ومعه مسلم فقدموا على أسد بسمرقند فعزل هانئاً عنها واستعمل عليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي ، وقيل للحسن : ان الأتراك قد أتوك في سبعة آلاف فقال: ما أتونا نحن أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم ومع هذا فلأدنين بعضكم من بعض ولأقربن نواصي خيلكم بخيلهم ثم سبهم ودعا عليهم ثم خرج إليهم متباطئاً فأغاروا ورجعوا سالمين، واستخلف على سمرقند ثابت قطنة فخطب الناس فارتج عليه وقال: ومن يطع الله ورسوله فقد ضل فسكت ولم ينطق بكلمة وقال :

إنْ لم أكنْ فيكمْ خَطِيباً فإنني ... بسَيْفي إذا جَدَّ الوغى لخَطيبُ

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ، فقال حاجب الفيل اليشكري يعيره بحضرته[1] :

أبا العَلَاءِ لقد لاقيتَ مُعْضِلة ... يَومَ العَرُوبةِ من كَربٍ وتَخْنِيقِ

تَلوي اللسانَ اذا رُمتَ الكلامَ به ... كما هوى زَلَقٌ من شاهِقِ النِّيقِ

لمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ الناسِ ضاحِيةً ... أنشأتَ تَجْرَضُ[2] لمَّا قمتَ بالرِّيقِ

أمَّا القرانُ فلا تُهدَى لِمُحْكَمَةٍ ... مِنَ القرآنِ ولا تُهدَى لِتَوْفِيقِ

ذكر استعمال الحر على الموصل

في هذه السنة استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية على الموصل ، وهو الذي بنى المنقوشة داراً يسكنها ، وإنما سميت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج ، والرخام ، والفصوص الملونة ، وما شاكلها ، وكانت عند سوق القتابين والشعارين وسوق الأربعاء، وأما الآن فهي خربة تجاور سوق الأربعاء ، وهذا الحر الذي عمل النهر الذي كان بالموصل ، وسبب ذلك أنه رأى امرأة تحمل جرة ماء وهي تحملها قليلاً ثم تستريح قليلاً لبعد الماء ، فكتب إلى هشام بذلك

---

(١) في الطبري : « يعيره حَصَرَه » .

(٢) تجرض : أي تغص.

فأمر بحفر نهر إلى البلد فحفره فكان أكثر شرب أهل البلد منه ، وعليه كان الشارع المعروف بشارع النهر ، وبقي العمل فيه عدة سنين ، ومات الحر سنة ثلاث عشر ومائة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كلم ابراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك ـ وهو في الحجر ـ فقال له : اسألك بالله وبحرمة هذا البيت الذي خرجت معظماً له الا رددت عليّ ظلامتي قال : أي ظلامة؟ قال : داري قال : فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : ظلمني والله قال : فالوليد، وسليمان قال : ظلماني قال : فعمر قال : يرحمه الله ردها على قال : فيزيد بن عبد الملك قال : ظلمني وقبضها مني بعد قبضي لها وهي في يدك فقال هشام : لو كان فيك ضرب لضربتك فقال : فيّ والله ضرب بالسيف والسوط، فانصرف هشام والابرش خلفه فقال : أبا مجاشع كيف سمعت هذا الانسان ؟ قال : ما أجوده قال : هي قريش وألسنتها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا ـ وفيها عزل هشام عبد الواحد النضري عن مكة، والمدينة، والطائف وولى ذلك خاله ابراهيم بن هشام بن إسماعيل فقدم المدينة في جُمادى الآخرة فكانت ولاية النضري سنة وثمانية أشهر ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا الجراح بن عبد الله اللان فصالح أهلها فأدوا الجزية ، وفيها ولد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس في رجب ، وفيها استقضى ابراهيم بن هشام على المدينة محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي ، وكان العامل على مكة ، والمدينة ، والطائف ابراهيم بن هشام المخزومي ، وكان على العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسري البجلي ، وكان عامل خالد على البصرة على صلاتها عقبة بن عبد الأعلى ؛ وعلى شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى قضائها ثمامة بن عبدالله بن أنس، وحج بالناس هشام بن عبد الملك، وفيها مات يوسف بن مالك مولى الحضرميين ، وبكر بن عبدالله المزني .

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر ملك الجنيد بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشبة

في هذه السنة استعمل خالد القسري الجنيد بن عبد الرحمن على السند فنزل شط مهران فمنعه جيشبة بن ذاهر العبور وقال: اننا مسلمون فقد استعملني الرجل الصالح ـ يعني عمر بن عبد العزيز ـ على بلادي ولست آمنك فأعطاه رهناً وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج، ثم إنهما ترادا الرهن وكفر جيشبة وحاربه، وقيل: لم يحاربه ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع وأخذ السفن واستعد للحرب فسار الجنيد إليه في السفن أيضاً فالتقوا فأخذ جيشبة أسيراً وقد جنحت سفينته فقتله. وهرب أخوه صصة إلى العراق ليشكو غدر الجنيد فخدعه الجنيد حتى جاء إليه فقتله، وغزا الجنيد الكرج وكانوا قد نقضوا ففتحها عنوة، وفتح أزين، والمالبة، وغيرهما من ذلك الثغر.

ذكر غزوة عنبسة الفرنج بالأندلس

في هذه السنة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي عامل الأندلس بلد الفرنج في جمع كثير ونازل مدينة قرقسونة وحصر أهلها فصالحوه على نصف أعمالها وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم وأن يعطوا الجزية ويلتزموا بأحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه. فعاد عنهم عنبسة وتوفي في شعبان سنة سبع ومائة أيضاً، وكانت ولايته أربع سنين وأربعة أشهر. ولما مات استعمل عليهم بشر بن صفوان يحيى بن سلمة الكلبي في ذي القعدة سنة سبع أيضاً.

ذكر حال الدعاة لبني العباس

قيل: وفيها وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة، وأبا محمد الصادق، ومحمد بن خنيس، وعماراً العبادي، وزياداً خال الوليد الأزرق في عدة من شيعتهم دعاة الى

خراسان، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبدالله فوشى بهم إليه، فـأُتِيَ بأبي عكرمة، ومحمد بن خنيس، وعامة أصحابه ونجا عمار فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وصلبهم، وأقبل عمار إلى بكير بن ماهان فأخبره الخبر فكتب إلى محمد بن علي بذلك فأجابه الحمد لله الذي صدق دعوتكم ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل. وفيها قدم مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبدالله فكان أسد يكرمه بخراسان ولم يعرض له، فقدم مسلم، وابن هبيرة يريد الهرب فنهاه عن ذلك وقال: إن القوم فينا أحسن رأياً فيكم منهم، وفيها غزا أسد جبال نمرون ملك غرشتان مما يلي جبال الطالقان فصالحه نمرون وأسلم على يده وهم اليوم يتولون اليمن.

ذكر الخبر عن غزوة الغور

قيل: وفي هذه السنة غزا أسد الغور ـ وهو جبال هراة ـ فعمد أهلها إلى أثقالهم فصيروها في كهف ليس إليه طريق، فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل هشام الجراح بن عبدالله الحكمي عن أرمينية واذربيجان واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل عليها مسلمة الحرث بن عمرو الطائي فافتتح من بلاد الترك رستاقاً وقرى كثيرة وأثر فيها أثراً حسناً.

وفيها نقل أسد من كان بالبروقان إلى بلخ من الجند وأقطع كل من كان له بالبروقان بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً، وأراد أن ينزلهم على الأخماس فقيل له: إنهم يتعصبون فخلي بينهم، وتولى بناء المدينة مدينة بلخ برمك أبو خالد بن برمك وبينها وبين البروقان فرسخان، وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم في السنة قبلها، وفيها مات سليمان بن يسار وعمره ثلاث وسبعون سنة، وعطاء بن زيد الليثي وله ثمان وتسعون سنة، وقد تقدم ذكر وفاته سنة خمس ومائة (يسار) بالياء المثناة من تحت وبالسين المهملة.

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر غزو الختل والغور

قيل: وفي هذه السنة قطع أسد النهر وأتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال في هذه الغزوة، وقيل: عاد مهزوماً من الختل، وكان أسد قد أظهر أنه يريد يشتو بسرخ دره فأمر الناس فارتحلوا ووجه راياته وسار في ليلة مظلمة إلى سرخ دره فكبر الناس فقال: ما لهم؟ فقالوا: هذه علامتهم اذا قفلوا فقال للمنادي: ناد ان الأمير يريد الغوريين فمضى إليهم فقاتلوهم يوماً وصبروا لهم، وبرز رجل من المشركين بين الصفين فقال سالم[1] بن أحوز لنصر بن سيار: أنا حامل على هذا العلج فلعلي أقتله فيرضى أسد فحمل عليه فطعنه فقتله ورجع سالم فوقف، ثم قال لنصر: أنا حامل حملة أخرى فحمل فقتل رجلاً آخر وجرح سالم، فقال نصر لسالم: قف حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو فصرع رجلين ورجع جريحاً وقال: أترى ما صنعنا يرضيه لا ارضاه الله؟ قال: لا والله قال: وأتاهما رسول أسد فقال: يقول لكما الأمير قد رأيت موقفكما وقلة غنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا: آمين إن عدنا لمثل هذا وتحاجزوا، ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد وأسروا وسبوا وغنموا، وقد كان أصاب الناس جوع شديد بالختل فبعث أسد بكبشين مع غلام له وقال: بعهما بخمسمائة درهم، فلما مضى الغلام قال: أسد لا يشتريهما إلا ابن الشخير - وكان في المسلحة فدخل حين أمسى فرأى الشاتين في السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح أحدهما وبعث الآخر إلى بعض اخوانه، فلما أخبر الغلام أسداً بالقصة بعث إلى ابن الشخير بألف درهم - وابن الشخير هذا هو عثمان بن عبدالله بن الشخير ابو مطرف.

---

(١) في الطبري « سلم ».

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح قيسارية وهي مدينة مشهورة.

وفيها أيضاً غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصناً من حصون الروم. وفيها وجه بكير بن ماهان إلى خراسان جماعة من شيعة بني العباس منهم عمار العبادي فسعى بهم رجل إلى أسد بن عبدالله أمير خراسان فأخذ عماراً فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه فوصلوا إلى بكير فأخبروه بذلك، فكتب إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فأجابه الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم، وقد تقدم سنة سبع ومائة ذكر هذه القصة. وفيها أن عماراً نجا وفي هذه الرواية أن عماراً قطع فلهذا أعدنا ذكرها والله أعلم. وفيها وقع الحريق بدابق فاحترق المرعى والدواب والرحال. وفيها سار ابن خاقان ملك الترك إلى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار إليه الحرث بن عمرو الطائي فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحرث حتى عبر نهرارس فعاد إليه ابن خاقان فعاود الحرب أيضاً فانهزم ابن خاقان وقتل من الترك خلق كثير. وفيها خرج عباد الرعيني باليمن محكماً فقتله أميرها يوسف بن عمر وقتل أصحابه وكانوا ثلاثمائة. وفيها غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على أهل الشام فقطعوا البحر إلى قبرس، وغزا في البر مسلمة بن عبدالملك بن مروان. وفيها كان بالشام طاعون شديد.

وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام وهو على المدينة، ومكة، والطائف، وكان العمال من تقدم ذكرهم في السنة قبلها، وفيها مات محمد بن كعب القرظي، وقيل: سنة سبع عشرة، وقيل: انه ولد على عهد رسول الله ﷺ.

وفيها مات موسى بن محمد بن علي بن عبدالله والد عيسى ببلاد الروم غازياً وكان عمره سبعاً وسبعين سنة. وفيها مات القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وكان عمره سبعين سنة، وقيل: اثنتين وسبعين سنة وكان قد عمي، وقيل: مات سنة إحدى ومائة. وفيها توفي أبو المتوكل علي بن داود الناجي، وأبو الصديق الناجي أيضاً واسمه بكر بن قيس الناجي. (الناجي) بالنون والجيم، وأبو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة النضري. (نضرة) بالنون والضاد المعجمة، ومحارب بن دثار الكوفي قاضيها. (دثار) بكسر الدال المهملة والثاء المثلثة.

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ذكر عزل خالد وأخيه أسد عن خراسان وولاية أشرس

قيل: وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبدالله وأخاه عن خراسان، وسبب ذلك أن أسداً تعصب حتى أفسد الناس وضرب نصر بن سيار، ونفراً معه بالسياط، منهم عبد الرحمن بن نعيم، وسورة بن الحر، والبختري بن أبي درهم، وعامر بن مالك الحماني وحلقهم وسيرهم إلى أخيه خالد فكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب بي، فلما قدموا على خالد لام أسداً وعنفه وقال: ألا بعث إلي برؤوسهم فقال نصر:

بَعَثت بالعِتاب في غَيْرِ ذَنْب ... في كتاب تلومُ أم تَميم
إنْ أَكُنْ مُوثقاً أسِيراً لديهم ... في هُمُومٍ وكَرْبةٍ وسُهُوم
رَهْنَ تَعْس[1] فما وجدتُ بَلاءً ... كإسارِ الكِرَامِ عِندَ اللئيم
أَبْلغَ المُدَّعِينَ قسراً وقَسْرٌ ... أهلُ عودِ القناةِ ذاتِ الوُصُوم
هل فُطِمْتُمْ عن الخيانةِ والغد ... رِ أَمْ أنتُم كالحَاكِرِ[2] المُسْتَدِيم

وقال الفرزدق:

أخالِدُ لَوْلا اللهُ لَمْ تُعْطَ طاعَةً ... ولولا بنو مروانَ لم يوثِقُوا نَصْرَاً
إذاً للقِيتُم عندَ شدٍّ وَثَاقِهِ ... بني الحرْبِ لا كشف اللقاءِ ولا ضَجْرا

وخطب يوماً أسد فقال: قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني إلى مهاجري ووطني.

فبلغ فعله هشام بن عبد الملك فكتب إلى خالد اعزل أخاك فعزله فرجع إلى

---

(١) في الطبري «قسر».

(٢) الحاكر: المسيء المعاشرة.

العراق في رمضان سنة تسع ومائة واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي فأقام الحكم صيفية فلم يغز ثم استعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمي على خراسان وأمره أن يكاتب خالداً. وكان أشرس فاضلاً خيراً وكانوا يسمونه الكامل لفضله، فلما قدم خراسان فرحوا به. واستقضى أبا المنازل الكندي ثم عزله واستقضى محمد بن زيد.

ذكر دعاة بني العباس

قيل: أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بعثه محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وقال له: انزل في اليمن وألطف مضر، ونهاه عن رجل من نيسابور يقال له غالب لأنه كان مفرطاً في حب بني فاطمة، ويقال: أول من أتى خراسان بكتاب محمد بن علي حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ، فلما قدم زياد دعا إلى بني العباس وذكر سيرة بني أمية وظلمهم وأطعم الناس الطعام وقدم عليه غالب وتناظرا في تفضيل آل علي، وآل العباس وافترقا، وأقام زياد بمرو شتوة ويختلف إليه من أهلها يحيى بن عقيل الخزاعي، وغيره، فأخبر به اسد فدعاه وقال له: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: الباطل إنما قدمت إلى تجارة وقد فرقت مالي على الناس فإذا اجتمع خرجت، فقال له أسد: اخرج عن بلادي فانصرف فعاد إلى أمره فرفع أمره إلى أسد وخوف من جانبه فأحضره وقتله وقتل معه عشرة من أهل الكوفة ولم ينج منهم إلا غلامان استصغرهما، وقيل: بل أمر بزياد أن يوسط بالسيف فضربوه بالسيف فلم يعمل فيه فكبر الناس فقال أسد: ما هذا؟ قيل: نبا السيف عنه ثم ضرب أخرى فنبا السيف عنه ثم ضربه الثالثة فقطعه باثنتين، وعرض البراءة على أصحابه فمن تبرأ أخلى سبيله فتبرأ اثنان فتركا وأبى البراءة ثمانية فقتلوا، فلما كان الغد أقبل أحدهما إلى أسد فقال: أسألك أن تلحقني بأصحابي فقتله وذلك قبل الأضحى بأربعة أيام، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيراً فنزل على أبي النجم وكان يأتيه الذين لقوا زياداً فكان على ذلك سنة أو سنتين ـ وكان أمياً ـ فقدم عليه خداش ـ واسمه عمارة ـ غلب عليه خداش فغلب كثيراً على أمره، وقيل في أمر الدعاة ما تقدم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا عبدالله بن عقبة الفهري في البحر، وغزا معاوية بن هشام

أرض الروم ففتح حصناً يقال له طيبة[١] فأصيب معه قوم من أهل أنطاكية.

وفيها قتل عمر بن يزيد الأسيدي قتله مالك بن المنذر بن الجارود، وسبب قتله أنه أبلى في قتال يزيد بن المهلب فقال يزيد بن عبد الملك: هذا رجل العراق فغاظ ذلك خالد بن عبدالله وأمر مالك بن المنذر وهو على شرط البصرة أن يعظمه ولا يعصي له أمراً وأقبل يطلب له عثرة يقتله بها، فذكر مالك بن المنذر عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر فافترى عليه، فقال عمر بن يزيد: لا تفتر على مثل عبد الاعلى فأغلظ له مالك وضربه بالسياط حتى قتله (الأُسيّدي) بضم الهمزة وتشديد الياء تحتها نقطتان.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية أذربيجان وسبى وعاد سالماً، وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام فخطب الناس فقال: سلوني فأنا ابن الوحيد فإنكم لا تسألون أحداً أعلم مني، فسأله رجل من أهل العراق عن الأضحية أواجبة هي فما درى ما يقول فنزل، وكان هو العامل على المدينة ومكة والطائف، وكان على البصرة والكوفة خالد بن عبد الله القسري، وكان قد استخلف على الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليثربي[٢] وعلى الشرطة بها بلال بن أبي بردة، وعلى قضائها ثمامة بن عبدالله بن أنس، وعلى خراسان أشرس.

وفي هذه السنة مات أبو مجلز لاحق بن حميد البصري.

وفيها غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيئاً كثيراً ثم رجع من غزاته إلى القيروان وتوفي بها من سنتها فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغرّ السلمي، فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبي عن الأندلس واستعمل حذيفة بن الأحوص الأشجعي فقدم الأندلس في ربيع الأول سنة عشر ومائة فبقي والياً عليها ستة أشهر ثم عزل ووليها عثمان بن أبي لسعة الخثعمي.

---

(١) كذا في الطبري وفي النجوم الزاهرة «الطينة».
(٢) في الطبري «اليزنيّ».

ثم دخلت سنة عشر ومائة

ذكر ما جرى لأشرس مع أهل سمرقند وغيرها

في هذه السنة أرسل أشرس إلى أهـل سمرقنـد وما وراء النهـر يدعـوهم إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية وأرسل في ذلك أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة، والربيع بن عمران التميمي، فقال أبو الصيداء: إنما أخرج على شريطة أن من أسلم لا تؤخذ منه الجزية وإنما خراج خراسان على رؤوس الرجال، فقال أشرس: نعم فقال أبو الصيداء لاصحابه: فإني أخرج فإن لم يفِ العمال أعنتموني عليهم قالوا: نعم، فشخص إلى سمرقند وعليها الحس بن العمرّطة الكندي على حربها وخراجها، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس، فكتب غوزك إلى أشرس أن الخراج قد انكسر؛ فكتب أشرس إلى ابن العمرّطة أن في الخراج قوّة للمسلمين وقد بلغني أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة إنما أسلموا تعوذا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسَّن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه، ثم عزل أشرس بن العمرطة عن الخراج وصيَّره إلى هانىء بن هانىء، فمنعهم أبو الصيداء من أخذ الجزية ممن أسلم، فكتب هانىء إلى أشرس أن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد، فكتب أشرس إليـه وإلى العمال خـذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزلوا في سبعة آلاف على عدة فراسخ من سمرقنـد؛ وخرج إليهم أبـو الصيداء، وربيـع بن عمران التميمي، والهيثم الشيبـاني[١] ، وأبو فـاطمـة الأزدي، وعـامـر بن قشيـراء، وبحيـر الخجندي[٢] ، وبنان العنبري، واسماعيـل بن عقبة لينصـروهم، فعزل أشـرس ابن

---

(١) في الطبري « والقاسم الشيباني ».

(٢) في الطبري « وبشير الخُجندي ».

العمرطة عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي على الحرب وضم إليه عميرة بن سعد الشيباني، فلما قدم المجشر كتب إلى أبي الصيداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابه، فقدم أبو الصيداء، وثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال له هانىء: ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء، ثم سيَّروه إلى أشرس واجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً فقال لهم: كفوا حتى نكتب إلى أشرس، فكتبوا إليه فكتب أشرس ضعوا عنهم الخراج فرجع أصحاب أبي الصيداء وضعف أمرهم فتبع الرؤساء فأخذوا وحملوا إلى مرو وبقي ثابت محبوساً، فألحَّ هانيء في الخراج واستخفوا بعظماء العجم والدهاقين وأقيموا وتخرقت ثيابهم وألقيت مناطقهم في أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا الترك، ولم يزل ثابت قطنة في حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيار إلى المجشر والياً فحمله إلى أشرس فحبسه ـ وكان نصر قد أحسن إليه ـ فقال ثابت يمدحه بأبيات يقول فيها:

ما هاجَ شوقك من نؤي وأحجارِ ... ومن رُسُوم عفاها صَوبُ أمطارِ
إن كانَ ظني بنَصْرٍ صادقاً أبداً ... فيما أُدَبِّرُ من نَقْضي وإمراري
لا يصْرِفُ الجُندَ حتى يَسْتَفِيءَ بهم ... نَهْباً عظِيماً وَيحوي مُلكَ جبَّارِ
إني وإن كُنْتُ من جَذْمِ الذي نظرتْ[1] ... منه الفروع وزندي الثاقب الواري
لذاكِرٌ منك أمراً قد سَبَقْتَ به ... من كان قَبْلَكَ يا نَصْر بن سَيَّارِ
ناضَلْتَ عَنِّي نضالَ الحُرِّ إذ قَصرتْ ... دوني العَشِيرةُ واستبطَأت أنصاري
وصارَ كُلُّ صَدِيق كُنْتُ آمله ... ألباً عليَّ وَرَثَّ الحَبْلُ من جاري
وما تَلَبَّسْتُ بالأمر الذي وقَعُوا ... به عليَّ ولا دَنَّسْتَ أطماري
ولا عَصَيْتُ إماماً كان طاعَتُهُ ... حَقّاً عليَّ ولا قارفْتُ من عارِ[2]

وخرج أشرس غازياً فنزل آمل فأقام ثلاثة أشهر، وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف فأقبل أهل الصغد وبخارى معهم خاقان والترك فحصروا قطناً في خندقه، فأرسل خاقان من أغار على مسرح الناس، فأخرج أشرس ثابت قطنة

(١) في الطبري «الذي نُضَرتْ».
(٢) اقتصر ابن الأثير على بعض الأبيات وقد ذكرها كاملة الطبري فليراجع.

بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو فوجهه مع عبد الله بن بسطام في خيل فقاتلوا الترك بآمل حتى استنقذوا ما بأيديهم ورجع الترك، ثم عبر أشرس بالناس إلى قطن وبعث أشرس سرية مع مسعود أحد بني حيان فلقيهم العدو فقاتلوهم فقتل رجال من المسلمين وهزم مسعود فرجع إلى أشرس وأقبل العدو فلقيهم المسلمون فجالوا جولة فقتل في تلك الجولة رجال من المسلمين، ثم رجع المسلمون وصبروا فانهزم المشركون.

وسار أشرس بالناس حتى نزل بكيند فقطع العدو عنهم الماء وأقام المسلمون يوماً وليلة وعطشوا فرحلوا إلى المدينة التي قطع العدو بها ـ وعلى المقدمة قطن بن قتيبة ـ فلقيهم العدو فقاتلوهم فجهدوا من العطش فمات منهم سبعمائة فعَجز الناس عن القتال فحرض الحرث بن سريج الناس فقال: القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً، وتقدم الحرث، وقطن في فوارس من تميم فقاتلوا حتى ازالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا واستقوا ثم مر ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي فقال: هل لك في الجهاد؟ فقال: أمهلني حتى اغتسل وأتحنط فوقف له حتى اغتسل ثم مضيا، وقال ثابت لأصحابه: أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحرضهم فحملوا واشتد القتال. فقال ثابت قطنة: اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلني ضيفك الليلة والله لا ينظر إليّ بنو أمية مشدوداً في الحديد، فحمل وحمل أصحابه فرجع أصحابه وثبت هو فرمى برذونه فشب وضربه فما قدم وضرب ثابت فارتث فقال وهو صريع: اللهم إني أصبحت ضيفاً لابن بسطام وأمسيت ضيفك فاجعل قراي منك الجنة فقتلوه وقتلوا معه عدة من المسلمين، منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدي وعبد الملك بن دثار الباهلي وغيرهما، وجمع قطن واسحاق بن محمد بن حيان[1] خيلاً من المسلمين تبايعوا على الموت فحملوا على العدو فقاتلوهم فكشفوهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو وأتى أشرس بخارى فحصر أهلها (الحرث بن سريج) بالسين المهملة والجيم.

---

(١) في الطبري «محمد بن حسان».

ذكر وقعة كَمَرْجة

ثم ان خاقان حصر كمرجة ـ وهي من أعظم بلدان خراسان ـ وبها جمع من المسلمين ومع خاقان أهل فرغانة وأفشينة ونسف وطوائف من أهل بخارى فأغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التي على الخندق، فأتاهم ابن خسرو بن يزدجرد فقال: يا معشر العرب لم تقتلون أنفسكم؟ أنا الذي جئت بخاقان ليرد عليّ مملكتي وأنا آخذ لكم الأمان فشتموه، وأتاهم بازغرى في مائتين ـ وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه ـ فدنا من المسلمين بأمان وقال: لينزل إليَّ رجل منكم أكلمه بما أرسلني به خاقان، فأحدروا يزيد بن سعيد الباهلي ـ وكان يفهم بالتركية يسيراً ـ فقال له: إن خاقان أرسلني وهو يقول: إني أجعل من عطاؤه منكم ستمائة ألفاً ومن عطاؤه ثلاثمائة ستمائة وهو يحسن إليكم، فقال يزيد: كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شياه؟ لا يكون بيننا وبينهم صلح، فغضب بازغرى وكان معه تركيان فقالا: ألا تضرب عنقه فقال: إنه نزل بأمان، وفهم يزيد ما قالا فخاف فقال: بلى إنما تجعلون نصفين فيكون نصفنا مع أثقالنا ويسير النصف معكم فإن ظفرتم فنحن معكم وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن الصغد فرضوا بذلك وقال: أعرض على أصحابي هذا، وصعد في الحبل فلما صار على السور نادى يا أهل كمرجة اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين قالوا: نموت قبل ذلك فرد بازغرى، ثم أمر خاقان بقطع الخندق[1] فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقي المسلمون الحطب اليابس حتى سوى الخندق ليقطعوا إليهم فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة ـ صنعاً من الله ـ فاحترق الحطب ـ وكانوا جمعوه في سبعة أيام ـ في ساعة واحدة، ثم فرق خاقان على الترك أغناماً وأمرهم أن يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها تراباً ويكبسوا خندقها ففعوا ذلك، فأرسل الله سحابة فمطرت مطراً شديداً فاحتمل السيل ما في الخندق وألقاه في النهر الأعظم، ورماهم المسلمون بالسهام فأصابت بازغرى نشابة في سرَّته فمات من ليلته فدخل عليهم بموته أمر عظيم، فلما امتد النهار جاؤوا بالأسرى الذين عندهم وهم مائة، فيهم أبو العوجاء العتكي والحجاج بن حميد النضري فقتلوهم ورموا برأس الحجاج وكان عند

---

(١) في الطبري « وأمر خاقان بقطع الشجرة ».

المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال.

ولم يزل أهل كمرجة كذلك حتى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعيَّر خاقان أهل الصُّغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال: زعمتم أن في هذه خمسين حماراً وأنا نفتحها في خمسة أيام فصارت الخمسة شهرين، وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا: ما ندع جهداً فاحضرنا غداً وانظر ما نصنع، فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطاربندة فقاتل المسلمين فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة إلى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمي بكلوب فتعلق بدرعه، ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فأصاب اصل أذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتدّ قتله على الترك، وأرسل خاقان إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فترحلوا أنتم عنها، فقالوا له: ليس من ديننا أن نعطي بأيدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم. فأعطاهم الترك الأمان أن يرحل خاقان عنهم ويرحلوا هم عنها إلى سمرقند أو الدبوسية. فرأى أهل كمرجة ما هم فيه من الحصار فأجابوا إلى ذلك فأخذوا من الترك رهائن أن لا يعرضوا لهم وطلبوا أن كورصول التركي يكون معهم في جماعة ليمنعهم إلى الدبوسية فسلموا إليهم الرهائن وأخذوا أيضاً هم من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده.

فقال الأتراك الذين مع كورصول: إن بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولانأمن من أن يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون: ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا، فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر أهلها إلى الفرسان فظنوا ان كمرجة فتحت وان خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب، فأرسل المسلمون إليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحملوا من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحاً، فلما بلغ المسلمون الدبوسية أرسلوا إلى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم، فجعلت العرب تطلق رجلاً من الرهن والترك رجلاً حتى بقي سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع: خلوا رهينة الترك فخلوه وبقي سباع مع الترك فقال له كورصول: ما حملك على هذا؟ قال: وثقت بك وقلت: ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول وأعطاه سلاحه وبرذوناً وأطلقه وكان مدة حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوماً فيقال: إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً.

ذكر ردّة أهل كَرْدَر(١)

في هذه السنة ارتد أهل كردر فأرسل إليهم أشرس جنداً فظفروا بهم فقال عرفجة:

ونحن كَفَينا أهلَ مرو وغَيْرَهُم ونحنُ نَفَينا التُّرْكَ عن أهل كَرْدَر
فإن تَجعَلوا ما قد غَنِمْنَا لِغَيْرِنا فقد يُظلمُ المرْءُ الكَريمُ فيَصْبرِ

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جمع خالد القسري الصلاة والأحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بكرة(٢) وعزل ثمامة عن القضاء.

وفيها غزا مسلمة الترك من باب اللان فلقي خاقان في جموعه فاقتتلوا قريباً من شهر وأصابهم مطر شديد فانهزم خاقان وانصرف ورجع مسلمة فسلك على مسلك(٣) ذي القرنين، وفيها غزا معاوية الروم ففتح صملة(٤). وفيها غزا الصائفة عبدالله بن عقبة الفهري، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج - بضم الحاء وفتح الدال المهملتين.

وحج بالناس في هذه السنة ابراهيم بن اسماعيل، فكان العمال على البلاد هذه السنة من تقدم ذكرهم في السنة التي قبلها.

وفيها مات الحسن البصري وله سبع وثمانون سنة، ومحمد بن سيرين وهو ابن إحدى وثمانين سنة. وفيها - أعني سنة عشر ومائة - مات الفرزدق الشاعر وله إحدى وتسعون سنة وجرير بن الخطفي الشاعر.

---

(١) كردر: بفتح أوله ثم السكون، ودال مفتوحة وراء: هي ناحية من نواحي خوارزم أو ما يتاخمها من نواحي الترك.

(٢) في الطبري: «إلى بلال بن أبي بردة».

(٣) في الطبري «فسلك على مسجد ذي القرنين».

(٤) في الطبري: «صمالة».

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ذكر عزل أشرس عن خراسان واستعمال الجنيد

في هذه السنة عزل هشام أشرس بن عبدالله عن خراسان، وكان سبب ذلك أن شداد بن خليد[1] الباهلي شكاه إلى هشام فعزله واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان ـ وهو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري، وكان سبب استعماله انه أهدى لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة من جوهر فأعجبت هشاماً فأهدى لهشام قلادة أخرى فاستعمله وحمله على ثمانية من البريد، فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل فقدم خراسان في خمسمائة وسار إلى ما وراء النهر وسار معه حطاب[2] بن محرز السلمي خليفة أشرس بخراسان وقطعا النهر، وأرسل الجنيد إلى أشرس ـ وهو يقاتل أهل بخارى والصغد ـ أن أمدني بخيل وخاف أن يقتطع دونه فوجه إليه أشرس عامر بن مالك الحماني فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطاً حصيناً وقاتلهم على الثلمة ومعه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم ابن أخي الأسود بن كلثوم وواصل بن عمرو القيسي فخرج واصل وعاصم بن عمير السمرقندي ومعهما غيرهما فاستداروا حتى صاروا من وراء الماء الذي هناك ثم جمعوا قصباً وخشباً وعبروا عليه فلم يشعر خاقان إلا والتكبير من خلفه، وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم فقتلوا عظيماً من عظمائهم وانهزم الترك.

وسار عامر إلى الجنيد فلقيه وأقبل معه وعلى مقدمة الجنيد عمارة بن حريم، فلما

---

(١) في الطبري : « شداد بن خالد » .

(٢) في الطبري : « الخطاب » .

انتهى إلى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم أظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون رَزْمَان[١] من بلاد سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقة الجنيد فأسر الجنيد من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة فبعث به إلى هشام، وكان الجنيد قد استخلف في غزوته هذه مجشر بن مزاحم السلمي على مرو، وولى سورة بن الحر التميمي بلخ وأوفد لما اصاب في وجهه هذا وفداً إلى هشام ورجع الجنيد إلى مرو وقد ظفر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمني العام وأنا مهلكه في قابل واستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل الا مضرياً استعمل قطن بن قتيبة على بخارى، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة وحبيب بن مرة العبسي على شرطته، وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي ـ وكان عليها نصر بن سيار ـ وكان ما بينه وبين الباهليين متباعداً لما كان بينهم بالبروقان، وأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائماً فجاؤوا به في قميص ليس عليه سراويل ملبباً فقال: شيخٌ من مضر جئتم به على هذه الحال فعزل الجنيد مسلماً عن بلخ واستعمل يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خليد الباهلي.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية، وغزا في البحر عبدالله بن أبي مريم، واستعمل هشام على عامة الناس من الشام ومصر الحكم بن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف.

وفيها سارت الترك إلى أذربيجان فلقيهم الحرث بن عمرو فهزمهم؛ وفيها استعمل هشام الجراح بن عبدالله الحكمي على أرمينية وعزل أخاه مسلمة بن عبدالملك فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالماً، فجمعت الخزر وحشدت وسارت إلى بلاد الاسلام، وكان ذلك سبب قتل الجراح على ما نذكره إن شاء الله تعالى. وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية عثمان بن لسعة عن

---

(١) في الطبري: «زرمان» بتقديم الراء وفي معجم البلدان: رَزمان: موضع بينه وبين سمرقند ستة فراسخ.

الأندلس واستعمل بعده الهيثم بن عبيد الكنافي، وقدمها في المحرم سنة إحدى عشرة ومائة وتوفي في ذي الحجة من السنة فكانت ولايته عشرة أشهر.

وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي، فكان العمال من تقدم ذكرهم إلا خراسان كان بها الجنيد؛ وكان بأرمينية الجراح بن عبدالله.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائة

ذكر قتل الجراح الحكمي

في هذه السنة قتل الجراح بن عبدالله الحكمي، وسبب ذلك ما ذكرناه قبل من دخوله بلاد الخزر وانهزامهم فلما هزمهم اجتمع الخزر والترك من ناحية اللان فلقيهم الجراح بن عبدالله فيمن معه من أهل الشام فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر، والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل، فكان قد استخلف أخاه الحجاج بن عبدالله على أرمينية، ولما قتل الجراح طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين، وكان الجراح خيراً فاضلاً من عمال عمر بن عبد العزيز ورثاه كثير من الشعراء؛ وقيل: كان قتله ببلنجر، ولما بلغ هشاماً خبره دعا سعيداً الحرشي فقال له: بلغني أن الجراح قد انحاز عن المشركين قال: كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف بالله من أن ينهزم ولكنه قتل قال: فما رأيك؟ قال: تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث إليّ كل يوم أربعين رجلاً ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني ففعل ذلك هشام.

وسار الحرشي فكان لا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد، ولم يزل كذلك حتى وصل إلى مدينة أرزن فلقيه جماعة من أصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه، وجعل لا يلقاه أحد من أصحاب الجراح إلا ردَّه معه، ووصل إلى خلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها أيضاً وفتحها وقسم غنائمها في أصحابه، ثم سار عن خلاط وفتح الحصون والقلاع شيئاً بعد شيء إلى أن وصل إلى برذعة فنزلها، وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي أن يملكها فأرسل بعض أصحابه إلى أهل ورثان سراً يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر، فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فأخذوه وسألوه عن

حاله فأخبرهم وصدقهم فقالوا له: إن فعلت ما نأمرك به أحسنًا إليك وأطلقناك وإلا قتلناك قال: فما الذي تريدون؟ قالوا: تقول لأهل ورثان: إنكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد إلينا فأجابهم إلى ذلك، فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه فقال لهم: أتعرفونني؟ قالوا: نعم أنت فلان قال: فإن الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر ففي هذين اليومين يصل إليكم فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان، فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها أحد، فارتحل يطلب الخزر إلى أردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فأتاه فارس على فرس أبيض فسلم عليه وقال له: هل لك أيها الأمير في الجهاد والغنيمة؟ قال: كيف لي بذلك؟ قال: هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبايا وقد نزلوا على أربعة فراسخ، فسار الحرشي ليلاً فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق أصحابه في أربع جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فما بزغت الشمس حتى قتلوا أجمعون غير رجل واحد. وأطلق الحرشي من معهم من المسلمين وأخذهم إلى باجروان، فلما دخلها أتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الأبيض فسلَّم وقال: هذا جيش للخزر ومعهم أموال للمسلمين، وحرم الجراح: وأولادهم بمكان كذا، فسار الحرشي إليهم فما شعروا إلاَّ والمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤوا ولم يفلت من الخزر إلا الشريد واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا أموالهم وأخذ أولاد الجراح فأكرمهم وأحسن إليهم وحمل الجميع إلى باجروان.

وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعساكر الخزر بابن ملكهم فوبخ عساكره وذمّهم ونسبهم إلى العجز، والوهن فحرض بعضهم بعضاً وأشاروا عليه بجمع أصحابه والعود إلى قتال الحرشي، فجمع أصحابه من نواحي أذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة، وسار الحرشي إليه فالتقيا بأرض برزند واقتتل الناس أشد قتال وأعظمه فانحاز المسلمون يسيراً فحرضهم الحرشي فأمرهم بالصبر فعادوا إلى القتال وصدقوهم الحملة، واستغاث من مع الخزر من الأسارى ونادوا بالتكبير، والتهليل، والدعاء، فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضاً ولم يبق أحد إلا وبكى رحمة للأسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الأدبار منهزمين وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر أرس وعادوا عنهم

وحووا ما في عساكرهم من الأموال، والغنائم وأطلقوا الأسرى، والسبايا وحملوا الجميع إلى باجروان؛ ثم إن ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر البيلقان؛ وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عساكر المسلمين فوافاهم على نهر البيلقان فالتقوا هناك، فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة ضعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبراً عظيماً، ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الأدبار منهزمين، وكان من غرق منهم في النهر أكثر ممن قتل، وجمع الحرشي الغنائم وعاد إلى باجروان فقسمها وأرسل الخمس إلى هشام بن عبدالملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين، فكتب إليه هشام يشكره، وأقام بباجروان فأتاه كتاب هشام يأمره بالمسير إليه. واستعمل أخاه مسلمة بن عبدالملك على أرمينية، وأذربيجان فوصل إلى البلاد وسار إلى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم.

ذكر وقعة الجنيد بالشعب

في هذه السنة خرج الجنيد غازياً يريد طخارستان فوجه عمارة بن حريم إلى طخارستان في ثمانية عشر ألفاً، ووجه ابراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر، وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر، فكتب سورة إلى الجنيد أن خاقان جاش الترك فخرجت إليهم فلم أطق أن أمنع حائط سمرقند فالغوث الغوث، فأمر الجنيد الناس بعبور النهر، فقام اليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي وغيرهما وقالوا: إن الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفاً ولا زحفاً، وقد فرقت جندك فمسلم بن عبد الرحمن بالبيروزكوه، والبختري بهراة[1]، وعمارة بن حريم غائب بطخارستان، وصاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً فاكتب إلى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال: فكيف بسورة ومن معه من المسلمين؟ لو لم أكن إلا في بني مرة أو من طلع معي من الشام لعبت، وقال شعراً:

أليس أحق الناس أن يشهد الوغى وأن يقتل الأبطال ضخماً على ضخم

وقال:

---

(١) في الطبري «فمسلم بن عبد الرحمن بالنيروذ والبختري بهراة».

مــا علتي مــا علتي مــا علتي إن لم أقتـلهم فـجــزوا لمـتي

وعبر الجنيد فنزل كش وتأهب للمسير ، وبلغ الترك فغوروا الآبار التي في طريق كش فقال الجنيد : أي طريق إلى سمرقند أصلح ؟ فقالوا : طريق المحترقة فقال المجشر : القتل بالسيف أصلح من القتل بالنار ، طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا بالنار ، والدخان ، ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء ، فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال : انه كان يقال : ان رجلاً مترفاً من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا أن تكونه فقال : ليفرخ روعك قال : أما ما كان بيننا مثلك فلا ، فبات في أصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند أربع فراسخ ، ودخل الشعب فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف إليه أهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك ، فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير فرجعوا إلى العسكر والترك تتبعهم وجاؤوهم من كل وجه ، فجعل الجنيد تميماً ، والأزد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل ، وعلى مجففة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيان ، وعلى المجردة عمرو بن جرقاش[١] المنقري ، وعلى جماعة بني تميم بن مالك الحماني ، وعلى الأزد عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو ، وعلى المجففة والمجردة فضيل بن هناد ، وعبد الله بن حوذان ، فالتقوا وقصد العدو الميمنة لضيق الميسرة فترجل حسان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه فأمره أبوه بالركوب فركب ، وأحاط العدو بالميمنة فأمدّهم الجنيد بنصر بن سيار فشد هو ومن معه على العدو فكشفوهم ، ثم كروا عليهم وقتلوا عبيد الله بن زهير وابن جرقاش والفضيل بن هناد ؛ وجالت الميمنة والجنيد واقف في القلب فأقبل إلى الميمنة ووقف تحت راية الأزد ـ وكان قد جفاهم ـ فقال له صاحب الراية : ما هلكنا فجئت لتكرمنا[٢] ولكنك علمت أنه لا يوصل إليك ومنا رجل حي فإن ظفرنا كان لك وإن هلكنا لم تبكِ علينا ـ وتقدم فقتل ، وأخذ الراية ابن مجاعة فقتل وتداولها ثمانية عشر رجلاً فقتلوا ، وقتل يومئذ من الأزد ثمانون رجلاً ، وصبر

---

(١) في الطبري « جرفاس » بالفاء والسين المهملة ، والجرفاس الحمل الشديد والأسد.

(٢) في الطبري « ما جئتنا لتحبونا ولا لتكرمنا ».

الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيئاً فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا، وقتل من الازد عبد الله بن بسطام ومحمد بن عبد الله بن حوذان والحسن بن شيخ ، والفضيل صاحب الخيل ويزيد بن الفضل[١] الحداني ـ وكان قد حج فأنفق في حجته ثمانين ومائة ألف ـ وقال لأمه وحشية : ادعي الله أن يرزقني الشهادة فدعت له وغشي عليها فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوماً ـ وقتل النضر بن راشد العبدي، وكان قد دخل على امرأته والناس يقتتلون فقال لها : كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرجاً بالدم فشقت جيبها ودعت بالويل فقالت له : حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقاً إلى الحور العين فرجع وقاتل حتى استشهد رحمه الله ، فبينا الناس كذلك إذ أقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادي الجنيد الأرض الأرض فترجل وترجل الناس ، ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا ـ وقد أصيب من الازد مائة وتسعون رجلاً وكان قتالهم يوم الجمعة ، فلما كان يوم السبت قصدهم خاقان وقت الظهر فلم ير موضعاً للقتال أسهل من موضع بكر بن وائل ـ وعليهم زياد بن الحرث ـ فقصدهم ، فلما قربوا حملت بكر عليهم فأفرجوا لهم فسجد الجنيد واشتد القتال بينهم .

ذكر مقتل سورة بن الحر

فلما اشتدّ القتال ورأى الجُنيد شدّة الامر استشار أصحابه فقال له عبيد الله بن حبيب : اختر إما أن تهلك أنت أم سَوْرَة بن الحرِّ قال: هلاك سورة أهون علي قال: فاكتب إليه فليأتك في أهل سمرقند فإنه إذا بلغ الترك إقباله توجهوا إليه فقاتلوه ، فكتب إليه الجنيد يأمره بالقدوم ، وقال حليس بن غالب الشيباني : إن الترك بينك وبين الجنيد فإن خرجت كروا عليك فاختطفوك . فكتب إلى الجُنيد إني لا أقدر على الخروج فكتب إليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت إليك شداد بن خليد[٢] الباهلي ـ وكان عدوه ـ فاخرج والزم الماء ولا تفارقه ، فاجمع على المسير وقال: إذا سرت على النهر لا أصل في يومين وبيني وبينه في هذا الوجه ليلة فاذا سكت الرجل[٣] سرت فجاءت عيون

(١) في الطبري « ويزيد بن المفضل » .
(٢) في الطبري « شداد بن خالد » .
(٣) في الطبري « سكنت الرجل » .

الاتراك فأخبروهم بمقالة سورة ورحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلي وسار في اثني عشر ألفاً فأصبح على رأس جبل فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجُنيد فرسخ فقاتلهم واشتد القتال وصبروا فقال غوزك لخاقان اليوم حار فلا نقاتلهم حتى يحمي عليهم السلاح. فواقفهم وأشعل النار في الحشيش وحال بينهم وبين الماء. فقال سَوْرَة لعبادة : ما ترى يا أبا سليم؟[1] فقال : أرى أن الترك يريدون الغنيمة فاعقر الدواب وأحرق المتاع وجرد السيف فإنهم يخلون لنا الطريق وإن منعونا شرعنا الرماح ونزحف زحفاً وإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر فقال : لا أقوى على هذا ولا فلان وفلان وعد رجالاً ولكن أرى أن أجمع الخيل فأصكهم بها سلمت أم عطبت ، وجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك لهب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقّت فخذه وتفرَّق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم غير ألفين ويقال ألف ، وكان ممن نجا منهم عاصم بن عمير السمرقندي واستشهد حليس بن غالب الشيباني .

وانحاز المهلب بن زياد العجلي في سبعمائة إلى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصراً هناك فأتاهم الاشكند صاحب نسف في خيل ومعه غوزك فأعطاهم غوزك الأمان ، فقال قريش بن عبد الله العبدي لا تثقوا بهم ولكن إذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتي سمرقند فعصوه فنزلوا بالأمان فساقهم إلى خاقان فقال : لا أجيز أمان غوزك ، فقاتلهم الوجف بن خالد ، والمسلمون فأصيبوا غير سبعة عشر رجلاً فقتلوا غير ثلاثة وقتل سورة في اللهب، فلما قتل خرج الجُنيد من الشعب يريد سمرقند مبادراً ، فقال له خالد بن عبيد الله : سر وأسرع فقال له المجشر : انزل وأخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر له : لو لقونا ونحن نسير ألم يهلكونا ؟ فلما أصبحوا تناهضوا فجال الناس فقال الجنيد : أيها الناس إنها النار فرجعوا، ونادى الجنيد أي عبد قاتل فهو حر فقاتل العبيد قتالاً عجب منه الناس فسروا بما رأوا من صبرهم، وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا فقال موسى بن التعراء[2] للناس : أتفرحون بما رأيتم من العبيد ان لكم منهم ليوماً أروزبان[3]، ومضى الجنيد

---

(١) في الطبري « يا أبا السليل » .

(٢) في الطبري « ابن النعر »

(٣) في الطبري « أرونان ».

إلى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة إلى مرو وأقام بالصغد أربعة أشهر ، وكان صاحب رأي خراسان في الحرب المجشر بن مزاحم ، وعبد الرحمن بن صبح الخرقي ، وعبيد الله بن حبيب الهجري ، وكان المجشر ينزل الناس على راياتهم ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه في ذلك، وكان عبد الرحمن إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه ، وكان عبيد الله على تعبية القتال ، وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب ، فمنهم الفضل بن بسام مولى بني ليث وعبد الله بن أبي عبد الله ، ولي بني سليم والبختري بن مجاهد مولى بني شيبان ، فلما انصرف الترك بعث الجُنيد نهار بن توسعة أحد بني تيم اللات وزبل بن سويد المري[1] إلى هشام وكتب إليه أن سورة عصاني أمرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه أصحابه فأتتني طائفة ، وطائفة إلى نسف وطائفة إلى سمرقند وأصيب سورة في بقية أصحابه ، فسأل هشام نهار بن توسعة عن الخبر فأخبره بما شهد، وكتب هشام إلى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من أهل البصرة وعشرة آلاف من أهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة فافرض فلا غاية لك في الفريضة بخمسة عشر ألفاً ، فلما سمع هشام مصاب سورة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب ، وأبلى نصر بن سيار يومئذٍ بلاءً حسناً ، وأرسل الجنيد ليلة بالشعب رجلاً وقال له : تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع إليه فقال : رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الأشعار ويقرأون القرآن فسره ذلك ، قال عبيد بن حاتم بن النعمان : رأيت فساطيط بين السماء والأرض فقلت : لمن هذا؟ فقالوا : لعبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا في غد، فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك ، وأقام الجنيد بسمرقند وتوجه خاقان إلى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور أصحابه فقال قوم : نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها فنأتي ربنجن [2] ثم كش ثم إلى نسف فنتصل منها إلى أرض زم ونقطع النهر وننزل آمل فنأخذ عليه بالطريق فاستشار

---

(١) في الطبري « وزميل بن سويد المري ».

(٢) في معجم البلدان «ربيخن» بفتح أوله وثانيه وياء ساكنة وخاء معجمة ونون وقيل : أربيخن : بليدة من صغد سمرقند.

عبد الله بن أبي عبيد الله مولى بني سليم وأخبره بما قالوا فاشترط عليه أن لا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال فقال : نعم قال : فإني أطلب إليك خصالاً قال: وما هي؟ قال: تخندق حيثما نزلت ولا يفوتنّك حمل الماء ولو كنت على شاطىء نهر وأن تطيعنيَ في نزولك وارتحالك، قال : نعم قال: أما ما أشاروا عليك في مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطىء عنك ، وأما ما أشاروا من طريق كش ونسف فإنك إن سرت بالناس في غير الطريق فتتت في أعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت غير الطريق بلغ أهل بخارى ما فعلت فيستسلموا لعدوهم ، وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو .

والرأي عندي أن تأخذ عيال من قتل مع سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فإني أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك ، وتعطي كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرساً ، فأخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ، فشتم الناس عبد الله بن أبي عبد الله وقالوا : ما أراد إلا هلاكنا ، فخرج الجنيد وحمل العيال معه ؛ وسرح الأشحب بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من الطلائع وقال: كلما مضيت مرحلة تسرح إليَّ رجلاً يعلمني الخبر ، وسار الجنيد فأسرع السير فقال له عطاء الدبوسي : انظر أضعف شيخ في العسكر فسلحه سلاحاً تاماً بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فإنا لا نقدر على سرعة المسير والقتال ونحن رجالة ففعل الجنيد ذلك ؛ ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ودنا من الطواويس، وأقبل إليه خاقان بكرمينية أول يوم من رمضان واقتتلوا فأتاه عبد الله بن أبي عبد الله ـ وهو يضحك ـ فقال الجنيد : ليس هذا يوم ضحك قال : الحمد لله إذا لم يلقك هؤلاء في جبال معطشة وعلى ظهر إنما أتوك وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد فقاتلوا قليلاً ثم رجعوا، ثم قال للجنيد: ارتحل فإن خاقان ودَّ أنك تقيم فينطوي عليك إذا شاء ؛ فسار وعبد الله على الساقة ثم أمره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا ؛ فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله : إني أتوقع أن خاقان يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد، وجاءت الترك فمالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ، وقتل مسلم بن أحوز عظيماً من عظماء

الترك فتطيروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس ، وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم البخارية فأعطاهم عشرة عشرة .

قال عبد المؤمن بن خالد: رأيت عبد الله بن أبي عبد الله في المنام بعد موته فقال : حدث الناس عني برأي يوم الشعب، وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله فيقول : زبدة من الزبد[١] صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع ، والقل الفرد، والصنبور الذي لا أخ له، وقيل : الملصق، وقدمت الجنود من الكوفة على الجنيد فسرح معهم حوثرة بن زيد[٢] العنبري فيمن انتدب معه ، وقيل : إن وقعة الشعب كانت سنة ثلاث عشرة ، وقال : نصر بن سيار يذكر يوم الشعب :

إني نَشَأْتُ وحُسَّادي ذَوو عَدَد ... يا ذا المعارجِ لا تنقص لهمْ عَدَدَا
ان تحسدوني على مثل البلاءِ لكم ... يوماً فمثلُ بلائي جَرَّ لي الحَسَدَا
يأبَى الإلـه الذي أعلى بقدرته ... كعبي عليكم وأعطى فوقَكُم عُدَدَا
أرمي العداة[٣] بأفراسٍ مُكلمَةٍ ... حتى اتخذت على حُسَّادِهن يدَا
من ذا الذي منكم في الشعب اذ وَرَدُوا ... لم يَتَّخِذ حَوْمة الأثقالِ مُعْتَمَدا[٤]
هلا شَهدتُمْ[٥] دفاعي عن جُنَيدِكُمُ ... وَقْعَ القَنَا وشِهابُ الحربِ قد وَقَدا

وقال ابن عرس يمدح نصراً :

يا نصرُ أنت فتى نزار كلها ... فلكَ المآثرُ والفعالُ الأرفَعُ
فَرَّجت عَنْ القبائِلِ كُربة ... بالشِّعب حينَ تَخاضعُوا وتَضعْضَعُوا
يوم الجُنيد إذ القنا مُتَشاجرٌ ... والبحرُ دام[٦] والخوافِقُ تَلمَعُ
ما زِلتَ تَرميهمْ بنفسٍ حُرَّةٍ ... حتى تَفَرجَ جَمعُهُم وتَصَدَّعُوا

(١) « ربذة من الربذ » .
(٢) في الطبري : « حوثرة بن زيد » .
(٣) في الطبري : «العدوّ» .
(٤) ذكر الطبري بعد هذا البيت بيتين هما :
فما حفظتم من اللّهِ الوصاة ولا ... أنتم بصبرٍ طلبتم حُسن ما وعدا
ولا نهاكمْ عن التَّوْثابِ في عتبٍ ... إلّا العبيدُ بضرب يكسِر العمدا
(٥) في الطبري « هلا شكرتم » .
(٦) في الطبري : « والنّحر دامٍ ».

فـالنـاسُ كُـل بعـدهـا عُتقـاؤكم ولـك المكـارمُ والمعـالي أجمَـعُ

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة .

وحج بالناس هذه السنـة ابراهيم بن هشـام المخزومي ، وقيـل : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وفيها استعمل أهـل الاندلس على أنفسهم بعـد موت الهيثم أميرهم محمد بن عبـد الملك الأشجعي فبقي شهرين وولّى بعـده عبد الـرحمن بن عبد الله الغافقي ، وكان عمال الأمصار هذه السنة من ذكرناهم في السنة قبلها ، وفيها مات رجاء بن حيوة بقُسِّين[1] .

(حَيْوة) بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الياء المثناة من تحت ، وفيها توفي مكحول أبو عبد الله الشامي الفقيه وعبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي ، ومات أبوه وأمه حامل به فكل ما يروونه عن أبيه فهو منقطع .

---

(١) قُسِّين : بالضم ثم الكسر والتشديد وياء مثناة من تحت ونون : كورة من نواحي الكوفة .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر قتل عبد الوهاب

في هذه السنة قتل عبد الوهاب بن بُخْت وكان قد غزا مع عبد الله البطال أرض الروم فانهزم الناس عن البطال فحمل عبد الوهاب وهو يقول : ما رأيت فرساً أجبن منك وسفك الله دمي إن لم أسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ؟ ثم تقدم في نحر العدو فمر برجل يقول : واعطشاه فقال : تقدم الري أمامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه .

ذكر غزو مسلمة وعوده

فيها فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسـر وسبى وأحـرق ، ودان لـه من وراء جبـال بلنجـر ، وقتـل ابن خـاقـان فاجتمعت تلك الأمم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عـددهم إلا الله تعالى ـ وقد جاز مسلمة بلنجر ـ فلما بلغه خبرهم أمر أصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم وأثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل إلى الباب والأبواب في آخر رمق .

ذكر قتل عبد الرحمن أمير الأندلس وولاية عبد الملك بن قطن

في هذه السنة ـ وهي سنة ثلاث عشرة ومائـة ـ غزا عبـد الرحمن بن عبـد الله الغافقي أمير الاندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، وكان هشـام بن عبد الملك قد استعمل عبيدة على إفريقية ، والاندلس سنة عشر ومائة ، فلما قدم افريقية رأى المستنير بن الحرث الحريثي غازياً بصقلية وأقام هناك حتى هجم عليه الشتاء ثم قفل راجعاً ، ففرق من معه وسلم المستنير في مركبه فحبسه عبيدة عقوبـة له وجلده

وشهره بالقيروان ، ثم ان عبيدة استعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله فغزا افرنجة وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة ، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد فكسرها وقسمها في الناس ، فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضباً شديد فكتب إليه يتهدده، فأجابه عبد الرحمن ـ وكان رجلاً صالحاً ـ أما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقاً لجعل الله للمتقين منها مخرجاً ، ثم خرج غازياً ببلاد الفرنج هذه السنة ، وقيل : سنة أربع عشرة وهو الصحيح فقتل هو ومن معه شهداء ، ثم ان عبيدة سار من افريقية إلى الشام ومعه من الهدايا والاماء والعبيد والدواب وغير ذلك شيء كثير واستعفى هشاماً فأجابه الى ذلك وعزله ، وكان قد استعمل على الاندلس بعد قتل عبد الرحمن عبد الملك بن قطن، ثم ان هشاماً استعمل على افريقية بعد عبيدة عبيد الله بن الحبحاب ـ وكان على مصر ـ فسار عبيد الله إلى افريقية سنة ست عشرة ومائة فأخرج المستنير من الحبس وولاه تونس ، ثم إن عبيد الله جهز جيشاً مع خبيب بن أبي عبيدة وسيرهم الى أرض السودان فظفر بهم ظفراً لم يظفر أحد مثله وأصاب ما شاء ثم غزا البحر ثم انصرف.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات عدي بن ثابت الأنصاري ومعاوية بن قرة بن اياس المزني ـ والد اياس قاضي البصرة الذي يضرب بذكائه المثل ـ وفيها توفي حرام بن سعيد بن مُحَيِّصة أبو سعيد وعمره سبعون سنة .

(حرام) بفتح الحاء المهملة وبالراء المهملة ، و (مُحَيِّصة) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وبالصاد المهملة ، وفيها توفي طلحة بن مصرف الأيامي وعبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي ، وعبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ـ ويكنى أبا جعفر ـ وعمره سبع وسبعون سنة ، ووهب بن منبه الصنعاني ـ وكان أصغر من أخيه همام ـ وكانوا خمسة اخوة همام ووهب وغيلان وعقيل ومعقل ، وقيل : مات سنة عشر ومائة ، وفيها توفي الحر بن يوسف أمير الموصل ودفن بمقابر قريش بالموصل وكانت بازاء داره المعروفة بالمنقوشة في ذي الحجة واستعمل هشام مكانه الوليد بن تليد العبسي وأمره بالجد في إتمام حفر النهر في البلد فشرع فيه واهتم بعمله ، وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع .

وفي هذه السنة سار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان فأخذ الجنيد رجلاً منهم فقتله وقال : من أصبت منهم فدمه هدر ، وحج بالناس هذه السنة سليمان بن هشام بن عبد الملك وقيل: إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي وكان العمال من تقدم ذكرهم .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر ولاية مروان بن محمد أرمينية واذربيجان

في هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان ـ وهو ابن عمه ـ على الجزيرة ، وأذربيجان وأرمينية ، وكان سبب ذلك أنه كان في عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال : ضقت ذرعاً بما أذكره ولم أرَ من يحمله غيري ، قال : وما هو؟ قال مروان : قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام ، وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين، ثم رأى أمير المؤمنين أن يوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك إليهم فوالله ما وطىء من بلادهم إلا أدناها ؛ ثم انه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك فكتب إلى الخزر يؤذنهم بالحرب . وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة ، وقد أردت أن تأذن لي في غزوة أذهب بها عنا العار وانتقم من العدو، قال: قد أذنت لك ، قال: وتمدني بمائة وعشرين ألف مقاتل قال :قد فعلت قال: وتكتم هذا الأمر عن كل واحد قال: قد فعلت وقد استعملتك على أرمينية ، فودعه وسار إلى أرمينية والياً عليها وسير هشام الجنود من الشام ، والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود، والمتطوعة مائة وعشرون ألفاً فأظهر أنه يريد غزو اللان وقصد بلادهم وأرسل إلى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فأجابه إلى ذلك وأرسل إليه من يقرر الصلح فأمسك الرسول عنده إلى أن فرغ من جهازه وما يريد ثم أغلظ لهم القول وأذنهم بالحرب وسيَّر الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيِّره على طريق فيه بعد وسار هو في أقرب الطرق فما وصل الرسول الى صاحبه إلا ومروان قد وافاهم ، فأعلم صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشد واستعد.

فاستشار ملك الخزر أصحابه فقالوا : إن هذا قد اغترّك ودخل بلادك فإن أقمت إلى أن تجمع لم يجتمع عندك إلى مدة فيبلغ منك ما يريد، وإن أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك ، والرأي أن تتأخر الى أقصى بلادك وتدعه وما يريد، فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ، ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبى وانتهى إلى آخرها وأقام فيها عدة أيام حتى أذلهم وانتقم منهم ، ودخل بلاد ملك السرير فأوقع بأهله وفتح قلاعاً ودان له الملك وصالحه على ألف رأس وخمسمائة غلام ، وخمسمائة جارية سود الشعور ، ومائة ألف مدبر تحمل الى الباب ، وصالح مروان أهل تومان على مائة رأس نصفين ، وعشرين الف مدبر ، ثم دخل أرض زريكران فصالحه ملكها ، ثم أتى إلى أرض حمزين فأبى حمزين أن يصالحه فحصرهم فافتتح حصنهم ، ثم أتى سغدان فافتتحها صلحاً ووظف على طيرشا نشاه عشرة آلاف مدبر كل سنة تحمل الى الباب، ثم نزل على قلعة صاحب اللكز وقد امتنع من أداء الوظيفة فخرج ملك اللكز يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه ، فصالح أهل اللكز مروان واستعمل عليهم عاملاً ، وسار إلى قلعة شروان وهي على البحر فأذعن أهلها بالطاعة ، وسار إلى الدودانية فأوقع بهم ثم عاد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فأصاب ربض أقرن ، وإن عبد الله البطال التقى هو وقسطنطين في جمع فهزمهم البطال وأسر قسطنطين[1] ، وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى فبلغ قيسارية .

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام المخزومي عن المدينة واستعمل عليها خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم في ربيع الاول ، وكانت إمرة ابراهيم على المدينة ثماني سنين ، وعزل أيضاً ابراهيم عن مكة ، والطائف واستعمل عليهما محمد بن هشام المخزومي ، وقيل : بل ولى محمداً سنة ثلاث عشرة فلما عزل ابراهيم أقر محمد عليها ، وفيها وقع الطاعون بواسط، وفيها أقبل مسلمة بن عبد الملك بعدما هزم خاقان وأحكم ما هناك وبنى الباب ، وحج بالناس خالد بن عبد

---

(١) قسطنطين هو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه رسول الله ﷺ.

الملك بن الحرث ، وقيل : محمد بن هشام ، وكان العمال من تقدم ذكرهم في السنة قبلها غير أن المدينة كان عاملها خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد بن هشام ، وعامل أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد ، وفيها مات عطاء بن أبي رباح ،[١] وقيل : سنة خمس عشرة وعمره ثمان وثمانون سنة ، وقيل : مائة سنة ، وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين الباقر ،[٢] وقيل : سنة خمس عشرة وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل : ثمانياً وخمسين سنة ، والحكم بن عتيبة بن النهاس أبو محمد ـ وهو مولى امرأة من كندة ومولده سنة خمسين . وفيها توفي عبد الله بن بريدة بن الحصيب الاسلمي قاضي مرو ، وكان مولده لثلاث سنين مضت من خلافة عمر بن الخطاب .

(عُتَيِّبة) بضم العين المهملة وفتح التاء فوقها : وبعدها ياء مثناة من تحتها وآخره باء موحدة ، و (بريدة) بضم الباء الموحدة وفتح الراء ، و (الحصيب) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة .

---

(١) هو أبو محمد المكي مولاهم الفهري أحد كبار التابعين الثقاة .

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي وهو تابعي جليل أحد أعلام هذه الامة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام أرض الروم ، وفيها وقع الطاعون بالشام ، وفيها وقع بخراسان قحط شديد فكتب الجنيد إلى الكور بحمل الطعام الى مرو ، فأعطى الجنيد رجلاً درهماً فاشترى به رغيفاً فقال لهم : أتشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيتني بالهند وان الحفنة من الحبوب تباع عدداً بدرهم، قال: وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام المخزومي ، وكان الأمير بخراسان الجنيد، وقيل : بل كان قد مات الجنيد واستخلف عمارة بن حريم المري ، وقيل : بل كان موت الجنيد سنة ست عشرة ومائة ، وفيها غزا عبد الملك بن قطن عامل الأندلس أرض البشكنس وعاد سالماً .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

في هذه السنة غزا معاوية بن عبد الملك أرض الروم الصائفة، وفيها كان طاعون شديد بالعراق ، والشام وكان أشد ذلك بواسط .

ذكر عزل الجنيد ووفاته وولاية عاصم خراسان

وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المري عن خراسان واستعمل عليها عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي ، وسبب ذلك أن الجنيد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام فولّى عاصماً خراسان ، وكان الجنيد قد سقى بطنه فقال هشام لعاصم : إن أدركته وبه رمق فأزهق نفسه ، فقدم عاصم وقد مات الجنيد ـ وكان بينهما عداوة ـ فأخذ عمارة بن حريم ـ وكان الجنيد قد استخلفه وهو ابن عمه ـ فعذّبه عاصم وعذّب عمال الجنيد، وعمارة هذا جد أبي الهيذام صاحب العصبية بالشام ، وسيأتي ذكرها إن شاء الله ، وكان موت الجنيد بمرو وكان من الأجواد الممدوحين غير محمود في حروبه .

ذكر خلع الحرث بن سريج بخراسان

وفي هذه السنة خلع الحرث بن سريج وأقبل الى الفارياب فأرسل إليه عاصم بن عبد الله رسلاً فيهم مقاتل بن حيان النبطي وخطاب بن محرز السلمي فقالا لمن معهما : لا نلقى الحرث إلا بأمان فأبى القوم عليهما فأخذهم الحرث وحبسهم ووكل بهم رجلاً يحفظهم فأوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا وعادوا إلى عاصم فأمرهم فخطبوا وذموا الحرث وذكروا خبث سيرته وغدره . وكان الحرث قد لبس السواد ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا ، فسار من الفارياب فأتى بلخ وعليها نصر بن

سيار التجيبي فلقي الحرث وهو في عشرة آلاف والحرث في أربعة آلاف فقاتله فانهزم أهل بلخ وتبعهم الحرث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها من باب آخر وأمر الحرث بالكف عنهم واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله بن خازم وسار إلى الجوزجان فغلب عليها ، وعلى الطالقان ومرو الروز ، فلما كان بالجوزجان استشار أصحابه في أي بلد يقصد فقيل له : مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لا نتصفوا منك فأقم فإن أتوك قاتلتهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم ، فقال : لا أرى ذلك ، وسار الى مرو فقال لأهل الرأي من مرو : إن أتى عاصم نيسابور فرق جماعتنا وإن أتانا نكب ، وبلغ عاصماً أن أهل مرو يكاتبون الحرث فقال : يا أهل مرو قد كاتبتم الحرث بأنه لا يقصد مدينة الا تركتموها له وإني لاحق بنيسابور وأكاتب أمير المؤمنين حتى يمدني بعشرة آلاف من أهل الشام ، فقال له المجشر بن مزاحم : إن أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق على القتال معك والمناصحة لك فلا تفارقهم ، وأقبل الحرث إلى مرو ـ يقال ـ في ستين الفاً ومعه فرسان الازد وتميم، منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر الحماني وداود الاعسر وبشر بن أنيف الرياحي وعطاء الدبوسي ، ومن الدهاقين : دهقان الجوزجان ودهقان الفارياب وملك الطالقان ودهقان مرو الروذ في أشباههم .

وخرج عاصم في أهل مرو وغيرهم فعسكر وقطع عاصم القناطر ، وأقبل أصحاب الحرث فأصلحوا القناطر فمال محمد بن المثنى الفراهيدي الأزدي إلى عاصم في ألفين فأتى الأزد ومال حماد بن عامر الحماني إلى عاصم فأتى بنو تميم ، والتقى الحرث وعاصم ـ وعلى ميمنة الحرث وابض بن عبد الله بن زرارة التغلبي ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم أصحاب الحرث ، فغرق منهم بشر كثير في أنهار مرو وفي النهر الأعظم ومضت الدهاقين إلى بلادهم، وغرق خازم بن عبد الله بن خازم ـ وكان مع الحرث ـ وقتل أصحاب الحرث قتلا ذريعاً ، وقطع الحرث وادي مرو فضرب رواقاً عند منازل الرهبان ، وكف عنه عاصم واجتمع إلى الحرث زهاء ثلاثة آلاف .

ذكر عدة حوادث

وفيها عزل هشام عبيد الله بن الحبحاب الموصلي عن ولاية مصر واستعمله على افريقية فسار اليها ، وفيها سير ابن الحبحاب جيشاً إلى صقلية فلقيهم مراكب الروم

فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الروم ، وكانوا قد أسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقي أسيراً إلى سنة احدى وعشرين ومائة ، وفيها سير ابن الحبحاب أيضاً جيشاً الى السوس وأرض السودان فغنموا وظفروا وعادوا ، وفيها استعمل عبد الله بن الحبحاب عطية بن الحجاج القيسي على الأندلس فسار إليها ووليها في شوال من هذه السنة ، وعزل عبد الملك بن قطن ، وكان له كل سنة غزاة وهو الذي افتتح جليقية والبتة وغيرها ، وقيل : بل ولي عبد الله بن الحبحاب افريقية سنة سبع عشرة وسترد أخباره هناك وهذا أصح .

وحج بالناس هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان ولي عهد، وكان العمال على الأمصار من تقدم ذكرهم إلا خراسان فكان عاملها عاصم بن عبد الله .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه في أرض الروم ، وفيها بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين ، وافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة من اللان ، ونزل الآخر على تومانشاه فنزل أهلها على الصلح .

ذكر عزل عاصم عن خراسان وولاية أسد

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وولاها خالد بن عبد الله القسري فاستخلف خالد عليها أخاه أسد بن عبد الله . وكان سبب ذلك أن عاصماً كتب إلى هشام أما بعد فان الرائد لا يكذب اهله وان خراسان لا تصلح إلا أن تضم الى العراق وتكون موادها ومعونتها من قريب لتباعد أمير المؤمنين وتباطؤ غياثه عنها فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبدالله القسري وكتب إليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فإن كان سببه كانت به فسيّر خالد إليها أخاه أسد فلما بلغ عاصماً إقبال أسد وأنه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني صالح الحرث بن سريج وكتبا بينهما كتاباً على أن ينزل الحرث أي كور خراسان شاء وان يكتبا جميعاً الى هشام يسألانه بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن أبى إجتمعا عليه ، فختم الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى بن حضين بن المنذر أن يختم وقال : هذا خلع لأمير المؤمنين فانفسخ ذلك وكان عاصم بقرية بأعلى مرو وأتاه الحرب بن سريج فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الحرث وأسر من أصحابه أسرى كثيرة، منهم عبدالله بن عمرو المازني رأس أهل مَرْو الرَوذ فقتل عاصم الأسرى، وكان فرس الحرث قد رُمِيَ بسهم فنزعه الحرث وألح على الفرس بالضرب والحضر ليشغله عن أثر الجراحة ، وحمل عليه رجل من أهل الشام

فلما قرب منه مال الحرث عن فرسه ثم اتبع الشامي فقال له : أسألك بحرمة الاسلام في دمي فقال : انزل عن فرسك فنزل عن فرسه فركبه الحرث ، فقال رجل من عبد القيس في ذلك :

تولت قريش لذة العيش واتقت بنا كل فج من خراسان أغبرا
فليت قريشاً أصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر أخضرا

وعظم أهل الشام يحيى بن حضين لما صنع في نقض الكتاب ، وكتبوا كتاباً بما كان وبهزيمة الحرث مع محمد بن مسلم العنبري فلقي أسد بن عبد الله بالري ، وقيل: ببيهق فكتب إلى أخيه خالد ينتحل أنه هزم الحرث ويخبره بأمر يحيى ، فأجاز خالد يحيى بعشرة آلاف دينار ومائة من الخيل[1]، وكانت ولاية عاصم أقل من سنة فحبسه أسد وحاسبه وطلب منه مائة ألف درهم وقال: إنك لم تغز وأطلق عمارة بن حريم، وعمال الجنيد ، فلما قدم أسد لم يكن لعاصم الا مرو ونيسابور ، والحرث بمرو الروذ، وخالد بن عبد الله الهجري بآمُل موافق للحرث، فخاف أسد ان قصد الحرث بمرو الروذ أن يأتي الهجري من قبل آمل وإن قصد الهجري قصد الحرث مرو من قبل مرو الروذ، فأجمع عل توجيه عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة ، والشام الى الحرث بمرو الروذ، وسار أسد بالناس الى آمل فلقيه خيل آمُل عليهم زيد القرشي ـ مولى حيان النبطي ـ وغيره فهزموا حتى رجعوا إلى المدينة فحصرهم أسد ونصب عليهم المجانيق وعليهم الهجري من أصحاب الحرث فطلبوا الأمان فأرسل إليهم أسد ما تطلبون قالوا: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن لا تأخذ أهل المدن بجنايتنا فأجابهم إلى ذلك ، فاستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني وسار يريد بلخ، فأخبر أن أهلها قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فسار حتى قدمها واتخذ سفناً وسار منها الى ترمذ فوجد الحرث محاصراً لها وبها سنان الاعرابي فنزل أسد دون النهر ولم يطق العبور إليهم ولا أن يمدهم، وخرج أهل ترمذ من المدينة فقاتلوا الحرث قتالاً شديداً واستطرد الحرث لهم ـ وكان قد وضع كميناً فتبعوه ونصر بن سيار مع أسد جالس ينظر فأظهر الكراهية وعرف أن الحرث قد كادهم ، وظن أسد أن ذلك شفقة على الحرث حين ولى وارد معاتبة نصر وإذا الكمين قد خرج عليهم فانهزموا ، ثم ارتحل اسد إلى بلخ وخرج

---

(١) في الطبري « وكساه مائة حلة ».

أهل ترمذ إلى الحرث فهزموه وقتلوا جماعة من أهل البصائر ، منهم عكرمة وأبو فاطمة ، ثم سار أسد إلى سمرقند في طريق زم فلما قدم زم بعث إلى الهيثم الشيباني وهو في حصن من حصونها ـ وهو من أصحاب الحرث ـ فقال له أسد : إنما أنكرتم عليّ قولكم ما كان من سوء السيرة ولم يبلغ ذلك السبي واستحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند ولك عهد الله وذمته ان لا ينالك مني شر ولك المواساة والكرامة ، والامان ولمن معك ، وإن أبيت ما دعوتك إليه فعلى عهد الله إن أنت رميت بسهم لا أؤمنك بعد وإن جعلت لك ألف أمان لا أفي لك به ؛ فخرج إليه على الامان وسار معه إلى سمرقند ثم ارتفع الى ورغسر ـ وماء سمرقند منها ـ فسكر الوادي وصرفه عن سمرقند ثم رجع إلى بلخ ، وقيل : إن أمر أسد وأصحاب الحرث كان سنة ثمان عشرة .

ذكر حال دعاة بني العباس

قيل : وفي هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان فقتل بعضهم ، ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن ابراهيم وطلحة بن زريق فأتى بهم فقال لهم : يا فسقة ألم يقل الله تعالى : ﴿ عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ فقال له سليمان : نحن والله كما قال الشاعر :

لـو بغيـر المـاء حلقي شـرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

صدت والله العقارب بيديك انا ناس من قومك وان المضرية رفعوا إليك هذا لأنّا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم فطلبوا بثأرهم فبعث بهم إلى الحبس ، ثم قال لعبد الرحمن بن نعيم : ما ترى ؟ قال: أرى أن تمنَّ بهم على عشائرهم قال: افعل فأطلق من كان فيهم من أهل اليمن لأنه منهم ومن كان من ربيعة أطلقه أيضاً لحِلْفهم مع اليمن وأراد قتل من كان من مضر ؛ فدعا موسى بن كعب وألجمه بلجام حمار وجذب اللجام فحطمت أسنانه ودق وجهه وأنفه، ودعا لاهز بن قريظ فقال له: ما هذا بحق تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيين فضربه ثلاثمائة سوط ثم قال: اصلبوه فشهد له الحسن بن زيد الازدي بالبراءة ولأصحابه فتركهم .

ذكر ولاية عبيد الله بن الحبحاب افريقية والاندلس

في هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على افريقية والأندلس عبيد الله بن الحبحاب وأمره بالمسير إليهما ـ وكان والياً على مصر ـ فاستخلف عليها ولده وسار إلى افريقية واستعمل على الاندلس عقبة بن الحجاج واستعمل على طنجة ابنه اسماعيل وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان فلم يقاتله أحد إلا ظهر عليه واصاب من الغنائم والسبي أمراً عظيماً فملىء أهل المغرب منه رعبا وأصاب في السبي جاريتين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ورجع سالماً ، وسير جيشاً في البحر سنة سبع عشرة إلى جزيرة السردانية ففتحوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا ثم سيره غازياً الى جزيرة صقلية سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب فلما نزل بأرضها وجه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد إلا هزمه عبد الرحمن فظفر ظفراً لم يرَ مثله حتى نزل على مدينة سرقوسه ـ وهي من أعظم مدن صقلية ـ فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وعاد إلى أبيه، وعزم حبيب على المقام بصقلية إلى أن يملكها جميعاً فأتاه كتاب ابن الحبحاب يستدعيه الى افريقية ، وكان سبب ذلك أنه استعمل على طنجة ابنه إسماعيل وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة وتعدى وأراد أن يخمس مسلمي البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين وذلك شيء لم يرتكبه أحد قبله ، فلما سمع البربر بمسير حبيب بن عبيدة إلى صقلية بالعساكر طمعوا ونقضوا الصلح على ابن الحبحاب وتداعت عليه بـاسرهـا مسلمها وكافرها وعظم البلاء ،وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة السقاء ثم المدغوري ـ وكان خارجياً صفرياً وسقاءً ـ وقصدوا طنجة فقاتلهم عمر بن عبد الله فقتلوه واستولوا على طنجة وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين وكثـر جمعه من البربر وقوي أمره بنواحي طنجة .

وظهـر في ذلك الوقت جماعة بافـريقية فـاظهروا مقـالة الخـوارج فأرسـل ابن الحبحاب إلى حبيب وهو بصقلية يستدعيه إليه لقتال ميسرة السقاء لأن أمره كان قد عظم فعاد إلى افريقية، وكان ابن الحبحاب قد سير خالد بن حبيب في جيش إلى ميسرة ، فلما وصل حيبب بن أبي عبيـدة سيّره في أثـره والتقى خالـد وميسرة بنـواحي طنجة ، اقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، وعاد ميسرة إلى طنجة فأنكرت البربر سيرته وكانوا

بايعوه بالخلافة فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي ، ثم التقى خالد بن حميد ومعه البربر بخالد بن حبيب ومعه العرب وعسكر هشام وكان بينهم قتال شديد صبرت فيه العرب وظهر عليهم كمين من البربر فانهزموا وكره خالد بن حبيب أن ينهزم من البربر فصبروا معه فقتلوا جميعهم ، وقتل في هذه الوقعة حماة العرب ، وفرسانها فسميت غزوة الأشراف، وانتقضت البلاد ومرج أمر الناس وبلغ أهل الأندلس الخبر فثاروا بأميرهم عقبة بن الحجاج فعزلوْه وولوا عبد الملك بن قطن، فاختلطت الأمور على ابن الحبحاب وبلغ الخبر هشام بن عبد الملك فقال : لأغضبن للعرب غضبة وأسيِّر جيشاً يكون أولهم عندهم وآخرهم عندي ، ثم كتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالحضور فسار إليه في جُمادى سنة ثلاث وعشرين ومائة واستعمل هشام عوضه كلثوم بن عياض القشيري وسيَّر معه جيشاً كثيفاً ، وكتب إلى سائر البلاد التي على طريقه بالمسير معه ، فوصل أفريقية وعلى مقدمته بلج بن بشر فوصل إلى القيروان ولقي أهلها بالجفاء والتكبر عليهم وأراد أن ينزل العسكر الذي معه في منازلهم ؛ فكتب أهلها إلى حبيب بن أبي عبيدة وهو بتلمسان مواقف البربر يشكون إليه بلجا ، وكلثوماً ، فكتب حبيب إلى كلثوم يقول له : إن بلجاً فعل كيت وكيت فارحل عن البلد وإلا رددنا أعنة الخيل إليك ، فاعتذر كلثوم وسار إلى حبيب وعلى مقدمته بلج بن بشر فاستخف بحبيب وسبَّه وجرى بينهما منازعة ثم اصطلحوا واجتمعوا على قتال البربر، وتقدم إليهم البربر من طنجة فقال لهم حبيب : اجعلوا الرجالة للرجالة والخيالة للخيالة فلم يقبلوا منه ، وتقدم كلثوم بالخيل فقاتله رجالة البربر فهزموه فعاد كلثوم منهزماً ووهن الناس ذلك ونشب القتال وانكشفت خيالة البربر وثبتت رجالتها واشتد القتال وكثر البربر عليهم فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب وانهزمت العرب وتفرقوا ، فمضى أهل الشام إلى الأندلس ومعهم بلج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة وعاد بعضهم إلى القيروان ، فلما ضعفت العرب بهذه الوقعة ظهر إنسان يقال له : عكاشة بن أيوب الفزاري بمدينة قابس ـ وهو على رأي الخوارج الصفرية ـ فسار إليه جيش من القيروان فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر القيروان ، فخرج إليه عسكر آخر فانهزم عكاشة بعد قتال شديد وقتل كثير من أصحابه ولحق عكاشة ببلاد الرمل ، فلما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم بعث أميراً على افريقية حنظلة بن صفوات الكلبي فوصلها في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فلم يمكث بالقيروان إلا يسيراً حتى

زحف إليه عكاشة الخارجي في جمع عظيم من البربر ، وكان حين انهزم حشدهم ليأخذ بثأره وأعانه عبد الواحد بن يزيد الهواري ثم المدغمي ـ وكان صفرياً ـ في عدد كثير وافترقا ليقصد القيروان من جهتين ، فلما قرب عكاشة خرج إليه حنظلة ولقيه منفرداً واقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم عكاشة وقتل من البربر ما لا يحصى ، وعاد حنظلة إلى القيروان خوفاً عليها من عبد الواحد وسير إليه جيشاً كثيفاً عدتهم أربعون ألفاً فساروا إليه ، فلما قاربوه لم يجدوا شعيراً يعلفونه دوابهم فاطعموها حنطة ، ثم لقوه من الغد فانهزموا من عبد الواحد وعادوا إلى القيروان وهلكت دوابهم بسبب الحنطة ، فلما وصلوها نظروا وإذ قد هلك منهم عشرون ألف فرس .

وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالاصنام وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل ، فحشد حنظلة كل من بالقيروان وفرق فيهم السلاح والمال فكثر جمعه ، فلما دنا الخوارج مع عبد الواحد خرج إليهم حنظلة من القيروان واصطفوا للقتال، وقام العلماء في أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلونه بالنساء من السبي وبالأبناء من الاسترقاق وبالرجال من القتل فكسر الناس أجفان سيوفهم، وخرج إليهم نساؤهم يحرضنهم فحمي الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة وثبت بعضهم لبعض فاشتد اللزام وكثر الزحام وصبر الفريقان ، ثم ان الله تعالى هزم الخوارج والبربر ونصر العرب وكثر القتل في البربر وتبعوهم الى جلولاء يقتلون ، ولم يعلموا أن عبد الواحد قد قتل حتى حمل رأسه الى حنظلة فخرَّ الناس لله سجداً فقيل : لم يقتل بالمغرب أكثر من هذه القتلة، فإن حنظلة أمر باحصاء القتلى فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب فكانت عدة القتلى مائة الف وثمانين الفاً ، ثم أسر عكاشة مع طائفة أخرى بمكان آخر وحمل إلى حنظلة فقتله ، وكتب حنظلة إلى هشام بن عبد الملك بالفتح ، وكان الليث بن سعد يقول : ما غزوة إلى الآن أشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه في أرض الروم .

وحج بالناس هذه السنة خالد بن عبد الملك، وكان العامل على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد . وفيها توفيت فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب ، وسكينة بنت الحسين ، وفيها مات عبد الرحمن بن هرمز الأعرج بالاسكندرية ، وفيها توفي ابن أبي مليكة ـ واسمه عبد الله بن عبيد الله بن مليكة ـ وأبو رجاء العطاردي ، وأبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وفيها توفي ميمون بن مهران الفقيه وقيل : سنة ثمان عشرة، وفيها توفي نافع مولى ابن عمر، وقيل: سنة عشرين، وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وقيل : سنة عشرين ، وقيل سنة ست وعشرين ، وقيل : سنة ثلاثين ، وفيها ماتت عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص وسعيد بن يسار وقتادة بن دعامة البصري وكان ضريراً ومولده سنة ستين .

ثم دخلت سنة ثمان عشر ومائة

في هذ السنة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك أرض الروم .

ذكر دعاة بني العباس

في هذه السنة وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس فنزل مرو وغيَّر اسمه وتَسمَّى بخداش ، ودعا إلى محمد بن علي فسارع إليه الناس وأطاعوه ، ثم غيَّر ما دعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية[١] ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء بعض وقال لهم : إنه لا صوم ولا صلاة ولا حج ، وان تأويل الصوم أن يصام عن ذكر الامام فلا يباح باسمه ، والصلاة الدعاء له ، والحج القصد إليه ؛ وكان يتأول من القرآن قوله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وكان خداش نصرانياً بالكوفة فأسلم ولحق بخراسان ، وكان ممن اتبعه على مقالته مالك بن الهيثم ، والحريش بن سليم الأعجمي ، وغيرهما ، وأخبرهم أن محمد بن علي أمر بذلك فبلغ خبره أسد بن عبد الله فظفر به فأغلظ القول لأسد فقطع لسانه وسمل عينيه وقال : الحمد لله الذي انتقم لابي بكر وعمر منك ، وأمر يحيى بن نعيم الشيباني فقتله وصلبه بآمل ، وأتى أسد بجزور[٢] مولى المهاجرين ابن دارة الضبي فضرب عنقه بشاطىء النهر .

---

(١) الخرمية ـ بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء ـ هم أصحاب التناسخ والحلول والاباحة وكانوا في زمن المعتصم وكاد شيخهم بابك الخُرمي الطاغية أن يستولي على الممالك في عصره فقتل وتشتتوا في البلاد وقد بقيت منهم في جبال الشام بقية .

(٢) في الطبري « بحزور » .

ذكر ما كان من الحرث وأصحابه

وفي هذه السنة نزل أسد بلخ وسرح جديعاً الكرماني إلى القلعة التي فيها أهل الحرث وأصحابه ـ واسمها التبوشكان من طخارستان العليا ـ وفيها بنو برزي التغلبيون أصهار الحرث فحصرهم الكرماني حتى فتحها فقتل بني برزى وسبى عامة أهله من العرب والموالي والذراري وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ ، ونقم على الحرث أربعمائة وخمسون رجلاً من أصحابه ـ وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي ـ فقال لهم الحرث : إن كنتم لا بد مفارقي فاطلبوا الأمان وأنا شاهد فانهم يجيبونكم وإن ارتحلت قبل ذلك لم يعطوا الأمان ، فقالوا : ارتحل أنت وخلنا وأرسلوا يطلبون الأمان فأخبر أسد أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء فسرح إليهم أسد جديعاً الكرماني في ستة آلاف فحصرهم في القلعة وقد عطش أهلها وجاعوا فسألوا أن ينزلوا على الحكم وترك لهم نساءهم وأولادهم فأجابهم فنزلوا على حكم أسد، فأرسل إلى الكرماني يأمره أن يحمل إليه خمسين رجلاً من وجوههم فيهم المهاجر بن ميمون فحملوا إليه فقتلهم، وكتب إلى الكرماني أن يجعل الذين بقوا عنده أثلاثاً فثلث يقتلهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم، وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرماني * وأخرج أثقالهم فباعها ، واتخذ أسد مدينة بلخ داراً ونقل إليها الدواوين ، ثم غزا طخارستان ثم أرض جبوية فغنم وسبى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها خاله محمد بن هشام بن اسماعيل .

وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان من أرمينية ودخل أرض ورنيس من ثلاثة أبواب فهرب منه ورنيس إلى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق فقتل ورنيس قتله بعض من اجتاز به وأرسل رأسه إلى مروان فنصبه لأهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية .

وفي هذه السنة مات علي بن عبدالله بن عباس ـ وكان موته بالحميمة من أرض

الشام ـ وهو ابن سبع أو ثمان وسبعين سنة؛ وقيل: إنه ولد في الليلة التي قتل فيها[١] علي بن أبي طالب فسماه أبوه علياً وقال: سميته باسم أحب الناس إلي وكناه أبا الحسن، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه معه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره فقال: لا يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية لأحد وسأله هل ولد لك من ولد؟ قال: نعم وقد سميته محمداً قال: فأنت أبو محمد.

وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل وكان أمير المدينة، وقيل: كان هذه السنة على المدينة خالد بن عبدالملك، وكان على العراق والمشرق كله خالد القسري، وعامله على خراسان أخوه أسد: وعامله على البصرة بلال بن أبي بردة وكان على أرمينية مروان بن محمد بن مروان، وفي هذه السنة مات عبادة بن نسي قاضي الأردن وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العباس ، ومات بالطائف أبو صخرة جامع بن شداد وأبو عشابة المعافري وعبد الرحمن بن سليط.

---

(١) في الطبري « في الليلة التي ضرب فيها » .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر قتل خاقان

لما دخل أسد الختل كتب ابن السايجي إلى خاقان وهو بنواكث يعلمه دخول أسد الختل وتفرق جنوده فيها وأنه يحتال مضيعة[1] فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وسار، فلما أحس ابن السايجي بمجيء خاقان بعث إلى أسد اخرج عن الختل فإن خاقان قد أظلك فشتم الرسول ولم يصدقه فبعث ابن السايجي إني لم أكذبك وأنا الذي أعلمته دخولك وتفرق عسكرك وانها فرصة له وسألته المدد فإن لقيك على هذه الحال ظفر بك وعادتني العرب أبداً ما بقيت واستطال عليّ خاقان واشتدت مؤنته وقال: أخرجت العرب من بلادك ورددت عليك ملكك فعرف أسد أنه قد صدقه فأمر بالأثقال أن تقدم وجعل عليها ابراهيم بن عاصم العقيلي وأخرج معه المشيخة.

فسارت الأثقال ومعها أهل الصغانيان وصغان خذاه وأقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ وقد قطع ابراهيم بن عاصم بالسبي وما أصابوا وأشرف أسد على النهر فأقام يومه، فلما كان الغد عبر النهر في مخاضة وجعل الناس يعبرون فأدركهم خاقان فقتل من لم يقطع النهر، وكانت المسلحة على الازد، وتميم فقاتلوا خاقان وانكشفوا، وأقبل خاقان وظن المسلمون أنه لا يعبر إليهم النهر، فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الترك بعبوره فعبروه ودخل المسلمون عسكرهم وأخذ الترك ما رأوه خارجاً وخرج الغلمان فضاربوهم بالعمد فعادوا، وبات أسد والمسلمون وعبى أصحابه من الليل فلما أصبح لم ير خاقان، فاستشار أصحابه فقالوا له: اقبل العافية قال: ما هذه عافية هذه بلية إن خاقان أصاب أمس من الجند والسلاح ما منعه اليوم منا

---

(١) في الطبري « بحال مضيعة ».

إلا أنه قد أخبره بعض من أخذه من الأسرى بموضع الأثقال أمامنا فسار طمعاً فيها، فارتحل وبعث الطلائع، فلما أمسى استشار الناس في النزول أو المسير فقال الناس: اقبل العافية وما عسى أن يكون ذهاب الأموال بعافيتنا وعافية أهل خراسان، ونصر بن سيار مطرق فقال له أسد: مالك لا تتكلم؟ قال: أيها الأمير خلتان كلتاهما لك ان تسر تغث وتنجد من مع الأثقال وتخلصهم فإن انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت مشقة[1] لا بد من قطعها فقبل رأيه وسار بقية يومه.

ودعا أسد سعيداً الصغير مولى باهلة وكان فارساً بأرض الختل ـ وكتب معه كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد ويخبره بمسير خاقان إليه، وقال له: لتجد السير فطلب منه فرسه الذبوب فقال أسد: لعمري لئن جدت بنفسك وبخلت عليك بالفرس إنِّي إذاً للئيم فدفعه إليه فأخذ معه جنيباً وسار فلما حاذى الترك وقد ساروا نحو الأثقال طلبته طلائعهم فركب الذبوب فلم يلحقوه، فأتى ابراهيم بالكتاب وسار خاقان إلى الأثقال وقد خندق ابراهيم خندقاً فأتاهم وهم قيام عليه فأمر أهل الصغد بقتالهم فهزمهم المسلمون، وصعد خاقان تلاً فجعل ينظر ليرى عورة يأتي منها ـ وهكذا كان يفعل ـ فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قواد الترك فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر حتى يصيروا إلى الجزيرة ثم ينحدروا حتى يأتوا عسكر المسلمين من خلفهم وأن يبدأوا بالأعاجم، وأهل الصغانيان وقال لهم: إن رجعوا إليكم دخلنا نحن ففعلوا ودخلوا من ناحية الأعاجم فقتلوا صغان خذاه وعامة أصحابه وأخذوا أموالهم ودخلوا عسكر ابراهيم فأخذوا جميع ما فيه وترك المسلمون التعبية واجتمعوا في موضع وأحسوا بالهلاك وإذا رهج قد ارتفع وإذا أسد في جنده قد أتاهم فارتفعت الترك عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان وابراهيم يعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وهو لا يطمع في أسد. وكان أسد قد أغذ المسير وأقبل حتى وقف على التل الذي كان عليه خاقان وتنحى خاقان إلى ناحية الجبل، فخرج إلى أسد من كان بقي مع الأثقال وقد قتل منهم بشراً كثيراً، ومضى خاقان بالأسرى، والجمال الموقرة، والجواري، وأمر خاقان رجلاً كان معه من أصحاب الحرث بن سريج فنادى أسداً قد كان لك فيما وراء النهر مغزى إنك لشديد الحرص وقد كان عن الختل مندوحة وهي أرض آبائي وأجدادي،

---

(١) في الطبري « قطعت فحمة ».

فقال أسد: لعل الله أن ينتقم منك، وسار أسد إلى بلخ فعسكر في مرجها حتى أتى الشتاء ثم فرّق النـاس في الدور ودخـل المدينـة، وكان الحـرث بن سريـج بناحيـة طخارستان فانضم إلى خاقان، فلما كان وسط الشتاء أقبل خاقان وكان لما فارق أسد أتى طخاستارن فأقام عنه جبوية فأقبل فاتى الجوزجان وبث الغـارات، وسبب مجيئه أن الحرث أخبره أنه لا نهوض بأسد فلم يبق معه كثير جند، ونزل جزة[1] فأتى الخبر إلى أسد بنزول خاقان بجزة فأمر بالنيران فرفعت بالمدينة فجاء الناس من الرساتيق إليها، فأصبح أسد وصلى صلاة العيد عيد الأضحى وخطب الناس وقال: إن عدو الله الحرث استجلب الطاغية ليطفىء نور الله ويبدل دينه والله مُذِله إن شاء الله، وإن عدوكم قد أصـاب من إخوانكم من أصـاب وإن يـرد الله نصـركم لن يضـركم قلتكم وكثـرتهم فاستنصروا الله، وإن أقرب ما يكون العبد من ربه إذا وضع جبهته له وإنّي نازل وواضع جبهتي فاسجدوا له وادعوه مخلصين؛ ففعلوا ورفعوا رؤوسهم ولا يشكون في الفتح، ثم نزل وضحى وشاور الناس في المسير إلى خاقان فقال قوم: تحفظ مدينة بلخ وتكتب إلى خالد والخليفة تستمده، وقال قوم نأخذ في طريق زم فتسبق خاقان إلى مرو، وقـال قوم: بل تخرج إليهم، فوافق هذا رأي أسد وكان عزم على لقائهم، فخرج الناس وهو في سبعة آلاف من أهل خراسـان والشام واستخلف على بلخ الكرماني بن علي وأمره أن لا يدع احداً يخرج من مدينتها وإن ضرب الترك بابها ونزل باباً من أبـواب بلخ، وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى في الناس ادعوا الله تعالى وأطال الدعاء فلما فرغ قال: نصرتم ورب الكعبة ان شاء الله تعالى، ثم سار فلما جاز قنطرة عطاء نزل وأراد المقام حتى يتلاحق به الناس ثم أمر بالرحيل وقال: لا حاجة بنا إلى المتخلفين ثم ارتحل وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلي في ثلاثمائة فلقي ثلاثمائة من الترك طليعة لخاقان فأسر قائدهم وسبعة معه وهرب بقيتهم، فأتى بـه أسد فبكى التركي فقال: ما يبكيك؟ قال: لست أبكي لنفسي ولكني أبكي لهلاك خاقان انه قد فرق جنوده بينه وبين مرو، فسار أسد حتى شارف مدينة الجوزجان فنزل عليها على فرسخين من خاقان ـ وكان قد استباحها خاقان ـ فلما اصبحوا تـراءى العسكران فقـال خاقـان للحرث بن سريج: ألم تكن أخبرتني أن أسداً لا حراك به وهذه العساكر قد أقبلت من

---

(١) في الطبري « جيغويه ».

هذا؟ قال: هذا محمد بن المثنى ورايته فبعث خاقان طليعة وقال: انظروا هل ترون على الابل سريراً وكراسي فعادوا إليه فأخبروه أنهم رأوها، فقال خاقان: هذا أسد؛ وسار أسد قدر غلوة فلقيه سالم بن جناح فقال: أبشر أيها الأمير قد حزرتم ولا يبلغون أربعة آلاف وأرجو أن يكون خاقان عقيرة الله، فصف أسد أصحابه وعبىء خاقان أصحابه، فلما التقوا حمل الحرث ومن معه من الصغد وغيرهم وكانوا ميمنة خاقان على ميسرة أسد فهزمهم فلم يردهم شيء دون رواق أسد، وحملت ميمنة أسد وهم الجوزجان والازد وتميم عليهم فانهزم الحرث ومن معه وانهزمت الترك جميعها، وحمل الناس جميعاً فتفرق الترك في الأرض لا يلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون من يقدرون عليه حتى انتهوا إلى أغنامهم وأخذوا منها أكثر من مائة ألف وخمسين الف رأس ودواب كثيرة، وأخذ خاقان طريقاً في الجبل والحرث يحميه وسار منهزماً، فقال الجوزجاني لعثمان بن عبدالله بن الشخير: إني لأعلم ببلادي وبطرقها فهل تتبعني لعلنا نهلك خاقان؟ قال: نعم فأخذا طريقاً وسارا ومن معهما حتى أشرفوا على خاقان فأوقعوا به فولى منهزماً فحوى المسلمون عسكر الترك وما فيه من الأموال ووجدوا فيه من نساء العرب والموليات من نساء الترك من كل شيء، ووحل بخاقان برذونه فحماه الحرث بن سريج ولم يعلم الناس أنه خاقان، وأراد الخصي الذي لخاقان ان يحمل امرأة خاقان فأعجلوه فقتلها واستنقذوا من كان مع خاقان من المسلمين، وتتبع أسد خيل الترك التي فرقها في الغارة إلى مرو الروذ وغيرها فقتل من قدر عليه منهم ولم ينج منهم غير القليل ورجع إلى بلخ [١] وكان بشر الكرماني في السرايا فيصيبون من الترك الرجل والرجلين وأكثر ومضى خاقان إلى طخارستان وأقام عند جبوية الخزلجي[٢] ثم ارتحل إلى بلاده فلما ورد أشروسنة تلقاه خرا بغره أبو خاناجزه جد كاوس أبي أفشين بكل ما قدر

---

(١) وقال ابن سجف المجاشعي في ذلك:

لو سرت في الأرض تقيس الأرضا	تقيس منها طولها والعرضا
لم تلق خيراً مرة ونقضا	من الأمير أسد وأمضا
أفضى إلينا الخير حين أفضى	وجمع الشمل وكان رفضا
ما فاته خاقان إلا ركضا	قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن سريج قد لقيت حمضا	حمضا به يشفى صداع المرضى

(٢) في الطبري « جيغويه الخرلخي ».

عليه وكان ما بينهما متباعداً إلا أنه أحب أن يتخذ عنده يداً ، ثم أتى خاقان بلاده واستعد للحرب ومحاصرة سمرقند ، وحمل الحرث وأصحابه على خمسة آلاف برذون ، فلاعب خاقان يوماً كورصول بالنرد على خطر فتنازعا فضرب كورصول يد خاقان فكسرها وتنحى وجمع جمعاً وبلغه أن خاقان قد حلف ليكسرن يده فبيت خاقان فقتله وتفرقت الترك وتركوه مجرداً فأتاه نفر من الترك فدفنوه واشتغلت الترك يغير بعضها على بعض فعند ذلك طمع أهل الصغد في الرجعة إليها .

وأرسل أسد مبشراً إلى هشام بن عبد الملك بما فتح الله عليهم وبقتل خاقان فلم يصدقه وقال للربيع حاجبه: لا أظن هذا صادقاً اذهب فعده ثم سَله عما يقول ففعل ما أمره به فأخبره بما أخبر به هشام ، ثم ارسل اسد مبشراً آخر فوقف على باب هشام وكبر فأجابه هشام بالتكبير فلما انتهى إليه أخبره بالفتح فسجد شكراً لله تعالى فحسدت القيسية اسداً وقالوا لهشام : اكتب بطلب مقاتل بن حيان النبطي ففعل فسيَّره اسد إلى هشام فلما دخل عليه أخبره بما كان فقال له هشام : حاجتك ؟ قال : إن يزيد بن المهلب اخذ من ابني مائة ألف درهم بغير حق فاستحلفه على ذلك فكتب إلى أسد فردها عليه من بيت مال خراسان وقسمها مقاتل بين ورثة حيان على كتاب الله تعالى وفرائضه وقال أبو الهندي يذكر هذه الوقعة :

أبا منذر رمت الأمور وقستها[1] ... وساءلت عنها كالحريص المساوم
فما كان ذو رأي من الناس قسته ... برأيك الأمثل رأي البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن ... عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم
ولا حج بيت الله من حج راكباً[2] ... ولا عمر البطحاء بعد المواسم
وكم من قتيل بين سان وجزة ... كثير الأيادي[3] من ملوك قماقم
تركت بأرض الجوزجان تزوره ... سباع وعقبان لحز الغلاصم
وذي سوقة فيه من السيف خبطة ... به رمق ملقى لحوم الحوائم[4]

---

(١) في الطبري « فقستها ».
(٢) في الطبري « ولا حج بيت الله مذحج راكب » .
(٣) في الطبري « كسير الايادي » .
(٤) في الطبري « به رمق حابت عليه الحوائم ».

فمن هارب منا ومن دائن لنا | أسيراً يقاسي مهمهات الاداهم[(١)]
فدتك نفوس من تميم وعامر | ومن مضر الحمراء عند المآزم
هم اطمعوا خاقان فينا فأصبحت | حلائبه ترجو خلو المغانم[(٢)]

وكان ابن السايجي الذي أخبر أسداً بمجيء خاقان قد استخلفه السبل على مملكته عند موته وأوصاه بثلاث خصال قال: لا تستطل على أهل الختل استطالتي عليهم فإني ملك وأنت لست بملك إنما أنت رجل منهم ، وقال له : اطلب الحنيش حتى ترده إلى بلادكم فإنه الملك بعدي - وكان الحنيش قد هرب إلى الصين ، وقال له : لا تحاربوا العرب وادفعوها عنكم بكل حيلة ، فقال له ابن السايجي : أما تركي استطالتي عليهم وردي الحنيش فهو الرأي ، وأما قولك: لا تحاربوا العرب فكيف وقد كنت أكثر الملوك محاربة لهم؟ قال السبل : قد جربت قوتكم بقوتي فما رأيتكم تقعون مني موقعاً ، وكنت إذا حاربتهم لم أفلت إلا حرضاً وإنكم إذا حاربتموهم هلكتم ، فهذا الذي أكره إلى ابن السايجي محاربة العرب.

ذكر قتل المغيرة بن سعيد وبيان

في هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في ستة نفر وكانوا يسمون الوصفاء ، وكان المغيرة ساحراً ، وكان يقول : لو أردت أن أحيي عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لفعلت ، وبلغ خالد بن عبدالله القسري خروجهم بظهر الكوفة وهو يخطب فقال : أطعموني ماء فقال يحيى بن نوفل في ذلك :

أخالد لا جزاك الله خيراً | وأير في حر أمك من أمير
وكنت لدى المغيرة عبد سوء | تبول من المخافة للزئير
وقلت لما أصابك أطعموني | شراباً ثم بلت على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ | كبير السن ليس بذي نصير

فأرسل خالد فأخذهم وأمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع وأمر بالقصب والنفط فأحضر فأحرقهم ، وأرسل إلى مالك بن أعين الجرمي فسأله فصدقه فتركه ، وكان

---

(١) في الطبري « ميهمات الاداهم » بالباء الموحدة .
(٢) في الطبري « جلائبه ترجو احتواء المغانم » .

رأي المغيرة التجسيم يقول : إن الله على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء ، ويقول : مالا ينطق به لسان تعالى الله عن ذلك ، ويقول : إن الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الأعظم فطار فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي إرفضّ عرقاً فاجتمع من عرقه بحران، أحدهما ملح مظلم والآخر عذب نير، ثم اطلع في البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فأدركه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وسماء أخرى ، وخلق من البحر الملح الكفار ومن البحر العذب المؤمنين ، وكان يقول بإلهية علي وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي ، وكان يقول : إن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع ، وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة ؛ وكان يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور ، وجاء المغيرة إلى محمد الباقر فقال له : أقرر أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق فنهره وطرده ، وجاء إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك فقال : أعوذ بالله ، وكان الشعبي يقول للمغيرة : ما فعل الإمام ؟ فيقول : أتهزأ به ؟ فيقول : لا إنما أهزأ بك ، وأما بيان فإنه كان يقول بإلهية علي وأن الحسن والحسين إلهان ومحمد بن الحنفية بعدهم ثم بعده ابنه ابو هاشم بن محمد بنوع من التناسخ ، وكان يقول : إن الله تعالى يفنى جميعه إلا وجهه ويحتج بقوله : ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾ تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ، وادعى النبوة وزعم أنه المراد بقوله تعالى : ﴿هذا بيان للناس﴾ .

ذكر خبر الخوارج هذه السنة

وفي هذه السنة خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة ـ وهو من الموصل من شيبان ـ فقتل ، وكان سبب خروجه أنه خرج يريد الحج فأمر غلامه يبتاع له خلاً بدرهم فأتاه بخمر فأمره برده وأخذ الدرهم فلم يجبه صاحب الخمر إلى ذلك ، فجاء بهلول إلى عامل القرية وهي من السواد فكلمه فقال العامل : الخمر خير منك ومن قولك ، فمضى في حجه وقد عزم على الخروج فلقي بمكة من كان على مثل رأيه فاتعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمعوا بها وهم أربعون رجلاً وأمروا عليهم بهلولاً وكتموا أمرهم ، وجعلوا لا يمرون بعامل إلا أخبروه أنهم قدموا من عند هشام على بعض الأعمال، وأخذوا دواب

البريد فلما انتهوا الى القرية التي ابتاع الغلام بها الخمر قال بهلول: نبدأ بهذا العامل فنقتله فقال أصحابه : نحن نريد قتل خالد فإن بدأنا بهذا شهر أمرنا وحذرنا خالد وغيره فنشدناك الله أن لا تقتل هذا فيفلت منا خالد الذي يهدم المساجد ويبني البيع والكنائس ويولي المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات فاذهب بنا إليه لعلنا نقتله فيريح الله منه فقال : والله لا أدع ما يلزمني لما بعده وأرجو أن أقتل هذا وخالداً فقتله فعلم بهم الناس أنهم خوارج فهربوا وخرجت البرد إلى خالد فاعلموه بهم ولا يدرون من رئيسهم ، فخرج خالد من واسط وأتى الحيرة وكان بها جند قد قدموا من الشام مدداً لعامل الهند فأمرهم خالد بقتاله وقال : من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاء سوى ما أخذ في الشام وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند فسارعوا إلى ذلك ، فتوجه مقدمهم ـ وهو من بني القين ـ ومعه ستمائة منهم فضم إليه خالد مائتين من الشرط فالتقوا على الفرات ، فقال القيني لمن معه من الشرط : لا تكونوا معنا ليكون الظفر له ولأصحابه ؛ وخرج إليهم بهلول فحمل على القيني فطعنه فأنفذه وانهزم أهل الشام والشرط وتبعهم بهلول وأصحابه يقتلونهم حتى بلغوا الكوفة ، فأما أهل الشام فكانوا على خيل جياد ففاتوهم ، وأما شرط الكوفة فأدركهم فقالوا : اتق الله فينا فإنّا مكرهون مظهرون ، فجعل يقرع رؤوسهم بالرمح ويقول : النجاء النجاء ، ووجد بهلول مع القيني بدرة فأخذها .

وكان في الكوفة ستة يرون رأي بهلول فخرجوا إليه فقتلوا بصريفين ، فخرج بهلول ومعه البدرة فقال من قتل هؤلاء حتى أعطيه هذه البدرة ؟ فجاء قوم فقالوا : نحن قتلناهم وهم يظنونه من عند خالد ، فقال بهلول لأهل القرية : أصدق هؤلاء ؟ قالوا : نعم فقتلهم وترك أهل القرية وبلغت الهزيمة خالداً وما فعل بصريفين فوجه إليه قائداً من شيبان أحد بني حوشب بن يزيد بن رويم فلقيه فيما بين الموصل والكوفة فانهزم أهل الكوفة فأتوا خالداً فارتحل بهلول من يومه يريد الموصل فكتب عامل الموصل إلى هشام بن عبد الملك يخبره بهم ويسأله جنداً ، فكتب إليه هشام وجه إليه كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف بهلولاً إلا بلقبه فكتب إليه العامل أن الخارج هو كثارة ، ثم قال بهلول لأصحابه : إنا والله ما نصنع بابن النصرانية شيئاً ـ يعني خالداً ـ فلم لا نطلب الرأس الذي سلط خالداً ؟ فسار يريد هشاماً بالشام فخاف عمال هشام من هشام إن

تركوه يجوز إلى بلادهم فسيَّر خالد جنداً من العراق : وسير عامل الجزيرة جنداً من الجزيرة : ووجه هشام جنداً من الشام واجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول إليهم وقيل: التقوا بكحيل دون الموصل فنزل بهلول على باب الدير وهو في سبعين وحمل عليهم فقتل منهم نفراً وقاتلهم عامة نهاره وكانوا عشرين ألفاً فأكثر فيهم القتل والجراح ، ثم ان بهلولاً وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا فقاتلوا قتالاً شديداً . فقتل كثير من أصحاب بهلول فطعن بهلول فصرع[١] فقال له أصحابه : وَلِّ أمرنا من بعدك من يقدم له فقال : إن هلكت فأمير المؤمنين دعامة الشيباني وإن هلك فامروا اليشكري ، ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا هرب دعامة ، وخلاهم ، فقال الضحاك بن قيس يرثي بهلولاً :

بدلت بعد أبي بشر وصحبته ... قوماً علي مع الأحزاب أعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتنا ... ولم يكونوا لنا بالأمس خلانا
بأعين أذري دموعاً منك تهتاناً ... وابكي لنا صحبة بانوا وإخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها ... وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

فلما قتل بهلول خرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل وخرج البختري[٢] صاحب الأشهب ـ وبهذا كان يعرف ـ على خالد في ستين فوجه إليه خالد الشمط بن مسلم البجلي[٣] في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسَفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم . ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة في نفر فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها ولا يلقى أحداً إلا قتله وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال فوجه إليه خالد جنداً فقاتلوا عامة أصحابه وأثخن بالجراح وأتى به خالد ، وأقبل على خالد فوعظه فأعجب خالداً ما سمع منه فلم يقتله وحبسه عنده وكان يؤتى به في الليل فيحادثه فسعى بخالد إلى هشام ، وقيل : أخذ حرورياً قد قتل وحرق وأباح الأموال فجعله سميراً فغضب هشام وكتب إليه يأمره بقتله ، وكان خالد يقول : إني أنفس به عن الموت فأخر قتله فكتب إليه هشام ثانياً يذمه ويأمره بقتله

---

(١) في الطبري « وحمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت فطعنه فصرعه » .
(٢) في الطبري « ثم خرج العنزي » .
(٣) في الطبري « السمط بن مسلم البجلي » .

واحراقه فقتله وأحرقه ونفراً معه ولم يزل يتلو القرآن حتى مات وهو يقرأ ﴿ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ .

ذكر خروج الصحارى بن شبيب

وفي هذه السنة خرج الصحارى بن شبيب بن يزيد بناحية جبل وكان قد أتى خالداً يسأله الفريضة فقال خالد: وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ؟ فمضى وندم خالد وخاف أن يفتَق عليه فطلبه فلم يرجع إليه . وسار حتى أتى جبل وبها نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة فأخبرهم فقالوا : وما ترجو من ابن النصرانية ؟ كنت أولى أن تسير إليه بالسيف فتضربه به . فقال : والله ما أردت الفريضة وما أردت إلا التوصل إليه لئلا ينكرني ثم أقتله بفلان ـ يعني بفلان رجلاً من قعدة الصفرية وكان خالد قتله صبراً ـ ثم دعاهم إلى الخروج معه فتبعه منهم ثلاثون رجلاً[١] وخرج بهم فبلغ خبره خالداً فقال : قد كنت خفتها منه . ثم وجه إليه خالد جنداً فلقوه بناحية المناذر فقاتلهم قتالاً شديداً فقتلوه وجميع أصحابه .

ذكر غزوة أسد الختل

وفيها غزا أسد الختل فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي إليها فسار حتى نزل بقرب بدرطرخان فطلب الأمان ليخرج إلى أسد فآمنه مصعب وسيره الى أسد فسأله أن يقبل منه ألف ألف درهم فأبى أسد وقال: إنك دخلتها وأنت غريب من أهل الباميان اخرج من الختل كما دخلت، فقال بدرطرخان : فأنت دخلت الى خراسان على عشرة من الدواب ولو خرجت منها لم تحتمل على خمسمائة بعير وغير ذلك ، إني دخلت الختل شاباً

---

(١) في الطبري « فأجابه بعضهم وقال بعضهم :
ننتظر وأبى بعضهم وقالوا : نحن في عافية ، فلما رأى ذلك قال :

لم أردْ منه الفريضةَ إلا	طمعاً في قتله أن أنالا
فأريحَ الأرض منه وممن	عاثَ فيها وعن الحقّ مالا
كُلُّ جبارٍ عنيد أراه	تركَ الحقَّ وسنَّ الضلالا
إنني شارٍ بنفسي لربي	تاركٌ قِيلاً لديهمُ وقالا
بائع أهلي ومالي أرجو	في جنان الخلد أهلاً ومالا

فاردد عليّ شبابي وخذ ما كسبت منها فغضب أسد ورده إلى مصعب ليمكنه من العود إلى حصنه فوصل بدر طرخان مع مولى لأسد إلى مصعب فأخذه سلمة بن عبيد الله ـ وهو من الموالي ـ وقال : إن الامير يندم على تركه وحبسه عنده، وأقبل أسد بالناس فقال لمجشر بن مزاحم : كيف أنت؟ قال مجشر : كنت أمس أحسن حالاً مني اليوم كان بدرطرخان في أيدينا وعرض ما عرض فلا الامير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شد يده عليه ولكنه خلّى سبيله وأمر بإدخاله حصنه ، فندم أسد عند ذلك وأرسل الى مصعب يسأله هل دخل بدرطرخان حصنه أم لا؟ فجاء الرسول فوجده عند سلمة بن عبيد الله فحوله أسد إليه وأمر به فقطعت يده وقال : من ههنا من أولياء أبي فديك ؟ ـ رجل من الأزد كان بدرطرخان قد قتله ـ فقام رجل من الأزد فقال: أنا فقال : اضرب عنقه ففعل ، وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة وفيها ولده وأمواله فلم يصل إليها ، وفرّق أسد العسكر في أودية الختل فملأ أيديهم من الغنائم ، والسبي وهرب أهله إلى الصين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا الوليد بن القعقاع أرض الروم ، وحج بالناس هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك وحج معه ابن شهاب الزهري ، وكان العامل على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام المخزومي ، وعلى العراق والمشرق كله خالد القسري ، وعلى خراسان أخوه أسد، وقيل : كان أسد قد هلك في هذه السنة واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني ، وقيل: إنما هلك أسد سنة عشرين ومائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وفيها غزا مروان بن محمد أرمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها إلى بلاد الخزر فمر ببلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التي يكون فيها خاقان فهرب خاقان منه ، وفيها توفي حبيب بن أبي ثابت وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي وقيس بن سعد المكي وسليمان بن موسى الاشدق وأياس بن سلمة بن الأكوع .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة

ذكر وفاة أسد بن عبد الله

في هذه السنة في ربيع الاول توفي أسد بن عبد الله القسري بمدينة بلخ ، وكان سبب موته أنه كان به دبيلة ، فأصابه مرض ثم أفاق منه ، فخرج يوماً فأُتِيَ بمكثري أول ما جاء فأطعم الناس منه واحدة واحدة وأخذ كمثراة فرمى بها إلى خراسان دهقان[١] هراة فانقطعت الدبيلة فهلك واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني فعمل أربعة أشهر ، ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل في رجب ، وكان هذا خراسان دهقان هراة خصيصاً بأسد فقدم عليه في المهرجان ومعه من الهدايا والتحف ما لم يحمل غيره مثله ـ وكانت قيمة الهدايا ألف ألف ـ وقال لأسد : إنا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة بالحلم والعقل والوقار وكان الرجال فينا ثلاثة ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله عليه ، والذي يليه رجل تمت مروءته في بيت فإن كذلك رحب وجياً ،[٢] ورجل رحب صدره وبسط يده فاذا كان كذلك قدم وقود، وقد جعل الله صفات هؤلاء فيك فما يعلم هو أتم كتخدائية[٣] منك إنك عزيز ضابط أهل بيتك وحشمك ومواليك فليس منهم من يستطيع أن يعتدي على صغير ولا كبير ، ثم بنيت الإيوانات في المفاوز من أحسن ما عمل، ومن يمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مائة ألف ومعه الحرث بن سريج فهـزمته وقتلتـه[٤] وقتلت أصحابه وأبحت عسكره ، وأما رحب صدرك ، وبسط يدك فإنَّا لا ندري أي المالين أحب إليك أمال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت بما خرج أقر عينا فضحك

---

(١) في الطبري اقتصر على لفظ « دهقان هراة ».

(٢) في الطبري « رحب وحي ».

(٣) الكتخذا وكيل الامير .

(٤) في الطبري « وفللته ».

أسد وقال : أنت خير دهاقيننا وفرق جميع الهدية بين أصحابه ، ولما مات أسد رثاه ابن العرس العبدي فقال :

نَعَى أَسَدَ بنَ عبد الله نَاعٍ فَرِيعَ القلبُ للمَلِكِ المُطاعِ
ببَلخٍ وافَقَ المقدارُ يَسْرى ومَا لقضاءِ ربك مِنْ دفاعِ
فجودِي عَينُ بالعَبَراتِ سَحّاً ألم يُحْزِنْكِ تَفْرِيقُ الجماعِ

في أبيات غيرها ، ولما مات أسد كتب مسلمة بن هشام بن عبد الملك ـ وهو أبو شاكر ـ الى خالد القسري :

أراحَ من خالد فأهلكه ربٌّ أراحَ العبادَ من أسد
أمّا أبوه فكان مؤْتَشِباً عبداً لئيماً لأعبد فقد
يرى الزنا والصليب والخمر والـ ـخنزير حلّاً والغيَّ كالرشد
وأمه همها وبغيتها هم الإماء العواهر الشرد
كافرة بالنبي مؤمنة بقسِّها والصليب والعمد

ـ يعني المعمودية ـ فلما قرأ خالد الكتاب قال : يا عباد الله من رأى كهذه تعزية رجل من أخيه ، وكان ما بين خالد وأبي شاكر مباعدة ، وسببها أن هشاماً يرشّح ابنه أبا شاكر للخلافة فقال الكميت :

إن الخلافة كائن أوتادها بعد الوليد إلى ابن أم حكيم

ـ يعني أبا شاكر وأمه أم حكيم ـ فبلغ الشعر خالداً فقال : أنا كافر بكل خليفة يكنى أبا شاكر فسمعها أبو شاكر فحقدها عليه .

ذكر شيعة بني العباس بخراسان

وفي هذه السنة وجهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه ، وكان سبب ذلك أن محمداً ترك مكاتبتهم ومراسلتهم بطاعتهم التي كانت لخداش الذي تقدم ذكره وقبولهم منه ما روى عنه من الكذب ، فلما أبطأت كتبه ورسله عليهم أرسلوا سليمان ليعلم الخبر ، فقدم عليه فعنفه محمد في ذلك ثم صرف سليمان إلى خراسان ومعه كتاب

مختوم ففضوه فلم يرَ فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم فعظم ذلك عليهم وعلموا مخالفة خداش لأمره ، ثم وجه محمد بن علي إليهم بكير بن ماهان بعد عود سليمان من عنده وكتب معه إليهم يعلمهم كذب خداش فلم يصدقوه واستخفوا به ، فانصرف بكير إلى محمد فبعث معه بعصى مضببة بعضها بحديد وبعضها بنحاس فجمع بكير النقباء والشيعة ودفع إلى كل واحد منهم عصا فعلموا أنهم مخالفون لسيرته فتابوا ورجعوا .

ذكر عزل خالد بن عبد الله القسري وولاية يوسف بن عمر الثقفي

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالداً عن أعماله جميعها وقد اختلفوا في ذلك، وسببه قيل : ان فروخاً أبا المثنى كان على ضياع هشام بنهر الرمان فثقل مكانه على خالد فقال خالد لحيان النبطي[1] : اخرج إلى هشام وزد على فروخ ففعل حيان ذلك وتولاها فصار حيان أثقل على خالد من فروخ فجعل يؤذيه فيقول حيان : لا تؤذني وأنا صنيعتك فأبى إلا أذاه ؛ فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع ثم خرج إلى هشام فقال له : ان خالداً بثق البثوق على ضياعك فوجه هشام من ينظر إليها ، فقال حيان لخادم من خدم هشام : إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام فلك ألف دينار : قال فعجلها فأعطاه ألفاً وقال له : تبكي صبياً من صبيان هشام فإذا بكى فقل له : أبكيت والله لكانك ابن خالد القسري الذي غلته ثلاثة عشر ألف ألف ، ففعل الخادم فسمعها هشام فسأل حيان عن غلة خالد فقال : ثلاثة عشر ألف ألف فوقرت في نفس هشام .

وقيل : كانت غلته عشرين ألفاً وإنه حفر بالعراق الأنهار منها نهر خالد وباجري وتارمانا[2] والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح ، وكان كثيراً ما يقول : إنني مظلوم ما تحت قدمي شيء إلا هو لي - يعني ان عمر جعل لبجيلة ربع السواد - وأشار عليه العريان بن الهيثم وبلال أبي بردة بعرض املاكه على هشام ليأخذ منها ما أراد ويضمنان له الرضا فإنهما قد بلغهما تغيُّر هشام عليه فلم يفعل ولم يجبهما الى شيء ، وقيل لهشام : ان خالداً قال لولده : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ، ودخل

---

(١) في الطبري « لحسان النبطي » .

(٢) في الطبري « بارمانا »

رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص على خالد في مجلسه فأغلظ له في القول فكتب إلى هشام يشكو خالداً فكتب هشام إلى خالد يذمه ويلومه ويوبخه ويأمره أن يمشي راجلاً إلى بابه ويترضاه فقد جعل عزله وولايته إليه ، وكان يذكر هشاماً فيقول : ابن الحمقى وكان خالد يخطب فيقول : زعمتم أني اغلي أسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله .

وكان هشام كتب إليه أن لا تبيعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين فبلغت كيلجتها دراهم ، وكان يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك أمير المؤمنين؟ فبلغ هذا جميعه أمير المؤمنين هشاماً فتنكر له ، وبلغه أيضاً أنه يستقل ولاية العراق فكتب إليه هشام يا ابن أم خالد بلغني أنك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف يا ابن اللخناء كيف لا تكون امرة العراق لك شرفاً فأين أنت من بجيلة القليلة الذليلة ؟ أما والله اني لأظن أن أول ما يأتيك صغير من قريش يشد يديك إلى عنقك ، ولم يزل يبلغه عنه ما يكره فعزم على عزله فكتم ذلك وكتب إلى يوسف بن عمر ـ وهو باليمن ـ يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه الى العراق فقد ولاه ذلك ، فسار يوسف إلى الكوفة فعرس قريباً منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده فأهدى إليه ألف وصيف ووصيفة سوى الأموال ، والثياب ، فمر بيوسف بعض أهل العراق فسألوه ما أنتم وأين تريدون ؟ قالوا : بعض المواضع ، فأتوا طارقاً فأخبروه خبرهم وأمروه بقتلهم وقالوا : إنهم خوارج ، فسار يوسف إلى دور ثقيف فقيل لهم : ما أنتم ؟ فكتموا حالهم وأمر يوسف فجمع إليه من هناك من مضر فلما اجتمعوا دخل المسجد مع الفجر وأمر المؤذن وأقام الصلاة فصلى ، وأرسل إلى طارق وخالد فأخذهما وان القدور لتغلي ، وقيل: لما أراد هشام أن يولي يوسف بن عمر العراق كتم ذلك فقدم جندب مولى يوسف بكتاب يوسف الى هاشم فقرأه ثم قال لسالم بن عنبسة[1] وهو على الديوان ـ: أن أجبه عن لسانك وأمني بالكتاب وكتب هشام بخطه كتاباً صغيراً إلى يوسف يأمره بالمسير إلى العراق ، فكتب سالم الكتاب وأتى به هشاماً فجعل كتابه في وسطه وختمه ثم دعا رسول يوسف فأمر به فضرب ومزقت ثيابه ودفع الكتاب إليه ، فسار فارتاب بشير بن أبي طلحة ـ وكان خليفة سالم ـ فقال : هذه حيلة وقد ولي يوسف العراق ، فكتب إلى

---

(٢) في الطبري « سالم مولى عنبسة »

عياض ـ وهو نائب سالم بالعراق ـ ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليماني فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى وأعلم ذلك طارقاً، فأعلم عياض طارق بن أبي زياد بالكتاب له، ثم ندم بشير على كتابه فكتب إلى عياض أن أهلك قد بدا لهم في إرسال الثوب،[١] فأتى عياض بالكتاب الثاني إلى طارق فقال طارق: الخبر في الكتاب الأول ولكن بشير ندم وخاف أن يظهر الخبر، وركب طارق من الكوفة الى خالد ـ وهو بواسط ـ فرآه داود البريدي[٢] وكان على حجابة خالد وديوانه فاعلم خالداً فأذن له فلما رآه قال: ما أقدمك بغير إذن؟ قال: أمر كنت أخطأت فيه كنت قد كتبت إلى الأمير أعزيه بأخيه أسد وإنما كان يجب أن آتيه ماشياً فرق خالد ودمعت عيناه وقال: ارجع الى عملك فأخبره الخبر لما غاب داود قال: فما الرأي؟ قال: تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه مما بلغه عنك قال: لاأفعل ذلك بغير إذن، قال فترسلني إليه حتى آتيك بإذنه قال: ولا هذا قال: فاذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهده قال: وكم مبلغه؟ قال مائة ألف ألف قال: ومن أين أجدها؟ والله ما أجد عشرة آلاف الف درهم قال: أتحمل أنا وفلان وفلان قال: إني إذاً اللئيم إن كنت أعطيتهم شيئاً وأعود فيه، فقال طارق: إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا وتستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال ـ وهي عند أهل الكوفة ـ فيتربصون فنقتل ويأكلون تلك الأموال فأبى خالد، فودعه طارق وبكى وقال: هذا آخر ما نلتقي في الدنيا، ومضى إلى الكوفة وخرج خالد الى الجمة[٣] وقدم رسول يوسف عليه اليمن فقال: أمير المؤمنين ساخط وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب سالم صاحب الديوان، فقرأه فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه وولاية العراق ويأمره أن يأخذ ابن النصرانية ـ يعني خالداً ـ وعماله ويعذبهم حتى يشتفي، فأخذ دليلاً وسار من يومه، واستخلف على اليمن ابنه الصلت، فقدم الكوفة في جُمادى الآخرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف، وأرسل مولاه كيسان وقال: انطلق فأتني بخالد[٤] فاحمله على اكاف وإن لم يقبله فأت به سحباً، فأتى كيسان الحيرة فأخذ معه عبد المسيح سيد اهلها

---

(١) في الطبري « في إمساك الثوب».

(٢) في الطبري « داود البربري ».

(٣) في الطبري « الى الحمة » بالحاء المهملة وكذا ما بعدها.

(٤) في الطبري « فاتني بطارق » ولعلها الصحيحة بدليل ما بعده.

إلـى طارق فقال له: إن يوسف قد قدم على العراق وهو يستدعيك فقال طارق لكيسان، إن أراد الأمير المال أعطيته ما سأل، واقبلوا به إلى يوسف بن عمر فتوافوا بالحيرة فضربه ضرباً مبرحاً يقال: خمسمائة سوط، ودخل الكوفة وأرسل عطاء بن مقدم إلى خـالد بالجمة، فأتى الرسول حاجبه وقال: استأذن لي على أبي الهيثم فدخل على خالد متغير اللون فقال خالد: ما لك؟ قال: خير قال: ما عندك خير فقال له: عطاء قال استأذن لي على أبي الهيثم، فقال ائذن له، فدخل عليه فقال: ويل أمها سخطة، ثم أخذه فحبسه وصالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على تسعـة آلاف ألف، فقيل ليـوسف: لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف فندم وقال: قد رهنت لساني معه ولا آمن ولا أرجع.

وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال: قد أخطأتم ولا آمن أن يأخذها ثم يعود ارجعوا. فرجعوا فأخبروه أن خالداً لم يرض فقال: قد رجعتم قالوا: نعم قال: والله لا أرضى بمثلها ولا مثليها فأخذ أكثر من ذلك،وقيل: أخذ مائة ألف فأرسل يوسف إلى بلال بن أبي بردة فقبضه ـ وكان قد اتخذ بلال بالكوفة داراً لم ينزلها ـ فأحضره يوسف مقيداً فأنزله الدار ثم جُعِلَت سجناً وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم فأتاه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليستميحه فلم يرَ منه ما يحب فقال: أما الصلة فللهاشميين وليس لنا منه إلا أنه يلعن علياً، فبلغت خالداً فقال: إن أحب فلنا عثمان بشيء، وكان خالد مع هذا يبالغ في سب علي فقيل: كان يفعل ذلك نفياً للتهمة وتقرباً إلى القوم، وكانت ولاية خالد العراق في شوال سنة خمس ومائة وعزل في جُمادى الأولى سنة عشرين ومائة، ولما ولي يوسف العراق كان الاسلام ذليلاً والحكم فيه إلى أهل الذمة فقال يحيى بن نوفل فيه:

أتـانا وأهـل الشـرك أهـل زكـاتنـا	وحكـامنـا فيمـا نسـر ونجهـر
فلمـا أتانـا يوسف الخيـر أشـرقت	لــه الأرض حتى كـل واد منـور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً	ومـا كان من قبـل العقيلي يـظهـر

في أبيات، ثم قال بعد ذلك:

أرانـا والـخـليـفـة إذ رمـانـا	مع الاخلاص بـالرجـل الجديـد
كـأهـل النـار حين دعـوا اغيثـوا	جمعيـاً بـالحميم وبـالصـديـد

وكان في يوسف أشياء متباينة متناقضة كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه وأهله عن الناس لين الكلام متواضعاً حسن الملكة كثير التضرع والدعاء، فكان يصلي ولا يكلم أحداً حتى يصلي الضحى يقرأ القرآن ويتضرع ، وكان بصيراً بالشعر والادب، وكان شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الأبشار فكان يأخذ الثوب الجديد فيمر ظفره عليه فإن تعلق به طاقه ضرب صاحبه وربما قطع يده، وكان أحمق أُتِيَ يوماً بثوب فقال لكاتبه : ما تقول في هذا الثوب ؟ فقال: كان ينبغي أن تكون بيوته أصغر مما هي فقال للحائك : صدق يا ابن اللخناء فقال الحائك : نحن أعلم بهذا فقال لكاتبه : صدق يا ابن اللخناء فقال الكاتب هذا يعمل في السنة ثوباً أو ثوبين وأنا يمر على يدي في كل سنة مائة ثوب مثل هذا فقال للحائك : صدق يا ابن اللخناء ، فلم يزل يكذب هذا مرة وهذا مرة حتى عدَّ أبيات الثوب فوجدها تنقص بيتاً من أحد جانبي الثوب فضرب الحائك مائة سوط، وقيل : إن يوسف أراد السفر فدعا جواريه فقال لاحداهن : تخرجين معي قالت: نعم قال : يا خبيثة كل هذا من حب النكاح يا خادم اضرب رأسها ، وقال لأخرى : ما تقولين ؟ فقالت: أقيم على ولدي فقال: يا خبيثة أكُلُّ هذا زهادة فيّ اضرب رأسها ، وقال لثالثة : ما تقولين ؟ قالت: ما ادري ما أقول إن قلت ما قالت إحداهما لم آمن عقوبتك فقال يا لخناء أو تناقضين وتحتجين اضرب رأسها فضرب الجميع ، وكان قصيراً عظيم اللحية ، وكان يحضر الثوب الطويل ليفصله ليلبسه فإن قال الخياط: انه يفضل منه ضربه فإن قال له الخياط: لا يكفينا إلا بعد التصرف في التفصيل سره فكانوا يفصلون له ثياباً طوالاً ويأخذون ما ينبغي من الثوب يوهمونه أن الثوب لم يكفه فيرضى بذلك ، وله في هذا الباب أشياء نوادر ، منها أنه قال يوماً لكاتب له : ما حبسك ؟ قال: اشتكيت ضرسي فدعا بحجام يقلعه ومعه ضرس آخر .

ذكر ولاية نصر بن سيار الكناني خراسان

لما مات أسد بن عبد الله استشار هشام بن عبد الملك عبد الكريم بن سليط الحنفي وكان عالماً فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم : يا أمير المؤمنين أما رجل خراسان حزماً ونجدة فالكرماني ، فاعرض عنه وقال : ما اسمه ؟ قال: جديع بن علي قال : لا حاجة لي فيه وتطير ، قال: فالمسن[٢] المجرَّب يحيى بن نعيم بن هبيرة

---

(٢) في الطبري «اللسان» .

الشيباني قال: ربيعة لا تسد بها الثغور، قال عبد الكريم: فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فارمه بمضر فقلت: عقيل بن معقل الليثي إن غفرت هنته قال: ما هي؟ قلت: ليس بالعفيف قال : لا حاجة لي فيه قلت : منصور بن أبي الخرقاء السلمي إن غفرت نكره فإنه مشؤوم قال: غيره قلت : فالمجشر بن مزاحم السلمي عاقل شجاع له رأي مع كذب فيه قال لا خير في الكذب قلت يحيى بن الحضين قال: ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور ؟ قال: فقلت نصر بن سيار قال: هو لها قلت : إن غفرت واحدة فإنه عفيف مجرب عاقل قال: ما هي؟ قلت: عشيرته بها قليلة قال: لا أبالك أتريد عشيرة أكثر مني أنا عشيرته ، فكتب عهده وبعثه مع عبد الكريم ، وقد قيل : عرض عليه عثمان بن الشخير وقيل له: إنه صاحب شراب، وقيل له عن يحيى بن الحضين: إنه كثير التيه ، وقيل له عن قطن بن قتيبة إنه مأثور[1] فلم يولهم ، فاستعمل نصراً وكان جعفر بن حنظلة الذي استخلفه أسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البختري بن مجاهد مولى بني شيبان فقال له : لا تقبلها لانك شيخ مضر بخراسان وكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها، فلما أتاه عهده بعث إلى البختري ليأتيه فقال البختري لأصحابه : قد ولي نصر خراسان ، فلما أتاه سلم عليه بالإمرة فقال له : من أين علمت ؟ قال: كنت تأتيني فلما بعثت إليّ علمتُ أنك قد وليت.

وأعطى نصر عبد الكريم لما أتاه بعهده عشرة آلاف درهم ، واستعمل على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم، واستعمل على مرو الروذ وساج[2] بن بكير بن وساج وعلى هراة الحرث بن عبد الله بن الحشرج ، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وعلى خوارزم أبا حفص بن علي ختنه ، وعلى الصغد قطن بن قتيبة ، قال رجل من اليمانية : ما رأيت عصبية مثل هذا ، قال : بلى التي كانت قبلها فلم يستعمل أربع سنين إلا مضرياً ؛ وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها وأحسن الولاية والجباية فقال سوار بن الأشعر :

---

(١) في الطبري « موتور »

(٢) في الطبري « وشاح » بالشين المعجمة والحاء المهملة .

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفاً أخبار ما لقيت اختار نصراً لها نصر بن سيار

وأتى نصراً عهده في رجب سنة عشرين ومائة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة . وفيها غزا اسحاق بن سلم العقيلي تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب أرضها .

وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، وقيل : حج بهم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : أخوه يزيد بن هشام ، وكان العامل على المدينة ومكة ، والطائف محمد بن هشام المخزومي ، وعلى العراق والمشرق يوسف بن عمر ، وعلى خراسان نصر بن سيار ؛ وقد أمره هشام أن يكاتب يوسف بن عمر ، وقيل : كان عليها جعفر بن حنظلة ، وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمي استعمله يوسف ، وعلى قضائها عامر بن عبيدة ، وعلى أرمينية واذربيجان مروان بن محمد ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة ، وفيها مات عاصم بن عمر بن قتادة في أصح الأقوال . وفيها مات مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وقيل : سنة احدى وعشرين بالشام ، وفيها مات قيس بن مسلم ومحمد بن ابراهيم بن الحرث التميمي وحماد بن سليمان الفقيه ، وواقد بن عمرو بن سعد بن معاذ وعلي بن مدرك النخعي الكوفي والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفي .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

في هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير.

ذكر ظهور زيد بن علي بن الحسين

قيل : إن زيد بن علي بن الحسين قتل هذه السنة ، وقيل: سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ونحن نذكر الآن سبب خلافه على هشام وبيعته ونذكر قتله سنة اثنتين وعشرين، قد اختلفوا في سبب خلافه فقيل : إن زيداً وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قدموا على خالد بن عبدالله القسري بالعراق فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ، فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بذلك وذكر له أن خالداً ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم رد الأرض عليه، فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسيرهم إليه ففعل ، فسألهم هشام عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك وحلفوا فصدقهم وأمرهم بالمسير إلى العراق ليقابلوا خالداً فساروا على كره وقابلوا خالداً فصدقهم فعادوا نحو المدينة ، فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيداً فعاد إليهم، وقيل : بل ادعى خالد القسري أنه أودع زيداً وداود بن علي ونفراً من قريش مالاً فكتب يوسف بذلك إلى هشام فأحضرهم هشام من المدينة وسيرهم إلى يوسف ليجمع بينهم وبين خالد فقدموا عليه فقال يوسف لزيد : إن خالداً زعم أنه أودعك مالاً قال : كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره ؟ فأرسل إلى خالد فأحضره في عباءة فقال : هذا زيد قد أنكر أنك قد أودعته شيئاً فنظر خالد إليه وإلى داود وقال ليوسف : أتريد أن تجمع مع إثمك فيّ إثماً في هذا كيف أودعه وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر ؟ فقالوا لخالد: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال : شدد

عليّ العذاب فادعيت ذلك وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومكم فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة .

قيل : إن يزيد بن خالد القسري هو الذي ادعى المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير إلى العراق إلى يوسف استقالوه خوفاً من شر يوسف وظلمه فقال : أنا أكتب إليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره وجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد : مالي عندهم قليل ولا كثير قال يوسف : أبي تهزأ أم بأمير المؤمنين ؟ فعذبه يومئذ عذاباً كاد يهلكه ، ثم أمر بالفراشين فضربوا وترك زيداً ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة ، وكان زيد قد قال لهشام لما أمره بالمسير إلى يوسف : ما آمن إن بعثتني إليه أن لا نجتمع أنا وأنت حيين أبداً قال : لا بد من المسير إليه فساروا إليه .

وقيل : كان السبب في ذلك أن زيداً كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي في وقوف علي ، زيد يخاصم عن بني الحسين وجعفر يخاصم عن بني الحسن فكانا يتبالغان بين يدي الوالي كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفاً ، فلما مات جعفر نازعه عبدالله بن الحسن بن الحسن ؛ فتنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحرث بالمدينة فأغلظ عبدالله لزيد وقال : يا ابن السندية فضحك زيد وقال : قد كان إسماعيل لأمة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها إذ لم يصبر غيرها ـ يعني فاطمة ابنة الحسين أم عبدالله ـ فإنها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن ، ثم ندم زيد واستحيا من فاطمة وهي عمته فلم يدخل عليها زماناً . فأرسلت إليه يا ابن أخي إني لأعلم أن أمك عندك كأم عبدالله عنده ، وقالت لعبدالله : بئسما قلت لأم زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت ، قال : فذكر أن خالداً قال لهما : اغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما فباتت المدينة تغلي كالمرجل يقول قائل : قال زيد كذا ويقول قائل : قال عبدالله كذا ، فلما كان الغد جلس خالد في المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبدالله يتكلم فقال زيد : لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملك ان خاصمك إلى خالد أبداً ، ثم أقبل على خالد فقال : أجمعت ذرية رسول الله ﷺ لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر ؟ فقال خالد : ما لهذا السفيه أحد ، فتكلم رجل من الأنصار من آل

عمرو بن حزم فقال: يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه أما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة ؟ فقال زيد : اسكت أيها القحطاني فإنَّا لا نجيب مثلك قال : ولم ترغب عني ؟ فوالله إني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك ، فتضاحك زيد وقال : يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب فذهبت الأحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم ، فتكلم عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال : كذبت والله أيها القحطاني فوالله لهو خير منك نفساً وأماً وأباً ومحتداً ، وتناوله بكلام كثير وأخذ كفاً من حصباء وضرب بها الأرض ثم قال : إنه والله مالنا على هذا من صبر ، وشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيرفع إليه القصص فكلما دفع قصة يكتب هشام في أسفلها ارجع إلى منزلك فيقول زيد : والله لا أرجع إلى خالد أبداً ، ثم أذن له يوماً بعد طول حبس ورقي عليه طويلة وأمر خادماً أن يتبعه بحيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول، فصعد زيد وكان بديناً فوق في بعض الدرجة فسمعه يقول: والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل ، ثم صعد إلى هشام فحلف له على شيء فقال : لا أصدقك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله ولم يضع أحداً عن أن لا يرضى بذلك منه ؛ فقال هشام : لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت ابن أمة، قال زيد : إن لك جواباً قال : فتكلم قال : إنه ليس احد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه ، وقد كان اسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر ، وما على أحد من ذلك إذ كان جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب ما كانت أمه ، قال له هشام : اخرج قال : اخرج ثم لا أكون إلا بحيث تكره ، فقال له سالم : يا أبا الحسين لا تظهرن هذا منك فخرج من عنده وسار إلى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب : أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأتِ أهل الكوفة فإنهم لا يفون لك فلم يقبل ، فقال له : خرج بنا أسرى على غير ذنب من الحجاز إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق إلى قيس ثقيف يلعب بنا وقال :

بكرت تخوفني المنون كأنني   أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل   لا بد أن أسقى بكأس المنهل

ان المنيـة لـو تمثـل مثلت مثلي إذا نـزلـوا بضيق المنـزل
فـاقني حيـاءك لا أبـالـك واعلمي أني امـرؤ سـأمـوت إن لم أقتـل

استودعك الله وإني أعطي الله عهداً إن دخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت ، وفارقه وأقبل إلى الكوفة فأقام بها مستخفياً يتنقل في المنازل وأقبلت الشيعة تختلف إليه تبايعه ، فبايعه جمـاعة منهم سلمـة بن كهيل ونصر بن خزيمـة العبسي ومعاويـة بن اسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وناس من وجوه أهل الكوفة، وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم ونصر أهل البيت أتبايعون على ذلك ؟ فإذا قالوا : نعم وضع يده على أيديهم ويقول : عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قال : نعم مسح يده على يده ثم قال : اللهم اشهد ، فبايعه خمسة عشر ألفاً . وقيل : أربعون ألفاً فأمر أصحابه بالاستعداد ؛ فأقبل من يريد أن يفي له ويخرج معه ويستعد ويتهيأ فشاع أمره في الناس ، هذا على قول من زعم أنه أتى الكوفة من الشام واختفى بها يبايع الناس .

وأما على قول من زعم أنه أتى إلى يوسف بن عمر لموافقـة خالـد بن عبدالله القسري أو ابنه يزيد بن خالد فإن زيداً أقـام بالكـوفة ظـاهراً ومعـه داود بن علي بن عبد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف إلى زيد وتأمره بالخروج ويقولون : إنّا لنرجو أن تكون أنت المنصور وأن هذا الزمان هو الذي تهلك فيه بنو امية ، فأقام بالكوفة وجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال : هو ههنا ويبعث إليه ليسير فيقول : نعم ويعتل بالوجع فمكث ما شاء الله ثم أرسل إليه يوسف ليسير فاحتج بأنه يبتاع أشياء يريدها ، ثم أرسل إليه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بأنه يحاكم بعض آل طلحة بن عبيدالله بملك بينهما بالمدينة ، فأرسل إليه ليوكل وكيلاً ويرحل عنها ، فلما رأى جد يوسف في أمره سار حتى أتى القادسية، وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة وقالوا له: نحن أربعون ألفاً لم يتخلف عنك أحد نضرب عنك بأسيافنا وليس ههنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة بعض قبائلنا يكفيكهم بإذن الله تعالى وحلفوا له بالأيمان المغلظة ، فجعل يقول : إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي فيحلفـون له ، فقـال له داود بن

علي : يا ابن عم إن هؤلاء يغرونك من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعـز عليهم منك جدك علي بن ابي طالب حتى قتل ؟ والحسن من بعـده بايعـوه ثم وثبوا عليـه فانتزعوا رداءه وجرحوه ، أو ليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الايمان وخذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه ؟ فلا ترجع معهم ، فقالوا : إن هذا لا يريد أن تظهر أنت ويزعم أنه وأهل بيته أولى بهذا الأمر منكم ، فال زيد لداود : إن علياً يقاتله معاوية بداهية وبكراهية[1] وان الحسين قاتله يزيد والأمر مقبل عليهم ؛ فقـال داود : إني خائف إن رجعت معهم ان لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ، ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة ، فلما رجع زيد أتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله ﷺ وحقه فأحسن ثم قال له : ننشدك الله كم بايعوك ؟ قال : أربعون الفاً قال : فكم بايع جدك ؟ قال : ثمانون الفاً قال : فكم حصل معه ؟ قال : ثلاثمائة قال : أنشدنك الله أنت خير أم جدك ؟ قال : جدي قال : فهذا القرن خير أم ذلك القرن ؟ قال : ذلك القرن قال : أفتـطمع أن يفي لـك هؤلاء وقد غـدر أولئك بجدك ؟ قال : قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم قال : أفتأذن لي أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فلا أملك نفسي ؟ فأذن له فخرج إلى اليمامة، وقد تقدم ذكر مبايعة سلمة ، وكتب عبدالله بن الحسن بن الحسن إلى زيد أما بعد فإن أهل الكوفة نفخ في العلانية خور السريرة هرج في الرخـاء جزع في اللقـاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم ولقد تواترت إلي كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم واطراحاً لهم ومالهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب إن أهملتم خضتم وإن حوربتم خرتم وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن اجبتم إلى مشاقة نكصتم، فلم يصغ زيد إلى شيء من ذلك فأقام على حاله يبايع الناس ويتجهز للخروج ، وتزوج بالكوفة ابنة يعقوب بن عبدالله السلمي ، وتزوج أيضاً ابنة عبدالله بن أبي العنبسي الازدي، وكان سبب تزوجه إياها أن أمها أم عمرو بنت الصلت كانت تتشيع فأتت زيداً تسلم عليه وكانت جميلة حسناء قد دخلت في السن ولم يظهر عليها فخطبها زيد إلى نفسه فاعتذرت بالسن وقالت له : لي ابنة هي أجمل مني وأبيض وأحسن دلاً وشكلاً فضحك زيد ثم تزوجها ، وكان ينتقل بالكوفة تارة عندها وتارة عند

---

(١) في الطبري « بدهائه ونكرائه بأهل الشام » .

زوجته الأخرى وتارة في بني عبس وتارة في بني هند وتارة في بني تغلب وغيرهم إلى أن ظهر.

ذكر غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ، إحداهما من نحو الباب الجديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع إلى مرو فخطب الناس وأخبرهم أنه قد أقام منصور بن عمر بن أبي الخرقاء على كشف المظالم وأنه قد وضع الجزية عمن قد أسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فلم تمض جمعة حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألفاً من المشركين كانت قد ألقيت عنهم فحول ما كان على المسلمين إليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج[1] ووضعه مواضعه، ثم غزا الثانية إلى ورغسر وسمرقند ثم رجع ، ثم غزا الثالثة إلى الشاش من مرو فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً وكان معهم الحرث بن سريج ، وعبر كورصول في أربعين رجلاً فبيت أهل العسكر في ليلة مظلمة، ومع نصر بخارى خذاه في أهل بخارى ، ومعه أهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون ألفاً ، فنادى نصر أن لا يخرجن أحد واثبتوا على مواضعكم ، فخرج عاصم بن عمير ـ وهو على جند سمرقند ـ فمرت به خيل الترك فحمل على رجل في آخرهم فأسره فإذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة، فأتى به إلى نصر فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول: فقال نصر : الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله قال : ما ترجو من قتل شيخ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من إبل الترك وألف برذون تقوي به جندك وتطلق سبيلي ، فاستشار نصر أصحابه فأشاروا باطلاقه ، فسأله عن عمره قال : لا أدري قال : كم غزوت ؟ قال : اثنتين وسبعين غزوة قال : أشهدت يوم العطش ؟ قال : نعم قال : لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعدما ذكرت من مشاهدك ، وقال لعاصم بن عمير السعدي : قم إلى سلبه فخذه ، فقال : من أسرني ؟ قال نصر وهو يضحك : أسرك يزيد بن قزان الحنظلي وأشار إليه قال : هذا لا يستطيع أن يغسل إسته أو لا يستطيع أن يتم له بوله فكيف يأسرني ؟ أخبرني من أسرني قال : أسرك عاصم بن عمير قال : لست أجد ألم القتل اذا كان اسرني فارس من

(١) في الطبري « صنف الخراج » .

فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطىء النهر ، وعاصم بن عمير هو الهزارمـرد قتل بنهاوند أيام قحطبة .

فلما قتل كورصول أحرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم وأذناب خيلهم ، فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك أشد عليهم من قتله ، وارتفع إلى فرغانة فسبى بها ألف رأس ، وكتب يوسف بن عمر إلى نصر سر إلى هذا الغادردينه[1] في الشاش ـ يعني الحرث بن سريـج ـ فإن أظفَـرَكَ الله به وبـأهل الشاش فخرب بلادهم واسبِ ذراريهم وإياك وورطة المسلمين ، فقرأ الكتـاب على الناس واستشارهم ،فقال يحيى بن الحصين : انظر أمن أمير المؤمنين أو من الأمير ؟ فقال نصر : يا يحيى تكلمت بكلمة أيام عـاصم بلغت الخليفة فحـظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت : أقول مثلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتي فلام الناس يحيى ، فسار إلى الشاش فأتاهم الحرث فنصب عليهم عرادتين ، وأغار الاخرم ـ وهو فارس الترك ـ على المسلمين فقتلوه وألقوا رأسه إلى الترك فصاحوا وانهزموا ، وسار نصر إلى الشـاش فتلقاه ملكهـا بالصلح ، والهـدية ، والـرهن ، واشترط عليـه نصـر اخـراج الحرث بن سريج عن بلده فأخرجه إلى فاراب ، واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة وكانوا أحسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة .

فوجه نصر إلى ولي عهد صاحب فرغانة فحاصره في حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين، فوجه إليهم نصر رجالاً من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكان المسلمـون ودوابهم كمنوا لهم فخـرجوا واستاقوا بعضها وخـرج عليهم المسلمـون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم وأسروا ابن الدهقان فقتله نصر ، وأرسل نصر سليمان بن صول بكتاب الصلح إلى صاحب فرغانة فأمر به فادخل الخزائن ليراها ثم رجع إليه فقال : كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم ؟ قال : سهلاً كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال : ما أعلمك ؟ فقال سليمان : قد غزوت غرشتان ، وغور ، والختل ، وطبرستان فكيف لا أعلم ؟ قال : فكيف رأيت ما أعددنا ؟ قال : عدة حسنة ولكن ما علمت أن المحصور لا يسلم من خصال لا يأمن أقرب الناس إليه وأوثقهم في نفسه أو

---

(١) في الطبري « الغارزذنبه ».

يفني ما جمع فيسلم برمته أو يصيبه داء فيموت ، فكره ما قال له وأمره فأحضر كتاب الصلح فأجاب إليه وسير أمه معه ـ وكانت صاحبة أمره ـ فقدمت على نصر فأذن لها وجعل يكلمها ، وكان مما قالت له : كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك ، وزير يبث إليه ما في نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته ، وطباخ إذا لم يشتهِ الطعام اتخذ له ما يشتهي ، وزوجة إذا دخل عليها مغتماً فنظر إلى وجهها زال غمه ، وحصن إذا فرغ أتاه فأنجاه ـ تعني البرذون ـ ، وسيف إذا قاتل لا يخشى خيانته ، وذخيرة إذا حملها عاش بها أين كان من الأرض .

ثم دخل تميم بن نصر في جماعة فقالت : من هذا ؟ قالوا : هذا فتى خراسان تميم بن نصر قال : ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ، ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت : من هذا ؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة فأحبته وسألت عنه وقالت : يا معشر العرب ما لكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضاً ،قتيبة الذي ذلل لكم ما أرى وهذا ابنه تقعده دونك فحقه أن تجلسه أنت هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه .

ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان

وفي سنة إحدى وعشرين غزا مروان بن محمد بن مروان بأرمينية وهو واليها فأتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ، ثم أتى قلعة ثانية فقتل وسبى ، ودخل غوميك وهو حصن فيه بنت الملك وسريره فهرب الملك منه حتى أتى حصناً يقال له خيزج فيه السرير الذهب ، فسار إليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على ألف رأس كل سنة ومائة ألف مدى[1] ، وسار مروان فدخل أرض أزر وبطران فصالحه ملكها ثم سار في أرض تومان فصالحه ، وسار حتى أتى حمزين فأخرب بلاده وحصر حصناً له شهراً فصالحه ، ثم أتى مروان أرض مسدارة فافتتحها على صلح ، ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان ، وكل هذه الولايات على شاطىء البحر من أرمينية إلى طبرستان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير .

---

(١) المدى ـ بالضم ـ مكيال لأهل الشام ومصر يسع تسعة عشر صاعا وهو غير المد المعروف الآن .

وحج بالناس هذه السنـة محمد بن هشـام بن اسماعيـل المخزومي وهـو كان عامل المدينة ومكة والطائف، وعلى العراق يوسف بن عمر، وعلى خراسان نصر بن سيـار ، وعلى أرمينية واذربيجـان مروان بن محمـد ، وعلى قضاء البصـرة عامـر بن عبيدة ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة .

وفيها فرغ الوليد بن بكير عامل الموصل من حفر النهر الذي أدخله البلد ، وكان مبلغ النفقة عليه ثمانية آلاف ألف درهم ، وجعل عليه ثمانية أحجار تطحن ووقف هشام هـذه الارحاء على عمـل النهر . وفيهـا مات سلمـة بن سهيل، وقيـل : سنـة اثنتين وعشرين . وفيها مات عامر بن عبدالله بن الزبير ، وقيل : سنة اثنتين وعشرين وقيل : سنة أربع وعشرين بالشام ، وفيها مات محمد بن يحيى بن حبان وهو ابن أربع وسبعين سنة بالمدينة . (حَبان) بفتح الحاء وبالباء الموحدة ، وقتل يعقوب بن عبدالله بن الأشج شهيداً بأرض الروم .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

في هذه السنة قتل زيد بن علي بن الحسين، قد ذكر سبب مقامه بالكوفة وبيعته بها ، فلما أمر أصحابه بالاستعداد للخروج وأخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة يتجهز انطلق سليمان بن سراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فبعث يوسف في طلب زيد فلم يوجد ، وخاف زيد أن يؤخذ فيتعجل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت ، وعلى شرطته عمرو بن عبد الرحمن بن القارة ومعه عبيدالله بن العباس الكندي في ناس من أهل الشام ، ويوسف بن عمر بالحيرة قال : فلما رأى أصحاب زيد بن علي من يوسف بن عمر أنه قد بلغه أمره وأنه يبحث عن أمره اجتمع إليه جماعة من رؤوسهم وقالوا : رحمك الله ما قولك في أبي بكر، وعمر؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلا خيراً وإن أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان ما ذكرتم من رسول الله ﷺ ومن الناس أجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً وقد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا : فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتالهم ؟ فقال : إن هؤلاء ليسوا كاولئك هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ فإن أجبتمونا سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل ،ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا : سبق الإمام ـ يعنون محمداً الباقر ـ وكان قد مات وقالوا : جعفر ابنه إمامنا بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة ـ وهم يزعمون ان المغيرة سماهم الرافضة حيث فارقوه .

وكان طائفة أتت جعفر بن محمد الصادق قبل خروج زيد فأخبروه ببيعة زيد فقال : بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد واعد أصحابه أول

ليلة من صفر وبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث إلى الحكم يأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه ، فجمعهم فيه وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري فخرج منها ليلاً ورفعوا الهرادى فيها النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر ، فلما أصبحوا بعث زيد القاسم التبعي[١] ثم الحضرمي وآخر من أصحابه يناديان شعارهم ، فلما كانا بصحراء عبد القيس لقيهما جعفر بن العباس الكندي فحملا عليه وعلى أصحابه فقتل الذي كان مع القاسم التبعي وارتث القاسم وأُتي به الحكم فضرب عنقه فكانا أول من قتل من أصحاب زيد ، وأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس ، وبعث الحكم إلى يوسف بالحيرة فأخبره الخبر فأرسل جعفر بن العباس ليأتيه بالخبر فسار في خمسين فارساً حتى بلغ جبانة سالم فسأل ثم رجع إلى يوسف فأخبره ، فسار يوسف إلى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه أشراف الناس[٢] فبعث الريان بن سلمة الأراني[٣] في ألفين ومعه ثلاثمائة من القيقانية رجالة معهم النشاب ، وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً فقال زيد : سبحان الله أين الناس ؟ فقيل : إنهم في المسجد الأعظم محصورون فقال : والله ما هذا بعذر لمن بايعنا .

وسمع نصر بن خزيمة العبسي النداء فأقبل إليه فلقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم في خيله من جهينة في الطريق فحمل عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو وانهزم من كان معه ، وأقبل زيد على جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد فيمن معه وهزمهم ، فانتهى زيد إلى دار أنس بن عمرو الازدي وكان فيمن بايعه وهو في الدار فنودي فلم يجبهم وناداه زيد فلم يخرج إليه فقال زيد : ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ، ثم انتهى زيد إلى الكناسة فحمل على من بها من أهل الشام فهزمهم ، ثم سار زيد ويوسف ينظر إليه في مائتي رجل فلو قصده لقتله ـ والريان يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام ـ فأخذ زيد على مصلى خالد حتى دخل الكوفة ، وسار بعض أصحابه نحو جبانة مخنف بن سليم

---

(١) في الطبري « القاسم التنعي » بالنون بدل الباء الموحدة .

(٢) في الطبري « ومعه قريش وأشراف الناس » .

(٣) في الطبري «الأراشي» .

فلقوا أهل الشام فقاتلوهم فأسر أهل الشام منهم رجلاً فأمر به يوسف بن عمر فقتل ، فلما رأى زيد خذلان الناس إياه قال : يا نصر بن خزيمة أنا أخاف أن يكونوا قد فعلوها حسينية قال: أما أنا والله لأقاتلنّ معك حتى أموت وإن الناس في المسجد فامضِ بنا نحوهم ، فلقيهم عبيد الله بن العباس الكندي عند دار عمر بن سعد فاقتتلوا فانهزم عبيد الله وأصحابه، وجاء زيد حتى انتهى إلى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون : يا أهل المسجد اخرجوا من الذُّلِّ إلى العز اخرجوا إلى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا فرماهم أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد، وانصرف الريان عند المساء الى الحيرة ، وانصرف زيد فيمن معه وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان بن سلمة فقاتله عند دار الرزق وجرح أهل الشام ومعه ناس كثير، ورجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظناً، فلما كان الغد أرسل يوسف بن عمر العباس بن سعيد المزني في أهل الشام فانتهى إلى زيد في دار الرزق فلقيه زيد وعلى مجنبته نصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحاق بن زيد بن ثابت فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وحمل نائل بن فروة العبسي من أهل الشام على نصر بن خزيمة بالسيف فقطع فخذه وضربه نصر فقتله ولم يلبث نصر أن مات ، واشتد قتالهم فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين رجلاً ، فلما كان العشاء عباهم يوسف بن عمر ثم سرحهم فالتقوا هم وأصحاب زيد فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم وتبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة ، ثم حمل عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سليم ، وجعلت خيلهم لا تثبت لخيله فبعث العباس إلى يوسف يعلمه ذلك وقال له : ابعث إليّ الناشبية[1] فبعثهم إليه فجعلوا يرمون أصحاب زيد، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد قتالاً شديداً فقتل ، وثبت زيد بن علي ومن معه إلى الليل فرُميَ بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه ، ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا إلا للمساء والليل .

ونزل زيد في دار من دور أرحب وأحضر أصحابه طبيباً فانتزع النصل فضج زيد فلما نزع النصل مات زيد، فقال أصحابه : أين ندفنه ؟ قال بعضهم : نطرحه في الماء ، وقال بعضهم : بل نحتز رأسه ونلقيه في القتلى فقال ابنه يحيى : والله لا تأكل

---

(١) في الطبري « الناشبة » .

لحم أبي الكلاب ، وقال بعضهم : ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا فلما دفنوه أجروا عليه الماء ، وقيل دفن بنهر يعقوب سكر أصحابه الماء ودفنوه وأجروا الماء ، وكان معهم مولى لزيد سندي ، وقيل : رآهم فسار فدل عليه وتفرق الناس عنه ، وسار ابنه يحيى نحو كربلاء فنزل بنينوى على سابق مولى بشر بن عبد الملك بن بشر ، ثم ان يوسف بن عمر تتبع الجرحى في الدور فدله السندي مولى زيد يوم الجمعة على زيد فاستخرجه من قبره وقطع رأسه وسيِّر إلى يوسف بن عمر وهو بالحيرة سيره الحكم بن الصلت ، فأمر يوسف أن يصلب زيد بالكناسة هو ، ونصر . بن خزيمة، ومعاوية بن اسحاق ، وزياد النهدي وأمر بحراستهم وبعث الرأس إلى هشام فصلب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل الى المدينة ، وبقي البدن مصلوباً إلى أن مات هشام وولي الوليد فأمربإنزاله وإحراقه .

وقيل : كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرطة زيد وهو الذي نبش زيداً وصلبه فقال السيد الحموي :

بات ليلاً مسهداً ساهر العين[١] مقصدا
ولقد قلت قولة وأطلت التبلدا
لعن الله حوشباً وخراشاً ومزيدا
ويزيداً فإنه كان أعتى وأعتدا
ألف ألف وألف ألـ ـف من اللعن سرمدا
إنهم حاربوا الإلـ ـه وآذوا محمدا
شركوا في دم الحسـ ـين وزيد تعبدا[٢]
ثم عالوه فوق جذ ع صريعا مجردا
يا خراش بن حوشب أنت أشقى الورى غدا

وقيل في أمر يحيى بن زيد غير ما تقدم ، وذلك أن أباه زيداً لما قتل قال له رجل من بني أسد: إن أهل خراسان لكم شيعة والرأي أن تخرج إليها قال : وكيف لي

---

(١) في الطبري « ساهر الطرف »
(٢) في الطبري « شركوا في دم المطهر « زيد تعندا ».

بذلك ؟ قال: تتوارى حتى يسكن عنك الطلب ثم تخرج ، فواراه عنده ليلة ثم خاف فأتى به عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له ان قرابة زيدبك قريبة وحقه عليك واجب قال: أجل ولقد كان العفو عنه أقرب للتقوى، قال: فقد قتل وهذا ابنه غلام حدث لا ذنب له فإن علم يوسف به قتله أفتجيره ؟ قال : نعم فأتاه به فأقام عنده، فلما سكن الطلب سار في نفر من الزيدية إلى خراسان فغضب يوسف بن عمر بعد قتل زيد فقال : يا أهل العراق إن يحيى بن زيد ينتقل في حجال نسائكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لي لعرقت خصييه كما عرقت خصي أبيه وتهددهم وذمهم وترك .

ذكر قتل البطال

في هذه السنة قتل البطال ـ واسمه عبد الله أبو الحسين الانطاكي ـ في جماعة من المسلمين ببلاد الروم ، وقيل : سنة ثلاث وعشرين ومائة، وكان كثير الغزاة إلى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم وخوف شديد، حُكي أنه دخل بلادهم في بعض غزاته هو وأصحابه فدخل قرية لهم ليلاً وامرأة تقول لصغير لها يبكي : تسكت وإلا سلمتك إلى البطال ثم رفعته بيدها وقالت : خذه يا بطال فتناوله من يدها ، وسيره عبد الملك مع ابنه مسلمة إلى بلاد الروم وأمره على رؤساء أهل الجزيرة، والشام وأمر ابنه أن يجعله على مقدمته وطلائعه وأمره فليعس بالليل العسكر وقال: إنه ثقة شجاع مقدام ، فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان بينه وبين الروم ، وكان العلاقة ، والسابلة يسيرون آمنين ، وسار مرة مع عسكر للمسلمين فلما صار باطراف الروم سار وحده فدخل بلادهم فرأى مبقلة فنزل فأكل من ذلك البقل فجاءت جوفه وكثر إسهاله فخاف أن يضعف عن الركوب فركب وصار تجيء جوفه في سرجه ولا يجسر ينزل لئلا يضعف عن الركوب فاستولى عليه الضعف فاعتنق فرسه وسار عليه ولا يعلم أين هو ، ففتح عينه فإذا هو في دير فيه نساء فاجتمعن عليه وأنزلته إحداهن عن فرسه وغسلته وسقته دواء فانقطع عنه ما به من القيام ، وأقام في الدير ثلاثة أيام ، ثم ان بطريقاً حضر الدير فخطب تلك المرأة وبلغه خبر البطال وكانت المرأة قد جعلته في بيت مختفياً فمنعته منه ؛ ثم سار البطريق عن الدير ومعه أصحابه فركب البطال وتبعه فقتله وانهزم أصحاب البطريق ، وعاد إلى الدير وألقى الرأس إلى النساء وأخذهن وساقهن إلى العسكر فنفله أمير العسكر تلك المرأة فهي أم أولاد البطال .

ذكر عدة حوادث

قال : وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بعثه في أهل الشام إلى افريقية حيث وقعت الفتنة بالبربر ، وفيها ولد الفضل بن صالح ، ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان فاستقضى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام المخزومي ، وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم ، قيل : وكان علي الموصل أبو قحافة ابن أخي الوليد بن تليد العبسي ، وفيها مات إياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة ـ وهو الموصوف بالذكاء ـ وزيد بن الحرث اليامي ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمي تيم قريش، وقيل : مات سنة ثلاثين وقيل : احدى وثلاثين ـ وكنيته أبو بكر ـ ويزيد بن عبد الله بن قسط، ويعقوب بن عبد الله بن الاشج .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد

في هذه السنة صالح نصر بن سيار الصغد، وسبب ذلك أن خاقان لما قتل في ولاية أسد تفرقت الترك في غارة بعضها على بعض فطمع أهل الصغد في الرجعة إليها وانحاز قوم منهم إلى الشاش، فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع إلى بلادهم وأعطاهم ما أرادوا ، وكانوا ينالون شروطاً أنكرها أمراء خراسان ، منها أن لا يعاقب من كان مسلماً فارتد عن الاسلام ، ولا يعدى عليهم في دين لاحد من الناس ، ولا يؤخذ أُسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاضٍ وشهادة عدول ، فعاب الناس ذلك على نصر بن سيار وقالوا له فيه فقال: لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك ، وأرسل رسولاً إلى هشام بن عبد الملك في ذلك فأجابه إليه .

ذكر وفاة عقبة بن الحجاج ودخول بلج الأندلس

في هذه السنة توفي عقبةبن الحجاج السلوليأمير الاندلس فقيل : بل ثاربه أهل الاندلس فخلعوه وولوا بعده عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية ، وكانت ولايته في صفر من هذه السنة ، وكانت البربر قد فعلت بافريقية ما ذكرناه سنة سبع عشرة ومائة . وقد حصروا بلج بن بشر العبسي حتى ضاق عليه وعلى من معه الامر واشتد الحصر وهم صابرون الى هذه السنة فأرسل إلى عبد الملك بن قطن يطلب منه أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها هو ومن معه إلى الأندلس وذكر ما أنزل عليه من الشدة وأنهم أكلوا دوابهم ، فامتنع عبد الملك من إدخالهم الأندلس ووعدهم بإرسال المدد إليهم فلم يفعل، فاتفق ان البربر قويت بالأندلس فاضطر عبد الملك الى ادخال بلج ومن معه .

وقيل : إن عبد الملك استشار أصحابه في جواز بلج فخوفوه من ذلك فقال:

أخاف أمير المؤمنين أن يقول : أهلكت جندي فأجازهم وشرط عليهم أن يقيموا سنة ويرجعوا إلى افريقية فأجابوه الى ذلك وأخذ رهائنهم وأجازهم ، فلما وصلوا إليه رأى هو والمسلمون ما بهم من سوء الحال ، والفقر، والعرى لشدة الحصار عليهم فكسوهم وأحسنوا إليهم وقصدوا جمعاً من البربر بشدونة فقاتلوهم فظفروا بالبربر فأهلكوهم وغنموا ما لهم ودوابهم وسلاحهم فصلحت أحوال أصحاب بلج وصار لهم دواب يركبونها ، ورجع عبد الملك بن قطن إلى قرطبة وقال لبلج ومن معه : ليخرجوا من الأندلس فأجابوه إلى ذلك ، فطلبوا منه مراكب يسيرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البربر الذين حصروهم فامتنع عبد الملك وقال: ليس لي مراكب إلا في الجزيرة ، فقالوا : إننا لا نرجع نتعرض إلى البربر ولا نقصد الجهة التي هم فيها لأننا نخاف أن يقتلونا في بلادهم فألح عليهم في العود، فلما رأوا ذلك ثاروا به وقاتلوه فظفروا به وأخرجوه من القصر وذلك أوائل ذي القعدة من هذه السنة ، فلما ظفر بلج بعبد الملك أشار عليه أصحابه بقتل عبد الملك فأخرجه من داره وكأنه فرخ لكبر سنه فقتله وصلبه وولي الأندلس ، وكان عمر عبد الملك تسعين سنة ، وهرب ابناه قطن ، وأمية فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة ، وكان هربهما قبل قتل أبيهما فلما قتل فعلا ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت إلى هشام يطلب إليه أن يستعلمه على خراسان ويذكر أنه خبير بها وأنه عمل بها الأعمال الكثيرة ويقع في نصر بن سيار ،فتوجه هشام إلى دار الضيافة فاحضر مقاتل بن علي السعدي[1] وقد قدم من خراسان ومعه مائة وخمسون من الترك فسأله عن الحكم وما ولي بخراسان فقال : ولي قرية يُقال لها الفارياب سبعون ألفاً خراجها فأسره الحرث بن سريج فعرك أذنه وأطلقه وقال: أنت أهون من أن أقتلك فلم يعزل هشام نصر بن سيار عن خراسان .

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار فرغانة غزوته الشاتية[2] فأوفد وفداً إلى العراق

---

(١) في الطبري « فلما أتى هشاماً كتابه بعث إلى دار الضيافة فوجد فيها مقاتل » .

(٢) في الطبري « غزوته الثانية » .

عليهم معن[١] بن أحمر النميري ثم إلى هشام فاجتاز بيوسف بن عمر وقال له : يا ابن أحمر أيغلبكم الأقطع على سلطانكم يا معشر قريش؟ قال: قد كان ذاك فأمره أن يعيبه عند هشام فقال: كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي ؟ فلم يزل به قال: فبم أعيبه ؟ أعيب تجربته أم طاعته أم يمن نقيبته أو سياسته قال: عبه بالكبر ، فلما دخل على هشام ذكر جند خراسان ونجدتهم وطاعتهم فقال: إلا أنهم ليس لهم قائد قال : ويحك فما فعل الكناني ؟ ـ يعني نصراً ـ قال : له بأس ، ورأي إلا أنه لا يعرف الرجل ولا يسمع صوته حتى يدني منه وما يكاد يفهم منه من الضعف لأجل كبره فقال شبيل بن عبد الرحمن المازني : كذب والله إنه ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه بل هو المجرب وقد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته ، فعلم هشام أن قول معن بوضع يوسف فلم يلتفت الى قوله ، فرجع معن الى يوسف فسأله أن يحول ابنه من خراسان ففعل ، فأرسل أحضر أهله وكان نصر لما قدم خراسان قد آثر فغزا وأعلى منزلته وشفعه في حوائجه[٢] فلما فعل هذا أجفى القيسية فحضروا عنده واعتذروا إليه[٣] ، وحج بالناس هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك، وكان العمال في الأمصار هم العمال في السنة التي قبلها ، وفيها مات محمد بن واسع الأزدي البصري ، وقيل : سنة سبع وعشرين ، وفيها توفي جعفر بن إياس ، وفيها مات ثابت البناني ، وقيل : سنة سبع وعشرين وله ست وثمانون سنة ، وفيها توفي سعيد بن أبي سعيد المقبري ـ واسم أبي سعيد كيسان ـ وقيل : مات سنة خمس وعشرين ، وقيل : ست وعشرين ، ومالك بن دينار الزاهد .

---

(١) في الطبري « مغراء » .

(٢) في الطبري فلما آثر نصر مغراء وسنىٰ منزلته وشفعه في حوائجه » .

(٣) في الطبري « فلما بلغ نصراً قول مغراء بعث هارون بن السيناوش الى الحكم بن نميلة وهو في السراجين يعرض الجند فأخذ برجله فسحبه عن طنفسة له وكسر لواءه على رأسه وضرب بطنفسته وجهه وقال : كذاك يفعل الله بأصحاب الغدر » .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني

قد اختلف الناس في أبي مسلم فقيل : كان حراً واسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار بن سدودس بن جودزده من ولد بزرجمهر ويكنى أبا اسحاق ولد بأصبهان ونشأ بالكوفة ، وكان أبوه أوصى إلى عيسى بن موسى السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين ، فلما اتصل بابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الامام قال له : غيِّر اسمك فإنه لا يتم لنا الأمر إلا بتغيير اسمك ـ على ما وجدته في الكتب ـ فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم ويكنى أبا مسلم ـ فمضى لشأنه وله ذؤابة وهو على حمار باكاف وله تسع عشرة سنة ، وزوجه إبراهيم الامام ابنة عمران بن إسماعيل الطائي ـ المعروف بابي النجم ـ وهي بخراسان مع أبيها فبنى بها أبو مسلم بخراسان ، وزوج أبو مسلم ابنته فاطمة من محرز بن إبراهيم ، وابنته الأخرى أسماء من فهم بن محرز فأعقبت أسماء ولم تعقب فاطمة ، وفاطمة هي التي تذكرها الخرمية ، ثم ان سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب توجهوا من خراسان يريدون مكة سنة أربع وعشرين ومائة ، فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد اتهِمَ بالدعاء إلى ولد العباس ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل العجليان ـ وهذا إدريس هو جد أبي دلف العجلي ـ وكان حبسهما يوسف بن عمر مع من حبس من عمال خالد القسري ومعهما أبو مسلم يخدمهما قد اتصل بهما فرأوا فيه العلامات فقالوا : لمن هذا الفتى ؟ فقالا : غلام معنا من السراجين يخدمنا ، وكان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى ، فلما رأوا ذلك منه دعوه إلى رأيهم فأجاب (وقيل) إنه من أهل ضياع بني معقل العجلية باصبهان أو غيرها من الجبل وكان اسمه إبراهيم ويلقب حيكان ، وإنما سماه عبد الرحمن وكناه أبا مسلم

إبراهيم الامام، وكان مع أبي موسى السراج صاحبه يخرز الأعنة ويعمل السروج، وله معرفة بصناعة الادم ،والسروج فكان يحملها الى اصبهان ، والجبال ، والجزيرة والموصل ، ونصيبين ، وآمد، وغيرها يتجر فيها ، وكان عاصم بن يونس العجلي ، وإدريس، وعيسى ابنا معقل محبوسين فكان أبو مسلم يخدمهم في الحبس بتلك العلامة ، فقدم سليمان بن كثير ، ولاهز، وقحطبة الكوفة فدخلوا على عاصم فرأوا أبا مسلم عنده فاعجبهم فأخذوه ؛ وكتب أبو موسى السراج معه كتاباً إلى إبراهيم الامام فلقوه بمكة فأخذ أبا مسلم فكان يخدمه، ثم إن هؤلاء النقباء قدموا على إبراهيم الإمام مرة أخرى يطلبون رجلاً يتوجه معهم إلى خراسان، فكان هذا نسب أبي مسلم على قول من يزعم أنه حر ، فلما تمكن وقوي أمره ادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس ، وكان من حديث سليط بن عبد الله بن عباس أنه كانت له جارية مولدة صفراء تخدمه فواقعها مرة ولم يطلب ولدها ثم تركها دهراً فاغتنمت ذلك فاستنكحت عبداً من عبيد المدينة فوقع عليها فحبلت وولدت غلاماً فحدها عبد الله بن عباس واستعبد ولدها وسماه سليطاً ، فنشأ جلداً ظريفاً يخدم ابن عباس ، وكان له من الوليد بن عبد الملك منزلة فادعى أنه ولد عبد الله بن عباس ووضعه على أمر الوليد لما كان في نفسه من علي بن عبد بن عباس وأمره بمخاصمة علي فخاصمه .

واحتال في شهود على إقرار عبد الله بن عباس بانه ابنه فشهدوا بذلك عند قاضي دمشق فتحامل القاضي اتباعاً لرأي الوليد فأثبت نسبه ، ثم إن سليطاً خاصم علي بن عبد الله في الميراث حتى لقي منه عليّ اذى شديداً وكان مع علي رجل من ولد ابي رافع مولى رسول الله ﷺ منقطعاً إليه يقال له : عمر الدن فقال لعلي يوماً : لأقتلن هذا الكلب وأريحك منه فنهاه علي عن ذلك وتهدده بالقطيعة ورفق على سليط حتى كف عنه ، ثم إن سليطاً دخل مع علي بستاناً له بظاهر دمشق فنام عليّ فجرى بين عمر الدن ، وسليط كلام فقتله عمر ودفنه في البستان وأعانه عليه مولى لعلي وهربا .

وكان لسليط صاحب قد عرف دخوله البستان ففقده فأتى أم سليط فأخبرها ، وفقد علي أيضاً عمر الدن ومولاه فسأل عنهما وعن سليط فلم يخبره أحد، وغدت أم سليط إلى باب الوليد فاستغاثت على علي فأتى الوليد من ذلك ما أحب ، فأحضر علياً وسأله عن سليط فحلف أنه لم يعرف خبره وأنه لم يأمر فيه بأمر ، فأمره بإحضار عمر الدن فحلف بالله أنه لم يعرف موضعه ، فأمر الوليد بإرسال الماء في أرض البستان فلما انتهى إلى

موضع الحفرة التي فيها سليط انخسفت وأخرج منها سليط، فأمر الوليد بعلي فضرب وأقيم في الشمس وألبس جبة صوف ليخبره خبر سليط ويدله على عمر الدن فلم يكن عنده علم ، ثم شفع فيه عباس بن زياد فأخرج إلى الحميمة ، وقيل : إلى الحجر فأقام به حتى هلك الوليد وولي سليمان فرده إلى دمشق ، وكان هذا مما عده المنصور على أبي مسلم حين قتله وقال له : زعمت انك ابن سليط ولم ترض حتى نسبت الى عبد الله غير ولده لقد ارتقيت مرتقى صعباً ، وكان سبب موجدة الوليد على علي بن عبد الله أن أباه عبد الملك بن مروان طلق امرأته أم ابنها ابنة عبد الله بن جعفر فتزوجها علي فتغير له عبد الملك وأطلق لسانه فيه وقال : إنما صلاته رياء وسمع الوليد ذلك من أبيه فبقي في نفسه، وقيل : ان أبا مسلم كان عبداً وكان سبب انتقاله الى بني العباس أن بكير بن ماهان كان كاتباً لبعض عمال السند فقدم الكوفة فاجتمع هو وشيعة بني العباس فغمز بهم فأخذوا فحبس بكير وخلي عن الباقين، وكان في الحبس يونس أبو عاصم ، وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير إلى رأيه فأجابوه فقال لعيسى بن معقل: ما هذا الغلام منك؟ قال: مملوك قال: أتبيعه؟ قال: هو لك قال: أحب أن تأخذ ثمنه قال : هو لك بما شئت فأعطاه أربعمائة درهم ، ثم خرجوا من السجن فبعث به بكير إلى إبراهيم الإمام فدفعه إبراهيم إلى أبي موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم سار متردداً الى خراسان. وقيل: انه كان لبعض أهل هراة أو بوشنج فقدم مولاه على ابراهيم الامام وأبو مسلم معه فأعجبه عقله فابتاعه منه وأعتقه ومكث عنده عدة سنين ، وكان يتردد بكتب إلى خراسان على حمار له ، ثم وجهه أميراً على شيعتهم بخراسان وكتب إلى من بها منهم بالسمع والطاعة ، وكتب إلى أبي سلمة الخلال داعيتهم ووزيرهم بالكوفة يعلمه أنه قد أرسل أبا مسلم ويأمره بانفاذه إلى خراسان، فسار إليها فنزل على سليمان بن كثير وكان من أمره ما نذكره سنة سبع وعشرين ومائة ان شاء الله تعالى ، وقد كان أبو مسلم رأى رؤيا قبل ذلك استدل بها على ملك خراسان فظهر أمرها ، فلما ورد نيسابور نزل بوناباذ وكانت عامرة فتحدث صاحب الخان الذي نزله أبو مسلم بذلك وقال : إن هذا يزعم أنه يلي خراسان فخرج أبو مسلم لبعض حاجته فعمد بعض المجان فقطع ذنب حماره ، فلما عاد قال لصاحب الخان : من فعل هذا بحماري؟ قال : لا أدري قال : ما اسم هذه المحلة ؟ قال بوناباذ قال : إن لم أصيرها كنداباذ فلست بأبي مسلم فلما ولي خراسان أخربها .

ذكر الحرب بين بلج وابني عبد الملك ووفاة بلج وولاية ثعلبة بن سلامة الاندلس

في هذه السنة كان بالاندلس حرب شديدة بين بلج ، وأمية ، وقطن ابني عبد الملك بن قطن ، وكان سببها انهما لما هربا من قرطبة كما ذكرناه فلما قتل أبوهما استنجدا بأهل البلاد والبربر فاجتمع معهما جمع كثير ، قيل : كانوا مائة الف مقاتل ، فسمع بهم بلج والذين معه فسار اليهم والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً وجرح بلج جراحات ثم ظفر بابني عبد الملك ، والبربر ، ومن معهم وقتل منهم فاكثر ، وعاد إلى قرطبة مظفراً منصوراً فبقي سبعة أيام ومات من الجراحات التي فيه ، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ، وكانت ولايته أحد عشر شهراً ، فلما مات قدم أصحابه عليهم ثعلبة بن سلامة العجلي لأن هشام بن عبد الملك عهد إليهم إن حدث ببلج وكلثوم حدث ، فالأمير ثعلبة فقام بالأمر ، وثارت في أيامه البربر بناحية ماردة فغزاهم فقتل فأكثر وأسر منهم ألف رجل وأتى بهم إلى قرطبة .

ذكر عدة حوادث

وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقي أليون ملك الروم فغنم ، وفيها مات محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ في قول بعضهم ـ ووصى إلى ابنه ابراهيم بالقيام بأمر الدعوة إليهم .

وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل ، وفيها مات محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وكان مولده سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة خمسين .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر وفاة هشام بن عبد الملك

وفيها مات هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وأحداً وعشرين يوماً، وقيل: وثمانية أشهر ونصفاً، وكان مرضه الذبحة وعمره خمس وخمسون سنة، وقيل: ست وخمسون سنة، فلما مات طلبوا قمقماً من بعض الخزان يسخن فيه الماء لغسله فما أعطاهم عياض كاتب الوليد على ما نذكره فاستعاروا قمقماً وصلى عليه ابنه مسلمة ودفن بالرصافة.

ذكر بعض سيرته

قال عقال بن شبة: دخلت على هشام وعليه قباء فنك[١] أخضر فوجهني إلى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر الى القباء ففطن فقال: ما لك؟ فقلت: رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء مثل هذا فجعلت أتأمل أهو هذا أم غيره فقال: هو والله ذاك وأما ما ترون من جمعي المال وصونه فهو لكم، قال: وكان[٢] محشواً عقلاً، وقيل: ضرب رجل نصراني غلاماً لمحمد بن هشام فشجّه فذهب خصي لمحمد فضرب النصراني وبلغ هشاماً الخبر وطلب الخصي فعاذ بمحمد فقال له محمد: ألم آمرك؟ فقال الخصي: بلى والله قد أمرتني فضرب هشام الخصي وشتم ابنه؛ قال عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس: جمعت دواوين بني أمية فلم أرَ ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام.

---

(١) الفنك ـ بالتحريك ـ دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها. وقيل: بلدة بسمرقند.

(٢) الضمير في ـ كان ـ راجع الى هشام.

وقيل : أُتِيَ هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال : اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ لما ضربه فقال: عليك بالصبر فقال: أتراني أبكي للضرب إنما أبكي لاحتقاره البربط إذ سماه طنبوراً، قال: وأغلظ رجل لهشام فقال له: ليس لك أن تغلظ لإمامك، قيل : وتفقد هشام بعض ولده فلم يحضر الجمعة فقال :ما منعك من الصلاة؟ قال : نفقت دابتي قال: أفعجزت عن المشي ؟ فمنعه الدابة سنة ، قيل : وكتب إليه بعض عماله قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة دراقن ، وكتب إليه قد وصل الدراقن فأعجب أمير المؤمنين فزد منه واستوثق من الدعاء ، وكتب إلى عامل له قد بعث بكماة قد وصلت الكماة ـ وهي أربعون ـ وقد نعم[1] بعضها من حشوها فإذا بعثت شيئاً فأجد حشوها في الطرق[2] بالرمل حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضاً ، وقيل له : أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان ؟ قال: ولم لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف؟ قيل : وكان هشام ينزل الرصافة ـ وهي من أعمال قنسرين ـ وكان الخلفاء قبله ، وأبناء الخلفاء يبتدرون[3] هرباً من الطاعون فينزلون البرية فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له : لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون ولم ير خليفة طعن قال: أتريدون أن تجربوا فيّ ؟ فنزلها ـ وهي مدينة رومية ـ قيل : إن الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري ـ وهو أمير العراق ـ وأمره بقتله فحبسه خالد ولم يقتله فبلغ الخبر هشاماً ، فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه فلما صلى العيد يوم الأضحى قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، فإنه يقول : ما كلم الله موسى ولا اتخذ ابراهيم خليلاً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل وذبحه، قيل : إن غيلان بن يونس ، وقيل : ابن مسلم أبا مروان أظهر القول بالقدر في أيام عمر بن عبد العزيز فأحضره عمر واستتابه فتاب ، ثم عاد إلى الكلام فيه أيام هشام فأحضره من ناصرة ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم أمر به وصلب ، قيل : وجاء محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الى هشام فقال : ليس لك عندي صلة ثم قال : إياك أن يغرك أحد فيقول : لم يعرفك أمير المؤمنين إني قد عرفتك أنت

---

(١) في الطبري « وقد تغير » .

(٢) في الطبري « في الظرف الذي تجعلها فيه بالرمل » .

(٣) في الطبري « ينتبذون » .

محمد بن زيد فلا تقيمن وتنفق ما معك فليس لك عندي صلة الحق بأهلك .

قال مجمع بن يعقوب الأنصاري : شتم هشام رجلاً من الاشراف فوبخه الرجل وقال : أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الأرض فاستحى منه وقال: اقتص مني قال: إذاً أنا سفيه مثلك قال: فخذ مني عوضاً من المال قال: ما كنت لأفعل قال: فهبها لله قال : هي لله ثم لك فنكس هشام رأسه واستحى وقال : والله لا أعود إلى مثلها أبداً .

ذكر بيعة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

قيل : وكانت بيعته لست مضين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وقد تقدم عقد أبيه ولاية العهد له بعد أخيه هشام بن عبد الملك ، وكان الوليد حين جعل ولي عهد بعد هشام ابن إحدى عشرة سنة ثم عاش من بعد ذلك فبلغ الوليد خمس عشرة سنة فكان يزيد يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك ، فلما ولي هشام أكرم الوليد بن يـزيد حتى ظهـر من الوليـد مجون وشـرب الشراب ، وكـان يحمله على ذلك عبـد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه ، واتخذ له ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ست عشرة[1] ومائة فحمل معه كلاباً في صناديق وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه الخمر وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر فخوفه أصحابه وقالوا: لا نأمن من الناس عليك وعلينا معك فلم يفعل، وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف فطمع هشام في البيعة لابنه مسلمة وخلع الوليد، وأراد الوليد على ذلك فأبى فقال له:اجعله فأبى فتنكر له هشام وأضر به وعمل سراً في البيعة لابنه مسلمة فأجابه قوم ، وكان ممن أجابه خالاه محمد، وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل ، وبنو القعقاع بن خليد العبسي ، وغيرهم من خاصته ، فأفرط الوليد في الشراب وطلب اللذات فقال له هشام : ويحك يا وليد والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير منحاش ولا مستتر به فكتب إليه الوليد:

يـا أيُّهـا السـائـلُ عن ديننـا ... نحن عـلى دين أبـي شـاكـرِ
نَشْـرَبُهـا صِـرْفـاً وممـزوجـةً ... بـالسخْنِ أحيـانـاً وبـالفـاتـرِ

---

(١) في الطبري تسع عشرة.

فغضب هشام على إبنه مسلمة ـ وكان يكنى ابا شاكر ـ وقال له : يعيرني الوليد بك وأنا أرشحك للخلافة فألزمه الأدب وأحضره الجماعة وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة فأظهر النسك واللين ، ثم انه قسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر
الواهِب الجُرْدَ بأرسالها[1] ... ليس بِزنديقٍ ولا كافِرِ

يعرض بالوليد، وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه ويقصر به فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق على ماء له بالأردن[2] وخلف كاتبه عياض بل مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه وكاتبه الوليد فلم يجبه إلى رده ، وأمره باخراج عبد الصمد من عنده فأخرجه ، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه فضرب هشام ابن سهيل وسيره ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه وحبسه فقال الوليد : من يثق بالناس ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤوم قدمه أبي على أهل بيته وميزه ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون لا يعلم أن لي في أحد هوى إلا عبث به ، وكتب إلى هشام في ذلك يعاتبه ويسأله أن يرد عليه كاتبه فلم يرده فكتب إليه الوليد :

رأيتُكَ تَبْني دائماً[3] في قطيعتي ... ولو كنتَ ذا حزم[4] لَهَدَّمت ما تَبْني
تُثيرُ على الباقينَ مَجْنى ضَغينةٍ ... فويلٌ لَهُم إن متَّ من شَرّ ما تَجني
كأني بِهِم والليْتَ أفضَلُ قولِهِمْ ... ألا لَيْتَنا واللَّيْت إذ ذاك لا يُغني
كفرتَ يداً من مُنعمٍ لو شَكرتَها ... جَزاكَ بها الرحمنُ ذو الفضلِ والمَنِّ

فلم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام ، فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة قال لأبي الزبير المنذر بن أبي عمرو : مابت على ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت لي هموم وحدثت نفسي فيها بأمور هذا

(١) في الطبري « بأرسانها » .
(٢) في الطبري « على ماء يقال له الأغدف » .
(٣) في الطبري « جاهداً » .
(٤) في الطبري « ذا أرب » .

الرجل - يعني هشاماً - قد أولع بي فاركب بنا نتنفس فركبا وسارا ميلين ووقف على كثيب فنظر إلى رهج فقال : هؤلاء رسل هشام فسأل الله من خيرهم ، فبينما هما كذلك إذ بدا رجلان على البريد ، أحدهما مولى لأبي محمد السفياني ، والآخر جردبة فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم ثم قال : أمات هشام ؟ قالا : نعم والكتاب معنا من سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأه ، وسأل مولى أبي محمد السفياني عن كاتبه عياض فقال : لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام الموت ، فأرسل إلى الخزان وقال : احتفظوا ما في أيديكم فأفاق هشام فطلب شيئاً فمنعوه فقال : إنّا لله كنا خزاناً للوليد ومات من ساعته، وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن وأنزل هشاماً من فرشه وما وجدوا له قمقماً يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفناً من الخزائن فكفنه غالب مولاه فقال :

هلك الأحول المشـ ... ـوم وقد أرسل المطر
وملكنا من بعد ذا ... ك فقد أورق الشجر
فاشكر الله انه ... زائد كل من شكر

وقيل : إن هذا الشعر لغير الوليد ، فلما سمع الوليد موته كتب إلى العباس بن عبد الملك بن مروان أن يأتي الرصافة فيحمي[1] ما فيها من أموال هشام وولده وعياله وحشمه إلا مسلمة بن هشام فإنه كلم أباه في الرفق بالوليد، فقدم العباس الرصافة ففعل ما كتب به الوليد إليه وكتب به إلى الوليد فقال الوليد :

ليت هشاماً كان[2] حياً يَرَى ... مِحْلَبَه الأوفرَ قد اترعا
ليت هشاماً عاش حتى يرى ... مِكيالَهُ الأوفر قد طُبِعا
كِلناهُ بالصاع الذي كاله ... وما ظَلَمْنَاهُ به أصْبَعَا
وما ألفنا[3] ذاك عن بِدعَةٍ ... أحَلّهُ الفُرقانُ لي أجْمَعَا

وضيق على أهل الشام وأصحابه فجاء خادم لهشام فوقف عند قبره وبكى وقال :

---

(١) في الطبري «فيحصي».
(٢) في الطبري : « عاش ».
(٣) في الطبري : « وما أتينا ».

يا أمير المؤمنين لو رأيت ما يصنع بنا الوليد فقال بعض من هناك : لو رأيت ما صنع بهشام لعلمت أنك في نعمة لا تقوم بشكرها إن هشاماً في شغل مما هو فيه عنكم ، واستعمل الوليد العمال وكتب إلى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم ، وكتب إليه مروان بن محمد ببيعته واستأذنه في القدوم عليه فلما ولي الوليد أجرى على زمني أهل الشام وعميهم وكساهم وأمر لكل انسان منهم بخادم ، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم ، وزاد الناس في العطاء عشرات ثم زاد أهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ولم يسأل في شيء إلا وقال :

ضَمِنتُ لكم إن لمْ يَعُقْني عائقٌ[1] ... بأن سماء الضرِّ عنكم ستقلعُ
سَيُوشِكُ إلحاقٌ معاً وزيادةٌ ... وأعطيةٌ منّي عليكُم تَبَرعُ
فيجمعكم ديوانُكم[2] وعطاؤكم ... به تكتُبُ الكتابُ شهراً وتَطبعُ

قال حلم الوادي المغني : كنا مع الوليد وأتاه خبر موت هشام وهُنىء بولاية الخلافة وأتاه القضيب والخاتم ثم قال : فامسكنا ساعة ونظرنا إليه بعين الخلافة فقال : غنوني :

طابَ يَوْمي ولذَّ شربُ السلافه ... وأتانا نعيُ من بالرصافه
وأتانا البريدُ يَنْعَىٰ هشاماً ... وأتانا بخاتمٍ للخلافه
فاصطبحنا من خمر عانة صرفاً ... ولهونا بقينةٍ عرافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغني في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغني إلى الليل ، ثم ان الوليد هذه السنة عقد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما وليي عهده أحدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدماً وكتب بذلك إلى الأمصار العراق وخراسان .

ذكر ولاية نصر بن سيار خراسان للوليد

في هذه السنة ولّى الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصراً وعماله فرد إليه الوليد ولاية خراسان،

---

(١) في الطبري : « إن لم تعقني عوائق » .

(٢) في الطبري : « محرّمكم وديوانكم » .

وكتب يوسف إلى نصر يأمره بالقدوم ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والأموال وأن يقدم معه بعياله أجمعين ، وكتب الوليد إلى نصر يأمره أن يتخذ له برابط ، وطنابير ، وأباريق ذهب ، وفضة وأن يجمع له كل صناجة بخراسان ، وكل بازى ، وبرذون فاره ثم يسير بكل ذلك بنفسه في وجوه أهل خراسان ، وكان المنجمون قد أخبروا نصراً بفتنة تكون ، وألح يوسف على نصر بالقدوم وأرسل إليه رسولاً في ذلك وأمره أن يستحثه أو ينادي في الناس أنه قد خلع فأرضى نصر الرسول وأجازه فلم يمض لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة فتحول إلى قصره بماجان ، واستخلف عصمة بن عبدالله الأسدي على خراسان ، وموسى بن ورقاء بالشاش ، وحسان من أهل الصغانيان بسمرقند ، ومقاتل بن علي السعدي[1] بآمل ، وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستجلبوا الترك ليعبروا على ما وراء النهر ليرجع إليهم وسار إلى العراق ، فبينا هو يسير إلى العراق طرقه مولى لبني ليث وأعلمه بقتل الوليد ، فلما أصبح أذن للناس وأحضر رسل الوليد وقال لهم : قد كان من مسيري ما علمتم وبعثي بالهدايا ما رأيتم ـ وكان قد قدم الهدايا فبلغت بيهق ـ وطرقني فلان ليلاً فأخبرني أن الوليد قد قتل ووقعت الفتنة بالشام وقدم منصور بن جمهور العراق وهرب يوسف بن عمر ونحن بالبلاد التي قد علمتم حالها وكثرة عدونا ، فقال سالم بن أحوز[2] أيها الأمير انه بعض مكايد قريش أرادوا تهجين طاعتك فسر ولا تمتحنا فقال : يا سالم أنت رجل لك علم بالحرب وحسن طاعة لبني أمية فأما مثل هذه الأمور فرأيك فيها رأي أمية[3] ورجع بالناس .

ذكر قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين

في هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بخراسان ، وسبب قتله أنه سار بعد قتل أبيه إلى خراسان كما سبق ذكره فأتى بلخ فأقام بها عند الحريش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام وولي الوليد بن يزيد ، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بمسير يحيى بن زيد وبمنزله عند الحريش وقال له : خذه أشد الأخذ ، فأخذ نصر الحريش فطالبه بيحيى فقال : لا علم لي به فأمر به فجلد ستمائة

---

(١) في الطبري « السُّغدي » بالغين المعجمة.

(٢) في الطبري « سلم بن أحوز ».

(٣) في الطبري « رأي أمة هتماء ».

سوط ، فقال الحريش : والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، فلما رأى ذلك قريش بن الحريش قال : لا تقتل أبي وأنا أدلك على يحيى ، فدله عليه فأخذه نصر وكتب إلى الوليد يخبره ، فكتب الوليد يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأمر له بألفي درهم فسار إلى سرخس فأقام بها ، فكتب نصر إلى عبدالله بن قيس بن عباد يأمره أن يسيره عنها فسيره عنها ، فسار حتى انتهى إلى بيهق وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فعاد إلى نيسابور ـ وبها عمرو بن زرارة ـ وكان مع يحيى سبعون رجلاً فرأى يحيى تجاراً فأخذ هو وأصحابه دوابهم وقالوا : علينا أثمانها ، فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر يخبره ، فكتب نصر يأمره بمحاربته ، فقاتله عمرو وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلاً فهزمهم يحيى وقتل عمراً وأصاب دواب كثيرة ، وسار حتى مر بهراة فلم يعرض لمن بها وسار عنها ؛ وسرح نصر بن سيار سالم بن أحوز في طلب يحيى فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالاً شديداً فرُمي يحيى بسهم فأصاب جبهته رماه رجل من عنزة يقال له : عيسى فقتل أصحاب يحيى عن آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمر خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جذعه ـ يعني زيداً ـ وأحرقه بالنار ثم انسفه باليم نسفاً ، فأمر يوسف به فأحرق ثم رضه وحمله في سفينة ثم ذراه في الفرات ، وأما يحيى فإنه لما قتل صلب بالجوزجان فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه في خراسان ، وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى فمن كان حياً قتله ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء ، وكانت أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية . (عُبَاد) بضم العين وفتح الباء الموحدة المخففة .

ذكر ولاية حنظلة افريقية وأبي الخطار الأندلس

في هذه السنة قدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الأندلس أميراً في رجب ، وكان أبو الخطار لما تتابع ولاة الأندلس من قيس قد قال شعراً وعرض فيه بيوم مرج راهط وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم وقيام القيسيين مع الضحاك بن قيس الفهري على مروان ، ومن الشعر :

أقادت بنو مروان قيساً دماءنا وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل

كــأنــكم لــم تــشــهــدوا مـــرج راهط ولم تعلمـوا من كـان ثم لـــه الفضــل
وقينـــاكــم حـــر الـقـنـــا بـنـحـــورنـــا ولـيس لكـم خيــل تـعــد ولا رجــل

فلما بلغ شعره هشام بن عبد الملك سأل عنه فأعلم أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد استعمل على افريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة أربع وعشرين ومائة ، فكتب إليه هشام أن يولي أبا الخطار الأندلس فولاه وسيَّره إليها ، فدخل قرطبة يوم جمعة فرأى ثعلبة بن سلامة أميرها قد أحضر الأسارى الألف من البربر الذين تقدم ذكر أسرهم ليقتلهم ، فلما دخل أبو الخطار دفع الأسرى إليه فكانت ولايته سبباً لحياتهم ، وكان أهل الشام الذين بالأندلس قد أرادوا الخروج مع ثعلبة بن سلامة إلى الشام فلم يزل أبو الخطار يحسن إليهم ويستميلهم حتى أقاموا فانزل كل قوم على شبه منازلهم بالشام ، فلما رأوا بلداً يشبه بلدانهم أقاموا ، وقيل : إنه إنما فرقهم في البلاد لأن قرطبة ضاقت عليهم ففرقهم ، وقد ذكرنا بعض أخباره سنة تسع وثلاثين ومائة .

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة وجه الوليد بن يزيد خاله يـوسف بن محمد بن يـوسف الثقفي والياً على المدينة ومكة ، والطائف، ودفع إليه محمداً وابراهيم ابني هشام بن اسماعيل المخزومي موثوقين في عباءتين فقدم بهما المدينة في شعبان فأقامهما للناس ثم حُملا إلى الشام فأُحضرا عند الوليد فأمر بجلدهما ، فقال محمد : أسألك بالقرابة قال : وأي قرابة بيننا ؟ قال : فقد نهى رسول الله ﷺ بضرب بسوط إلا في حد قال : ففي حد أضربك وقود أنت أول من فعل بالعرجي - وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان - ، وكان محمد قد أخذه وقيده وأقامه للناس وجلده وسجنه إلى أن مات بعد تسع سنين لهجاء العرجي إياه ، ثم أمر به الوليد فجلد هو وأخوه ابراهيم ثم أوثقهما حديداً وأمر أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر وهو على العراق ، فلما قدم بهما عليه عذبهما حتى ماتا .

وفي هذه السنة عزل الوليد سعد بن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاه يحيى بن سعيد الأنصاري، وفيها خرجت الروم إلى زبطرة[1] وهـو حصن قديم - كـان افتتحه

---

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه وسكون الطاء المهملة وراء مهملة .

حبيب بن مسلمة الفهري فأخربته الروم الآن فبُنِيَ بناء غير محكم فعاد الروم وأخربوه أيام مروان بن محمد الحمار ، ثم بناه الرشيد وشحنه بالرجال فلما كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه فأمر المأمون بمرمته وتحصينه ، ثم قصده الروم أيام المعتصم على ما نذكره ان شاء الله تعالى ، فإنما سقت خبره ههنا لأني لم أعلم تواريخ حوادثه .

وفيها غزا الوليد أخاه الغمر بن يزيد وأمر على جيوش البحر الأسود بن بلال المحاذي وسيره إلى قبرص ليخير أهلها بين المسير إلى الشام أو إلى الروم فاختارت طائفة جوار المسلمين فسيرهم إلى الشام واختار آخرون الروم فسيرهم إليهم . وفيها قدم سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا ـ في قول بعض أهل السير ـ محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه فقال : أحر هو أم عبد؟ قالوا : أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنه حر قال : فاشتروه وأعتقوه وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم : ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدث فصاحبكم ابني ابراهيم فإني أثق به وأوصيكم به خيراً فرجعوا من عنده ، وقال بعضهم : في هذه السنة توفي محمد بن علي بن عبدالله بن عباس في شهر ذي القعدة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وكان بين موته وموت أبيه سبع سنين .

وحج بالناس هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف ، وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .

وفي هذه السنة مات أبو حازم الأعرج ، وقيل : سنة أربعين ، وقيل : سنة أربع وأربعين ومائة .

وفي آخر أيام هشام بن عبد الملك توفي سماك بن حرب .

وفي هذه السنة توفي القاسم بن أبي بزة ـ واسم أبي بزة يسار وهو من المشهورين بالقراءة ـ واشعث بن أبي الشعثاء سليم بن أسود المحاربي ، وسيد بن أبي أنيسة الحزري مولى بني كلاب؛ وقيل : مولى يزيد بن الخطاب ، وقيل : مولى غني وكان عمره ستاً وأربعين سنة وكان فقيهاً عابداً وكان له أخ اسمه يحيى كان ضعيفاً في الحديث، وفي أيام هشام مات العرجي الشاعر في حبس محمد بن هشام المخزومي

عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ، ومكة ، وكان سبب حبسه أنه هجاه فتتبعه حتى بلغه أنه أخذ مولى له فضربه وقتله وأمر عبيده أن يطؤوا امرأة المولى المقتول فأخذه محمد فضربه وأقامه للناس وحبسه تسع سنين فمات في السجن (العَرْجي) بفتح العين المهملة وسكون الراء وآخره جيم ، وكان عمال الأمصار من تقدم ذكرهم .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر قتل خالد بن عبدالله القسري

في هذه السنة قتل خالد بن عبدالله ، وقد تقدم ذكر عزله عن العراق ، وخراسان ، وكان عمله خمس عشرة سنة فيما قيل ، ولما عزله هشام قدم عليه يوسف بن عمر واسط فحبسه بها ، ثم سار يوسف إلى الحيرة وأخذ خالداً فحبسه بها تمام ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسماعيل ، وابنه يزيد بن خالد ، وابن أخيه المنذر بن أسد ، استأذن يوسف هشاماً في تعذيبه فأذن له مرة واحدة وأقسم لئن هلك ليقتلنّه فعذبه يوسف ثم رده إلى حبسه ، وقيل : بل عذبه عذاباً كثيراً ، وكتب هشام إلى يوسف يأمره بإطلاقه في شوال سنة إحدى وعشرين فأطلقه فسار فأتى القرية التي بإزاء الرصافة فأقام بها إلى صفر سنة اثنتين وعشرين وخرج زيد فقتل ، فكتب يوسف بن عمر إن بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً فكانت همة أحدهم قوت عياله فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فتاقت أنفسهم إلى الخلافة وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، فقال هشام : كذب يوسف وضرب رسوله وقال : لسنا نتهم خالداً في طاعة ، وسمع خالد فسار حتى نزل دمشق وسار إلى الصائفة ، وكان على دمشق يومئذ كلثوم بن عياض القشيري ـ وكان يبغض خالداً ـ فظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يفعله رجل من أهل العراق يقال له : ابن العمرس فإذا وقع الحريق يسرقون ، وكان أولاد خالد وإخوته بالساحل لحدث كان من الروم ، فكتب كلثوم إلى هشام يخبره أن موالي خالد يريدون الوثوب على بيت المال وأنهم يحرقون البلد كل ليلة لهذا الفعل ، فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد الصغير منهم والكبير وهو إليهم فأنفذوا وأحضر أولاد خالد ، واخوته من الساحل في الجوامع ومعهم مواليهم وحبس بنات خالد والنساء والصبيان ، ثم ظهر علي ابن العمرس ومن كان معه فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج إلى هشام يخبره

بأخذ ابن العمرس وأصحابه بأسمائهم وقبائلهم ولم يذكر فيهم أحداً من موالي خالد. فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويأمره باطلاق آل خالد فأطلقهم وترك الموالي رجاء أن يشفع فيهم خالداً إذا قدم من الصائفة ، ثم قدم خالد فنزل منزله في دمشق فأذن للناس فقام بناته يحتجبن فقال : لا تحتجبن فإن هشاماً كل يوم يسوقكن إلى الحبس ، فدخل الناس فقام أولاده يسترون النساء فقال خالد : خرجت غازياً سامعاً مطيعاً فخلفت في عقبي وأخذ حرمي وأهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين فما منع عصابة منكم أن تقولوا : عَلامَ حبس حرم هـذا السامـع المطيـع ؟ أخفتم أن تقتلوا جميعاً ؟ أخافكم الله ، ثم قـال : مالي ولهشـام ليكفن عني أو لأدعون إلى عـراقي الهوى ، شامي الدار ، حجازي الأصل ـ يعني محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ـ وقد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً ، فلما بلغه قال : قد خرف أبو الهيثم ، وتتابعت كتب يوسف بن عمر إلى هشام يطلب منه يزيد بن خالد بن عبد الله ، فأرسل هشام إلى كلثوم يأمره بإنفاذ يزيد بن خالد بن عبدالله إلى يوسف بن عمر فطلبه فهرب فاستدعى خالداً فحضر عنده فحبسه فسمع هشام فكتب إلى كلثوم يلومه ويأمره بتخليته فأطلقه، وكان هشام إذا أراد أمراً أمر الأبرش الكلبي فكتب به إلى خالد ، فكتب إليه الأبرش أنه بلغ أمير المؤمنين أن رجلاً قال لك : يا خالد إني لأحبك لعشر خصال : إن الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم حتى عد عشراً وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق ذلك عنده ليقتلنَّك ، فكتب إليه خالد أن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان فيه إنما قال لي : يا خالد إني لأحبك لعشر خصال إن الله كريم يحب كل كريم والله يحبك فأنا أحبك حتى عد عشر خصال ، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحميـري إلى أمير المؤمنين وقوله : يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك في حاجتك ؟ فقال : بل خليفتي في أهلي فقال ابن شقي : فأنت خليفة الله ومحمد رسوله ، وضلال رجل من بجيلة ـ يعني نفسه ـ أهون على العامة من ضلال أمير المؤمنين ، فلما قرأ هشام كتابه قال : خرف أبو الهيثم ، فأقام خالد بدمشق حتى هلك هشام وقام الوليد ، فكتب إليه الوليد ما حال الخمسين ألف ألف التي تعلم ؟ فاقدم على أمير المؤمنين فقدم عليـه فأرسل إليه الوليد ـ وهو واقف بباب السرداق ـ فقال : يقول أميـر المؤمنين أين ابنك يزيد؟ فقال كان هرب من هشام وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فلما لم نره

ظنناه ببلاد قومه من السراة .

ورجع الرسول وقال: لا ولكنك خلفته طالباً للفتنة فقال: قد علم أمير المؤمنين أنّا أهل بيت طاعة ، فرجع الرسول فقال : يقول لك أمير المؤمنين : لتأتين به أو لأزهقنّ نفسك ، فرفع خالد صوته وقال : قل له : هذا أردت والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فأمر الوليد بضربه فضرب فلم يتكلم فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف، فأرسل الوليد إلى خالد أن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف فإن كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه ، فقال خالد : ما عهدت العرب تباع والله لو سألتني أن أضمن عوداً ما ضمنته فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه وألبسه عباءة وحمله في محمل بغير وطاء وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه كلمة ، ثم حمله إلى الكوفة فعذبه ثم وضع المضرسة على صدره فقتله من الليل ودفنه من وقته بالحيرة في عباءته التي كان فيها وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ، وقيل : بل أمر يوسف فوضع على رجليه عود وقام عليه الرجال حتى تكسرت قدماه وما تكلم ولا عبس ، وكانت أم خالد نصرانية رومية ابتنى بها أبوه في بعض أعيادهم فأولدها خالداً ، وأسداً ولم تسلم ، وبنى لها خالد بيعة فذمه الناس والشعراء ، فمن ذلك قول الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت امه ... تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لأمه ... ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد لأنه بلغه أن شاعراً قال :

ليتني في المؤذنين حياتي ... انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير إليهم ... بالهوى كل ذات دل مليح

فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها، ولما بلغه أن الناس يذمونه لبنائه البيعة لأمه قام يعتذر إليهم فقال : لعن الله دينهم إن كان شراً من دينكم ، وكان يقول : إن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته ـ يعني أن الخليفة هشاماً أفضل من رسول الله ﷺ ـ نبرأ إلى الله من هذه المقالة .

ذكر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك

في هذه السنة قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي يقال لـه : الناقص في جُمادى الآخرة ، وكان سبب قتله ما تقدم ذكره من خلاعته ومجانته ، فلما ولي الخلافة لم يزد من الذي كان فيه من اللهو، واللذة ، والركوب للصيد ، وشرب النبيذ ، ومنادمة الفساق إلا تمادياً فثقل ذلك على رعيته ، وجنده وكرهوا أمره ، وكان أعظمه ما جنى على نفسه افساده بني عميه هشام ، والوليد فإنه أخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان من أرض الشام فحبسه بها فلم يزل محبوساً حتى قتل الوليد ، وأخذ جارية كانت لآل الوليد فكلمه عثمان بن الوليد[1] في ردها فقال : لا أردها فقال : إذن تكثر الصواهل حول عسكرك ، وحبس الأفقم يزيد بن هشام ، وفرق بين روح بن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدة من ولـد الوليد فرماه بنو هاشم ، وبنـو الوليد بالكفر ، وغشيان أمهات أولاد أبيه وقالوا : قد اتخذ مائة جامعة لبني أمية ، وكان أشدهم فيه يزيد بن الوليد وكان الناس إلى قوله أميل لأنه كان يظهر النسك ويتواضع ، وكان قد نهاه سعيد بن بيهس بن صهيب عن البيعة لابنيه الحكم ، وعثمان لصغرهما فحبسه حتى مات في الحبس ، وأراد خالد بن عبدالله القسري على البيعة لابنيه فأبى فغضب عليه فقيل له : لا تخالف أمير المؤمنين فقال : كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته ؟ قالوا : فتقبل شهادة الوليد مع فسقه قال : أمير المؤمنين غائب عني وإنما هي أخبار الناس ، ففسدت اليمانية عليه وفسدت عليه قضاعة وهم واليمن أكثر جند أهل الشام ، فـأتى حريث ، وشبيب بن أبي مـالك الغسـاني ، ومنصور بن جمهـور الكلبي ، وابن عمه حيال بن عمرو ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وحميد بن منصور اللخمي[2] ، والاصبغ بن ذؤالة ، والطفيل بن حـارثة ، والسـري زياد إلى خـالد بن عبدالله القسري فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم .

وأراد الوليد الحج فخاف خالد أن يقتلوه في الطريق فنهاه عن الحج فقال : ولم ؟ فأخبره فحبسه وأمر أن يطالب بأموال العراق ، ثم استقدم يوسف بن عمر من العراق وطلب منه أن يحضر معه الأموال وأراد عزله وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن

---

(١) في الطبري « عمر بن الوليد »

(٢) في الطبري « وحميد بن نصر اللخمي » .

يوسف فقدم يوسف بأموال لم يحمل من العراق مثلها فلقيه حسان النبطي فأخبره أن الوليد يريد أن يولي عبد الملك بن محمد وأشار عليه أن يحمل الرشاء إلى وزرائه ففرق فيهم خمسمائة ألف، وقال له حسان: اكتب على لسان خليفتك بالعراق كتاباً إني كتبت إليك ولا أملك إلا القصر وادخل على الوليد والكتاب معك مختوماً واشتر منه خالداً ففعل ، فأمره الوليد بالعود إلى العراق ، واشترى منه خالداً القسري بخمسين ألف ألف فدفعه إليه فأخذه معه في محمل بغير وطاء إلى العراق ، فقال بعض أهل اليمن شعراً على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية ، وقيل : إنها للوليد يوبخ اليمن على ترك نصر خالد :

ألم تهتج فتذكر الوصالا ... وحبلا كان متصلاً فزالا[1]
بلى فالدمع منك إلى انسجام[2] ... كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادكارك آل سعدى ... فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً ... نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الأشعري بعز قيس ... فيا لك وطأة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسير ... ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً ... جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز ... لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً ... يعالج[3] من سلاسلنا الثقالا
وكندة والسكون فما استقاموا[4] ... ولا برحت خيولهم الرحالا
بها سمنا البرية كل خسف ... وهدمنا السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم ... وجدتهم وردتهم شلالا
فما زالوا لنا بلداً[5] عبيداً ... نسومهم المذلة والسفالا
فأصبحت الغداة عليّ تاج ... لملك الناس ما يبغي انتقالا

---

(١) في الأصل « غزالا »
(٢) في الطبري : « وله سجام » .
(٣) وفي رواية « يسامر ».
(٤) في الطبري « فما استقالوا ».
(٥) في الطبري « ابدا »

فعظم ذلك عليهم وسعوا في قتله وازدادوا حنقاً، وقال حمزة بن بيض في الوليد :

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا ستقلع
فليت هشاماً كان حياً يسومنا[1] وكنا كما كنا نرجى ونطمع

وقال أيضاً :

يا وليد الخنى تركت الطريقا واضحاً وارتكبت فجاً عميقا
وتماديت واعتديت وأسرفـ ـت وأغويت وانبعثت فسوقا
أبداً هات ثم هات وهاتي ثم هاتي حتى تخر صعيقا
أنت سكران ما تفيق فما تر تق فتقا وقد فتقت فتوقا

فأتت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة فشاور عمر بن يزيد الحكمي فقال له : لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس فإن بايعك لم يخالفك أحد وإن أبى كان الناس له أطوع ، فإن أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أن أخاك العباس قد بايعك ، وكان الشام وبيئاً فخرجوا إلى البوادي ، وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية أيضاً بينهما أميال يسيرة فأتى يزيد أخاه العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك فرجع وبايع الناس سراً وبث دعاته فدعوا الناس ، ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه إلى نفسه فزجره وقال : إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقاً وأحملنك إلى أمير المؤمنين ، فخرج من عنده فقال العباس : إني لأظنه أشأم مولود في بني مروان ، وبلغ الخبر مروان بن محمد بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج الأمر عنهم ؛ فأعظم سعيد ذلك وبعث الكتاب إلى العباس بن الوليد ، فاستدعى العباس يزيد وتهدده فكتمه يزيد أمره فصدقه ، وقال العباس لأخيه بشر بن الوليد : إني أظن أن الله قد أذن في هلاككم يا بني مروان ، ثم تمثل :

إني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

---

[1] في الطبري « يسوسنا ».

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فثم لا حسرة تغني ولا جزع

فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبد أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متنكراً في سبعة نفر على حمير فنزلوا بجرود على مرحلة من دمشق ، ثم سار فدخل دمشق وقد بايع له أكثر أهلها سراً وبايع أهل المزة[١] وكان على دمشق عبد الملك محمد بن الحجاج فخاف الوباء فخرج منها فنزل قطناً واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي ، فأجمع يزيد على الظهور ، فقيل للعامل : إن يزيد خارج فلم يصدق ، وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجمعة فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذن العشاء فدخلوا فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس منه بالليل ، فلما صلى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذ بيده فقال : قم يا أمير المؤمنين وابشر بنصر الله وعونه ، فقام وأقبل في اثني عشر رجلاً ، فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ولقيهم زهاء مائتي رجل فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأخذوا باب المقصورة فضربوه فقالوا : رسل الوليد ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا فأخذوا أبا العاج - وهو سكران - وأخذوا خزائن[٢] بيت المال ، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ ، وقبض محمد بن عبيدة وهو على بعلبك ، وأرسل بني عذر إلى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذوه ، وكان بالمسجد سلاح كثير فأخذوه ، فلما أصبحوا جاء أهل المزة وتتابع الناس وجاءت السكاسك وأقبل أهل داريا ، ويعقوب بن محمد بن هانيء العبسي[٣] ، وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دومة ، وحرستا ، وأقبل حميد بن حبيب النخعي[٤] في أهل دير مران ، والأرزة ، وسطرا ، وأقبل أهل جرش ، وأهل الحديثة ، ودير زكا ، وأقبل ربعي بن هاشم الحارثي في الجماعة من بني عزة[٥]

---

(١) بكسر أوله وتشديد ثانيه قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق قريبة من دمشق .
(٢) في الطبري « وأخذوا خزان ».
(٣) في الطبري « يعقوب بن عمير بن هانيء العبسي ».
(٤) في الطبري « اللخمي ».
(٥) في الطبري « من بني عذرة » .

وسلامان، وأقبلت جهينة ومن والاهم.

ثم وجه يزيد بن الوليد بن عبد الملك عبد الرحمن بن مصادف في مائتي فارس ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف من قصره فأخذوه بأمان؛ وأصاب عبد الرحمن خرجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار فقيل له: خذ أحد هذين الخرجين فقال: لا تتحدث العرب عني أني أول من خان في هذا الأمر، ثم جهز يزيد جيشاً وسيرهم إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، وكان يزيد لما ظهر بدمشق سار مولى للوليد إليه فأعلمه الخبر وهو بالأغدف من عمان فضربه الوليد وحبسه، وسيَّر أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق فسار بعض الطريق فأقام، فأرسل إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصادف فسأله أبو محمد ثم بايع ليزيد بن الوليد، ولما أتى الخبر إلى الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية: سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة ووجه الخيول إلى يزيد فيقتل أو يؤسر، فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص: ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل والله يؤيد أمير المؤمنين وينصره، فقال يزيد بن خالد: وما نخاف على حرمه وإنما أتاه عبد العزيز وهو ابن عمهن، فأخذ بقول ابن عنبسة وسار حتى أتى البخراء قصر النعمان بن بشير ـ وسار معه من ولد الضحاك بن قيس أربعون رجلاً فقالوا له: ليس لنا سلاح فلو أمرت لنا بسلاح فما أعطاهم شيئاً ونازله عبد العزيز.

وكتب العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الوليد إني آتيك، فقال الوليد: أخرجوا سريراً فأخرجوه فجلس عليه وانتظر العباس فقاتلهم عبد العزيز ومعه منصور بن جمهور، فبعث إليهم عبد العزيز زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه فقتله أصحاب الوليد واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الوليد قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذي كان عقده بالجابية، وبلغ عبد العزيز مسير العباس إلى الوليد فأرسل منصور بن جمهور الى طريقه فأخذه قهراً واتى به عبد العزيز فقال له: بايع لأخيك يزيد فبايع ووقف، ونصبوا راية وقالوا: هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد فقال

العباس : انا لله خدعة من خدع الشيطان هلك بنو مروان ، فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس ، وعبد العزيز ، وأرسل الوليد إلى عبد العزيز يبذل له خمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي ويؤمنه من كل حدث على أن ينصرف عن قتاله فأبى ولم يجبه ، فظاهر الوليد بين درعين وأتوه بفرسيه السندي والراية فقاتلهم قتالاً شديداً ، فناداهم رجل اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارجموه بالحجارة ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب وقال :

دعـوا لي سلمى والطلاء وقينـة ... وكـأسـاً ألا حسبي بـذلـك مـالا
إذا مـا صفـا عيشي بـرملة عـالـج ... وعـانقت سلمى مـا أريـد بـدالا
خـذوا ملككم لا ثبّت الله ملككم ... ثبـاتـاً يسـاوي مـا حييت عقـالا
وخلوا عنـاني قبل عيـر وما جـرى ... ولا تحسـدوني أن أمـوت هـزالا

فلما دخل القصر وأغلق الباب أحاط به عبد العزيز فدنا الوليد من الباب وقال : أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه قال يزيد بن عنبسة السكسكي : كلمني قال : يا أخـا السكاسـك ألم أزد في أعطيـاتكم ؟ ألم أرفع المؤن عنكم ؟ ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أخدم زمناكم ؟ فقال : إنّا ما ننقم عليك في أنفسنا إنما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح امهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ، قال : حسبك يا أخا السكاسك فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وإن فيما أحل الله سعة عما ذكرت ؛ ورجع إلى الدار وجلس واخذ مصحفاً فنشره يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثمان ، فصعدوا على الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة فنزل إليه فأخذه بيده وهو يريد أن يحبسه ويؤامره فيه فنزل من الحائط عشرة ، منهم منصور بن جمهور ، وعبد السلام اللخمي ، فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السندي[1] بن زياد بن أبي كبشة في وجهه واحتزوا رأسه وسيروه إلى يزيد فأتاه الرأس وهو يتغدى فسجد ، وحكى له يزيد بن عنبسة ما قاله للوليد قال : آخر كلامه الله لا يرتق فتقكم ولا يلم شعثكم ولا يجمع كلمتكم ، فأمر يزيد بنصب رأسه ؛ فقال له يزيد بن فروة مولى بني مرة : إنما تنصب رؤوس الخوارج وهذا ابن عمك وخليفة ولا آمن إن نصبته أن ترقّ لـه قلوب الناس

---

(١) في الطبري « وضربه السريّ » .

ويغضب له أهل بيته فلم يسمع منه ونصبه على رمح فطاف به بدمشق، ثم أمر به أن يدفع إلى أخيه سليمان بن يزيد ؛ فلما نظر إليه سليمان قال : بعداً له اشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً ولقد أرادني في نفسي الفاسق ؛ وكان سليمان ممن سعى في أمره ؛ وكان مع الوليد مالك بن أبي السمح المغني ، وعمرو الوادي المغني أيضاً فلما تفرق عن الوليد أصحابه وحصر قال مالك لعمرو : اذهب بنا فقال عمرو : ليس هذا من الوفاء نحن لا يعرض لنا لأنّا لسنا ممن يقاتل ، فقال مالك : والله لئن ظفروا بك وبي لا يقتل احد قبلي وقبلك فيوضع رأسه بين رأسينا ويقال للناس : انظروا من كان معه في هذه الحال فلا يعيبونه بشيء أشد من هذا فهربا ؛ وكان قتله لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة سنة ست وعشرين ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وقيل : سنة وشهرين واثنتين وعشرين يوماً ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ، وقيل : قتل وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة ، وقيل : إحدى وأربعين سنة ، وقيل : ست وأربعين سنة .

ذكر نسب الوليد وبعض سيرته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي يكنى ابا العباس ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وأم عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب فلذلك يقول الوليد :

نبي الهدى خالي ومن يَكُ خالـه   نبي الهـدى يقهر بـه من يفـاخـره

وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم واجوادهم ، وأشدائهم منهمكاً في اللهو والشرب ، وسماع الغناء فظهر ذلك من أمره فقتل، ومن جيد شعره ما قاله لما بلغه أن هشاماً يريد خلعه :

كفـرت يداً من منعم لـو شكرتهـا   جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

وقد تقدمت الأبيـات الأربعة ، وأشعـاره حسنة في الغـزل والعتاب ، ووصف الخمر ، وغير ذلك ، وقد أخذ الشعراء معانيه في وصف الخمر فسرقوها وأدخلوها في أشعارهم وخاصة أبو نواس فانه أكثرهم أخذاً لها ، قال الوليد : المحبة للغناء تزيد في

الشهوة ، وتهدم المروءة ، وتنوب عن الخمر . وتفعل ما يفعل السكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا وإني لأقول ذلك على أنه احب إليَّ من كل لذة وأشهى إلى نفسي من الماء إلى ذي الغلة ولكن الحق أحق أن يتبع ، قيل : إن يزيد بن منبه مولى ثقيف مدح الوليد وهنأه بالخلافة فأمر أن تعد الأبيات ويعطى بكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين بيتاً فأعطي خمسين ألف درهم ، وهو أول خليفة عد الشعر وأعطى بكل بيت ألف درهم ، ومما اشتهر عنه أنه فتح المصحف فخرج ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ فألقاه ورماه بالسهام وقال :

تهددني بجبار عنيد ... فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً حتى قتل ، ومن حسن الكلام ما قاله الوليد لما مات مسلمة بن عبد الملك فإن هشاماً : قعد للعزاء فأتاه الوليد وهو نشوان يجر مطرف خز عليه فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين إن عقبي من بقي لحوق من مضى وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى وعلى أثر من سلف يمضي من خلف فتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى ؛ فأعرض هشام ولم يحر جواباً ، وسكت القوم فلم ينطقوا ، وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قيل عنه والصق به وليس بصحيح ، قال المدائني : دخل ابن للغمر بن يزيد أخي الوليد على الرشيد فقال له ممن أنت؟ فقال: من قريش قال : من أيها ؟ فأمسك فقال : قل وأنت آمن ولو أنك مروان فقال : أنا ابن الغمر بن يزيد فقال : رحم الله عمك الوليد ولعن يزيد الناقص فإنه قتل خليفة مجمعاً عليه ارفع حوائجك فرفعها فقضاها .

وقال شبيب بن شبة : كنا جلوساً عند المهدي فذكروا الوليد فقال المهدي : كان زنديقاً فقام أبو علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر الامة زنديقاً لقد أخبرني من كان يشهد في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في ظهارته وصلاته فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطائب المصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويُؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلي فيها فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه فهذا فعال من لا يؤمن بالله ، فقال المهدي : بارك الله عليك يا أبا علاثة .

ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص

في هذه السنة بويع يزيد بن الوليد الذي يقال له: الناقص، وإنما سُمي الناقص لأنه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في عطيات الناس وهي عشرة عشرة ورد العطاء الى ما كان أيام هشام، وقيل: أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد، ولما قتل الوليد خطب يزيد الناس فذمه وذكر الحاده وأنه قتله لفعله الخبيث وقال: أيها الناس إن لكم عليَّ أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة ولا أكتري نهراً ولا أكثر مالاً ولا أعطيه زوجة وولداً ولا أنقل مالاً عن بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل نقلته إلى البلد الذي يليه، ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم، ولا أغلق بابي دونكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم، ولكن أعطياتكم كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى يكون أقصاكم كأدناكم، فإن وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة، وإن لم أفِ فلكم أن تخلعوني إلا أن أتوب، وإن علمتم أحداً ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه، أيها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ذكر اضطراب أمر بني أمية

في هذه السنة اضطرب أمر بني أمية وهاجت الفتنة، فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتل الوليد بعمان، وكان حبسه الوليد بها فخرج من الحبس وأخذ ما كان بها من الأموال وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليدويعيبه بالكفر.

ذكر خلاف أهل حمص

لما قتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها وأقاموا النوائح والبواكي عليه، وقيل لهم: إن العباس بن الوليد بن عبد الملك أعان عبد العزيز على قتله فهدموا داره ونهبوها وسلبوا حرمه وطلبوه فسار إلى أخيه يزيد، فكاتبوا الأجناد ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد فأجابوهم، واتفقوا أن لا يطيعوا يزيد، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير ووافقهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك على ذلك، فراسلهم يزيد

فلم يسمعوا وجرحوا رسله ، فسير إليهم أخاه مسروراً في جمع كثير فنزلوا حوارين ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فرد عليه يزيد ما كان الوليد أخذه من أموالهم وسيره إلى أخيه مسرور ومن معه وأمرهم بالسمع والطاعة له ، وكان أهل حمص يريدون المسير إلى دمشق فقال لهم مروان بن عبد الملك : أرى أن تسيروا إلى هذا الجيش فتقاتلوهم فإن ظفرتم بهم كان ما بعدهم أهون عليكم ولست أرى المسير إلى دمشق وترك هؤلاء خلفكم، فقال السمط بن ثابت : إنما يريد خلافكم وهو مائل ليزيد والقدرية فقتلوه وقتلوا ابنه ، وولوا أبا محمد السفياني وتركوا عسكر سليمان ذات اليسار وساروا الى دمشق ، فخرج سليمان مجداً فلحقهم بالسليمانية ـ مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء ـ ، وأرسل يزيد بن الوليد عبد العزيز بن الحجاج في ثلاثة آلاف إلى ثنية العقاب ، وأرسل هشام بن مصاد في ألف وخمسمائة إلى عقبة السلامية وأمرهم أن يمد بعضهم بعضاً ، ولحقهم سليمان ومن معه على تعب فاقتتلوا قتالاً شديد فانهزمت ميمنة سليمان وميسرته وثبت هو في القلب ، ثم حمل أصحابه على أهل حمص حتى ردوهم إلى موضعهم وحمل بعضهم على بعض مراراً ، فبيناهم كذلك إذ أقبل عبد العزيز بن الحجاج من ثنية العقاب فحمل على أهل حمص حتى دخل عسكرهم وقتل فيه من عرض له فانهزموا ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري الله الله في قومك فكف الناس ، ودعاهم سليمان بن هشام إلى بيعة يزيد بن الوليد وأخذ أبو محمد السفياني أسيراً ؛ ويزيد بن خالد بن معاوية أيضاً فأتى بهما سليمان فسيرهما إلى يزيد فحبسهما ، واجتمع أمر أهل دمشق ليزيد بن الوليد وبايعه أهل حمص فأعطاهم يزيد العطاء وأجاز الاشراف واستعمل عليهم يزيد بن الوليد معاوية بن يزيد بن الحصين .

ذكر خلاف أهل فلسطين

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه ـ وكان قد استعمله عليهم الوليد ـ وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم وقالوا له : ان أمير المؤمنين قد قُتل فتولَّ أمرنا فوليهم ودعا الناس إلى قتال يزيد فأجابوه ، وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين وبلغ أهل الاردن أمر أهل فلسطين فولوا

عليهم محمد بن عبد الملك واجتمعوا معهم على قتال يزيد بن الوليد ، وكان أمر أهل فلسطين الى سعيد بن روح وضبعان بن روح ، وبلغ خبرهم يزيد بن الوليد فسير إليهم سليمان بن هشام بن عبد الملك في أهل دمشق ، وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني - وكانت عدتهم أربعة وثمانين ألفاً - وأرسل يزيد بن الوليد إلى سعيد، وضبعان ابني روح فوعدهما وبذل لهما الولاية والمال فرحلا في أهل فلسطين، وبقي أهل الأردن فأرسل سليمان خمسة آلاف فنهبوا القرى وساروا إلى طبرية ، فقال أهل طبرية : ما نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهالينا فانتهبوا يزيد بن سليمان ، ومحمد بن عبد الملك وأخذوا دوابهما وسلاحهما ولحقوا بمنازلهم ، فلما تفرق أهل فلسطين ، والأردن، سار سليمان حتى أتى الصنبرة وأتاه أهل الأردن فبايعوا يزيد بن الوليد ، وسار الى طبرية فصلى بهم الجمعة وبايع من بها ، وسار إلى الرملة فأخذ البيعة على من بها ؛ واستعمل ضبعان بن روح على فلسطين ، وابراهيم بن الوليد بن عبد الملك على الأردن .

ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق

ولما قتل الوليد استعمل يزيد على العراق منصور بن جمهور ، وكان قد ندب قبله إلى ولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبي فقال: لو كان معي جند لقبلت فتركه واستعمل منصوراً ، ولم يكن منصور من أهل الدين وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحمية لقتل يوسف خالداً القسري فشهد لذلك قتل الوليد ، وقال له لما ولاه العراق : اتق الله واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه ولما أظهر من الجور فلا تركب مثل ما قتلناه عليه ، ولما بلغ يوسف بن عمر قتل الوليد عمد إلى من بحضرته من اليمانية فسجنهم ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضرية فيقول : ما عندك إن اضطرب الحبل ؟ فيقول المضري : أنا رجل من أهل الشام أبايع من بايعوا وأفعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يحب فأطلق اليمانية ، وأقبل منصور فلما كان بعين التمر كتب إلى من بالحيرة من قواد أهل الشام يخبرهم بقتل الوليد وتأميره على العراق ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله ، وبعث الكتب كلها إلى سليمان بن سليم بن كيسان ليفرقها على القواد فحبس الكتب وحمل كتابه فأقرأه يوسف بن عمر فتحير في أمره وقال

لسليمان : ما الرأي ؟ قال : ليس لك امام تقاتل معه ولا يقاتل أهل الشام معك ولا آمن عليك منصوراً وما الرأي إلا أن تلحق بشامك قال : فكيف الحيلة ؟ قال : تظهر الطاعة ليزيد وتدعو له في خطبتك فإذا قرب منصور تستخفي عندي وتدعه والعمل ، ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص فأخبره بأمره وسأله أن يواري يوسف بن عمر عنده ففعل فانتقل يوسف إليه قال : فلم ير رجل كان مثل عتوه خاف خوفه .

وقدم منصور الكوفة فخطبهم وذم الوليد ، ويوسف وقامت الخطباء فذموهما معه ، فأتى عمرو بن محمد إلى يوسف فأخبره فجعل لا يذكر رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قال : لله عليّ أن أضربه كذا وكذا سوطاً فجعل عمرو يتعجب من طمعه في الولاية وتهدده الناس ، وسار يوسف من الكوفة سراً إلى الشام فنزل البلقاء فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه إليه خمسين فارساً فعرض رجل من بني نمير ليوسف فقال : يا ابن عمر أنت والله مقتول فأطعني وامتنع قال : لا قال : فدعنيَ أقتلك أنا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك قال : ما لي فيما عرضت جنان قال : فأنت أعلم فطلبه المسيرون لأخذه فلم يروه فهددوا ابناً له فقال : انه انطلق إلى مزرعة له فساروا في طلبه فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ، ففتشوا عليه فوجدوه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات فجروا برجله وأخذوه وأقبلوا به إلى يزيد، فوثب عليه بعض الحرس فأخذ بلحيته ونتف بعضها ـ وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة ـ فلما أدخل على يزيد قبض على لحية نفسه وهي إلى سرته فجعل يقول : يا أمير المؤمنين نتفت والله لحيتي فما أُبقي فيها شعرة فأمر به فحبس بالخضراء فأتاه انسان فقال له : أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت فيلقي عليك حجراً فيقتلك فقال : ما فطنت لهذا ، فأرسل الى يزيد يطلب منه أن يحول إلى حبس غير الخضراء وإن كان أضيق منه فعجب من حمقه ، فنقله وحبسه مع ابني الوليد فبقي في الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية ابراهيم ، فلما قرب مروان من دمشق ولي قتلهم يزيد بن خالد القسري مولى لأبيه خالد يقال له : أبو الأسد ، ودخل منصور بن جمهور لأيام خلت من رجب فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء والأرزاق وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل الخراج وبايع ليزيد بالعراق، وأقام بقية رجب، وشعبان، ورمضان وانصرف لأيام بقين منه .

ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور

وفي هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور ، وكان يزيد ولاها منصوراً مع العراق ، وقد ذكرنا فيما تقدم ما كان من كتاب يوسف بن عمر إلى نصر بالمسير اليه ومسير نصر وتباطؤه وما معه من الهدايا فأتاه قتل الوليد ، فرجع نصر ورد تلك الهدايا وأعتق الرقيق وقسم حسان الجواري في ولده وخاصته وقسم تلك الآنية في عوام الناس ووجه العمال وأمرهم بحسن السيرة ، واستعمل منصور أخاه منصوراً على الري ، وخراسان فلم يمكنه نصر من ذلك وحفظ نفسه والبلاد منه ومن أخيه .

ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم

لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة علي بن المهاجر استعمله عليها يوسف بن عمر فقال له المهير بن سلمى بن هلال أحد بني الدؤل بن حنيفة : اترك لنا بلادنا فأبى ، فجمع له المهير وسار إليه وهو في قصره بقاع هجر فالتقوا بالقاع فانهزم علي حتى دخل قصره ثم هرب إلى المدينة وقتل المهير ناساً من أصحابه ، وكان يحيى بن أبي حفص نهى ابن المهاجر عن القتال فعصاه فقال :

بذلتُ نصيحتي لبني كلاب ... فلم تُقبلْ مشاورتي ونُصحي
فدىً لبني حنيفة من سواهم ... فإنهم فوارسُ كلِّ فتحِ

وقال شقيق بن عمرو السدوسي :

إذا أنتَ سالمتَ المهيرَ ورَهطه ... أمنتَ من الأعداءِ والخوفِ والذعرِ
فتىً راحَ يومَ القاعِ روحةَ ماجدٍ ... أراد بها حُسنَ السماعِ معَ الأجرِ

وهذا يوم القاع ، وتأمر المهير على اليمامة ثم إنه مات واستخلف على اليمامة عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل فاستعمل عبدالله بن النعمان المندلث بن ادريس الحنفي على الفلج ـ وهي قرية من قرى بني عامر بن صعصعة ـ، وقيل : هي لبني تميم فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل وأبو الفلج المندلث وقاتلهم فقتل المندلث وأكثر أصحابه ولم يقتل من أصحاب بني عامر كثير ،

وقتل يومئذ يزيد بن الطثرية وهي أمه نسبت إلى طثر بن عمرو بن وائل ـ وهو يزيد بن المنتشر ـ فرثاه أخوه ثور بن الطثرية :

أرى الأَثْلَ من نحوِ العقيقِ مجاوري مقيماً وقد غالتْ يزيد غوائِلُه
وقد كانَ يَحمي المحجرين بسيفهِ ويبلغ أقصَىٰ حجرةِ الحي نائِلُهُ

وهو يوم الفلج الأول ، فلما بلغ عبدالله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفاً من حنيفة وغيرها وغزا الفلج فلما تصاف الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي فقال الراجز :

فر أبو لطيفة المنافق والجفونيان وفر طارق

لما أحاطت بهم البوارق

طارق بن عبدالله القشيري ، والجفونيان من بني قشير ، وتخللت بنو جعدة البراذع وولوا فقتل أكثرهم وقطعت يد زياد بن حيان الجعدي فقال :

أنشدُ كفاً ذهبتْ وساعداً أنشدُها ولا أراني واجِدا

ثم قتل ، وقال بعض الربعيين :

سمونا لكعب بالصفائحِ والقنا وبالخيل شعثا تنحني في الشكائم
فما غاب قَرنُ الشمسِ حتى رَأيتَنا نسوق بني كعب كسوقِ البهائم
بضرب يُزيلُ الهامَ عن سكناته وطعن كأفواهِ المزاد الثَواجم

وهذا اليوم هو يوم الفلج الثاني ، ثم إن بني عقيل ، وقشيراً ، وجعدة ، ونميراً تجمعوا وعليهم أبو سهلة النميري فقتلوا من لقوا من بني حنيفة بمعدن الصخراء وسلبوا نساءهم وكفت بنو نمير عن النساء ، ثم إن عمر بن الوازع الحنفي لما رأى ما فعل عبد الله بن النعمان يوم الفلج الثاني قال: لست بدون عبد الله وغيره ممن يغير وهذه فترة يؤمن فيها عقوبة السلطان فجمع خيله وأتى الشريف وبث خيله فأغارت وأغار هو فملئت يداه من الغنائم ، وأقبل ومن معه حتى أتى النشاش ، وأقبلت بنو عامر وقد حشدت فلم يشعر عمر بن الوازع إلا برعاء الابل ، فجمع النساء في فسطاط وجعل عليهن حرساً ولقي القوم فقاتلهم فانهزم هو ومن معه وهرب عمر بن الوازع فلحق

باليمامة ، وتساقط من بني حنيفة خلق كثير في القلب من العطش وشدة الحر ، ورجعت بنو عامر بالأسرى والنساء ، وقال القحيف :

وبالنشاشِ يومَ طارَ فيه لنا ذكرٌ وعدٌّ لنا فعالُ

وقال أيضاً :

فداءٌ خالتي لبني عقيل وكعب حين تزدحم الجدود
هم تركوا على النشاش صَرْعَى بضرب ثم أهونه شديد

وكفت قيس يوم النشاش عن السلب فجاءت عكل فسلبتهم وهذا يوم النشاش ، ولم يكن لحنيفة بعده جمع غير أن عبيدالله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار على ماء لقشير يقال له : حلبان فقال الشاعر :

لقد لاقتْ قشير يومَ لاقت عبيدالله إحدى المنكرات
لقد لاقت على حلبان ليثا هِزَبْراً لا ينامُ عن الترات

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين ألفاً ، ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والياً على اليمامة من قبل أبيه يزيد بن عمر بن هبيرة حين وَلِيَ العراق لمروان الحمار فوردها وهم سلم فلم يكن حرب ، وشهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى لأنه قيسي أيضاً فضرب عدة من بني حنيفة وحلقهم فقال بعضهم :

فإن تضربونا بالسِّياط فإننا ضَرَبْناكم بالمرهفاتِ الصوارمِ
وان تحلقوا من الرؤوس فإننا قطعنا رؤوساً منكُمُ بالغلاصِمِ

ثم سكنت البلاد ، ولم يزل عبيدالله بن مسلم الحنفي مستخفياً حتى قدم السري بن عبدالله الهاشمي والياً على اليمامة لبني العباس فدل عليه فقتله ، فقال نوح بن جرير الخطفي :

فلولا السري الهاشمي وسيفُهُ أعاد عبيدالله شراً على عُكل

ذكر عزل منصور عن العراق ، وولاية عبدالله بن عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد بن عبد الملك منصور بن جمهور عن العراق

واستعمل عليه بعده عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وقال له لما ولاه : سر إلى العراق فإن أهله يميلون إلى أبيك ، فقدم إلى العراق وقدم بين يديه رسلاً إلى من بالعراق من قواد الشام وخاف أن لا يسلم إليه منصور العمل فانقاد له أهل الشام وسلم إليه منصور العمل وانصرف إلى الشام ، ففرق عبدالله العمال وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم فنازعه قواد أهل الشام وقالوا : تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا ؟ فقال لأهل العراق : إني أريد أن أرد فيئكم عليكم وعلمت أنكم أحق به فنازعني هؤلاء ، فاجتمع أهل الكوفة بالجبانة فأرسل إليهم أهل الشام يعتذرون ، وثار غوغاء الناس من الفريقين فأصيب منهم رهط لم يعرفوا ، واستعمل عبدالله بن عمر على شرطته عمر بن الغضبان القبعثري وعلى خراج السواد ، والمحاسبات أيضاً .

ذكر الاختلاف بين أهل خراسان

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بخراسان بين النزارية ، واليمانية وأظهر الكرماني الخلاف لنصر بن سيار ، وكان السبب في ذلك أن نصراً رأى الفتنة قد ثارت فرفع حاصل بيت المال وأعطى الناس بعض اعطياتهم ورقاً وذهباً من الآنية التي كان اتخذها للوليد ، فطلب الناس منه العطاء وهو يخطب فقال نصر : إياكم والمعصية وعليكم بالطاعة والجماعة : فوثب أهل السوق إلى أسواقهم فغضب نصر وقال : مالكم عندي عطاء ثم قال : كأني بكم وقد نبع من تحت أرجلكم شر لا يطاق وكأني بكم مطرحين في الأسواق كالجزر المنحورة ، إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملّوها ، وأنتم يا أهل خراسان مسلحة في نحور العدو فإياكم ان يختلف فيكم سفيان ، إنكم تريشون أمراً تريدون به الفتنة ولا أبقى الله عليكم ، لقد نشرتكم وطويتكم فما عندي منكم عشرة وإني وإياكم كما قيل :

استمسكوا أصحابنا بحدوبكم ... فقد عرفنا خيرَكم وشرَّكم

فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سفيان ليتمنين أحدكم أنه ينخلع من ماله وولده ، يا أهل خراسان إنكم قد غمصتم الجماعة وركنتم إلى الفرقة اسلطان المجهول تريدون وتنتظرون ان فيه لهلاككم معشر العرب ثم تمثل بقول النابغة الذبياني :

فإن يغلب شقاؤكم عليكم ... فإني في صلاحكم سعيت

وقدم على نصر عهده على خراسان من عبدالله بن عمر بن عبد العزيز فقال الكرماني لأصحابه : الناس في فتنة فانظروا لأموركم رجلاً ، وإنما سمي الكرماني لأنه ولد بكرمان واسمه جديع بن علي الأزدي المعني فقالوا له : أنت لنا ، وقالت المضرية لنصر : إن الكرماني يفسد عليك الأمور فأرسل إليه فاقتله أو احبسه فقال : لا ولكن لي أولاد ذكور ، واناث فأزوج بني من بناته وبناتي من بنيه قالوا : لا قال : فابعث إليه بمائة ألف درهم وهو بخيل ولا يعطي أصحابه شيئاً منها فيتفرقون عنه قالوا : لا هذه قوة له ، ولم يزالوا به حتى قالوا له : ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان ، والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود ، وكان نصر والكرماني متصافيين وكان الكرماني قد أحسن إلى نصر في ولاية أسد بن عبدالله فلما ولي نصر عزل الكرماني عن الرياسة وولاها غيره فتباعد ما بينهما ، فلما اكثروا على نصر في أمر الكرماني عزم على حبسه فأرسل صاحب حرسه ليأتيه به فأرادت الازد أن تخلصه من يده فمنعهم من ذلك وسار مع صاحب الحرس إلى نصر وهو يضحك ، فلما دخل عليه قال له نصر : يا كرماني ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعته وقلت : شيخ خراسان وفارسها فحقنت دمك ، قال : بلى قال : ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس ؟ قال : بلى قال : ألم أرئس ابنك علياً على كره من قومك ؟ قال : بلى قال : فبدلت ذلك اجماعاً على الفتنة ؟ قال الكرماني : لم يقل الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه وأنا لذلك شاكر ، وقد كان مني أيام أسد ما قد علمت فليتأن الأمير فلست أحب الفتنة ، فقال سالم بن أحوز[1] اضرب عنقه ايها الأمير ، فقال عصمة بن عبدالله الاسدي للكرماني : إنك تريد الفتنة وما لا تناله ، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم العامري : لجلساء فرعون خير منكم إذ قالوا : أرجه وأخاه والله لا يقتل الكرماني بقولكما فأمر بضربه وحبس في القهندز لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة ، فتكلمت الأزد فقال نصر : إني حلفت أن أحبسه ولا يناله مني سوء فإن خشيتم عليه فاختاروا رجلاً يكون معه فاختاروا يزيد النحوي فكان معه : فجاء رجل من أهل نسف فقال لآل الكرماني : ما تجعلون لي ان اخرجته ؟ قالوا : كل ما سألت فأتى مجرى الماء في القهندز فوسعه وقال لولد الكرماني : اكتبوا إلى أبيكم

---

(١) في الطبري « سلم بن أحوز » وقد تقدم أيضاً مثل هذا وسيأتي .

يستعد الليلة للخروج فكتبوا إليه وادخلوا الكتاب في الطعام فتعشى الكرماني ويزيد النحوي وخضر بن حكيم وخرجا من عنده ودخل الكرماني السرب فانطوت على بطنه حية فلم تضره ، وخرج من السرب وركب فرسه البشير والقيد في رجله فأتوا به عبد الملك بن حرملة فأطلق عنه ، وقيل : بل خلص الكرماني مولى له رأى خرقاً في القهندز فوسعه وأخرجه ، فلم يصل الصبح حتى اجتمع معه زهاء ألف ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف ، وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة على كتاب الله وسنة رسوله فلما خرج الكرماني قدمه عبد الملك ، فلما هرب الكرماني عسكر نصر بباب مرو الروذ وخطب الناس فنال من الكرماني فقال : ولد بكرمان فكان كرمانياً ثم سقط إلى هراة فصار هروياً والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت ولا فرع نابت ، ثم ذكر الازد فقال: ان يستوثقوا فهم أذل قوم وان تابوا فهم كما قال الأخطل :

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

ثم ندم على ما فرط منه فقال : اذكروا الله فإنه خير لا شر فيه ، ثم اجتمع إلى نصر بشر كثير، فوجه سالم بن أحوز في المجففة إلى الكرماني فسفر الناس بين نصر والكرماني وسألوا نصراً أن يؤمنه ولا يحبسه ، وجاء الكرماني فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته ، ثم بلغ الكرماني عن نصر شيء فخرج إلى قرية له فخرج نصر فعسكر بباب مرو فكلموه فيه فأمنه ، وكان رأي نصر إخراجه من خراسان فقال له سالم بن أحوز : إن أخرجته ووهنت بأسه قال الناس : إنما أخرجه لأنه هابه فقال نصر : إن الذي اتخوفه منه إذا خرج أيسر مما اتخوفه منه وهو مقيم ، والرجل إذا نُفي عن بلده صَغُر أمره فأبوا عليه فأمنه وأعطى أصحابه عشرة عشرة ، وأتى الكرماني نصراً فأمنه ، فلما عزل ابن جمهور عن العراق وولي عبدالله بن عمر بن عبد العزيز في شوال سنة ست وعشرين خطب نصر وذكر ابن جمهور وقال : قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق وقد عزله الله واستعمل الطيب ابن الطيب ، فغضب الكرماني لابن جمهور وعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح فكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة وأكثر وأقل فيصلي خارج المقصورة ثم يدخل فيسلم على نصر ولا يجلس ، ثم ترك اتيان نصر وأظهر الخلاف فأرسل اليه نصر مع سالم بن أحوز يقول له: إني والله ما أردت بحبسك سوءاً ولكن خفت فساداً من الناس فأتني فقال : لولا إنك في منزلي لقتلتك ارجع إلى ابن الأقطع

وأبلغه ما شئت من خير أو شر ، فرجع الى نصر فأخبره فلم يزل يرسل إليه مرة بعد أخرى فكان آخر ما قال له الكرماني : إني لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد فتركب منا ما لا بقية بعده فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ولكن اكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها فتهيأ للخروج إلى جرجان (المَعْنى) بفتح الميم وسكون العين المهملة وبعدها نون نسبة إلى قبيلة من الأزد .

ذكر خبر الحرث بن سريج وأمانه

وفي هذه السنة أُومن الحرث بن سريج وهو ببلاد الترك ـ وكان مقامه عندهم اثنتي عشرة سنة ـ وأمر بالعود إلى خراسان ـ وكان السبب في ذلك أن الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر والكرماني خاف نصر قدوم الحرث[1] عليه في أصحابه ، والترك فيكون أشد عليه من الكرماني وغيره وطمع أن يناصحه ، فأرسل إليه مقاتل بن حيان النبطي وغيره ليردوه من بلاد الترك ، وسار خالد بن زياد الترمذي ، وخالد بن عمرو مولى بني عامر إلى يزيد بن الوليد فأخذا للحرث منه أماناً ، فكتب له أمانه وأمر نصر أن يرد عليه ما أخذ له وأمر عبدالله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة بذلك أيضاً ، فأخذا الأمان وسار إلى الكوفة ثم إلى خراسان ، فأرسل نصر إليه فلقيه الرسول وقد رجع مع مقاتل بن حيان ، وأصحابه فوصل إلى نصر وقام بمرو الروذ ، ورد نصر عليه ما أخذ له ، وكان عوده سنة سبع وعشرين ومائة .

ذكر شيعة بني العباس

في هذه السنة وجه ابراهيم بن محمد الامام أبا هاشم بكير بن ماهان الى خراسان وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنعى إليهم محمد بن علي ودعاهم الى ابنه ابراهيم ودفع إليهم كتابه فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة فقدم بها بكير على إبراهيم .

ذكر بيعة ابراهيم بن الوليد بالعهد

وفي هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لأخيه ابراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن

---

(١) في الأصل « قوة الحارث » .

الحجاج بن عبد الملك ، وكان السبب في ذلك أن يزيد مرض سنة ست وعشرين ومائة فقيل له ليبايع لهما ، ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما .

ذكر مخالفة مروان بن محمد

وفي هذه السنة أظهر مروان بن محمد الخلاف ليزيد بن الوليد ، وكان السبب في ذلك أن الوليد لما قتل كان عبد الملك بن مروان بن محمد مع الغمر بن يزيد أخي الوليد بحران بعد انصرافه من الصائفة ، وكان على الجزيرة عبدة بن الرياح[١] الغساني عاملاً للوليد ، فلما قتل الوليد سار عبدة عنها إلى الشام فوثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حران والجزيرة فضبطهما وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك ويشير عليه بتعجيل السير ، فتهيأ مروان للمسير وأنفذ إلى الثغور من يضبطها ويحفظها وأظهر أنه يطلب بدم الوليد وسار ومعه الجنود ومعه ثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين ، وسبب صحبته له أن هشاماً كان قد حبسه .

وسبب حبسه أن هشاماً أرسله إلى افريقية لما قتلوا عامله كلثوم بن عياض فأفسد الجند فحبسه هشام ، وقدم مروان على هشام في بعض وفداته[٢] فشفع فيه فأطلقه فاستصحبه معه ، فلما سار مروان مسيره هذا أمر ثابت بن نعيم من مع مروان من أهل الشام بالانضمام إليه ومفارقة مروان ليعودوا إلى الشام فأجابوه الى ذلك فاجتمع معه ضعف من مع مروان وباتوا يتحارسون ، فلما أصبحوا اصطفوا للقتال فأمر مروان منادين ينادون بين الصفين يا أهل الشام ما دعاكم إلى هذا ؟ ألم أحسن فيكم السيرة ؟ فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة الخليفة وقد قتل وبايع أهل الشام يزيد فرضينا بولاية ثابت ليسير بنا إلى أجنادنا ، فنادوهم : كذبتم فإنكم لا تريدون ما قلتم وإنما تريدون أن تغصبوا من مررتم به من أهل الذمة أموالهم وما بيني وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إلي فأسير بكم إلى الغزاة ثم أترككم تلحقون بأجنادكم فانقادوا له ، فأخذ ثابت بن نعيم وأولاده وحبسهم وضبط الجند حتى بلغ حران وسيرهم إلى الشام ، ودعا أهل الجزيرة إلى العرض فعرض

---

(١) في الطبري « عبدة بن رباح » .

(٢) في الطبري « وفاداته ».

نيفاً[١] وعشرين الفاً وتجهز للمسير إلى يزيد ، وكاتبه يزيد ليبايع له ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل واذربيجان فبايع له مروان وأعطاه يزيد ولاية ما ذكر له .

ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة توفي يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة ، وكانت خلافته ستة أشهر وليلتين ، وقيل : كانت ستة أشهر واثني عشر يوماً ، وقيل : خمسة أشهر واثني عشر يوماً ، وكان موته بدمشق وكان عمره ستاً وأربعين سنة ، وقيل : سبعاً وثلاثين سنة ، وكانت أمه أم ولد اسمها شاه فرند[٢] بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، وهو القائل :

أنا ابن كسرى وأبي مروان   وقيصر جدي وجدي خاقان

إنما جعل قيصر ، وخاقان جديه لأن أم فيروز بن يزدجرد ابنة كسرى شيرويه بن كسرى وأمها ابنة قيصر وأم شيرويه ابنة خاقان ملك الترك ، وكان آخر ما تكلم به واحسرتاه وا أسفاه ، ونقش خاتمه العظمة لله ، وهو أول من خرج بالسلاح يوم العيد خرج بين صفين عليهم السلاح ، قيل : إنه كان قدرياً وكان أسمر طويلاً صغير الرأس جميلاً .

ذكر خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

فلما مات يزيد بن الوليد قام بالأمر بعده أخوه ابراهيم غير أنه لم يتم له الأمر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة ، وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث أربعة أشهر ، وقيل : سبعين يوماً ثم سار إليه مروان بن محمد فخلعه على ما نذكره ، ثم لم يزل حياً حتى اصيب سنة اثنتين ، وكنيته أبو اسحاق ، وأمه أم ولد .

ذكر استيلاء عبد الرحمن بن حبيب على افريقية

كان عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع قد انهزم لما قتل

---

(١) عبارة الطبري « ودعا أهل الجزيرة الى القرض ففرض لنيف » .

(٢) في الطبري « شاه افريد » .

أبوه ، وكلثوم بن عياض سنة اثنتين وعشرين ومائة وسار إلى الأندلس وقد ذكرناه ، وأراد أن يتغلب عليها فلم يمكنه ذلك ، فلما ولي حنظلة بن صفوان افريقية على ما ذكرناه وجه أبا الخطار إلى الأندلس أميراً فايس حينئذ عبد الرحمن مما كان يرجوه فعاد إلى افريقية وهو خائف من أبي الخطار ، وخرج بتونس من افريقية في جُمادى الأولى سنة ست وعشرين ـ وقد ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة بالشام ـ فدعا الناس إلى نفسه فأجابوه فسار بهم إلى القيروان فأراد من بها قتاله فمنعهم حنظلة ـ وكان لا يرى القتال إلا لكافر او خارجي وأرسل إليه حنظلة رسالة مع جماعة من أعيان القيروان رؤساء القبائل يدعوه إلى مراجعة الطاعة فقبضهم وأخذهم معه إلى القيروان وقال : إن رمى أحد من أهل القيروان بحجر قتلت من عندي أجمعين فلم يقاتله أحد ، فخرج حنظلة إلى الشام واستولى عبد الرحمن على القيروان سنة سبع وعشرين ومائة وسائر افريقية ، ولما خرج حنظلة إلى الشام دعا على أهل افريقية ، وعبد الرحمن فاستجيب له فيهم فوقع الوباء ، والطاعون سبع سنين لم يفارقهم إلا في أوقات متفرقة ، وثار بعبد الرحمن جماعة من العرب ، والبربر ثم قتل بعد ذلك .

فممن خرج عليه عروة بن الوليد الصدفي واستولى على تونس ، وقام أبو عطاف عمران بن عطاف الأزدي فنزل بطيفاس ، وثارت البربر بالجبال ، وخرج عليه ثابت الصنهاجي بباجة فأخذها ، فأحضر عبد الرحمن أخاه الياس وجعل معه ستمائة فارس وقال له : سر حتى تجتاز بعسكر أبي عطاف الأزدي فاذا رآك عسكره فارقهم وسر عنهم كأنك تريد تونس إلى قتال عروة بن الوليد بها فاذا أتيت موضع كذا فقف فيه حتى يأتيك فلان بكتابي فافعل بما فيه ، فسار الياس ودعا عبد الرحمن إنساناً وهو الرجل الذي قال لأخيه الياس عنه وأعطاه كتاباً وقال له : امض حتى تدخل عسكر أبي عطاف فاذا أشرف عليهم الياس ورأيتهم يدعون السلاح ، والخيل فاذا فارقهم الياس ووضعوا السلاح عنهم وأمنوا فسر اليه وأوصل كتابي اليه ، فمضى الرجل ودخل عسكر أبي عطاف وقاربهم الياس فتحركوا للركوب ثم فارقهم الياس نحو تونس فسكنوا وقالوا : قد دخل بين فكي أسد نحن من ههنا وأهل تونس من هناك وأمنوا وصمموا العزم على المسير خلفه ، فلما أمنوا سار ذلك الرجل إلى الياس فأوصل إليه كتاب أخيه عبد الرحمن فاذا فيه ان القوم قد أمنوك فسر إليهم وهم في غفلتهم ، فعاد الياس إليهم وهم غارون فلم يلحقوا يلبسون سلاحهم حتى دهمهم فقتلهم وقتل أبا عطاف أميرهم سنة ثلاثين ومائة ،

وأرسل إلى أخيه عبد الرحمن يبشره بذلك فكتب إليه عبد الرحمن يأمره بالمسير إلى أهل تونس ويقول : إنهم إذا رأوك ظنوك أبا عطاف فأمنوك فظفرت بهم ، فسار إليهم فكان كما قال عبد الرحمن ، ووصل إليها وصاحبها عروة بن الوليد في الحمام فلم يلحق يلبس ثيابه حتى غشيه الياس فالتحف بمنشفة ينشف بها بدنه وركب فرسه عرياناً وهرب ، فصاح به الياس يا فارس العرب فعاد إليه فضربه الياس واحتضنه عروة فسقطا إلى الأرض وكاد عروة يظهر على الياس فأتاه مولى لالياس فقتله واحتز رأسه وسيره إلى عبد الرحمن .

وأقام الياس بتونس وخرج عليه رجلان بطرابلس اسمهما عبد الجبار ، والحرث وقتلا من أهل البلد جماعة كثيرة فسار إليهم عبد الرحمن سنة إحدى وثلاثين ومائة وقاتلهما فقتلا ـ وكانا يدينان بمذهب الأباضية من الخوارج ـ وجند عبد الرحمن في قتال البربر ، وعمر عبد الرحمن سور طرابلس سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ثم انه عاد إلى القيروان ؛ وغزا تلمسان وبها جمع كثير من البربر فظفر بهم وذلك سنة خمس وثلاثين ، وسير جيشاً إلى صقلية فظفروا وغنموا غنيمة كثيرة ؛ وبعث جيشاً آخر إلى سردانية فغنموا وقتلوا في الروم ودوخ المغرب جميعه ولم ينهزم له عسكر . وقتل مروان بن محمد وزالت دولة بني أمية وعبد الرحمن بافريقية فخطب للخلفاء العباسيين وأطاع السفاح ، ثم قدم عليه جماعة من بني أمية فتزوج هو وإخوته منهم ، وكان فيمن قدم عليه منهم العاص ، وعبد المؤمن ابنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ـ وكانت ابنة عمهما تحت الياس أخي عبد الرحمن ـ فبلغ عبد الرحمن عنهما السعي في الفساد عليه فقتلهما فقالت ابنة عمهما لزوجها الياس : إن أخاك قد قتل اختانك ولم يراقبك فيهم وتهاون بك وأنت سيفه الذي يضرب به وكلما فتحت له فتحاً كتب إلى الخلفاء أن ابني حبيباً فتحه وقد جعل له العهد بعده وعزلك عنهولم تزل تغريه به فتحرك لقولهاوأعمل الحيلةعلى أخيه ، ثم انالفساح توفي وولي الخلافة بعده المنصور فأقر عبد الرحمن على افريقية وأرسل إليه خلعة سوداء أول خلافته فلبسها وهي أول سواد دخل افريقية ، فأرسل إليه عبد الرحمن هدية وكتب يقول : ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبي منها والمال فلا تطلب مني مالاً ، فغضب المنصور وأرسل إليه يتهدده ، فخلع المنصور بإفريقية ومزق خلعته وهو على المنبر ، وكان خلع المنصور مما أعان أخاه

الياس عليه ، فاتفق جماعة من وجوه القيروان معه على أن يقتلوا عبد الرحمن ويولوه ويعيدوا الدعاء للمنصور ، فبلغ عبد الرحمن فأمر أخاه الياس بالمسير إلى تونس فتجهز ودخل إليه يودعه ومعه أخوه عبد الوارث فلما دخلا على عبد الرحمن قتلاه ، وكان قتله في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائة ، وكانت إمارته على افريقية عشر سنين وسبعة أشهر، ولما قتل ضبط الياس أبواب الدار ليأخذ ابنه حبيباً فلم يظفر به ، وهرب حبيب إلى تونس واجتمع بعمه عمران بن حبيب وأخبره بقتل أبيه ، وسار الياس إليهما واقتتلوا قتالاً يسيراً ثم اصطلحوا على أن يكون لحبيب قفصة ، وقسطيلة ، ونفزة ، ويكون لعمران تونس ، وصطفورة ، والجزيرة ، ويكون سائر افريقية لالياس ، وكان هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فلما اصطلحوا سار حبيب بن عبد الرحمن إلى عمله ومضى الياس مع أخيه عمران إلى تونس فغدر بعمران أخيه وقتله وأخذ تونس وقتل بها جماعة من أشراف العرب وعاد إلى القيروان ، فلما استقر بها بعث بطاعته الى المنصور مع وفد منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي افريقية .

ثم سار حبيب إلى تونس فملكها فسار إليه إلياس واقتتلوا قتالاً ضعيفاً فلما جنهم الليل ترك حبيب خيامه وسار جريدة إلى القيروان فدخلها وأخرج من في السجن وكثر جمعه ، ورجع الياس في طلبه ففارقه أكثر أصحابه وقصدوا حبيباً فعظم جيشه وخرج إليه فالتقيا فغدر أصحاب الياس ، وبرز حبيب بين الصفين فقال له : لم نقتل صنائعنا وموالينا ؟ ولكن ابرز أنت إلي فأينا قتل صاحبه استراح منه ، فتوقف الياس ثم برز إليه فاقتتلا قتالاً شديداً فكسر فيه رمحاهما ثم سيفاهما ، ثم ان حبيباً عطف عليه فقتله ودخل القيروان وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهرب إخوة الياس إلى بطن من البربر يقال لهم : ورفجومة فاعتصموا بهم فسار إليهم حبيب فقاتلهم فهزموه فسار إلى قابس ، وقوي أمر ورفجومة حينئذ وأقبلت البربر إليهم والخوارج ، وكان مقدم ورفجومة رجلاً اسمه عاصم بن جميل وكان قد ادعى النبوة والكهانة فبدل الدين وزاد الصلاة وأسقط ذكر النبي ﷺ من الأذان ، فجهز عاصم من عنده من العرب على قصد القيروان وأتا ه رسل جماعة من أهل القيروان يدعونه إليهم وأخذوا عليه العهود والمواثيق بالحماية والصيانة والدعاء للمنصور فسار إليهم عاصم في البربر ، والعرب فلما قاربوا القيروان خرج من بها لقتالهم فاقتتلوا وانهزم أهل القيروان ودخل عاصم ومن معه القيروان، فاستحلت ورفجومة المحرمات ، وسبوا النساء والصبيان ، وربطوا دوابهم في الجامع

وأفسدوا فيه ، ثم سار عاصم يطلب حبيباً ـ وهو بقابس ـ فادركه واقتتلوا وانهزم حبيب إلى جبل اوراس فاحتمى به وقام بنصره من به ، ولحق به عاصم فالتقوا واقتتلوا فانهزم عاصم وقتل هو واكثر أصحابه ، وسار حبيب إلى القيروان فخرج إليه عبد الملك بن أبي الجعد وقد قام بأمر ورفجومة بعد قتل عاصم فاقتتل هو وحبيب فانهزم حبيب وقتل هو وجماعة من أصحابه في المحرم سنة أربعين ومائة ، وكانت امارة عبد الرحمن بن حبيب على افريقية عشر سنين وأشهراً ، وإمارة اخيه الياس سنة وستة أشهر وأمارة ابنه حبيب ثلاث سنين.

ذكر اخراج ورفجومة من القيروان

ولما قتل حبيب بن عبد الرحمن عاد عبد الملك بن أبي الجعد إلى القيروان وفعل ما كان يفعله عاصم من الفساد والظلم ، وقلة الدين ، وغير ذلك ففارق القيروان أهلها ، فاتفق أن رجلاً من الاباضية دخل القيروان لحاجة له فرأى ناساً من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهراً والناس ينظرون فادخلوها الجامع فترك الاباضي حاجته وقصد أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري فاعلمه ذلك ، فخرج أبو الخطاب وهو يقول : بيتك اللهم بيتك فاجتمع إليه أصحابه من كل مكان وقصدوا طرابلس الغرب واجتمع اليه الناس من الاباضية ، والخوارج ، وغيرهم ، وسير اليهم عبد الملك مقدم ورفجومة جيشاً فهزموه وساروا إلى القيروان ، فخرجت إليهم ورفجومة واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أهل القيروان الذين مع ورفجومة وخذلوهم فتبعهم ورفجومة في الهزيمة وكثر القتل فيهم وقتل عبد الملك الورفجومي وتبعهم أبو الخطاب يقتلهم حتى أسرف فيهم ، وعاد إلى طرابلس واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي ، وكان قتل ورفجومة في صفر سنة إحدى وأربعين ، ثم ان جماعة كثيرة من المسودة سيرهم محمد بن الاشعث الخزاعي أمير مصر للمنصور إلى طرابلس لقتال أبي الخطاب وعليهم أبو الأحوص عمر بن الاحوص العجلي ، فخرج إليهم أبو الخطاب وقاتلهم وهزمهم سنة اثنتين وأربعين فعادوا إلى مصر واستولى أبو الخطاب على سائر افريقية فسير إليه المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي أميراً على افريقية فسار من مصر سنة ثلاث وأربعين فوصل إليها في خمسين ألفاً ووجه معه الاغلب بن سالم التميمي ، وبلغ أبا الخطاب مسيره فجمع أصحابه من كل ناحية فكثر جمعه وخافه ابن

الاشعث لكثرة جموعه ، فتنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناتة فاتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل إليهم ففارقه جماعة منهم فقوي جنان ابن الاشعث وسار سيراً رويداً ، ثم أظهر أن المنصور قد أمره بالعود وعاد إلى ورائه ثلاثة أيام سيراً بطيئاً ، فوصلت عيون أبي الخطاب وأخبرته بعوده فتفرق عنه كثير من أصحابه وأمن الباقون ؛ فعاد ابن الاشعث ، وشجعان عسكره مجداً فصبح أبا الخطاب وهو غير متأهب للحرب فوضعوا السيوف في الخوارج واشتد القتال فقتل أبو الخطاب وعامة أصحابه في صفر سنة أربع وأربعين ومائة .

وظن ابن الأشعث أن مادة الخوارج قد انقطعت واذا هم قد أظل عليهم ابو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفاً فلقيهم ابن الأشعث وقتلهم جميعاً سنة أربع وأربعين وكتب إلى المنصور بظفره ورتب الولاة في الأعمال كلها وبنى سور القيروان فيها وتم سنة ست وأربعين ، وضبط افريقية وأمعن في طلب كل من خالفه من البربر وغيرهم ، فسير جيشاً إلى زويلة ، ووران فافتتح وران وقتل من بها من الاباضية ، وافتتح زويلة وقتل مقدمهم عبدالله بن سان الاباضي واجلى الباقين ، فلما رأى البربر ، وغيرهم من أهل العبث والخلاف على الأمراء ذلك خافوه خوفاً شديداً واذعنوا له بالطاعة ، فثار عليه رجل من جنده يقال له : هاشم بن الشاحج بقمونية وتبعه كثير من الجند فسير إليه ابن الأشعث قائداً في عسكر فقتله هاشم وانهزم أصحابه ، وجعل المصرية من قواد ابن الأشعث يأمرون أصحابهم باللحاق بهاشم كراهية لابن الأشعث لأنه تعصب عليهم فبعث إليه ابن الأشعث جيشاً آخر فاقتتلوا وانهزم هاشم ولحق بتاهرت وجمع طغام البربر فبلغت عدة عسكره عشرين ألفاً فسار بهم إلى تهوذة فسير إليه ابن الأشعث جيشاً فانهزم هاشم وقتلوا كثيراً من أصحابه البربر وغيرهم فسار إلى ناحية طرابلس ، وقدم رسول من المنصور إلى هاشم يلومه على مفارقة الطاعة فقال : ما خالفت ولكني دعوت للمهدي بعد أمير المؤمنين وأنكر ابن الأشعث ذلك وأراد قتلي ، فقال له الرسول : فإن كنت على الطاعة فمد عنقك فضربه بالسيف فقتله سنة سبع وأربعين في صفر ، وبذل الأمان لأصحاب هاشم جميعهم فعادوا وتبعهم ابن الأشعث بعد ذلك فقتلهم فغضب المضرية واجتمعت على عداوته وخلافه واجتمع رأيهم على إخراجه ، فلما رأى ذلك سار عنهم ولقيته رسل المنصور بالبر والإكرام فقدم عليه ، واستعمل

المصرية على افريقية بعده عيسى بن موسى الخراساني ـ وكان بعد مسير ابن الأشعث تأمير الخراساني ثلاثة أشهر ـ واستعمل المنصور الأغلب التميمي على ما نذكره في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة ، وإنما أوردنا هذه الحوادث متتابعة لتعلق بعضها ببعض على ما شرطناه ، وقد ذكرنا كل حادثة في أي سنة كانت فحصل الغرضان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة واستعمل عبد العزيز بن عمرو بن عثمان فقدمها في ذي القعدة من السنة ، وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وقيل : عمر بن عبد الله بن عبد الملك ، وكان العامل على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى ، وعلى البصرة المسور ابن عمر بن عباد ، وعلى قضائها عامر بن عبيدة ، وعلى خراسان نصر بن سيار الكناني .

وفيها كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أمير الجزيرة العمر بن يزيد بن عبد الملك يحثه على الطّلب بدم اخيه الوليد ويعده المساعدة له وإنجاده على ذلك .

وفيها مات سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : سنة سبع وعشرين ، وسعيد بن أبي سعيد المقبري ، ومالك بن دينار الزاهد ، وقيل : مات سنة سبع وعشرين ، وقيل : سنة ثلاثين .

وفيها توفي الكميت بن زيد الشاعر الاسدي وكان مولده سنة ستين .

وفيها توفي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وقيل : سنة احدى وثلاثين ، وفي إمارة يوسف بن عمر على العراق توفي أبو جمرة الضبعي صاحب ابن عباس (جمرة) بالجيم والراء المهملة .

الفهرس